جامعة مؤتة
عمادة الدّراسات العليا

التّوجيهات الصرّفيّة للقراءات العشرة وأثرها على تعدّد معاني التّنزيل

إعداد الطّالب
وليد حسين محمد عبدالله

إشراف
الأستاذ الدّكتور عبد القادر المرعي خليل

رسالة مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا
استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الدّكتوراه
في اللّغة العربيّة قسم اللّغة العربيّة وآدابها

جامعة مؤتة، 2014م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب وليد حسين محمد الموسومة بـــ:

التوجيهات الصرفية للقراءات العشرة وأثرها على تعدد معاني التنزيل

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2014/02/27	مشرفاً ورئيسا
د. عادل سلمان البقاعين		2014/02/27	عضواً
د. سيف الدين طه الفقراء		2014/02/27	عضواً
أ.د. احمد خالد شكري		2014/02/27	عضواً

عميد الدراسات العلـــيا

د. علي الضــــــمور

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى من حملتني وهناً على وهن، إلى العطاء والحبّ والحنان، إلى من كان دعائها سرّ نجاحي حتى وصلت إلى النّهاية، رافعة يديها بالدّعاء لي بالنّجاح والتّوفيق ونيل المراد.

أيها النابض بالحبّ أبداً... والحامل عنّي تعب هذه السّنين الطّويلة... أيّها السّرير الدّافيء... لأحلامي التي لا تنتهي...

يا قلب أمي

إلى مقامك الرفيع ...أرفع هذه الكلمات

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... إلى من كان سبباً في وجودي، أسأل الله عز وجل أن يمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار...

إلى والدي الحبيب

إِلَى مَنْ شَاطَرَتْنِي سَهَرَ اللّيالِي، وآزرتني بالصّبر لأصل إلى ما أنا فيه...

إلى من حصدت الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم...

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله تعالى...

إلى الشّمعة المتقدة التي تنير ظلمة حياتي... إلى القلب الذي يمدني بالصّبر والتحدّي... إلى الأريج الذي يملأ دربي عبقاً وأملاً ...

إلى زوجتي الغالية، زهرة

وليد حسين محمد عبدالله

الشكر والتقدير

بعد أن منّ الله علي بإتمام هذا البحث، أشعر هنا كمن يطوّق عنقي بفضله، فكان من الواجب عليّ أن أعترف لكل ذي فضل بفضله.

وأوّل من أتوجّه إليه بشكري وامتناني وتقديري– بعد الله سبحانه ذي الفضل والوجود والإحسان- هو أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الدّراسة، ورعايتها منذ كانت فكرة تجول في الذّهن، إلى أن غدت حبراً يسوّد هذه الصّفحات. والله أسأل أن يجعلني وعملي هذا في ميزان حسناته يوم القيامة، وأن يحفظه ذخراً لدارسي العربيّة.

كما وأتوجه بالشّكر للأساتذة الفاضلين: الدّكتور سيف الدّين الفقراء والدكتور عادل البقاعين والأستاذ الدكتور أحمد شكري، الذين تفضّلوا بقبول مناقشة هذه الدّراسة، لتقويم اعوجاجها وإصلاح مفسدها وسدّ ثلومها، وتشذيب نتوئها، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وإلى من زرعوا التفاؤل في دربي وقدّموا لي الكثير من المساعدة والتشجيع، فلهم مني عظيم الشّكروالامتنان:

رفيق رحلة الصعاب عمي إسماعيل الشيخ ديب.

والأخ العزيز المهندس إبراهيم الجعافرة.

والأصدقاء الأعزاء محمد عبد الحليم وعبد اللطيف أبو دوش وفادي المعاني.

والأخ الفاضل الزّميل الدّكتور بلال الضمور.

أما الشّكر الذي من النّوع الخاص فأنا أتوجه بالشكر أيضاً إلى كل من لم يقف إلى جانبنا، ومن وقف في طريقنا وعرقل مسيرة بحثنا، وزرع الشّوك في طريق بحثنا فلولا وجودهم لما أحسست بمتعة البحث، ولا حلاوة المنافسة الإيجابية، ولولاهم لما وصلت إلى ما وصلت إليه فلهم منّي كل الشّكر...

وفي الختام أتوجه بشكري وتقديري لكلّ من قدّم إلي يد العون والمساعدة مكثراً أو مقلاً وأعانني على إنجاز هذه الدّراسة.

والله من وراء القصد.

وليد حسين محمد عبدالله

فهرس المحتويات

المُلخَّص

التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة وأثرها

على تعدّد معاني التّنزيل

وليد حسين محمد عبدالله

جامعة مؤتة، 2014م

تبحث هذه الدّراسة في واحد من مظاهر الإعجاز اللغويّ للقرآن الكريم وهو القراءات القرآنيّة لما تزخر به من تنوّع في الأداء الصّوتيّ وتعدّد في المبنى الصّرفيّ وتحوّل في الأنماط الجمليّة، وإنّ سبر أعماق هذا الميراث التّليد ليكشف عن دلالات قارّة ووجوه بلاغيّة معجزة لا نظير لها.

ومن هنا تحاول هذه الدّراسة أن ترسم صورة مفصّلة لأثر البنية الصّرفيّة في تعيين مقاصد التّنزيل في السّياق القرآنيّ، وما يترتّب عن تعدّد البنيات الصّرفيّة والتّراكيب الجمليّة من تباين في الدّلالة وتغاير في المرمى، إنّها محاولة لاستشراف أثر تنوّع القراءات على مستوى البنية والأسلوب.

وقد انعقد البحث في هذا المطلب على محاور ثلاثة: مثّل المحور الأوّل منها مقدّمات تمهيديّة أساسيّة عرضت الدّراسة فيه للأبعاد المختلفة للقراءات القرآنيّة، فبيّنت الإرهاصات الأولى التي واكبت نشأة القراءات، ثمّ عرضت للمراحل التي مرّت بها القراءات حتى صار علماً له قواعده ومصطلحاته الخاصّة، وانتهى هذا المحور بذكر مختصر للقرّاء العشر ورواتهم.

أمّا المحور الثّاني فصوّر دور البنية الصّرفيّة في توجيه القراءات العشرة على مستوى أبنية الأسماء، فبحث في الجمع السّالم وجمع التّكسير، ثم انتقل ليبحث في أبنية المصادر والمشتقّات.

وأمّا المحور الثّالث فبحث دور البنية الصّرفيّة في توجيه القراءات العشرة على مستوى أبنية الأفعال، فدرس دلالات الزّيادات التّصريفية في جانب منه، وعرض في جانب آخر للبنية الاشتقاقيّة والبنية التصريفيّة للأفعال.

Abstract

The Morphological Justification of the Ten Qur'anic Modes of Reading and it's Impact on the Multiplicity of Meanings of the Revelation

Waleed Hossein Mohammad Abdullah

Mu'tah University, 2014

This study searches in one of the linguistic singularity phenomena of the Holy Qur'an, The Qur'anic Readings. The Qur'anic Readings have variety in the phonological performance, multiplicity in the morphological structure and transformation in sentence patterns. A deep view to the origin of this inherited heritage leads to the guidance and the rhetorical miracle styles.

This study tries to present a deep view of the effects of the morphological structure in specifying the meanings of The Qur'an Language. It also shows the effects of multiplicity of the morphological structure in creating dissimilarity in meanings and aims in Qur'anic Readings. This study tries to present a deep view of the effects of the morphological structure in specifying the meanings of The Qur'an Language. It also shows the effects of multiplicity of the morphological structure in creating dissimilarity in meanings and targets in Qur'anic Readings.

This research has been based on three dimensions; the first of which represents basic introductions, which show the concept of the Qur'anic Readings, then showing the practical procedures and its methodology. The second dimension depicts the role of the morphological structure of words to justify the Ten Qur'anic Modes of Reading, studying the regular plural nouns, irregular ones, gerunds and derivations.The Third dimension characterizes the role of the morphological structure of verbs to justify the Ten Qur'anic Modes of Reading, searching for the lexical suffixes and the derivation of verbs.

المقدّمة:

لمّا كانت اللّغة تمثّل أحد أبرز مظاهر الحضارة البشريّة؛ فحضارات الأمم تقاس بلسانها، ومدى تلقّيها لما ينتجه الفكر الإنسانيّ في مختلف حقول المعرفة، لذا كان من الطّبيعي أن تنصبّ عناية العلماء نحو اللّغة من أجل الحفاظ عليها والارتقاء بها، وتخليصها ممّا قد يعلق بها من شوائب عبر صيرورة التّاريخ والزّمان.

ولعلّ العربيّة من أوفر اللّغات حظّاً، فقد اجتمع لها من قدسيّة النّزول وإعجاز البيان أن تتفرّد بالقدر الأكبر من الرّعاية والدّراية لما كانت تحمله في نفوس أبنائها من قدسيّة.

وتعدّ لغة التّنزيل المنتهى في الفصاحة والبلاغة في سمت نظمها وعميق معانيها حتى أنّها أعيت فحول الشّعراء وفصحاء الكلام أن يأتوا بمثلها. وأمام هذا البحر الزّاخر والمعين غير النّاضب طفق علماء العربيّة يتدبّرون الذّكر الحكيم متلمّسين جوانب إعجازه اللّغوي وبلاغة عباراته وسحر بيانه.

وتمثّل القراءات القرآنيّة أحد مظاهر هذا الإعجاز اللغويّ لما تزخر به من تنوّع في الأداء الصّوتيّ وتعدّد في المبنى الصّرفيّ وتحوّل في الأنماط الجمليّة، لذا لا نعجب إذا ما وجدنا المشتغلين بها - وقد تعدّدت مشاربهم وتنوّعت مناهجهم- يتزاحمون في طلبها ويتنافسون في تناولها، فلقد انكبّ نفر من العلماء الأجلاء على القراءات فعنوا بنقلها والتثبّت من رواياتها، كما اهتمّوا بتوجيهها والاحتجاج لها أو بها كلٌّ بحسب منطلقه المعرفيّ ومنزعه العقليّ، فاتّخذ منها اللّغوي شاهداً على قاعدته أو حجّة لمذهبه، واعتضد بها الفقيه في استنباط الأحكام أو في ترجيح حكم على آخر، وتوسّل المتكلّم ببعض وجوهها في إثبات مذهبه أو في تفنيد مذهب غيره، وكانت أداتهم إلى ذلك هي اللّغة بمستوياتها المختلفة.

وإذا كانت القراءات القرآنيّة من طبيعتها الاختلاف والتعدّد، فإنّ سبر أعماق هذا الميراث التّليد ليكشف عن دلالات قارّة ووجوه بلاغيّة معجزة نتيجة هذه المغايرة وتلك المبادلة حتى جعلها بعض العلماء وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم.

ومن هنا تحاول هذه الدّراسة أن ترسم صورة مفصّلة لأثر البنية الصّرفيّة في تعيين مقاصد التّنزيل في السّياق القرآنيّ، وما يترتّب عن تعدّد البنيات الصّرفيّة والتراكيب الجمليّة من تباين في الدّلالة وتغاير في المرمى، إنّها محاولة لاستشراف أثر تنوّع القراءات على مستوى البنية والأسلوب.

ولعلّ من النّافل المعروف أنّ للبنية الصّرفيّة دوراً دلاليّاً في تحديد وجهة الخطاب في الموقف الإبلاغيّ، وأنّ انتقال الأداء القرائيّ في السّياق القرآنيّ من بنية صرفيّة إلى بنية أخرى يتمخّض عنه تنوّع في المقصد والغاية، فتحوّل الصّيغة الصّرفيّة في السّياق التّركيبيّة من التّذكير إلى التّأنيث، وتنوّع البنيات بين التّعريف والتّنكير أو الإفراد والجمع، وتغاير الكلم في صيغ اشتقاقها، يعدّ آية على ما تكنه ألفاظه من معانٍ قارّة، ولوناً من ألوان بلاغته وفصاحته، وهو في الوقت نفسه تمثّل قرينة لفظيّة تعين المفسّر على استكناه دلالات الخطاب في السّياق القرآنيّ. وتنبع أهميّة مثل هذه الدّراسة من جهتين:

الأولى: قدسيّة مادّتها وأهميّتها؛ فقراءات التّنزيل هي مضمار البحث وميدان الدّرس، ولا يخفى على أحد مبلغ العناية والرّعاية الّتي حظي بها الكتاب العزيز عند العلماء المسلمين، فلقد نشأت تحت ظلاله علوم ومباحث عديدة كان همّها ولوج بحره الزاخر من أجل استكناه دلالاته المستودعة في ألفاظه العربيّة حتى يتسنّى للفقيه والمفتي والحاكم وطالب العلم معرفة أحكامه ومقاصده.

الثّانية: النزر القليل من الدّراسات والبحوث المتخصّصة في هذا الحقل المعرفيّ؛ فجلّ الدّراسات الّتي تعرّضت لبحث القراءات القرآنيّة ولا سيّما تلك البحوث الّتي صرفت عنايتها نحو التّوجيهات اللّغويّة كانت تركز على الجانب الصّوتيّ والنّحويّ على التّعيين، وكثيراً ما كانت تضمّن بحثها مسائل من علم التّفسير والفقه والعقيدة، فضلاً عن المباحث اللّغوية المختلفة على غرار ما نألفه في كتب التّفسير كالمحرر الوجيز لابن عطيّة، والبحر المحيط لأبي حيّان، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وإذا ما بحثت التّوجيهات الصّرفيّة وجدناها لا تفصل بين مقولات ومصطلحات علم الصّرف أو البلاغة ومعطيات ومصطلحات علم النّحو أو الصّوتيّات أو غيرها.

وأحترس هنا لأبيّن أن هذا الحكم لا ينبغي أخذه على إطلاق؛ فليست هذه الدّراسة بدعاً بين مثيلاتها من البحوث، وإنّما هي استكمال لما قد بدأه الآخرون، فثمّة بحوث ودراسات تناولت في جانب منها التّوجيهات الصّرفيّة وهو ما سنبسط القول عنه في قسم الدّراسات السّابقة.

وأمّا عن سبب تخصيص الدّراسة بالقراءات العشرة على التعيين؛ فذلك انصياعاً لشروط وضوابط المنهج العلميّ الّتي توجب الدّقة في البحث وتفرض التأطير في التّناول. ولذلك أيضاً حدّد الباحث للقراءات العشر موضوع البحث طريقاً بعينها وهي طريق طيبة النّشر لابن الجزريّ. وفضلاً عن ذلك فإنّ تحديد الطّريقة يدفع عن المتلقي غير العارف بعلم القراءات مغبّة الوقوع في اللّبس أو الوهم من جهة أنّه قد يقف على قراءة منسوبة لقارئ في هذا البحث؛ ثم لا يجدها كذلك في كتاب التّيسير أو السّبعة... إلخ؛ فيلتبس عليه أمر نسبة القراءة ويتردّد في الحكم عليها.

وإذا كان المبتغى من هذه الدّراسة هو تجلية النّظر في درس القراءات العشرة في سياقها القرآنيّ، وتلمّس أثر البنية الصّرفيّة في تعدّد المعنى، كان من علميّة المنهج الذي تصطبغ به هذه الأطروحة أن تستبعد في تناولها للظّواهر الصّرفيّة كل ما لا يشتغل في استكناه المعنى، ولاسيّما تلك القراءات التي يعود الاختلاف فيها إلى التباين اللّهجيّ؛ فذلك مبحث مستقل يستلزمه بحث آخر يتناوله بالنّظر والدّرس، وممّا يؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ الدّرس اللّساني الحديث قد جعل درس اللّهجات مبحثاً مستقلاً له مناهجه ونظريّاته الخاصّة به.

وهذا لا يعني بمكان خلو هذه الدّراسة من الأنظار اللّهجيّة على التّعيين؛ إنّما القصد هو عدم إشغال التّوجيهات اللّهجيّة للقراءات حيّزاً خاصّاً في هذه الدّراسة، أمّا تلك القراءات التي يمثّل التّباين اللّهجي أحد وجوهها، فإنّها تدخل في بحثنا، بل هي تسير جنباً إلى جنب والتّوجيهات الصّرفيّة؛ ذلك أنّه يعزّ وجود قراءة من القراءات لم يكن الوجه اللّهجيّ أحد الاحتمالات التي يمكن توجيهها على هديه.

الدّراسات السّابقة

لم أقف في مكتبتنا العربيّة على بحثٍ مُتكاملٍ في هذا المطلب على التّعيين، فلم أجد بين أيدينا من الكتب والمقالات دراسات تناولت موضوع بحثنا بشيءٍ من التّفصيل والشّموليّة. إلا أنّ ذلك لا يعني خُلوَّ المكتبةِ العربيّةِ من دراسات أشارت إلى هذا الموضع إشاراتٍ جزئيةً، ووقفتْ عندها وقفات وصفيّة عامّة عرضت لجانبٍ من جوانبه، ونشير إلى بعض تلك الدراسات:

دراسة (أبوراس، 2005م) بعنوان اختلاف البنية الصّرفية في القراءات السّبع من طريق الشّاطبيّة توجيهه، وأثره على المعنى.

تناول الباحث في هذه الدّراسة أثر اختلاف البنية الصّرفية في القراءات السّبع من طريق الشّاطبية بناءً على توجيهها من ناحية واختلاف المعنى من ناحية أخرى، فعرض لأثر الاختلافات الصّرفيّة على مستوى الأسماء والمصادر والأفعال، ولكن درسه لهذا الموضوع جاء مضطّرباً؛ فهو لم يحدّد ما يعنيه بالبنية الصّرفيّة، الأمر الذي ترتّب عليه تضمين أطروحته مباحث لا تمت للبنية الصّرفيّة بــصلة، كالمدّ والقصر، والتّفخيم والتّرقيق الّتي هي من مباحث علم الأصوات.

دراسة (الشمري، 2001م) بعنوان القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى من خلال كتاب النّشر لابن الجزري.

تناول الباحث القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى، فبحث في العلامة الإعرابيّة اللاحقة لها من رفع ونصب وجر وجزم، فهو يعنى بالقراءات المتّفقة في لفظها وأحرف بنيتها المختلفة في علاماتها الإعرابيّة، إضافة إلى ما قد ينشأ من اختلاف في المعنى أو اتّفاق فيه.

دراسة (محمد، 1997م) بعنوان التّوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنيّة.

تناول الباحث في أطروحته مباحث علم البلاغة وأثرها في توجيه القراءات، فعرض لأثر الأساليب الإنشائيّة من استفهام وأمر ونهي وأساليب الخبر والذّكر والحذف والفصل والوصل وغيرها من الظّواهر البلاغيّة، ولكن تناوله للأثر البلاغيّ في القراءات جاء مختلطاً بمباحث أخرى صرفيّة ونحويّة، ثم إنّه لم يحدّد القراءات موضوع البحث.

دراسة (الزامل، 1427ه) بعنوان الخلاف التّصريفي وأثره في القرآن الكريم، تناول الباحث في هذه الأطروحة الأبواب الصّرفية الّتي كانت موضع الخلاف بين الصّرفيّين، ثمّ أخذ يدرس أثر هذه الخلافات على تفسير آيات الذّكر الحكيم، لينتهي إلى نتيجة مؤدّاها أنّ الخلاف التّصريفي يؤدّي إلى تعدّد معاني التّنزيل ممّا يكشف الغطاء عن جانب آخر من بلاغة ألفاظ القرآن ومعانيها الكامنة.

دراسة (سيكو) بعنوان طبيعة الاختلاف بين القرّاء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم " من خلال إعراب القرآن وتفسيره". حاول الباحث في هذه الدّراسة أن يلقي الضّوء على مجموعة من القضايا التي تتّصل بالقراءات العشرة فبحث مسألة ما انفرد بالقراءة كل من القرّاء العشرة، مع مقارنة الانفرادات بما قرأ به الجماعة من حيث الإعراب والمعنى، بغية الوصول إلى مناسبة أو تلازم بينهما، ثم استنتاج ثمرة الخلاف، كما تعرّض لمسألة أثر اختلاف القراءات في إعجاز القرآن الكريم.

منهج الدّراسة

لمّا كان مطلب هذه الدّراسة الكشف عن دور التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة في تعدّد معاني التّنزيل، فقد وجب على الباحث أن يمضي في استقراء ما كتبه وصنّفه الأوّلون، وهذا يعني أنّها دراسة وصفيّة في جانب كبير منها، غير أنّه وصفٌ يبتعد عن الوصف التقريري الذي يكتفي بوصف الظّاهرة اللّغويّة دون أن يشغل نفسه بتفسيرها، أمّا منهجي فهو وصفيٌّ تفسيريٌّ.

وقد حرصت على أن يكون منهجي علميَّاً خالصاً لا أميل مع هوى، ولا أتعصَّب لرأي، إنَّما كان الموضوع بذاته هو نصب عينيّ لا غايةً تطمع النَّفس من تحقيقها أو التَّدليل عليها سوى النّتائج التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده، فشرعت أقرأ في كتابات المفسّرين ومصنّفات أهل القراءات جامعاً النُّصوص والشَّواهد التي تمثِّل مادَّة الدِّراسة، ورتَّبتها على أبواب البحث وفصوله ثمَّ مضيت أفحص هذه النّصوص والشَّواهد، وأدرسها دراسة دقيقة تقوم على الاستقراء والوصف في جانبٍ كبير منها، غير أنَّه وصف يبتعد عن الوصف التقريريّ الذي يكتفي بوصف الظَّاهرة اللُّغويّة دون أن يشغل نفسه بتفسيرها.

وإذا كان السَّمت المنهجيّ العام وصفيّاً؛ فإنّه يتّخذ من الأنظار الوصفيّة الحادثة مستأنساً. فيستفيد من اللّسانيّات التّقابليّة من جهة واللّسانيّات البنيويّة والتّوليديّة التّحويليّة من جهة ثانية، ويتكئ في جانب منها على اللّسانيّات الوظيفيّة.

ويسير منهج الدّرس في محورين متوازيين:

الأوّل: درس القراءات العشرة بوصفها وقائع لغويّة متداولة على ألسنة أبناء العربيّة.

الثّاني: درس التّوجيهات الصّرفيّة في مستوى النّظر اللّغوي؛ أي التّفسير والتّعليل الذي كان مصاحباً للوقائع اللّغويّة؛ إذ لا نجد ظاهرة مقرّرة إلاّ وقد علّلها الأوائل وفسَّروها، فإن عزّ ذلك توافرنا على تعليلات خاصّة ممّا تسعفنا به اللّسانيّات المعاصرة.

مصادر الدّراسة ومراجعها

تعدّدت مصادر هذا البحث وتنوّعت، فكانت موزّعة بين كتب الصّرف واللّغة قديمها وحديثها، وكتب علوم القرآن وإعرابه ومعانيه وتفسيره وقراءاته، وبعض البحوث المنشورة في المجلات والدّوريات المتخصّصة. وقد كان منهجي في التعامل مع هذه المصادر في هوامش البحث وحواشيه كالآتي:

1. عند الأخذ من كتاب مطبوع لأوّل مرة أسجّل في الهامش كافّة المعلومات المتعلّقة بصاحبه ومكان النّشر وتاريخها، ثم أكتفي بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصّفحة؛ لِئلا أُثقل الهوامش وحتى لا ألزم نفسي بما لا يلزم، وأثبت جميع بيانات الكتاب في القسم الخاص بقائمة المراجع آخر هذه الأطروحة.
2. إذا كان الأخذ من رسالة جامعيّة أو بحث منشور في مجلة، فأشير عند ذكر هذا المصدر أوّل مرة إلى المعلومات التي توضّح للقارئ أنّ هذا العنوان هو رسالة أو بحث علميّ، ثم أثبت كل ذلك في القسم الخاص به في قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث.
3. أمّا الشّواهد التي سُقْتُها في هذا البحث فقد توزّعت بين آيات من الذّكر الحكيم وأبيات من الشّعر وشيء من كلام العرب وأمثالهم وبعض الأحاديث النّبويّة

الشّريفة وقد أفدت في تخريج هذه الشّواهد - على قدر استطاعتي - من مسلك المحققين:

4. عزوت الآيات الكريمة إلى سورها من المصحف الشّريف المطبوع على رواية حفص لقراءة عاصم بن أبي النّجود.
5. خرّجت القراءات العشرة من متن طيبة النّشر لابن الجزريّ، وبعض شروحها، وأثبت كل ذلك بهامش خاص عند كل فرشيّة من الفروش التي كانت موضع الدّراسة.
6. خرّجت أبيات الشّعر من أمهات كتب الصّرف والنّحو واللّغة التي تمّ الاستشهاد بهذه الأبيات فيها.
7. ثم خرّجْتُها بعد ذلك من المجموعات الشّعرية ومن دواوين الشّعراء إن كان البيت منسوباً لشاعر مطبوع ديوانه على حدّ علمي.
8. حاولت أن أعزو الشّواهد الشّعريّة التي لم تنسبها المصادر التي كانت مادّة للاستشهاد فيها، وقد أفدت كثيراً من معجم شواهد العربيّة لعبد السّلام هارون، ومن معجم شواهد اللّغة العربيّة لإميل يعقوب، فإن عزّ ذلك ذكرت في الهامش ما عجزت عن نسبته. وخرّجت كلام العرب وأمثالهم من المعجمات اللّغويّة وكتاب (مجمع الأمثال) للميداني.
9. خرجّت الأحاديث الشّريفة كلّها من كتب السّنن التي وردت هذه الأحاديث فيها.
10. وألحقت بآخر هذا البحث جريدة مفصَّلة حسب أسماء المؤلّفين مرتَّبة على حروف المعجم مع ذكر سنوات وفياتهم وأسماء كتبهم وطبعاتها التي رجعت إليها.
11. وقد تطلبت طبيعة هذه الدّراسة أن يتوزعها خمسة فصول يتقدّمهما تمهيد على النّحو الآتي:

التمهيد: تناولت فيه معنى القراءة وأنواعها، والشّروط الواجب توافرها حتّى ترتقي إلى مستوى المقبوليّة بالصّحة والتّواتر.

الفصل الأوّل: التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة على مستوى أبنية الأسماء، تناولت فيه التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات القرآنيّة التي جاءت بصيغ الجمع، فدرست في جانب منه جموع التّكسير، ثم أردفت ذلك بمبحث ثانٍ خصّصه الباحث للجمع السّالم.

الفصل الثّاني: وتناولت فيه الدّراسة التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات القرآنيّة التي وردت بصيغ المصادر، فبحثت الدّلالات الصّرفيّة التي تطّلع بها أبنية المصادر من ناحية والدّلالة التي يتميّز بها اسم المصدر من ناحية أخرى.

الفصل الثّالث: وتناولت فيه الدّراسة التوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة على مستوى المشتقات، فبحثت الدّلالات التي يحقّقها صيغ اسم الفاعل واسم المفعول والصّفة المشبّهة وصيغ المبالغة في السّياقات القرآنيّة التي جاءت بها القراءات العشرة.

الفصل الرّابع: في البنية الدّلاليّة (معاني الزّيادة)، ويبحث في الدّلالات التّصريفيّة التي تكتسبها الأفعال من إلحاقها بحروف الزّيادة، فيتناول في جانب منه معاني زيادة الهمزة على الفعل الثّلاثي المجرد، ثمّ تمضي في جانب آخر فتدرس الزّيادة بالتّضعيف، فتهتم بإبراز أثر تثقيل البنية وتخفيفها على المعنى ثمّ تنتهي إلى بحث الزّيادة بالألف في صيغة فاعل.

الفصل الخامس: في البنية الاشتقاقيّة للأفعال، ويبحث في زمرة من الأفعال التي وردت بها القراءات العشرة وقد اختلفت في بنيتها الاشتقاقيّة، فيقف على الأصل الاشتقاقي لتلك الأفعال والدّلالات المتحصّلة جرّاء اختلافها في بنيتها الاشتقاقيّة.

الخاتمة: أمّا الخاتمة فعود على بدء؛ فتحاول أن تُجلّيَ النّظر في الفرضيّة التي تأسّست عليها هذه الدراسة، لتنتهي إلى النّتائج التي خلصت إليها من بحث التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة من ناحية، والدّلالات التي يمكن استكناهها من الأبنية التي قرئت بها تلك القراءات من ناحية أخرى.

وبعد:

فقد بذلت الوسع كلّه في إنجاز هذا البحث حتى استوى على سوقه ولست أدَّعي لنفسي الكمال والبراءة من النَّقص والعيب، فالكمال لله وحده، والبراءة من

النَّقص والعيب لذاته تعالى ولكتابه العزيز، فهذا هو جهد المقلِّ، وهذه هي حدود الاستطاعة، فإن كان التَّوفيق من نصيبي، فهذا فضلٌ من الله أحمده عليه الحمد كلَّه، وأشكره عليه الوقت كلَّه، وإن أخطأت وقصَّرت فحسبي أنَّني حاولت واجتهدت، آملاً أن أجزى عليه خير جزاء وما التَّوفيق إلاّ بالله والحمد لله ربِّ العالمين.

تمهيد

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة أنزله الرّوح الكريم على قلب النبيّ الأمين - عليه الصّلاة والسّلام - في نَظْم معجز وعقدٍ متين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المعجزة الكبرى الّتي بها خُتِمَت الرّسالات، وغُلّقت السّماوات عن بعثة الأنبياء، فجمّعت الأمم والشّعوب على تشريع واحد بعد أن كانوا مللاً وطرائق متفرّقة، قال: - صلّى الله عليه وسلّم -: " مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ".(1)

وقد انطبعت هذه اللُّغة المقدَّسة على صفائح أفئدة من رافق صاحب الرِّسالة، عبر عشرين عاماً ونيِّفاً،(2) محتضنة لسان كلّ من عايشها في موطنها الأوّل في بطحاء جزيرة العرب، فكانت لساناً لكلّ من رضي بالدّعوة وشرح قلبه للهداية، عن أُبَيّ بن كعب قَالَ: " لَقِيَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جِبْرِيلَ، فَقَالَ: " يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ: مِنْهُمُ العَجُوزُ، وَالشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالغُلاَمُ، وَالجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ".(3)

---

(1) البخاريّ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (2002م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، ج6، ص182.

(2) الزركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت: 794ه)، (1957م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، ج1، ص177. الزُّرقانيّ، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج1، ص51.

(3) التّرمذيّ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:279هـ)، (1998م)، **الجامع الكبير، سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، باب مَا جَاءَ أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، حديث رقم: 2944، ج5، ص44-45.

وهكذا انتظمت لغة التّنزيل نُظماً صوتيَّة وتصريفيَّة وتركيبيَّة ومعجميَّة، بلغت عدَّتها أحرفاً سبعة، هي غاية ما نزل بها الذِّكر الحكيم، وتغدو هذه الأحرف السَّبعة ميداناً رحباً للدَّرس والبحث، من أجل تبيُّن ما تكتنهه من دلالات قارَّة أو معاني مرادة تحتكم في أفلاكها،[1] وقد بلغت الأربعين وجهاً،[2] منها وجه قال إنَّ الحروف هي القراءات،[3] " ولكنّ هناك من ضعّف مقولة القول بأنّ المراد بها القراءات - كما حكي عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال بلا ريب، ولاسيّما إذا توهّم القائل أنّها ما يسمّى بالقراءات السّبع"،[4] وفي ذلك يقول أبو شامة: " وقد ظّن جماعة ممّن لا خبرة له بأصول هذا العلم أنّ قراءة هؤلاء الأئمّة السّبعة هي الّتي عبّر عنها النّبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: " أُنزل القرآن على سبعة أحرف"، فقراءة كلّ واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرف، ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنّه قال ذلك ".[5]

---

[1] راجع في ذلك: أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، (2003م)، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، مكتبة السنة، ط2، القاهرة، مصر، ص166-218.

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي، (ت:911هـ)، (1974م)، **الإتقان في علوم القرآن**، ط، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص164.

[3] أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، (1988م)، **الأحرف السبعة للقرآن**، ط1، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة، السعودية، ص30.

[4] الزركشّي، البرهان، ج1، ص214. صبحي الصالح، (2000م)، **مباحث في علوم القرآن**، ط24، دار العلم للملايين، ص103.

[5] أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: 665هـ)، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، (1975م)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، لبنان، ص147. والحديث في صحيح البخاريّ، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: 4992، ج6، ص184. وفي مسلم، مسلمبن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

وتستمر حركة تلقّي القراءة بالسّماع والمشافهة زمن التّابعين الأخيار، حيث كان كلّ واحد منهم يقرأ ويقرئ القرآن بالحرف الّذي تلقّاه عن الصّحابة الّذين سمعوه عن النّبي - صلّى الله عليه وسلّم-،[1] فكان أن اختلف النّقل بين هؤلاء المقرئين وتلاميذهم على نحو أوجد معه حالة من التعدّد والاختلاف في القراءة، بل ظهر الشّذوذ في بعضها،[2] " فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءات، فكان إذا ضمّهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتّى كاد الأمر يصل إلى النّزاع والشّقاق بينهم، وإنكار بعضهم على بعض ".[3]

ويبلغ هذا الأمر ذروته زمن فتح (أرمينيا وأذربيجان)؛ حيث اشترك جيش الشّام مع جيش العراق في الغزو والفتح سنة خمس وعشرين للهجرة النّبويّة، فرأى حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- ما انتهى إليه حال النّاس من تَخْطئة بعضهم

إحياء التراث العربي، بيروت، باب: بيان أنّ القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، حديث رقم: 818، ج1، ص560.

(1) في ذكر أشهر هؤلاء راجع: ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج1، ص8.

(2) السنديّ، أبو طاهر عبد القيّوم عبد الغفور السنديّ، (1995م)، **صفحات في علوم القراءات**، المكتبة الأمداديّة، ط1، ص35.

(3) العبيد، علي بن سليمان العبيد، **جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ص42.

بعضا، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حدّ التّكفير والإخراج من الملّة،[1] فـــ " كادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ".[2]

ولمّا رأى حذيفة بن اليمان تلك الحال استنجد خليفة المسلمين عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - أن يطفئ شرارة تلك الفتنة وأن يقيم الأمر قبل استفحال ذاك الدّاء،[3] فكان من عثمان أن لبّى ذاك النّداء فأوعز لرهط من الصّحابة ممّن اشتهروا بحفظ القرآن[4] أن ينسخوا " من ذلك المجموع الّذي عند حفصة الّذي أجمعت الصّحابة عليه"[5] مصحفاً، سُمّي بـــ (المصحف الإمام)،[6] فكان بهذا الصّنيع الجليل

---

[1] أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق أبي قلابة أنه قال: " لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغِلْمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ قَالَ أَيُّوبُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَاكْتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا "، ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي داوود، (ت: 316هـــ)، (2002م)، **المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، ط1، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ص95.

[2] الدليمي، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، (2006م)، **جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص178.

[3] البخاريّ، صحيح البخاريّ، باب جمع القرآن، حديث رقم: 4987، ج6، ص183. أبو عبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:224هـــ)، (1995م)، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص282.

[4] هم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. البخاري، صحيح البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم:4987، ج6، ص183.

[5] النوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـــ)، (1994م)، **التبيان في آداب حملة القرآن**، ط3، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص186.

[6] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـــ)، (1996م)، **فضائل القرآن**، ط1، مكتبة ابن تيمية، ص152.

أن جمع النّاس على " الأحرف الثّابتة عن النّبي - صلّى الله عليه وسلمّ - في العرضة الأخيرة برسم واحد في غالبه على حرف ولغة قريش، يحتمل الأوجه المختلفة، وطرح ما سواها، لكونه نسخ في العرضة الأخيرة؛ أو لكونه يعدّ تفسيراً وشرحاً للآيات الكريمة من قبل الصّحابة الكرام ".[1]

وقد بعث عثمان بنفر من القرّاء ومعهم نسخ من المصحف إلى الأمصار، فأقبل النّاس عليهم يتلقّون القرآن عنهم قراءة وحفظاً، " فحفظوا ما وافق رسمه، ورفضوا ما خالفه"،[2] فاشتهر " في كلّ مصر قرّاء من التّابعين... وكان ذلك في النّصف الثّاني من القرن الأوّل، والنّصف الأوّل من القرن الثّاني"،[3] قال أبو عمرو: " أكثر العلماء على أنّ عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لمّا كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كلّ ناحية من النّواحي بواحدة منهن فوجّه إلى الكوفة إحداها وإلى البصرة أخرى وإلى الشّام الثّالثة وأمسك عند نفسه واحدة وقد قيل إنّه جعله سبع نسخ ووجّه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكّة ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين والأوّل أصحّ وعليه الأئمّة ".[4]

وبمرور الأيّام والسّنين بدأت معالم درس القراءات تتحدّد وأخذت أسسها تتشكّل، وظهر ما يمكن أن نسمّيه بالمدارس في القراءات، فقد برز في كلّ مصر من الأمصار أئمّة من التّابعين تصدّروا للإقراء، " وخلفوا الصّحابة في تعليم القرآن،... فعلّموا تابعي التّابعين قراءة القرآن، ثمّ خلفهم تلامذتهم من تابعي التّابعين

---

(1) القضاة، محمد أحمد مفلح القضاة، شكري، أحمد خالد شكري، منصور، محمد خالد منصور، (2001م)، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، ط1، عمّان، الأردن، ص34.

(2) ابن أبي الرضا الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي، (ت: 791هـ)، (1986م)، **القواعد والإشارات في أصول القراءات**، تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، ط1، دمشق، سوريا، ص36.

(3) السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص35-36.

(4) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ص19.

الّذين كان من بينهم القرّاء السبعة المشهورون"،[1] " فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ، ثُمَّ شَيْبَةُ بْنُ نِصَاحٍ، ثُمَّ نَافِعُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ، وَكَانَ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَعْرَجُ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَيْصِنٍ، وَكَانَ بِالْكُوفَةِ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَسُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، ثُمَّ حَمْزَةُ، ثُمَّ الْكِسَائِيُّ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ وَأَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ، ثُمَّ عَاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ، ثُمَّ يَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ، وَكَانَ بِالشَّامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَعَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، ثُمَّ يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ، ثُمَّ شُرَيْحُ بْنُ يَزِيدَ الْحَضْرَمِيُّ".[2]

ولمّا اتّسعت الدّولة الإسلاميّة وظهرت الفرق وتعدّدت المذاهب، وكثر أصحاب البدع والهوى، كان من الطّبيعيّ أن تمتدّ يد بعض هؤلاء إلى قراءات التّنزيل؛ إذ القرآن وعلومه هو محطّ اهتمامهم وغاية نظرهم؛ لذلك لا نعجب إذا ما وجدنا منهم من قرأ بقراءات لا أصل لها كتلك المنقولة عن بعض المعتزلة والروافض،[3] " فَقَامَ جَهَابِذَةُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، وَصَنَادِيدُ الْأَئِمَّةِ، فَبَالَغُوا فِي الِاجْتِهَادِ وَبَيَّنُوا الْحَقَّ الْمُرَادَ، وَجَمَعُوا الْحُرُوفَ وَالْقِرَاءَاتِ، وَعَزَوُا الْوُجُوهَ وَالرِّوَايَاتِ، وَمَيَّزُوا بَيْنَ الْمَشْهُورِ وَالشَّاذِّ، وَالصَّحِيحِ وَالْفَاذِّ، بِأُصُولٍ أَصَّلُوهَا، وَأَرْكَانٍ فَصَّلُوهَا ".[4]

---

[1] حمد، غانم قدوري حمد، (2003م)، **محاضرات في علوم القرآن**، ط1، دار عمّار، عمّان، الأردن، ص120.

[2] ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج1، ص8-9. السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص37-38.

[3] السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص38.

[4] ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج1، ص9.

وقد قرَّر علماء الإقراء أن " القراءة سنَّة متَّبعة يلزم قبولها والمصير إليها"،[(1)] وروي عن أبي عمرو بن العلاء قارئ البصرة وعالم العربيَّة قوله: " لولا أنَّه ليس لي أن أقرأ إلاّ بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا "؛[(2)] وعليه فقد وضعوا ضوابط للقراءة الصَّحيحة وهي " كلّ قراءة وافقت العربيَّة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانيَّة ولو احتمالاً وصحَّ سندها سواء أكانت عن الأئمّة السّبعة أم عن العشرة أم غيرهم من الأئمّة المقبولين ".[(3)] فإذا اختلّ ركن من هذه الأركان الثّلاثة أطلق عليها حكم بضعفها أو شذوذها أو بطلانها، سواء أكانت عن السّبعة أم عمَّن هو أكبر منهم.[(4)]

وقد صنّفت هذه القراءات الّتي اختلّت فيها بعض الشّروط على درجات من حيث قبولها والحكم على القارئ بها، فما صحَّ نقله عن الآحاد وصحَّ وجهه في العربيَّة وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلّتين، إحداهما: أنّه لم يؤخذ بإجماع، والعلّة الثّانية: أنّه مخالف لما قد أجمع عليه العلماء فلا يجوز القراءة به، ولا يُكَفِّر جاحده. وأمَّا "... ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربيّة فهذا لا يقبل وإنْ وافق خط المصحف".[(5)] ومن هذا الضّرب أيضاً: ما وافق العربيَّة

---

(1) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، (2007م)، **جامع البيان في القراءات السّبع**، تحقيق: عبدالمهيمن عبدالسلام الطحان وطلحة محمد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد علي الغامدي، ط1، جامعة الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، ج1، ص51.

(2) ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، (1980م)، **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، ص48، 50، 52. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج1، ص17.

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج1، ص9. ابن مجاهد، كتاب السّبعة، ص87.

(4) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج1، ص9.

(5) مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437ه)، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل

والرَّسم ولم ينقل البتَّة، فهذا مردود،[1] وإن كان قد خالف في هذا بعض علماء القراءة كابن مقسم العطَّار محمد بن الحسن بن يعقوب، وابن شنبوذ محمد بن أحمد.[2]

وبعد أن استقام لدى علماء الإقراء ضبط قواعد قبول القراءة، شرعوا في تعبيد منهجهم في تلقّي القراءة وروايتها، وأوّل أسس هذا المنهج السّماع والمشافهة؛ إذ إنّ " في القراءات أشياء لا تحكم إلّا بالسّماع والمشافهة "،[3] ثم إنّه لا بدَّ لكلِّ قراءة من إمام تُعرف به وتسند إليه، وللإمام راوٍ يؤخذ عنه، ولكلِّ راوٍ طريق أو عدَّة طرق لرواية القراءة عنه، فلدينا مثلاً: قراءة نافع برواية قالون عن طريق أبي نشيط محمد بن هارون الربعي الحربيّ[4] أو قراءة نافع براوية ورش عثمان بن سعيد بن عدّي عن طريق الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار المدنيّ المصريّ.[5]

ومعنى إسناد القراءة إلى صاحبها أنّ هذه القراءة منسوبة إلى من هو أضبط لها، وأنّه " اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ

شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص52. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج1، ص9.

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج1، ص9.

(2) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره: ج. برجستراسر،ج2، ص52، 124. الذهبي، معرفة القرّاء الكبار، ج1، ص277، 307. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، (1993م)، **معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص2323. ابن خلكان، وفيّات الأعيان، ج4، ص299. الأنباري، نزهة الألباء، ص289. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص89 .

(3) ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، (1999م)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، ط1، دار الكتب العلمية، ص9.

(4) ابن الجزري، النشر في القراءات ، ج1 ، ص54.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص55.

إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَا إِضَافَةَ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ"،[1] ولذلك قيل: إنّ كلّ خلاف نُسب لأحد من الأئمّة القرّاء وأجمع عليه الرّواة عنه فهو قراءة،[2] " وكلّ ما نسب للآخذ عن الإمام ولو بواسطة فهي رواية وما ينسب لمن أخذ عن الرّواة وإن سفل فهو طريق ".[3]

وقد واكب حركة انتشار القراءات في الأمصار منذ مطلع القرن الأوّل الهجريّ شيوع ظاهرة حادثة ألقت بظلالها على رواية القراءات، وهي ظاهرة الاختيار في القراءة، ويراد بها انتخاب القارئ من مجموع مرويّاته قراءة مخصوصة، فيعتمدها في كلّ حرف من حروف القرآن المختلف في قراءتها في تعليمه القرآن وتلاوته له، فيقال: اختيار فلان، أي قراءته الّتي اختارها،[4] وهو بذلك يختلف عن الرّواية من جهة أنّها في الأصل قراءة شيخ القارئ بروايته هو، فهي من رواية واحدة، في حين يكون الاختيار من مجموع مرويّاته، قال مكي بن أبي طالب: " وهؤلاء الذين اختاروا إنّما قرؤوا بقراءة الجماعة وبرواياتهم، فاختار كلّ واحد ممّا قرأ وروى قراءة تنسب إليه بلفظ الاختيار"،[5] وقال القرطبيّ: " وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمّة القّراء، وذلك أنّ كلّ واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه، فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره، بل سوّغه وجوّزه، وكلّ واحد من هؤلاء السّبعة روي عنه صحيح، وقد أجمع المسلمون في هذه

---

[1] ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج1، ص52.

[2] القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة- القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص10.

[3] الصفاقسيّ، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (ت:1118هـ)، (2004م)، **غيث النفع في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص23.

[4] حمد، محاضرات في علوم القرآن، ص125.

[5] مكي، الإبانة عن معاني القراءات، ص89.

الأعصار على الاعتماد على ما صحّ عن هؤلاء الأئمة ممّا رووه ورأوه من القراءات ".[(1)]

وقد استمرّت ظاهرة الاختيار في القراءات حتى منتصف القرن الثّالث الهجريّ، حين لمع نجم جديد في أفق القراءات، إنّه الإمام الثّقة المحقّق شيخ المقرئين أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ العصر أبو بكر البغدادي العطشي، المقرئ الأستاذ، (ت: 324ه).[(2)]

وقد نظر ابن مجاهد في مشاهير القرّاء في عصره، فألفى في كلّ مصر من الأمصار بالمدينة ومكَّة والكوفة وَالْبَصْرَة وَالشَّام إماماً في القراءة قد " أَجمعت الْخَاصَّة والعامّة على قِرَاءَته وسلكوا فِيهَا طَرِيقه وتمسّكوا بمذهبه"،[(3)] فأراد أن يصنّف كتاباً يشمل مذاهب هؤلاء القرّاء مبيّناً "اخْتلَافهمْ واتّفاقهم"،[(4)] فصادف أنّه لم يجتمع لديه سوى سبعة قرّاء هم منتهى الثّقة والشّهرة في بلادهم، فضلاً عن تواتر قراءاتهم وانصياعها لضوابط الصّحة والمقبوليّة؛ من أجل هذا كلّه وضع ابن مجاهد تصنيفه (السّبعة في القراءات) معتمداً عيار الشّهرة في الإمام في اصطفاء القرّاء مع التّسليم بشروط صحّة القراءة، ثمّ تناول هذه القراءات "فضبطها، وحرّرها ودوّن أصولها وفرشها، والظّاهر أنّه صنّف أولاً سبعة كتب، كل كتاب في قراءة، كلما ثبت عنده تواتر قراءة أفردها بكتاب؛ حتى إذا اكتمل لديه الاختيار صنّف كتابه الشّهير: السّبعة في القراءات".[(5)]

---

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص46.

(2) الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، (1997م)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ط1، دار الكتب العلميّة، ص154.

(3) ابن مجاهد، السبعة، ص49.

(4) المصدر نفسه.

(5) حبش، محمد حبش، (1999م)، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعيّة**، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، ص73.

وفي الأندلس والمغرب عمل أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (ت:444هـ) صنيع ابن مجاهد، فصنّف كتاباً سمّاه (التّيسير في القراءات السّبع) ضمّنه القرّاء أنفسهم الذين جمعهم ابن مجاهد في كتابه (السّبعة)، وكأنّ أبا عمرو قد أراد أن يجعل لأهل المغرب والأندلس كتاباً خاصّاً " في القراءات السّبع"[1] يناظر كتاب أهل المشرق (السّبعة). وقد كان لأبي عمرو ما أراد؛ فقد انكبّ طلاب العلم في مدن المغرب والأندلس على (التّيسير) يدرسونه و" يحفظونه ويروونه ويقرأون القرآن بمضمنه".[2]

وهكذا عرفت الأمّة الإسلاميّة كتابين في القراءات الصّحيحة المتواترة، ليس لأحدهما مزيّة على الآخر إلّا في تقدّم النّشأة وأسبقيّة الفكرة. وتشاء الحكمة الإلهيّة أن يسخّر لتيسير الدّاني من يتكفّله بالرّعاية ويتناوله بالدّراية، فنظمه قصيدة هي أبدع ما ألف في فقه الإقراء وأحسن ما كتب عن السّبعة الصّحاح، إنّها القصيدة الشّاطبيّة،[3] المسمّاة بـــ (حرز الأماني ووجه التّهاني)،[4] ولقد لاقت هذه الدرّة

---

(1) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت: 444هـ)، (1984م)، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: اوتوتريزل، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص2.

(2) القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص168.

(3) سميّت هذه القصيدة بالشاطبيّة نسبة للإمام الشّاطبيّ، وهو: أبو محمد القاسم بن فيُّره بن خلف بن أحمد، الرعيني الشّاطبي الضرير المقرئ، المتوفى سنة 590هـ، كان إماماً في عصره، قال عنه ابن خلّكان: " كان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النّسخ من حفظه، ويملي النّكت على المواضع المحتاج إليها، وكان أوحداً في علم النّحو واللّغة، عارفاً بعلم الرّؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل ". ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، (1971م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، ج4، ص71.

(4) هذه القصيدة نظمها الشّاطبي على بحر الطّويل وقافيتها اللّام، وتقع في ثلاثة وسبعين ومئة وألف بيتاً، قال ابن خلكان فيها: "ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قرّاء هذا الزّمان في

النّفيسة من الشّهرة والقبول ما لم يحظَ به غيرها في فنّ القراءات، " ولا في غير هذا الفن ".[1]

وبالقصيدة الشّاطبيّة أطبق النّاس على تواتر القراءات السّبع، فراح العلماء يشرحون هذه اللّاميّة،[2] ويوضّحون معاني ألفاظها، ويفكّون رموزها،[3] كما ولّى طائفة أخرى شطر أسانيد هؤلاء القرّاء، فشغلوا " في إظهار أسانيد هذه القراءات السّبع، وتحديد رواتها وطرقها، حتى بلغت في ذلك الغاية ".[4]

ولم يفت العلماء المحققّون أنّ ابن مجاهد قد تجاوز في كتابه السّبعة عن ذكر بعض القرّاء ممّن عرفوا بالإمامة في القراءة؛ فقد أنكر كثير من العلماء على ابن مجاهد إعراضه عن قراءة أبي جعفر، يزيد بن القعقاع، وتجاوزه عن قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرميّ، وتركه لقراءة خلف بن هشام " وهو مشهور بعلو الإسناد، والرّسوخ في العلم".[5] لذلك وجدنا من العلماء من صنّف كتاباً في القراءات الثّمانية نحو: ابن غلبون في كتابه (التذكرة)، وهناك من صنّف في القراءات العشرة كابن مهران في كتابه الغاية، وكتاب الإرشاد لأبي العز، وغاية الاختصار لأبي العلاء، وغيرهم.

نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلاّ ويقدّم حفظها ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفيّة لطيفة، وما أظنة سبق إلى أسلوبها ". المصدر نفسه.

[1] ابن الجزريّ، غاية النهاية، ج2، ص22.

[2] يعد السّخاوي أوّل من تصدّى لشرح الشّاطبية فقد أفرد لها تصنيفاً سمّاه (شرح الوصيد في شرح القصيد)، قال أبو شامة في كتابه (إبراز المعاني من حرز الأماني): " حكى لنا بعض أصحابنا أنّه سمع بعض الشّيوخ المعاصرين للإمام الشّاطبي يقول: لُمته في نظمه لها لقصور الأفهام عن دركها، فقال: ياسيدي هذه يقيض الله لها فتىً يبينها، فلمّا رأيت السّخاوي قد شرحها علمت أنّه ذلك الفتى الذي أشار إليه ". أبو شامة، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، دار الكتب العلميّة، ص8.

[3] من أشهر هؤلاء أبو شامة فقد ألّف كتاباً في شرح القصيدة الشاطبيّة سمّاه: (إبراز المعاني من حرز الأماني)، بسط فيه معاني أبياتها وحل رموز ألغازها.

[4] حبش، القراءات المتواترة، ص75.

[5] المصدر نفسه، ص75-76.

وعلى هدي الشّاطبيّ نظّم ابن الجزريّ لاميّة ذات أربعين ومئتي بيت في هؤلاء القرّاء الثّلاثة، سمّاها: (الدّرة المضيئة في القراءات الثّلاث المتمّمة للعشر)، " ذكر فيها قراءات كلّ من أبي جعفر المدنيّ ويعقوب البصري وخلف الكوفيّ، واستخدم رموز الشّاطبيّ في العزو لهؤلاء القرّاء "،[1] ثمّ جمع القرّاء العشرة في نسيج واحد أودعه في كتابه (تحبير التّيسير في القراءات العشر)، فيكون بذلك قد أتمّ ما نقص عند الشّاطبي في نظمه،[2] وكمّل ما تركه الدّاني في سفره.

قال ابن الجزريّ: " رَأَيْت أَن أتحف حفّاظ الشّاطبيّة بتعريف قراءات الْعشْرَة وأجعلها فِي متن الْحِرْز منظومة مختصرة فَجَاءَت فِي أسلوب من اللّطف عَجِيب وَنَوع من الإعجاز والإيجاز غَرِيب، وَلَا شكّ أَن ذَلِك ببركة قصيد الشاطبي - رَحمَه الله وَرَضِي عَنهُ- وسر ولَايَته الَّذِي وصلنا مِنْهُ، وَلما تلقيت بِالْقبُولِ وَحصل بهَا لأَهْلهَا من النَّفْع غَايَة المأمول رَأَيْت أَن أفعل ذَلِك فِي كتاب التَّيْسِير وأضيف إِلَى سبعته الثَّلَاثَة فِي أحسن منوال يكون لَهُ كالتّحبير مَعَ مَا أضيف إِلَيْهِ من تَصْحِيح وتهذيب وتوضيح وتقريب من غير أَن أغيّر لفظ الْكتاب أَو أعدل بِهِ إِلَى غَيره من خطأ أَو صَوَاب، وَحَيْثُ كَانَت الزِّيَادَة عَلَيْهِ يسيرَة ألحقتها بالحمرة فِيهِ وَإِن كَانَت كَثِيرَة قدمت عَلَيْهَا لفظ "قلت"، وختمتها بِقَوْلِي: وَالله الْمُوفّق ".[3]

ويبلغ ابن الجزري الغاية في علم الإقراء بتصنيفه التّليد وتأليفه الفريد في كتابه (النّشر في القراءات العشر)، الذي كان وما زال البحر الزّاخر لكلّ من يطلب علم القراءات ومعرفة القرّاء، وصار تلقّي القراءات من طريق (النّشر) و(طيّبة

---

[1] القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص169.

[2] ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، (2000م)، **الدرة المضية في القراءات الثلاث المتتمة للعشر**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط2، دار الهدى، ص13.

[3] ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، (2000م)، **تحبير التيسير في القراءات العشر**، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، ط1، عمان، الأردن، ص93.

النّشر)[1] يُعرف بـــ (القراءات الكبرى)؛ لكثرة الطّرق التي احتواها، في حين سمّي تلقّي القراءات من طريق (الشّاطبيّة) و(الدرّة) أو (التّيسير) و(التّحبير) بـــ (القراءات العشر الصّغرى)؛ دلالة على قلّة الطّرق التي احتوتها.[2]

وقد تمخّض عن شيوع ظاهرة الاختيار في القراءات أن انشغل جماعة من العلماء في توجيه هذه الوجوه المختارة، فبحثوا عللها وبيّنوا معانيها المستفادة، ولمّا كانت القراءات الصّحيحة قد حسم أمر تواترها وحدّد مسالك إسنادها، كانت عناية هؤلاء العلماء متّجهة نحو قواعد اللّغة لاسيّما أنّ موافقة العربيّة كان أحد شروط قبول القراءة وصحّتها.

وقد ظهرت أولى بشائر هذا العلم أيّام الصّحابة الكرام، منها أنّ ابن عباس - رضي الله عنهما - لمّا قرأ قوله تعالى: " وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً"[3] بالرّاء المهملة (نُنْشِرُهَا)،[4] احتجّ على صحّة قراءته بقوله تعالى: " ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ".[5]

ثمّ سرعان ما " انتقل هذا العلم الجليل - نظير علم القراءات- من صدور الصّحابة إلى صدور التّابعين من تلاميذهم، وكلمّا انتشر علم القراءات واشتهر زاد علم الاحتجاج وازدهر"[6] حتّى ورد علينا من أئمّة القراءات بعض هذه التّوجيهات؛

---

(1) هي أرجوزة نظمها ابن الجزريّ في خمسة وعشر وألف بيت ضمّنها كتابه النّشر، ويكثر فيها استعمال الرّموز إلى حدّ يحتاج مريدها إلى من يشرح له بعضها ويذلّل ولوج شعابها.

(2) القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص171.

(3) سورة البقرة، الآية 259.

(4) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745ه) (2000م)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج2، ص637. ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، (1999م)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج1، ص8.

(5) سورة عبس، الآية 22.

(6) السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص292.

إذ إنّ منهم من كان مبرزاً في علم النّحو والتّصريف، نحو: عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء والكسائيّ.[1]

وربّما كانت أولى المحاولات النّاضجة في الكتابة في هذا العلم على يدي ابن مجاهد في كتابه (السّبعة)،[2] فقد أفرد باباً مستقلاً أتى فيه على اختلاف القرّاء السّبعة في سورة الفاتحة،[3] ثمّ أمسك عن بقيّة السّور خشية أن يعيب كتابه الإطالة والثقل، قال ابن مجاهد: " استطلت ذكر الْعِلَل بعد هَذِه السُّورَة وكرهت أَن يثقل الْكتاب فَأَمْسَكت عَن ذَلِك وأخبرت بِالْقِرَاءَةِ مُجَرّدَة "،[4] ويكون ابن مجاهد في هذه المحاولة قد أطلق الشّرارة الأولى في علم توجيه القراءات؛ حيث إنّ ما سبقه من محاولات لا تعدو أن تكون سوى ملاحظات متناثرة في بطون كتب التّفسير ومعاني القرآن، أو هي كتب ضائعة لم يصلنا منها إلّا أسماؤها وذكر يسير عنها، ثمّ إنّها قد صنّفت قبل تسبيع ابن مجاهد فلا ندري ماهيّة تلك القراءات ومدى حظّها من الصحّة والتّواتر، ومع ذلك فهي تمثّل إرهاصات أولى على طريق علم توجيه القراءات.

وعلى النّهج الّذي رسمه ابن مجاهد في توجيه سورة الفاتحة سار تلميذه أبو علي الفارسيّ (ت: 377هـ) فصنّف كتاباً في توجيه فرش حروف القراءات السّبعة سمّاه (الحجّة للقرّاء السّبعة)، وهو يعدّ شرحاً لكتاب شيخه ابن مجاهد،[5] ثمّ كان كتاب مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ) (الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها)، وهو تصنيف في توجيه القراءات السّبعة التي أودعها ابن مجاهد في كتابه السّبعة، وهو يخلو من الاستطراد الّذي حفل به كتاب الفارسيّ (الحجّة)،

---

(1) ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص8. السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص292.

(2) يرى محمد محيسن أن أوّل من ألّف في توجيه القراءات هو ابن السّراج، ويرى عبد الفتاح شلبي أنّ التدوين في الاحتجاج بدأ في القرن الثّاني الهجري. السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص297.

(3) ابن مجاهد، السبعة، ص104.

(4) المصدر نفسه، ص112.

(5) ابن الجزريّ، الغاية، ج1، ص207. ابن جني، المحتسب، مقدمة المحقّق، ج1، ص17.

وهكذا توالت الكتب وتتابعت المؤلّفات الّتي كانت في توجيه القراءات المتواترة، بل كان هناك من بحث في توجيه القراءات الشّاذة كما فعل ابن جنّي في كتابه (المحتسب في تبيين وجوه شوّاذ القراءات والإيضاح عنها).

وقد وجد علم توجيه القراءات طريقه إلى علوم العربيّة؛ حيث شكّلت القراءات القرآنيّة مصدراً مهمّاً من مصادر الاحتجاج اللّغويّ، وكانت توجيهات القراءات هي في حقيقتها مسائل لغويّة تتّصل اتّصالاً وثيقاً بسنن العرب في أداءاتها الفصيحة، وقد وجد النّحاة في قراءات القرآن الكريم مادَّة لغويَّة تغني درسهم وتثري بحثهم، فبنوا بها لبنات مسائلهم اللّغويّة، مستدلّين على صحّة ما استنبطوه من قواعد في قرار نظريّتهم النّحوية.

ومع ذلك لم يكن درس الأوائل للقراءات في الكثير الغالب متماشياً مع هذه الغاية؛ حيث إنّ النّحاة كانوا ينظرون إلى الوجوه القرائيّة على أنّها شواهد لغويّة يُستدل بها على صحّة القاعدة، فالبصريُّون الّذين نهجوا في استقراء اللُّغة طريقاً ضيّقاً يتحرَّى الدّقة في الأخذ والانتقاء في التّناول، أكثروا من ردِّ القراءات الّتي تخالف قواعدهم، وتجرَّؤوا على أصحابها، ونعتوهم من دون حرج بالجهل وقلّة الدّراية وكان ردّهم كثيراً من القراءات منسجماً مع منهجهم في ردِّ النُّصوص اللّغويَّة إذا لم تصحّ على شرطهم. وأمَّا الكوفيُّون فقد قبلوا كلّ القراءات دون أن يفرّقوا بينها؛ انصياعاً لمنهجهم في تلقّي اللّغة الّذي يسلِّم بقبول أيّ نص لغوي فيبني عليه قاعدة نحويّة.

وأحسب أنّ هيمنة العقل والمنطق والرَّغبة في الاتِّفاق والانسجام في القواعد كان وراء رفض النّحاة لبعض القراءات أو نعتها بالضَّعف والشُّذوذ؛ إذ إنَّ أيّ شاردة لغويَّة تعطّل ما قد قعدُّوه، أوقفوها على أنّها مخالفة لغويّة أو ضرورة لا تنقاس ولو كان نصّاً قرآنيّاً له قدسيّته. ومن هنا كانت جرأتهم على القراءات وامتناعهم عن التّسليم بها كلّها، يقول الرّازيّ مصوّراً ذلك: " إذا جوَّزنا إثبات اللّغة بشعر مجهول منقول عن قَائِلٍ مجهول، فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم، كان ذلك أَوْلَى،... وكثيراً أرى النّحويين يتحيّرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجّب منهم؛ فإنّهم إذا

جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحّته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحّته كان أَوْلَى ".[1]

---

[1] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج9، ص401. السنديّ، صفحات في علوم القراءات، ص290-291.

الفصل الأوّل
في بنية الأسماء الجمعيّة

1.1 توطئة:

أخال أنّ مبتدأ الحديث في هذه المباحثة هو طريقة العربيّة في جمع أسمائها؛ ذلك أنّ لكلّ سمت من أبنيتها سنناً خاصّة تضبط بنيانها وتغيّر أجناسها، وأنّ منها ما يخضع للميزان والقياس، وأنّ منها الآخر ما لا ينصاع لقانونٍ ضابط ولا لقياس مانع. وقد تبيّن لدى الصّرفيّين الأوائل عبر استقرائهم لأبنية الاسم في العربيّة أنّ منها ما يجمع بلاحقة صرفيّة تلتصق ببنيته الإفراديّة فتنقله من حقل الكلم المفردة إلى حرم الأسماء المجموعة، وأنّ منها ما يعبّر عن جمعه بالمخالفة الصّوتيّة الّتي تبادل بين الصّوائت محدثة تنوّعات بنيويّة تحمل في مكنوناتها معنى الجمع.

وقد سمّى الأوائل النّوع الأوّل بـ (الجمع السّالم)؛ لأنّ الاسم في هذا الضّرب لا يعتري بنيته أي تغيير أو تبديل، إنّما الجمع حاصل بالإلصاق؛ ولذلك قيل عنه: " هو الّذي يسلم فيه بناء الواحد وتزيد عليه واواً ونوناً أو ياء ونوناً ... فإذا جمعت المؤنّث على حدّ التّثنية زدت ألفاً وتاءً وحذفت الهاء إن كانت في الاسم ".[1] وأطلقوا على السّمت الثّاني (جمع التّكسير)؛ لأنّ الاسم في هذا النّوع تتغيّر بنيته عند جمعه، " فكأنّه قد كسّر؛ لأنّ كسر كلّ شيءٍ تغييره عمّا كان عليه ".[2]

كما ميّز الصّرفيّون بين هذين الجمعين من جهة الدّلالة؛ فجمع المذكّر السّالم والمؤنّث السّالم هما كما يقول سيبويه للقليل لما دون العشرة[3]، " ما لم تقترن بهما

---

1 ابن السّراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت:316هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج1، ص46،47.

2 المصدر نفسه، ج2،ص429.

3 سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، (ت: 180هـ)، (1988م)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ص492. الأزهريّ، خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (ت: 905هـ)، (2000م)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في**

الألف واللام الدّالة على الاستغراق، أو يضافا إلى ما يدلّ على الكثرة "[1]، وقيـــل: هما للقليل والكثير،[2] وإلى ذلك ذهب الأنباريّ[3] وابن خروف، ونقل ابن إياز عـــن هذا الأخير قوله: "هو مشترك بينهما؛ وذلك لأنّه مستعمل فيهما، والأصل الحقيقـــة، قال ابن إياز: واستضعفه بعض الأشياخ؛ لأنّ اللّفظ إذا دار بين المجاز والاشـــتراك كان المجاز راجحاً "[4]، وذهب بعضهم إلى " أنّ الاسم إن كان لـــه جمـــع تكـــسير وجمع سلامة كالجفان والجفنات فجمع السّلامة للقلة وجمع التكسير للكثرة، وإن لـــم يكن له إلّا جمع سلامة فجمع السّلامة مشترك بين القلّة والكثـــرة"،[5] ورأى فريـــق ثالث أنّ المسألة تنجلي باعتبار المقام والسّياق؛ فإذا تضمّن الكلام ما يوحي بالقلّة أو

النحو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص455. وهو مذهب ابـــن الـــسراج وابن جنيّ. ابن السراج، الأصول، ج2، ص439. ابن جنـــي، المحتـــسب، ج1، ص187. الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحـــو 770هــــ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص695.

1 ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبـــد الله، جمـــال الـــدين، (ت: 672هـــ)، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط1، جامعة أم القـــرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإســـلامية، مكـــة المكرمة، ج4، ص1810.

2 الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم الغلايينـــي (ت: 1954م)، (1993م)، **جـــامع الـــدروس العربية**، المكتبة العصرية، ط28، صيدا، بيروت، ج2، ص29.

3 الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: 577هـــ)، (1999م)، **أسرار العربية**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، ص250.

4 المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، (ت: 749 هـــ)، (2008م)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابـــن مالـــك**، شـــرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط1، دار الفكر العربي، ج3، ص1378.

5 رضي الدين الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين، (ت: 686هـــ)، (1975م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص267.

الكثرة من قرائن، تعيّن المعنى بحسب تلكم القرينة، فإن عزّ ذلك احتملت المعنيين كليهما.[1]

وأمّا جمع التكسير فإنّ الصرفيّين قد جعلوه في شعبتين: إحداهما للقلّة والثانية للكثرة، وعيّروا لكلّ واحد من الجمعين أوزاناً وصيغاً مخصوصة استنبطوها من استقراء كلام العرب نظمه ونثره، فكان نصيب جمع القلّة أربع صيغ، وعدد أوزان الكثرة ستّ عشرة صيغة ما خلا صيغ منتهى الجموع[2] الّذي اختصّ بتسعةَ عشَرَ وزناً.[3]

وقد فرّق الصّرفيّون بين هذه الجموع اعتماداً على ملحظ الدّلالة؛ فما كان لأدنى العدد من الثّلاثة إلى العشرة فهو للقلة، فإن تجاوز هذا العدد دخل بوابة جمع الكثرة. وإذا تطلّب المقام أن يجمع ما قد جمع على قلّة أو كثرة، أباحت اللّغة التصرف في ذلك مستعينة بـ (جمع الجمع)، فجمعت ما قد جُمع بالتكسير، إمّا بإلحاقه ألف وتاء على طريقة جمع المؤنّث السّالم، نحو رجال رجالات، جمال جمالات، ومنه قراءة (جمالات) بالجمع من قوله تعالى: " كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ".[4] وإمّا بتكسير جمعه المكسر، بمشاكلة مفرده في طريقة الجمع، نحو: أَعْبُد أعابد، وفي أسلحة أسالح،[5] فإن كان من صيغ منتهى الجموع وكان مذكّراً عاقلاً فإنّه يجمع جمع مذكر سالم، نحو: أفاضلين ونواكسين، ويجمع على جمع المؤنّث السّالم،

---

[1] حسن، عباس حسن (ت: 1978م)، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط15، ج1، ص138.

[2] الغلايينيّ، جامع دروس العربيّة، ج2، ص35. ويرى الحملاوي أنّها ثلاثة وعشرون وزناً، انظر: الحملاوي، أحمد بن محمد الحملاوي، (ت: 1931م)، **شذا العرف في فن الصرف**، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، ج2، ص85. وإلى ذلك ذهب عباس حسن، النحو الوافي، ج4، ص641.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص47.

[4] انظر الدراسة ص66. سورة المرسلات، الآية 33.

[5] الحملاوي، شذا العرف، ص96. عباس حسن، النحو الوافي، ج4، ص674.

" إن كان للمؤنّث، أو للمذكر غير العاقل نحو صَواحِبَات وَواهِلات وفي الحــديث " إنّكنَّ لأنتنَّ صواحباتُ يوسف".[1]

كما ميّز الصرفيّون في مبحث جمع التّكسير بين زمرة من الأســماء ســلكت سبيلاً يغاير سنن جمع التكسير؛ فهذه الأخيرة تخالف بنيتها الإفراديّة عند التحوّل إلى صيغة الجمع، إمّا بالزيادة أو الاختزال أو المخالفة الصّوتيّة. وقد سمّى الــصّرفيّون هذه البنيات المخالفة (اسم الجمع)؛ لأنّ بنيتهــا الجمعيّــة منقطعــة عــن قــسيمتها الإفراديّة؛ إنه اسم تضمّن معنى الجمع، يلتقي مع الاسم المفرد من جهــة المعنـــى، ويتقاطع معه في بنيته الشكليّة.

وعلى صعيد آخر فرّق الصّرفيّون في مبحث الجموع بين الاسم الّــذي يــدلّ ببنيته على مطلق الجمع فيشمل أفراد أرومته كافّة على سبيل الشّمول والعموم، وبين الاسم الّذي يراد بجنسه القليل والكثير. فالأوّل: هو (اسم الجنس الجمعيّ) وهو مــا تفاوت عن واحده بتجرّده من تاء التّأنيث نحو: تَمْر، تَمرة،[2] أو من ياء النّسبة نحو: تُرْك، تُرْكِيّ.[3] وأمّا النّوع الثّاني: فهو (اسم الجنس الإفراديّ) وهو مــا دلّ ببنيتــه المجرّدة على القليل والكثير، إنّه كلّ اسم " ... يصدق على القليــل والكثيــر مــن الماهيّة أي: من الحقيقة الذّهنيّة من غير اعتبار للقلّة أو الكثرة "،[4] نحو لبن وعسل.

وإذا كانت العربيّة قد أفردت لكلّ جنس من المعدودات باباً مستقلاً لا يغادره، فإنّها قد سمحت لتلك الجموع أن يبادل بعضها بعضا، فيحلّ القليل منها محلّ الكثير، ويشغل الكثير مكان القليل على سبيل النّيابة أو الاستغناء؛ حيث " ينوب أحدهما عن الآخر وضعاً: بأن تضع العرب أحد البناءين صالحاً للقلّة والكثرة، ويَسْتَغنونَ بــه

---

1 الغلاييني، جامع الدروس، ج2، ص67. والحديث في: النسائي، أبو عبدالرحمن أحمــد بــن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، (ت: 303هـ)،(2001م)، **الــسنن الكبــرى**، حققــه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص438.

2 سيبويه، الكتاب، ج3، ص582.

3 ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج4، ص1960.

4 عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص24.

عن وضع الآخر، فيستعمَل مكانه بالاشتراك المعنويّ لا مجازاً، ويسمّى ذلك بالنّيابة وضعاً، كأَرْجُل، بفتح فسكون فضم، فيجمع رِجْل بكسر فسكون، وكرجال بكسر ففتح، وفي جمع رَجُل بفتح فضم، إذ لم يضعوا بناء كثرة للأوّل ولا قِلّة للثّاني، فإن وضع بناءين للفظ واحد، كأفلس وفلوس، في جمع فَلْس بفتح فسكون، وأثوُب وثياب فيجمع ثَوْب، فاستعمال أحدهما مكان الآخر يكون مجازاً، كإطلاق أفلس أحَدَ عشر، وفُلُوس على ثلاثة، ويسمّى بالنّيابة استعمالاً ".[1]

وقريب من هذا السّياق أظهر الاستعمال اللّغويّ في مستواه الفصيح عن أداءات لغويّة حلّ فيها الاسم المفرد محلّ الجمع، فكان ذلك إرهاصاً بشّر بخلاف لا يقلّ في حضوره عن خلافات النّحويين في مسائل النّحو والتّصريف، بل ربّما يفضلها جميعاً لاسيّما إذا تعلّق الأمر بمتنزه التّنزيل، فإن في قراءاته العشر من مظاهر هذه المسألة ما يجعلها تصل إلى مرتبة الذّروة في الاستعمال، ومع هذا لم يفتأ علماء العربيّة يتساجلون حول حظّ هذه الظّاهرة من مقبوليّة الاستعمال واطّراد القياس.[2]

وأوّل من يلاقينا من هؤلاء العلماء الأجلّاء صاحب الكتاب الّذي يجعل هذه المسألة في باب الضّرورة الشّعريّة، حيث قال: " وليس بمستنكَرٍ في كلامهم أنْ يكون اللفظُ واحداً والمعنى جميعاً، حتَّى قال بعضُهم في الشّعر من ذلك ما لا يُسْتَعْمَلُ في الكلام"[3]، وقد تبع المبرّد سيبويه في هذه المسألة فرأى أنّ " المفرد يجوز أن يأتي في الشّعر مراداً به الجماعة شرط أن يكون في الكلام ما يدلّ على الجمع ".[4]

---

1 الحملاوي، شذا العرف، ص85.

2 الدليمي، وجدان برهان عبد الكريم الدليمي، (2004م)، **البحث الصَّرفيّ عند الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدِ الخَالِق عُضَيْمَة**، رسالة ماجستير، إشراف: لطيفة عبد الرسول، قسم اللغة العربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص155، 156.

3 سيبويه، الكتاب، ج1،ص209.

4 الدليميّ، البحث الصرفيّ، ص157.

وهناك فريق آخر رأى المسألة جائزة في العربيّة على إطلاق، يشهد على حجيّة تلك الجمهرة من الشّواهد القرآنيّة بقراءاتها المتعدّدة فضلاً عن تلك الأشعار الّتي تنسب للفحول من الشّعراء[1]، فهذا أبو عبيدة يقرّ بهذه الظّاهرة حين يفسّر (ضيف) من قوله تعالى: " هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ "[2] قال: " اللّفظ الواحد والمعنى على الجميع"،[3] ومنه قول لبيد:[4]

وَخْصمٍ كنادي الجنِّ أسقَطتُ شأوَهُمْ   بِمُسْتَحْصِدٍ ذي مِرَّةٍ وصُرُوع

وإلى ذلك ذهب ابن قتيبة في تفسير (الرّسول والضّيف والطّفل)، قال: " إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " الرّسول يكون بمعنى الجميع، كما يكون الضيفُ، قال: "هَؤُلاءِ ضَيْفِي"، وكذلك الطفلُ؛ قال: " ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً "،[5] وحكي عن النّحاس أنّه قال: " وطفل بمعنى أطفال ".[6]

وممّا يتّصل بمبحث الجموع مسألة يجد الباحث أنّه من الضّروري بمكان بحثها في هذا المدخل، وهي مسألة جمع المصدر، حيث إنّ العلماء مختلفون فيما بينهم حول هذه الظّاهرة،[7] فإمام النّحويين يقرّر أنّ هذا المبحث بابه السّماع فـ "

---

1 الدليميّ، البحث الصرفيّ، ص158.

2 سورة الحجر، الآية 68.

3 أبو عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، (ت: 209هـ)، (1961م)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص353.

4 لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، (ت:41هـ)، (2004م)، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط1، دار المعرفة، ص55.

5 ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، (1978م)، **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ص316. سورة الحجر، الآية 68. سورة الحج، الآية 5.

6 النّحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338)، (2001م)، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ج3، ص62.

7 الدليميّ، البحث الصَّرفيّ، ص155، 156.

ليس كلٌّ جمع يجمع، كما أنَّه ليس كلٌّ مصدر يجمع، كالأشغال والعقــول والحلــوم والألبان ".[1]

ويرى ابن جنّي أنّ المصادر يباح جمعها إذا ما كانت مختلفة أجناسها، فــإنّ المصدر " إن جاء مؤكّداً للفعل تأكيداً محضاً لم يجز تثنيته وجمعه ما دام المراد منه هو المعنى المجرّد، لأنّه مبهم لم يقصد به الفرق بين الأنواع... وسبب امتناع جمعه أو تثنيته أنّه قصد به معنى الجنس (لا الإفراد) فهو يدلّ بنفسه على القليل والكثيــر، ولهذا لا فائدة في جمعه ولا في تثنيته، أمّا إذا اختلفت أجناسه وجاء مبّينــاً للنّــوع والعدد فيجوز جمعه".[2]

وثمّة مذهب ثالث يرى في جمع المصدر ظاهرة مطّردة في الاستعمال يقبلها القياس، وعلى رأس هؤلاء أبو زكريا الفرّاء الّذي كان كثيراً ما يلــحّ علــى هــذه المسألة عند توجيهاته للقراءات القرآنيّة.

2.1 في بنية الجمع السّالم

(خطيئته)،(خطيآته):[3]

ومن ذلك "خطيئته" من قوله تعالى: " وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ "،[4] حيــث جمــع

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج3، ص619.

[2] الدليميّ، البحث الصرفيّ، ص155.

[3] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، (1994م)، **متن طيبة النشر في القراءات العشر**، تحقيق: محمد تميم الزغبــي، ط1، دار الهدى، جدة، ص63. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج2، ص218. ابــن الجــزري، تحبير التيسير، ص290. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمــد بــن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، (2000م)، **شرح طيبة النشر**، تحقيق: أنس مهــرة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص178. محيسن، محمد محمد محمد سالم محيــسن (ت: 1422هـ)، (1997م)، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ط1، دار الجيل، بيروت، ج2، ص40.

[4] سورة البقرة، الآية 81.

نافع وأبو جعفر خطيئة على (خطيآت) فاحتملت معنى كثرة الـذّنوب[1] الّـذي قـد يحتمله السّياق. وقرأ الباقون بصيغة الإفراد (خطيئته)[2]على وزن (فَعيلـة) اسـماً للجنس للقليل والكثير.[3]

وربّما يكون للمصاحبة المعجميّة أو الاقتران اللفظـيّ مـا يـصوّغ هـاتين القراءتين؛ فـ " الْإِحَاطَة لَا تكون للشَّيْء الْمُنْفَرد إِنَّمَا تكون لِأَشْيَاء كَقَوْلك أحَاط بِـه الرِّجَال وأحاط النَّاس بفلان إِذا داروا بِهِ وَلَا يُقَال أحَاط زيد بِعَمْرو"،[4] وأمّا من قرأ بالتوحيد فـ " حجّتهم أَنّ الخَطِيئَة لَيست بشخص فَإِذا لم تكن شخصاً واشتملت على الإِنسَان جَازَ أَن يُقَال أحاطت بِهِ خطيئته"؛[5] ولذلك استحسن أهل التّحقيق " قـراءة الجمع بأنّ الإحاطة لا تكون بشيء واحد، ووجّهت قراءة الإفراد بأنّ الخطيئـة وإن كانت مفردة لكنّها لإضافتها متعدّدة، مع أنّ الشّيء الواحد قد يحيط كالحلقة فلا تغفل ".[6]

ويجلّي أبو علي الفارسي هذه المسألة فيبيّن أنّ الاختيار عنـده هـو قـراءة الإفراد؛ فـ (الخطيئة) في هذا السّياق هي مضافة إلى ضمير الغائب المسند للمفرد،

---

1 النويري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت: 857هـ)، (2003 م)، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص168. محيسن، الهادي، ج2، ص40.

2 ابن الجزريّ، مَتْنُ طَيِّبَةِ النَّشْرِ، ص63. النشر في القراءات، ج2، ص 218. تحبير التيسير، ص290.

3 القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت:671ه)، (1964م)، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج2، ص12.

4 ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعـة ابـن زنجلـة (ت: 403ه)، (د.ت)، **حجـة القراءات**، حققه وعلق حواشيه: سعيد الأفغانيّ، دار الرسالة، بيروت، لبنان، ص102.

5 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص102.

6 الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت:1270ه) ،(1995م) ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطيّـة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص306.

فكما أفردت (السيّئة) في السّياق نفسه أفردت صاحبتها الّتي تجاورها، ويشهد على صحّة هذا الاستعمال نظائر في آيات التّنزيل، ومنها قوله - عزّ من قائل -: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها"،[1] والعدّ والإحصاء لا يكونان إلّا للكثير المجموع، "... وأنت إذا أفردته لم يمتنع وقوعه على الكثرة وإن كان مضافاً... فهذه أسماء مفردة مضافة، والمراد بها الكثرة فكذلك الخطيئة ".[2]

وممّا يعزّز هذا التّوجيه ورود نظائر من التّنزيل أضيف فيها الاسم المفرد للمفرد، مع أنّ النيّة معقودة للمغايرة. ومن ذلك قوله تعالى: " بلى من أسلم وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ"،[3] فقد امتنعت الإضافة للجمع لمّا كان المضاف اسماً مفرداً (أجره)، ولم يجمع كما جمع في قوله: " وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"،[4] وفي ذلك يقول أبو علي الفارسيّ: " فكما لم يجمع الأجر في الإضافة إلى الضّمير المفرد، كما جمع لمّا أضيف إلى الضّمير المجموع، كذلك ينبغي أن تكون الخطيئة مفردة إذا أضيفت إلى الضّمير المفرد، وإن كان المراد به الجميع. ومن قال (خطيئاته) فجمع، حمله على المعنى، والمعنى: الجمع والكثرة. فكما جمع ما كان مضافاً إلى جمع كذلك جمع ما كان مضافاً إلى مفرد، يراد به الجمع من حيث اجتمعا في أنّهما كثرة ".[5]

وعلى صعيد آخر تلمّس بعض علماء الإقراء في الدّلالة المعجميّة سبيلاً يوجّه القراءة على هديه؛ فمن تمسّك بقراءة الإفراد رأى في معنى الكفر والكبيرة ما يلبّي

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 34.

[2] الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي، (ت: 377ه)، (1993م)، **الحجّة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ج2، ص119.

[3] سورة البقرة، الآية 112.

[4] سورة النساء، الآية 25.

[5] الفارسي، الحجة، ج2، ص120.

احتجاجه؛[1] إذ " المرادَ بالخطيئةِ الكفرُ وهو مفردٌ"،[2] أو هي اسم جمعيّ " المــراد به جنسُ الكبيرة ".[3] ومن آثر قراءة الجمع اعتقد أنّ القصد يتحقّق في أداء الجمع؛ فــ "المراد بالخطيئات أنواعُ الكفرِ المتجَدِّدَة في كلِّ وقــتٍ"،[4] ويمكــن أن يكــون

---

1 ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هــ)، (2000م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، ج5، ص231. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الــدين ابــن منظــور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت:711ه)،(1414م)، **لسان العــرب**، ط3، دار صـــادر، بيروت، ج1، ص67. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبـــادى (ت: 817هــ)، (2005م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث فـــي مؤســـسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص39، (خطأ).

2 السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الــدائم، (ت: 756هـــــ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلــم، دمــشق، ج1، ص475. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: 775هــ)، (1998م)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمــد عبــد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص217.

3 السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج1، ص457. ابن عطيّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب بــن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـــــ)، (1422ه)، **المحــرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتــب العلمية، بيروت، ج1، ص171. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الــشوكاني اليمني، (ت: 1250)، (1414ه)، **فتح القدير**، ط1، دار ابن كثيــر، دار الكلــم الطيــب، دمشق، بيروت، ج1، ص125. أبوراس، منصور سعيد أحمد أبوراس،(2005م)، **اختلاف البنية الصرفيّة في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه، وأثــره علــى المعنــى**، إشراف: مصطفى عبد الحفيظ سالم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ص76.

4 السمين الحلبيّ،الدّر المصون، ج1، ص457. ابن عادل، اللبــاب، ج2، ص217. أبــوراس، اختلاف البنية الصرفيّة،ص76.

المعنى " وأحاطت به عقوبات خطيئته... والخطيئة: الكبـــائر"،[1] وكـــون التعبيـــر بالجمع هنا من باب مطابقة اللّفظ للمعنى.[2]

وممّا يتّصل بهذه المباحثة (خطيئتكم) من قوله تعالى: " وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ"،[3] فقد قرأ ابن عامر وحده (خطيئتكم) في هذه الآية الكريمة بصيغة المفرد (خطيئتكم) على وزن (فَعِيلَة) اسماً للجنس،[4] وقرأها الباقون بصيغة جمع المؤنّث السّالم (خطيئاتكم) على زنة (فعيلات)، وقرأهـــا أبـــو عمـــرو (خطاياكم) على وزن (فعائل)[5]بصيغة جمع التكسير[6] ومن جهة ثانية قرأ جمهـــور القراء ما خلا أبا عمرو (خطيئاتهم) بصيغة جمع المؤنث السالم مـــن قولـــه- جـــلّ

---

1 ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370هــ)، (1401ه)، **الحجة فـــي القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط4، جامعة الكويت، دار الشروق، بيروت، ص83.

2 محيسن، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هــــ)، (1984م)، **القـــراءات وأثرها في علوم العربية**، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ج1، ص281.

3 سورة الأعراف، الآية 161.

4 الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمـــي الـــرازي، (ت: 606ه)، (2000م)، **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، ط3، دار إحياء التراث العربـــي، بيـــروت، ، لبنان، ج30، ص586.

5 هذا هو مذهب البصريين، وأمّا الكوفيّون فإنّهم ذهبوا إلى أنّها على زنة (فَعالى)، الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: 577هــ)، (2003م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، المكتبة العصرية، ط1، مسألة 116، ج2، ص663.

6 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر،ص238. النشر في القراءات، ج2، ص391. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص340. محيسن، الهادي، ج2، ص253-254. القراءات، ج1، ص349، 570.

ثناؤه: " مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً "، وقرأها أبو عمرو (خطاياهم) على وزن (فعائل) بصيغة جمع التكسير.(1)

وموطن الخلاف في هاتين القراءتين معقود من جهة دلالة صيغة الجمع؛ إذ إنّ من الصرفيّين من رأى أنّ دلالة القلّة تتحقّق في جمع السّلامة، وأنّ الكثرة تتحصّل بالجمع المكسّر إلّا أن يكون أحد أوزان القلّة، ولذلك نقل الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قوله: " قَوْمٌ كَفَرُوا أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إلا خطيئات "،(2) يريد أنّ الجمع بالألف والتاء هو دون جمع التكسير في العدد.(3) وأمّا من قرأ بصيغة جمع المؤنّث السّالم فإنّه وجد معنى القلّة والكثرة تجلبهما الألف والتّاء، وإلى ذلك ذهب الكسائيّ.(4)

وأمّا إذا ولّينا الفكر شطر الدّلالة والمعنى، فإنّنا نحسب هذه القراءات متقاربات في الدّلالة، فمن قرأ بصيغة التّوحيد رأى الخطيئة مطلباً يصعب على المرء عدّه أو الإحاطة به، فهي جنس ينصهر تحته أصناف متعدّدة وضروب كثيرة لا يحصيها إلا من وكلّ بتسجيلها من الملائكة العظام.

وممّا يدلّ على صواب ما ذهبنا إليه أنّ (الخطيئة) في هذا السّياق قد أضيفت إلى ضمير الجماعة، فقرئت (خَطِيئتِكُمْ)، فدلّ ذلك على أنّ المراد بهذه القراءة جنس الخطيئة، وفي التّنزيل وكلام العرب ما يناظر هذا الاستعمال،(5) قال تعالى: " خَتَمَ

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر، ص238. النشر في القراءات، ج2، ص391. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص340. محيسن، الهادي، ج2، ص254. القراءات، ج1، ص349، 570. سورة نوح، الآية 25.

[2] ابن عادل، اللباب، ج19، ص398.

[3] الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت: 505هـ)، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج2، ص1257.

[4] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص727.

(5) يعد القول بإقامة المفرد مقام الجمع من المسائل الخلافيّة بين النحاة، انظر: السيوطيّ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ج3، ص194- 200.

اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ "،[1] فقد أضيف الاسم المفرد (سمع) إلى ضمير الجماعة (هم)، ويفسّر النّحاس ذلك بقوله: " فيه ثلاثة أجوبة: منها أن السّمع مصدر فلم يجمع، وقيل: هو واحد يؤدّي عن الجميع، وقيل: التقدير وعلى موضع سمعهم"،[2] وأنشد سيبويه شاهداً على " لفظ الواحد يراد به الجميعُ "[3] قول الشّاعر:[4]

كُلُوا في بَعْضِ بَطنِكُمُ تَعِفُّوا فإِنّ زمانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

قال أبو سعيد السّيرافيّ شارحاً هذا البيت: " استعمل الواحد في موضع الجمع في قوله: بعض بطنكم، يريد بعض بطونكم، لأنّه يريد بطن كلّ واحد منهم ".[5]

وأمّا من اختار القراءة بصيغة جمع المؤنّث السّالم فإنّه أراد أن يخبر أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا كان من صفاته العلا غفران الذنوب والتجاوز عن المذنبين مهما كبرت ذنوبهم، جاء هذا الخطاب القرآنيّ ليؤكّد لنا أنّ " هَذِهِ الذُّنُوبَ سَوَاءٌ كَانَتْ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً، فَهِيَ مَغْفُورَةٌ عِنْدَ الْإِتْيَانِ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ ".[6]

وأمّا القراءة بصيغة جمع التكسير فإنّها لا تبعد كثيراً عمّا اجتهدنا في توجيهه قبلاً؛ وهو أنّ اختيار القراءة بصيغة جمع السّالم لا تدلّ بالضّرورة على أقل العدد؛ إنّما هي صيغة يغلب استعمالها بهذا المعنى، وكأنّ اللّغة قد أتاحت لابن الكفاية

---

(1) سورة البقرة، الآية 7.

(2) النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص28. أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص81.

(3) سيبويه، الكتاب، ج1، ص210.

(4) لم أقف على صاحبه ولم يذكره سيبويه، ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: 669هـ)، (1980م)، **ضرائر الشِّعْر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص252. البغدادي، خزانة الأدب، ج7، ص559.

(5) السيرافيّ، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، (ت: 385هـ)، (1974م)، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ج2، ص247.

6 الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص390.

استعمال جمع المؤنّث السّالم إذا قصد في خطابه هذا المعنى على التّعيين، فإن كان السّياق يلمح إلى أنّ المعدود فيه يربو عن العشرة أو ما يزيد بقليل، وكانت الصّيغة صيغة جمع السّالم ترشّح المعنى للكثرة فساوى بذلك جمع التّكسير.

وهكذا كانت هذه الآية الكريمة فضاءً رحباً للتعدّد والتّباين بين القرّاء العشرة، فكانت لفظة (الخطيئة) متأرجحة بين القراءة بصيغة الإفراد وبين القراءة ببناء الجمع، وهذه الأخيرة وقع فيها خلاف من نوع آخر، قراءتها بأحد الجمعين: إمّا بجمع السّالم، وإمّا بجمع التّكسير. ولمّا كانت هذه القراءات ممّا ثبت تواتره وقطع بصحته، لم يكن من الصّحة بمكان الخوض في أمر المفاضلة بينهن أو ترجيح إحداهن على الأخرى؛ فجميعها سنّة متّبعة يتعبّد بتلاوتها.

(رِسَالَتَهُ)، (رِسَالاتِه): [1]

وقد وردت في متنزّه التنّزيل: " وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ "[2] قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشعبة ويعقوب (رِسَالاتِه) بإثبات ألف بعد اللّام مع كسر التّاء على طريقة جمع المؤنّث السّالم، وقرأ الباقون (رِسَالَتَهُ) بإسقاط الألف وفتح التّاء بصيغة الاسم المفرد،[3] وقد وجّهت قراءة التّوحيد على أنّها من باب التّعبير بالجمع بلفظ المفرد بآية أنّ القرآن الكريم هو خاتم الرّسالات، فاستحقّ بذلك صفة الشّمول والعموم، واجتمع له رسالات الخلق جمعاء،[4] ومنه قول العرب: " هَلَكَ

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص72. شرح طيبة النشر، ص220. النشر في القراءات، ج2، ص255. تحبير التيسير، ص363. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص. محيسن، الهادي شرح طيبة النشر، ج2، ص176.

[2] سورة المائدة، الآية 67.

[3] البغويّ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510ه)، (1997م)، **معالم التّنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغويّ**، حقّقه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج3، ص79.

[4] ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803ه)، (2008م)، **تفسير ابن عرفة**، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص116.

البَعِيرُ والشَّاةُ " و" أَهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدِرْهَمُ "[1] أي الـــدّراهم والـــدنانير، وهـــو تخريج قال به الفارسيّ واستحسنه الزّركشيّ في (البرهان)،[2] قال أبو منـــصور: " الرّسالة بمنزلة المصدر على (فِعَالة) فهو ينوب عن الجماعة، والقرآن كلّه رســالة الله إلى الخلق وهو مشتمل على رسالات كثيرة، والرّسائل أكثر من الرّسالات ".[3]

وقد وجّهت قراءة الجمع على أنّ الرّسل -عليهم السّلام - ينفرد كــلّ واحــد منهم بشريعة سماويّة أمر بتبليغها، ويرى أبو إسحاق الزجّاج أنّ الخطاب في هــذا المقام موجّه للرّسول الكريم على التّعيين؛ إذ غاية القصد هي وجوب تبليغ ما نــزل به الرّوح الأمين من لدن الرّب الحكيم،[4] والرّسالات السّماويّة هي من جملة ما أمر به خاتم النبيّين بتبليغه وليس بعضها بأولى بالأداء من بعضها الآخر، " كما أنّ مــن لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلّها، لإدلاء كلّ منها بما يدليه غيرها".[5]

وثمّة من وجد في معنى التّباين والاختلاف ما يسوّغ قراءة الجمع؛ فأصحاب الرّسالات يبعثون بضروب من التّعاليم والشّرائع كالتّوحيد والعدل والأمانــة ورفــع الظّلم والجهاد،[6] وكلّ آية أنزلت على النّبي الأمين هي - كما يرى الفخر الرّازي-

---

[1] الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، (ت:215هـ)، (1990م)، **معاني القرآن للأخفش**، تحقيــق: هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص285.

[2] الزركشيّ، البرهان، ج2، ص224.

[3] الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370ه)، (1991م)، **معاني القراءات**، ط1، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملــك ســعود، الــسعوديّة، ج1، ص336.

[4] الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبــو إســحاق الزجــاج، (ت: 311هـ)، (1988م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتــب، بيــروت، ج2، ص192.

[5] الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بــن أحمــد، الزمخــشري جــار الله (ت: 538)، (1987)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنــان، ج1، ص659. الألوسيّ، روح المعاني، ج3، ص355.

[6] الفارسيّ، الحجة، ج3، ص245.

رسالة بذاتها،[1] " فلمّا اختلفت الشّرائع والرّسائل حسن الجمـــع "،[2] " لِـــأَنَّ جِـــنْسَ الرِّسَالَةِ مُخْتَلِفٌ"،[3] والعرب تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت،[4] ومن ذلك قولنا: " رأيت تموراً كثيرة، ونظرت في علوم كثيرة فجمعـــت هـــذه الأســـماء إذا اختلفـــت ضروبها كما تجمع غيرها من الأسماء ".[5]

وعلى صعيد آخر اختلف القرّاء العشرة في (رِسالاتِي)[6] من قوله تعـــالى: " قال يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي"،[7] حيث قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر وأبو عمرو ورويس (بِرِســـالاتِي) بإثبـــات الألف الّتي بعد اللّام على الجمع. وقرأ الباقون (بِرِسالاتِي) بحذف الألف الّتي بعـــد اللام على التوحيد.[8]

وقد وجّهت قراءة الجمع على أنّ التّوراة الّتي أرسل بهـــا موســـى – عليـــه السّلام- تشمل ضروباً مختلفة من التّعاليم والرّسالات، فناسبت صيغة الجمـــع هـــذا المعنى، ومثله قوله تعالى: "إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[9] " فَجَمَعَ لِاخْتِلَـــافِ أَجْنَاسِ الْأَصْوَاتِ وَاخْتِلَافِ المصوتين. صوت الحمار بعضها... ووحّد في قولـــه: " الصوت" لَمَّا أَرَادَ بِهِ جِنْساً وَاحِداً مِنَ الْأَصْوَاتِ".[10]

واستدل من آثر صيغة الإفراد على صحّة مذهبه أنّ " الرســـالة" هـــي اســـم يجري مجرى المصدر " الإرسال" فتُفرد وإن كان المراد الجمع، " والمصدر قد يقع

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص400.

[2] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص232. أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص82.

[3] العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: 616ه)،(د ت)، **التبيان في إعراب القرآن**، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1، ص450.

[4] الفارسيّ، الحجة، ج3، ص245.

[5] الفارسيّ، الحجة، ج3، ص245.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ج1، ص76. النشر في القراءات، ج2، ص272.

[7] سورة الأعراف، الآية 144.

[8] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص338. محيسن، الهادي، ج2، ص249.

[9] سورة لقمان، الآية 19.

[10] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص280. الفارسي، الحجة، ج4، ص77-78.

لفظ الواحد منه، والمراد به الكثرة "،[1] وهذا الاستعمال ممّا ألفته العرب في كلامها؛ فإنّهم قد يجنحون إلى ضرب من الكلم فيدلّون به على الكثرة، وفي التّنزيل نظائر على ذلك، ومنه قوله تعالى: " لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً"،[2] يقول أبو علي الفارسيّ في توجيه هذه الآية: " فوقع الاسم الشّائع على الجميع، كما يقع على الواحد، فكذلك الرّسالة ولو وضع موضع القراءة بالإفراد الجمع، أو موضع الجمع الإفراد، لكان سائغاً في العربيّة ".[3]

وقريب من ذلك ما ورد في قراءة قوله تعالى: " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ"[4] حيث قرأ ابن كثير وحفص (رِسالَتَهُ) بصيغة المفرد، وذلك على سبيل النّيابة: نيابة المفرد عن الجمع، وقرأها الباقون بصيغة الجمع، وذلك لمناسبة الآية السّابقة لها،[5] وهو قوله عز من قائل: " وإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ".[6]

(كلمت)، (كلمات):[7]

وممّا كان مضماراً للتعدّد والاختلاف (كلمت) حيث تعاقبت عليها القراءات العشرة في أربعة مواضعفي التّنزيل، وهي:

1- في قوله تعالى: " وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ".[8]

2- في قوله تعالى: " كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ".[9]

---

1 الفارسيّ، الحجة، ج4، ص77.

2 الفرقان، الآية 14.

3 الفارسي، الحجة، ج3، ص246.

4 سورة الأنعام، الآية 124.

5 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص271.

6 سورة الأنعام، الآية 124.

7 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ج1، ص227. متن طيبة النشر، ص74. النشر في القراءات، ج2، ص262.النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص312. محيسن، الهادي، ج2، ص211.

8 سورة الأنعام، الآية 115.

9 سورة يونس، الآية 33.

3- في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ".[1]
4- في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ".[2]

فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائيّ ويعقوب وخلف العاشر (كَلِمَت) في المواضع الأربعة بحذف الألف الّتي بعد الميم على سبيل الإفراد، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (كَلِمَات) في المواضع نفسها بإثبات الألف الّتي بعد الميم على طريقة جمع المؤنّث السّالم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بصيغة الجمع في الأنعام وبالإفراد في يونس وغافر.

وهذه اللّفظة مرسومة بالتّاء المفتوحة في جميع المصاحف، فمن قرأها بالجمع وقف عليها بالتّاء المفتوحة، ومن قرأها بالإفراد فمنهم من وقف عليها بتّاء التّأنيث المفتوحة، وهم: عاصم وحمزة وخلف العاشر، ومنهم من وقف عليها بالهاء وهما: الكسائي ويعقوب، وأمّا ابن كثير وأبو عمرو فإنّهما قد وقفا بالتّاء المفتوحة في قراءة الجمع، وبالتّاء المربوطة في قراءة الإفراد.[3]

وقد تعدّدت أقوال العلماء في توجيه هذه المواضع من القراءة، فمنهم من رأى في قراءة التّوحيد دليلاً على أنّ الذّكر الحكيم سمت معجز ذو نظم واحد وعقد متماسك، فالكلمة هي القرآن،[4] والعرب تستغني بصيغة المفرد عن الجمع إذا دلّت على الكثرة، وهم " يَتَّسِعُونَ فَيُسَمُّونَ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً،

---

1 سورة يونس، الآية 96.

2 سورة غافر، الآية 6.

3 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص129.

4 الطّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: 310هـ)، (2000م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، ج12، ص62. الزمخشري، الكشاف، ج2، ص60. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص337. البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685ه)، (1998م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص197. أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص628.

وَالْقَصِيدَةَ بِطُولِهَا كَلِمَةً "،[1] فـ " الْكَلِمَةُ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْكَلِمَاتُ الْكَثِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَضْبُوطَةً بِضَابِطٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِمْ قَالَ زُهَيْرٌ فِي كَلِمَتِهِ يَعْنِي قَصِيدَتَهُ وَقَالَ قُسٌّ فِي كَلِمَتِهِ أَيْ خُطْبَتِهِ فَكَذَلِكَ مَجْمُوعُ الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي كَوْنِهِ حَقّاً وَصِدْقاً وَمُعْجِزاً "،[2] وهو بذلك اسم جنس على حدّ (رسالته) و(رسالاته).[3]

وأمّا من قرأ بصيغة الجمع فاحتجّ بأنّ (الكلمة) في هذه السّياقات جاءت مجموعة تلبية للمعنى الّذي يرشّحه المقام؛ فكلمات القويّ المتين هي متنوّعة متعدّدة كالأمر والنّهي والوعد والوعيد، فإنّ الله قال في سياق الآية " لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ"، فاستحقّ الجمع في اللّفظ الأوّل لمناسبة الثّاني،[4] " وقراءة الجَمْع ظَاهِرة؛ لأنّ كَلِمَاته تعالى مَتْبُوعة بالنِّسْبَة إلى الأمْر والنَّهِي والوعد والوعيد، وأراد بالكلمات: أمْرَه ونَهْيَهُ ووعْدَه ووَعِيدَه، في الأمْر والنَّهْي".[5]

(مكانتكم، مكانتهم)، (مكاناتكم، مكاناتهم):[6]

وعلى صعيد آخر انفرد شعبة من بين القرّاء العشرة بقراءة الجمع، فقرأ (مكانتكم) و(مكانتهم) حيثما وردت في التّنزيل بصيغة الجمع، ومن ذلك:

---

[1] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: 395ه)، (1979م)، **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (كلم)، ج5، ص131.ابن فارس، **مجمل اللّغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص769.

[2] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص124.

[3] السمين الحلبي، الدّر المصون، ج5، ص125. ابن عادل، اللّباب، ج8، ص395.

[4] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت: 741ه)، (1995م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، وتصحيح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4 ص149.

[5] ابن عادل، اللباب، ج8، ص395. الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص177.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص74. شرح طيبة النشر، ص229. تحبير التيسير، ص364، 535. النشر في القراءات، ج2، ص262. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص317. محيسن، الهادي، ج2، ص218.

1- قوله تعالى: " قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ ".[1]
2- وقوله عزّ من قائل: " وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنَّا عامِلُونَ".[2]
3- وقوله عزّ وجل: " قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ".[3]
4- وقوله تعالى: " وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ ".[4]

وقرأ الباقون ذلك كلّه بصيغة الإفراد. وقد اختلف العلماء في توجيه هاتين القراءتين، فهناك من بحث في البنية الاشتقاقيّة لهذه الكلمة، فـ (مكانة) هي مصدر على وزن (مَفْعَلَة)، مشتقّ من (الكون)، ثمّ زيدت (الميم) وقلبت (الواو) ألفاً فتشكّلت بهذا البناء الأخير (مكانة)[5]. وهناك من عدّ (الميم) أصليّة والألف زائدة، إذ الأصل الاشتقاقيّ لهذه الكلمة هو: (مَكُنَ) ثمّ اشتقّت على (مكانة)، ويكون وزنها بحسب هذا المذهب الأخير هو: (فَعَال) قياساً على (ذَهَبَ ذَهَاب). وقد استدّلوا على صحّة مذهبهم بجمعها على (أمكنة)[6] " وَلَو كَانَ مفعلاً لم يجمع على أفعلة ".[7]

وهناك من تأوّل القراءتين على المصدريّة؛ فـ (مكانة) بصيغة التّوحيد هي مصدر يحمل في قراره معنى الكثرة، وقراءة الجمع هي جمع لذلك المصدر المتوحّد في البنية المتعدّدة في الدّلالة، وفي ذلك يقول الفارسيّ: " من أفرد فلأنّه مصدر، والمصادر تفرد في موضع الجمع لأنّه يراد به الكثرة، كما يراد ذلك في سائر أسماء الأجناس، ومن جمع فلأنّهم قد جمعوا من المصادر شيئاً نحو: الحلوم والألباب".[8]

وقد ترتّب على هذا التّباين في تقدير الأصل الاشتقاقيّ لهاتين القراءتين أن تعددّت الدّلالات التي يمكن أن ترشّحها البنية الصّرفيّة في سياقاتها التّركيبيّة، فمن

---

1 سورة الأنعام، الآية 135.
2 سورة هود، الآية 121.
3 سورة الزمر، الآية 39.
4 سورة يس، الآية 67.
5 ابن خالويه، الحجّة، ص150.
6 ابن خالويه، الحجّة، ص150.
7 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص272.
8 الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص46، 47.

قدّر الصّيغة مصدراً صريحاً كان المعنى: " اعْمَلُوا عَلَى تَمَكُّنِكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ وَأَقْصَى اسْتِطَاعَتِكُمْ وَإِمْكَانِكُمْ "،[1] وقيل: " مَعْنَاهُ أَيِ عَلَى مَا أَنتم عَلَيْهِ مُسْتَمْكِنُونَ "،[2] يقال: "مَكُنَ مَكَانَةً إِذَا تَمَكَّنَ أَبْلَغَ التَّمَكُّنِ "،[3] ومن قدّر الصّيغة مصدراً ميميًّا كان المعنى: " اعْمَلُوا عَلَى حَالَتِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أُمِرَ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى حَالَةٍ عَلَى مَكَانَتِكَ يَا فُلَانُ أَيِ اثْبُتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ لَا تَنْحَرِفْ عَنْهُ ".[4]

وثمّة فريق آخر فاضل بين القراءتين فآثر قراءة الإفراد على قراءة الجمع، فـــ(مكانة) بصيغتها الإفراديّة تحمل معنى الكثرة فتنوب عن الجمع ولا ينوب الجمع عنها، وفي ذلك يقول ابن أبي مريم: "... الأولى أن لا يجمعه؛ لأنّ المصادر تفرد ولا تجمع في الأمر العام، ومن جعله اسماً غير مصدر كان، وإن كان واحداً يؤدّي معنى الجمع، لأنّه لمّا أضيف إلى الجمع علم أنّه جمع، والمعنى ليعمل كل واحدٍ من كم على مكانته".[5]

وإذا كان القرّاء العشرة قد اختلفوا في هذه القراءة بين الإفراد والجمع، فإنّ هذا ليس بمسوّغ يبيح للبعض الخوض في مسألة أفضليّة القراءة وأولويّة الاختيار، فذاك مبحث يمتنع النّظر فيه.

ويرى الباحث أنّ بين هاتين القراءتين مشتركاً معنويّاً يجمع بينهما؛ فقراءة التّوحيد تحكي ما انتهى إليه هؤلاء القوم من العناد والعلو، فجاء الخطاب القرآنيّ مهدّداً موعداً إياهم بسوء المنقلب، فأسند فعل الأمر إليهم بقوله: " اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ "[6] على سبيل المبالغة " في الوعيد كأنّ المهدّد يريد تعذيبه مجمعاً عازماً عليه

---

[1] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص67. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص157.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (مكن)، ج13، ص413.

[3] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص67. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص157.

[4] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص67، 68. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص157.

[5] ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله، الشيرازي الفارسي (ت:565ه)، (1988م)، **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها**، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ج1، ص187.

[6] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص157.

فيحمله بالأمر على ما يؤدّي إليه وتسجيل بأنّ المهدّد لا يتأتى منه إلا الشّر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه ".[(1)] وتأتي قراءة الجمع لتكشف السّتار عن أحوال هؤلاء القوم، فهم ذوو مقامات مختلفة ومكانات متباينة، ومع ذلك فإنّ نزعة الغرور تجمعهم، والميل نحو العناد ومقاومة التغيير هو هدف جمعيّ يشتركون فيه.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا القول: إنّ هاتين القراءتين تمثّلان حالة فريدة من التحوّل من العام إلى الخاص، أو من المجمل إلى المفصل في خطاب واحد معبّر معجز؛ فقراءة الإفراد هي ذاك العام المشخّص لحال أفراد جنسه، وقراءة الجمع هي تخصيص لذلك العام وتفصيل لمجمله.

(ذُرِّيَّتَهُمْ)، (ذُرِّيَّاتَهُمْ):[(2)]

وقد تعدّدت القراءة في هذه الكلمة في ثلاثة مواضع من التّنزيل، وهي:

الأوّل: قوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ".[(3)]

الثّاني: قوله جلّ ثناؤه: " وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ".[(4)]

الثّالث: قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ ".[(5)]

فقد قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (ذرّيّتهم) في المواضع الثّلاثة بصيغة المفرد، على سبيل الاستغناء بالواحد عن الجمع؛ لذلك قيل: "... الذريّة: تقع على الواحد والجماعة"،[(6)] فما ورد لمعنى المفرد قوله في متنزّه التّنزيل: " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،... فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى"،[(7)] وهذا نظير قوله

---

(1) الألوسيّ، روح المعاني، ج4، ص275.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر،ص240. تحبير التيسير، ص565. النشر في القراءات، ج2، ص273، 377. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص343، 522، 569. محيسن، الهادي، ج2، ص256.

3 سورة الأعراف، الآية 172.

4 سورة يس، الآية 41.

5 سورة الطور، الآية 21.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص33.

7 سورة آل عمران، الآية 39.

عزّ من قائل: " فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً، يَرِثُنِي"،[1] وقوله: " يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى"،[2] وممّا جاء لمعنى الجماعة: قوله تعالى: " وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِم"،[3] وقوله: " أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً، ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ "،[4] وفي ذلك يقول الفارسيّ: "... من أفرد جعله جمعاً؛ فاستغنى عن جمعه بوقوعه على الجميع ".[5]

وهناك من احتجّ لقراءة الإفراد بوجود نظائر قرآنيّة تماثل هذا الاستعمال على التّعيين، فـ (بشر) من قوله تعالى: "أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا"،[6] وقوله عزّ من قائل: " إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"،[7] قد وردت في هذه السّياقات بمعنى الجمع، وأمّا مجيئها للواحد فمن ذلك قوله: " مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"،[8] وقوله جلّ ثناؤه: " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونْ "،[9] وفي ذلك يقول الفارسي: "... كما أنّ قوله: (بشر) تقع على الواحد والجميع... فكما لم يجمع بشر بتصحيح ولا تكسير، كذلك لا تجمع الذريّة ".[10]

---

[1] سورة مريم، الآية 5.

[2] سورة مريم، الآية 7.

[3] سورة الأعراف، الآية 173.

[4] سورة الإسراء، الآية 2 – 3.

[5] الفارسي، الحجة، ج4، ص 104-105.

[6] سورة التغابن، الآية 6.

[7] سورة إبراهيم، الآية 10.

[8] سورة يوسف، الآية 31.

[9] سورة المؤمنون، الآية 33 – 34.

[10] الفارسيّ، الحجة، ج4، ص106.

وعلى صعيد آخر وافق أبو عمرو بن العلاء من قرأ بصيغة المفرد في سورة (يس)على التعيين؛ وذلك لأنّ " الذّرية ما كان في الحُجُور "،[1] وهــذا مـــا يــسوّغ القراءة - كما يقول - بصيغة الإفراد في قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ "،[2] قال: " لأنَّ الإنسان لا تَقَرُّ عينه بما كان بعــده ".[3]

وبناءً على ذلك اختار أبو عمرو القراءة بصيغة الجمع في سورتيّ (الأعراف والطّور) على التّعيين؛ إذ إنّ (الذريّات) تحمل في هذين السّياقين معنى " الأعقـــاب المتناسلة، وَأَنَّهَا إِذا كَانَت كَذَلِك كَانَت أَكثر من الذُّرِّيَّة... ومحال أَن تكـــون ذريّـــات بعد قَوْله " قُرَّة أعين "... لِأَنّ الْإِنْسَان لَا تقر عينه بِمَا كَانَ بعده ".[4] وقرأ البـــاقون بالجمع في السّور الثّلاث.[5]

ومن جهة ثانية اتّفق القرّاء العشرة على القراءة بصيغة الإفراد فيقوله تعالى: "أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ "[6] " ولا شيء أكثر من ذريّة آدم "،[7] فدلّ ذلك على صحّة القراءة إذ الذين تناسلوا من ولد آدم أكثر ممّا يحصى، وفي ذلك يقول ابن زنجلة: " وَقد أَجمعُوا هُنَا على ذُرِّيَّة بِلَا خلاف بَين الْأمة فَكَـــانَ رد مَا اخْتلفُوا إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ أولى بِالصَّوَابِ وَقَوله عقيب ذَلِك " وَكُنَّا ذُرِّيَّة من بعدهمْ " بِلَفْظ وَاحِد أدل دَلِيل على صِحَة التَّوْحِيد ".[8]

---

[1] السّخاويّ، علم الدين علي بن محمد أبي الحسن السّخاوي، (ت: 643هـ)، **فتح الوصيد في شرح القصيد**، دراسة وتحقيق: أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان، الكويت، ج2، ص244.

[2] سورة الفرقان، الآية 74.

[3] السّخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص245.

[4] السّخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص245. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص301 – 302.

[5] ابن الجزريّ، النشر، ج2، ص377. شرح طيبة النشر، ج1، ص240. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص343، 522، 569. محيسن، الهادي، ج2، ص257.

[6] سورة مريم، الآية 58.

[7] مكي، الكشف، ج1، ص483.

[8] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص302.

وهناك من ساوى بين القراءتين؛ فــ " المعنى واحد في الذرية والذُريات "[1]، فتكون قراءة التّوحيد هي من باب اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وأمّا قراءة الجمع فإنّها تحقّق مطلب المجانسة اللفظيّة فــ " ظهورهم " في الآية الكريمة هــي جمــع تكسير، وفي جمع " ذرية " على " ذريات " ما يلبي مطلب المجانسة والانــسجام[2]. غير أنّ هذا الرّأي لا ينسحب على كل ما ورد فيه الخلاف بقراءة "الذريّة ".

وثمّة من رأى اتّحاد الدّلالة في كلتا القراءتين هو من باب التــرادف فـــــ " معنى قراءة التّوحيد والجمع واحدٌ، لأنَّ لفظ الواحد في الجنس مثل الجمع في الدّلالة على الكثرة، ولَمَّا كانت الذريّة قد تقع على الواحد كقوله: " هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيــةً طَيِّبَةً"، وإنّما سأل ولداً، كما قال: "هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً " جاءت القراءة الأخــرى بلفظ الجمع مُنَبِّهَةً أنَّ المراد بقراءة التّوحيد الجنس كما قال: " مِنْ ذُرِّيَّةِ آدم "، وكما قال: " وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهم ".[3]

وهكذا كانت الدّلالة المعجميّة الفيصل في توجيــه القــراءتين أو الاحتجــاج لإحداهما على الأخرى، ثمّ اختيار البنية الصّرفيّة الّتي تحقّق المعنى المراد، " فمــن أفرد قال: إنّها للجمع فلا حاجة لجمعها، ومن جمع قال: إنّها لا تخرج عــن كونهــا للمفرد أو للجمع، فإن كانت مفردة فهذا جمعها، وإن كانت جمعاً فمن الجمع ما يجمع كما قيل: الطّرقات، وصواحبات يوسف ".[4]

وأحسب أنّ المسألة يمكن توجيهها من باب تعــدّد المعنــى لتبــاين الــسّياقات والاستعمالات؛ لأنّ الوقائع اللّغويّة لــ "ذريّة" و"ذريّات" تكشف عن سياقات مقاليّــة وردت فيها هذه اللّفظة بصيغتي المفرد والجمع وكان المعنى يسير وفق الغاية مــن

---

[1] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص429.

[2] ابن خالويه، الحجة، ص167.

[3] السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص243 - 244. والآيات على الترتيب: سورة آل عمــران، الآية 38. سورة مريم، الآية 5. سورة مريم، الآية 58. سورة الأعراف، الآية 173.

[4] أبوراس، اختلاف البنية الصرفيّة، ص91. والحديث في: البخاري، صــحيح البخــاري، ج1، ص34. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هــ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص389.

الخطاب، ولعلّ نظرة متفحّصة في كتب اللّغة والمعاجم ليظهر صحّة ما زعمناه، ومن ذلك ما أورده (الرّاغب الأصفهانيّ) في المفردات، حيث يقول: " والذُّرِّيَّة أصلها: الصّغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصّغار والكبار معاً في التّعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع، قال تعالى: " ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ"،[1] وقال: " ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ "،[2] وقال: " وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ".[3]

(عشيرتكم)، (عشيراتكم):[4]

انفرد شعبة من بين القراء العشرة بجمع (عشيرتكم) في قول الله تعالى: " قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ "،[5] فقرأها (عشيراتكم)؛ ليدلّ بهذه الصّيغة أنّ لكلّ واحد من المخاطبين عشيرة تختص به،[6] " فإذا جمعت قال: عشيراتكم من حيث كان المراد بهم الجمع"،[7] ومنهم من قال: إنّ (العشيرة) هم أهل البيت الأدنون،[8] فاستحسنوا الجمع لتشمل القريب والبعيد.[9] وقرأ الباقون (عشيرتكم) بصيغة الإفراد؛ إذ الاسم المفرد في هذا السّياق ممّا يقع للجمع، فاستغنوا به عن ذكر الجمع،[10] أو هو اسم جمع.[11]

---

[1] سورة آل عمران، الآية 34.

[2] سورة الإسراء، الآية 3.

[3] سورة يس، الآية 41.

[4] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص77. شرح طيبة النشر، ص245. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص357. محيسن، الهادي،ج2، ص276.

[5] سورة التوبة، الآية 24.

[6] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج16، ص17. ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج3، ص18.

[7] الفارسي، الحجة، ج4، ص180.

[8] الزبيديّ، القاموس، (عشر)، ص440. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج2، ص486.

[9] أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص95.

[10] الفارسيّ، الحجة، ج4، ص180. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج16، ص17.

[11] النيسابوريّ، غرائب القرآن، ج3، ص446.

وقد احتجّ أصحاب هذا المذهب على صحّة توجيههم أنّ العــرب لــم تجمــع (عشيرة) على (عشيرات)، وإنّما جمعته على (عشائر)، وقد نسب هذا الرّأي إلى أبي الحسن الأخفش.(1) وأحسب أنّ رأي الأخفش لا يعني فــي مــا يعنيــه أنّ إحــدى القراءتين أصح أو أفصح من أختها فكلتاهما صحيح مجمع علــى تــواتره، ولــذلك وجدنا أبا منصور الأزهريّ يصرّح بقريب من هذا حين يقــول: " ومــن قــرأ (أو عَشِيراتكم) فهو جائز في العربيّة، ويجمع العشيرة: عشائر أيضاً، والجمع بالتّاء قليل "،(2) أو هو ضعيف في اللّغة على حدّ قول السمعانيّ.(3)

(صَلاَتُك)، (صَلَوَاتُك):(4)

اختلف القرّاء العشرة في (صلواتك) من قوله تعــالى: " وَصَــلِّ عَلَــيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ "،(5) و(أَصَلاتُك) من قوله تعالى: " قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ".(6)

فقرأ حفص وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (صَلاتُك) بصيغة المفرد، وهــي اختيار أبي عبيدة،(7) و(الصّلاة) ههنا تعني الدّعاء، وقيل المغفرة أو الترحّم(8) وهي بهذا المعنى تترشّح للمصدريّة،(9) ولذلك قيل إنّ (الصّلاة) بصيغة المفرد فــي هــذا

---

1 النيسابوريّ، غرائب القرآن، ج3، ص446.

2 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص450.

3 السمعانيّ، تفسير القرآن، ج2، ص297.

4 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص78. شرح طيبــة النــشر، ص246. تحبيــر التيــسير، ص393. النشر في القراءات، ج2، ص281. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص326. محيسن، الهادي، ج2، ص285.

5 سورة التوبة، الآية 103.

6 سورة هود، الآية 87.

7 السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص86. سورة الأنعام، الآية 72.

8 أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيــى بــن مهــران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (2007م)، **الوجوه والنظائر**، حقّقه وعلق عليــه: محمــد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص288.

9 السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص259.

السّياق هي اسم جنس[1] يراد به القليل والكثير فلا تجمع؛ " لأنّ في التّوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله: " إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُم "، إذ كانت (الصلوات)، هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد، دون ما هو أكثر من ذلك".[2]

ويرى مكي إنّ (الصّلاة) هي أعمّ من (الصلاوات)؛ فالدّعاء هو أكثر وأعمّ من الدّعوات؛ " لأنّ المصدر أعمّ من الجمع الّذي لما دون العشرة "،[3] وفي ذلك يقول أبو عبيدة: " وَالْقِرَاءَةُ الْأُولَى أَوْلَى لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: " أَقِيمُوا الصَّلَاةَ " وَالصَّلَوَاتُ جَمْعُ قِلَّةٍ، تَقُولُ ثَلَاثُ صَلَوَاتٍ وَخَمْسُ صَلَوَاتٍ ".[4]

وبناءً على هذا التّقدير وذاك التأويل يكون معنى الآية وفق هذه القراءة - والله أعلم - " ادع لهم،... أي دعاؤك لهم تَثْبِيتٌ لهم وطمأنينة "[5]، وهذا نظير قول الأعشى:[6]

تَقُولُ بِنْتِي وَقَد قَرَّبتُ مُرْتحِلاً   يَا رَبِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعَا

---

[1] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: 710هـ)، (1998م)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حقّقه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، ج1، ص707.

[2] الطبري، جامع البيان، ج14، ص458.

[3] مكيّ، الهداية، ج4، ص3143-3144.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج16، ص136. السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص86. ابن عادل، اللباب، ج10، ص195. سورة البقرة، الآية 43.

[5] ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص255. ابن قتيبة، غريب القرآن، ج1، ص192. السجستاني، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، (ت: 330هـ)، (1995م)، **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط1، دار قتيبة، سوريا، ص297. الفارسيّ، الحجة، ج4، ص212.

[6] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص268. الأعشى، ميمون بن قيس، (1974م)، **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ص101.

عليكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّي واغْتَمِضي يَوْماً فإنَّ لجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا

وقرأ الباقون (صلواتك) بصيغة الجمع، وهو اختيار أبي حاتم، قال: " ومــن زعم أنّ الصّلوات من الصّلاة لأنّ الجمع بالتّاء قليل فقد غلط، لأنّ الله تعالى قال: " ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّه "، " وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها " لم يرد القليل".[1] وممّا يؤيّد مقالــة (السّجستانيّ) هذه أنّنا نجد في آيات الذّكر الحكيم وكلام فصحاء الضّاد وقائع لغويّــة جمعت بــ (الألف والتاء) ومع ذلك ظلّت تحمل في مكنوناتها معنى الكثــرة علــى التّعيين، ومن ذلك قول متنزّه التّنزيل: " وهم في الغرفات آمنون"،[2] وقولــه: " إن المسلمين والمسلمات "،[3] وقوله: " وإنّ المصدّقين والمصدّقات "[4]، يقول الفارسيّ: "من زعم أنّ الصّلاة أولى لأنّ الصّلاة للكثرة، وصلوات للقلّة، فلم يكن قوله متّجهاً، لأنّ الجمع بالتّاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل ".[5]

وإذا كانت (صلاتك) في قراءة التّوحيد قد حملت على المصدريّة لوقوع هــذا الأخير على المفرد والجمع من ذوات الجنس الواحد، فإنّ الاستعمال اللّغــويّ يبــيح للمصدر أن يجمع إذا تعدّدت ضروبه.[6] فمثال النّوع الأوّل (صــوت) مــن قولــه تعالى: " إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير"،[7] ومن الضّرب الثّاني (أصوات) فــي الآية نفسها، وهو قوله عزّ من قائل: " إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ". وممّا يعضّد هذا التّوجيه الأخير أنّ (الصّلوات) في هذه الآية الكريمة قد فسّرت بمعنى (العبادة)[8]، وهذه ممّا

---

[1] الثعلبي، الكشف والبيان، ج5، ص90. الرازي، مفاتيح الغيب، ج16، ص136. السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص86. ابن عادل، اللباب، ج10، ص195. سورة لقمــان، الآيــة 27. سورة التحريم، الآية، 12.

[2] سورة سبأ، الآية 37.

[3] سورة الأحزاب، الآية 35.

[4] سورة الحديد، الآية 18.

[5] الفارسيّ، الحجة، ج4، ص217، 218.

[6] المصدر نفسه، ج4، ص213.

[7] سورة لقمان، الآية 19.

[8] السمين الحلبي، الدر المصون، ج6،ص117.

تعدّدت ضروبها؛ لأنّ المصدر " إذا اختلف جاز أن يجمع لاخـــتلاف ضـــروبه"؛[1] ولذلك أيضاً ذهب بعضهم إلى أنّ علّة القراءة بالجمع هـــي " أنّ الـــدّعاء تختلـــف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك ".[2]

وعلى صعيد آخر اتّفق القرّاء على قراءة (صلاتك) بصيغة المفرد في قولـــه تعالى: " وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً "، كما اتّفقوا علـــى القـــراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " وَيَتَّخِذُ مـــا يُنْفِـــقُ قُرُبـــاتٍ عِنْـــدَ اللَّـــهِ وَصَـــلَواتِ الرَّسُولِ"،[3] فـــ(الصلاة) في الآية الأولى هي مصدر يراد به الجمع اسماً للجنس،[4] و(الصلاوات) في الآية الثّانية هي جمع للدّعاء[5].

(آية)، (آيات):[6]

وقد انفرد ابن كثير من بين القرّاء العشر بقراءة (آية) بصيغة المفـــرد علـــى وزن (فعل)،[7] وذلك من قوله تعالى: " لَقَـــدْ كـــانَ فِـــي يُوسُـــفَ وَإِخْوَتِـــهِ آيـــاتٌ

---

[1] الفارسيّ، الحجة، ج4، ص214.

[2] مكي، الكشف، ج1، ص506. محيسن، الهادي، ج2، ص285. القراءات، ج1، ص290.

[3] سورة الأنفال، الآية 35. سورة التوبة، آية 99. ابن الجزريّ، شرح طيبة النـــشر، ص282. النشر في القراءات العشر، ج2، ص281. النويري، شرح طيبـــة النـــشر، ج2، ص362. محيسن، الهادي، ج2، ص285.

[4] الفارسيّ، الحجة، ج4. ص214.

[5] النحاس، معاني القرآن، ج3، ص246. القِنَّوجي، فتح البيان، ج5، ص380.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النـــشر، ص253. تحبيـــر التيـــسير، ص411. النشر في القراءات، ج2، ص293. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص389. محيسن، الهادي، ج2، ص322.

[7] هناك خلاف بين النحاة في وزن (آية)، ومرجع الخلاف في هذه المسألة هو عدم اتّفاق النحاة حول الأصل الاشتقاقيّ لهذه اللفظة، فيرى الخليل أنّها على وزن (فَعَل) بآية أنّ أصلها أَيَيَة فقلبت عينها ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ويرى سيبويه أنّها على وزن (فَعْل) لأنّ أصلها أيّة فقلبت الياء السّاكنة ألفاً لثقل التّضعيف، ولئلاّ تلتبس بكلمة (أيّة) الّتي يستفهم بها عن المؤنث، وذهب الكسائي إلى أنّ آية أصلها آيية مثل ضاربة، فكان القياس أنْ تقول: آيّة مثل دابّة فحُذفت الياء الأخيرة تخفيفاً، ووزنها على هذا (فاعة)، وذهب بعضهُم إلى أنّ أصلها (أيية) مثل كلمة بزنة (فَعِلة) فَقُلبتْ الياء الأُولى فيها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قَبلها. سيبويه،

لِلسَّائِلِينَ"،[1] وقرأ الباقون (آيات) بصيغة الجمع. وقد تعدّدت آراء العلماء في توجيه هاتين القراءتين، فهناك من تمسّك بالدّلالة اللّغويّة في أصل الاستعمال في توجيه القراءة؛ فـ (الآية) في اللّغة هي العلامة،[2] قال الشّاعر:[3]

بِآيةِ يُقْدِمونَ الخَيْلَ زُوراً، كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامَا

ولذلك فسّرت (الآية) ههنا بالعلامة أي: " فيه علامة لنبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم".[4]

وهناك من اعتمد السّياق دالة في تعيين المراد من القراءة، فـ (الآية) في هذا المقام تعني العبرة والعظة، ودليله على ذلك قوله تعالى: " لقد كَانَ فِي قصصهم عِبْرَة "،[5] وفي ذلك يقول محمد محيسن: " كأنّ الله سبحانه وتعالى جعل شأن يوسف - عليه السّلام - آية على الجملة، وإن كان في التفصيل آيات، ونظير ذلك قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً " فأفرد (آية) وإن كان شأنهما على التّفصيل آيات".[6]

الكتاب، ج4، ص398، 399. العكبريّ، (1995م)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط1، دار الفكر، دمشق، ج2، ص422، 423. الزّامليّ، مجيد خير الله راهي الزّامليّ، (2002م)،**أبو البقاء العكبريّ صرفيّاً**،إشراف: هاشم طه شلاش، رسالة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القادسيّة، ص103، 104.

1 سورة يوسف، الآية 7.

2 ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص62.

3 نسبت المصادر التي اطلعت عليها هذا البيت للأعشى. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص62. البغدادي، خزانة الأدب، ج6، ص512. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: 1205ه)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج32، ص400.

4 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج2، ص180. نسب هذا البيت سيبويه للأعشى: الكتاب، ج3، ص118. ولم أقف عليه في ديوانه.

5 سورة يوسف، الآية 111.

6 محيسن، الهادي، ج2، ص322. سورة المؤمنون، الآية 50.

وبناءً على ذلك ذهب البعض إلى أنّ (آية) في قراءة الإفراد هي اسم جـــنس يراد به الكثرة،[1] وقيل: إنّها في هذا السّياق من باب إقامة الواحد مقـــام الجمـــع،[2] وأمّا قراءة الجمع، فإنّ توجيهها لم يبتعد كثيراً عمّا قيل في توجيه قراءة الإفراد؛ فـــ (الآيات) هي جمع علامة، إنّها - كما يقول صاحب اللباب - تصريح لما اختزلتـــه قراءة التّوحيد؛ إذ المراد هو أنّ العلامات كانت كثيرة.[3] وقيل: إنّ قـــراءة الجمـــع جاءت بياناً لكلّ من سأل عن يوسف؛ إذ كانت أحواله وأموره كثيرة، " وَكُلٌّ وَاحِـــدٍ منْهَا آيَةٌ بِنَفْسِهِ "[4]، وهي اختيار أبي عبيدة، قال: " لِأَنَّهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ "،[5] واختارهـــا أيضاً أبو عبيد قال: " لأنّها عبر كثيرة قد كانت فيهم"،[6] وهي " أولى القراءتين في الصّواب" عند الطبريّ.[7]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى، فقراءة الإفراد هي بيان عام عن شأن يوسف - عليه السّلام - في حياته؛ فكلّ طور عاشه هذا النّبي الكريم كان مرحلة لها ظروفها وملابساتها الخاصّة التي تختلف عن غيرها، سواء في طفولته الغادرة أم في شبابه المكيد بفتنة النّساء، ثمَّ بتبرئته من الجرم المفترى وتقريبه من ذوي الحظوة من السلطان، وانتهاء بمكاشفة إخوانه وتحقّق رؤيا النّبي الحقّ. وكلّ مرحلة في حياته آية بذاتها، تحكي عبرة خاصّة لكلّ من سأل عن نبيّنا يوسف - عليه السّلام - إنّها بيان وتفصيل لذلك العام المجمل الذي تفسّره قراءة الجمع.

---

1 الفارسيّ، الحجة، ج4، ص396. ابن عادل، اللباب، ج11، ص20.

2 العكبريّ،التبيان، ج2،ص723.

3 ابن عادل،اللباب، ج11، ص20.

4 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج18، ص422.ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج3، ص221.

5 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص129.

6 أبو شامة، إبراز المعاني، ص531.

7 الطبريّ، جامع البيان، ج15، ص562.

(صَلاتِهِم)، (صَلَوَاتِهِم): [1]

وفي سياق قريب من هذه المباحثة، نجد القراء العشرة قد اختلفوا في (صلواتهم) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ "،[2] فقرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر هذه اللّفظة بصيغة المفرد مصدراً قياساً على العمل والأمانة،[3] وهو في الوقت نفسه اسم للجنس يراد به عموم الصّلوات سواء أكانت فرائض أم سنن ونوافل.[4]

وأمّا باقي القرّاء فإنّهم قد اتّفقوا على القراءة بصيغة الجمع؛ حيث إنّ (الصّلاة) لمّا دخلت حرم الشّريعة الإسلاميّة تحوّلت دلالتها اللّغويّة لتكتسب معناً حادثاً يغاير ذلك الأصل الموضوع، فصارت تدل على شعيرة مخصوصة ذات أركان معدودة وأوقات مضبوطة، فلذلك جمعت كما جمعت في قوله تعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى "،[5] وفي ذلك يقول الفارسيّ: " وكان الجمع فيه أقوى لأنه قد صار اسماً شرعيّاً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة أن ينضمّ إليها"[6]

وإذا كانت هاتان القراءتان قد اختلفتا من جهة البنية الصّرفيّة، فإنّ في استكناه الدّلالة الّتي يرشّحها السّياق والمقام ليكشف لنا عن مشترك دلاليّ يجمع بينهما ويدفع ذلك الافتراق الّذي نلمسه على مستوى البنية السّطحيّة البرّانيّة، وآية ذلك أنّ قراءة (صلاتهم) بصيغة التّوحيد هي مصدر قد أضيف إلى ضمير الجماعة، فاستحقّ بهذه النّسبة الدّلالة على الكثرة، لاسيّما إذا ما عرفنا أنّ الصّلاة في هذا السّياق تشير إلى

---

1 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص87.شرح طيبة النشر، ص282. تحبير التيسير، ص474. النشر في القراءات، ج2، ص328. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص467. محيسن، الهادي، ج2، ص285.

2 سورة المؤمنون، الآية 9.

3 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص288.

4 السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص379. محيسن، الهادي، ج3، ص73. القراءت، ج1، ص292.

5 سورة البقرة، الآية 238.

6 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص288.

العبادة المفروضة،[1] وهذه الأخيرة هي متعدّدة الأركان مختلفة الأحوال، فمنها الفرض الواجب، ومنها السّنن النّوافل.

ولمّا كان السّياق في هذا المقام الكريم يلمح إلى الصّلاة المفروضة، كانت قراءة الجمهور تسير وفق هذه الغاية؛ فالصّلاة هي ذات مواقيت مضبوطة وأركان معلومة؛ وهذا يعني أنّ المراد في هذه الآية هو المحافظة على الصّلوات الخمس وما يتبعها من سنن ونوافل على التّعيين، يقول الزّمخشريّ معلّلاً ذكر الصّلاة مرّتين في هذه السّورة بقوله: " هما ذِكْران مختلفان، وليس بتكرير، وُصِفُوا أولاً بالخشوعِ في صلاتهم، وآخِراً بالمحافظةِ عليها... وأيضاً فقد وُحِّدَتْ أولاً ليُفادَ الخُشوعُ في جنسِ الصّلاةِ أيَّ صلاةٍ كانَتْ، وجُمعت آخراً لتُفادَ المحافظةُ على أعدادِها، وهي الصّلواتُ الخمسُ والوِتْرُ والسُّنَنُ الراتبةُ... ".[2]

وممّا يعضّد ما ذهبنا إليه أنّ القرّاء العشرة قد اتّفقوا على قراءة (الصّلاة) بصيغة الإفراد في مواضع مخصوصة من التّنزيل، واجتمعوا على القراءة بالجمع في مواضع أخرى،[3] فمن القراءة الأولى قوله تعالى: " وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ"،[4] ومن قوله تعالى: " الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ "،[5] ومن القراءة الثّانية قوله تعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ".[6]

---

[1] الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت: 460هـ)، (1989م)، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط1، دار إحياء التراث العربي، ج3، ص121.

[2] الزمخشريّ، الكشاف، ج3، ص177. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج8، ص319.

[3] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص483.

[4] سورة الأنعام، الآية 92.

[5] سورة المعارج، الآية 23.

[6] سورة البقرة، الآية 238.

(لِأَمَانَاتِهِم)، (لأَمانَتِهِم):[1]

وقد انفرد ابن كثير من بين القرّاء العشرة بقراءة (لأماناتهم) بصيغة المفــرد من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُــونَ "؛[2] وذلــك أنّ (الأمانــة) مصدر استغني به عن الجمع على سبيل النّيابة،[3] وهي في الوقت نفسه بنية تــدلّ على الكثرة؛[4] إذ الأمانة ممّا تعدّدت ضروبها وتنوّعت وجوهها، فــ " ... الأمانــة العهد تجمع كل ما تحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعمّ معاشرة النّاس والمواعيد وغير ذلك، ورعاية ذلك حفظه والقيام به ".[5]

ومن جهة ثانية فإنّ الأمانة بصيغتها الإفراديّة تلبّي مطلب المطابقة والمجانسة الصّوتيّة في السّياق؛ حيث سبقت بــ (عهدهم) وهذه الأخيرة مفردة أيضاً،[6] " ولــم يقل: وعهودهم ".[7] وأمّا القرّاء الباقون فإنّهم قد أجمعوا على القراءة بصيغة الجمع (لأماناتهم)؛ وذلك على سبيل الحقيقة؛ وكانت حجّتهم في ذلك هــو إجمــاع القــرّاء العشرة على قراءة (الأمانة) بصيغة الجمع في قوله تعالى: " إنّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهلِهَا "،[8] وقوله عز من قائل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَــا تَخُونُــوا اللَّــهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ".[9]

---

1 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص282. النشر، ج2، ص328. تحبير التيسير، ص474. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص467. محيسن، الهادي، ج3، ص73.

2 وردت لفظة (لأماناتهم) في موضعين من القرآن الكريم. سورة المؤمنون، الآية 8. سورة المعارج، الآية 32.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص187.

4 أبو شامة، إبراز المعاني، ص608. ابن زنجلة، حجّــة القــراءات، ص483. الــسخاويّ، فــتح الوصيد، ج2، ص379. الفارسيّ، الحجة، ج5، ص287.

5 ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، ص137. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص107.

6 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص482، 283.

7 ابن خالويه، الحجّة، ص255.

8 سورة النساء، الآية 58.

9 سورة الأنفال، الآية 27.

وتأسيساً على ذلك ذهب بعض العلماء إلى أنّ قــراءة الجمــع هــي أولــى بالقراءة؛[1] إذ "... رد مَا اخْتلفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ أولــى ".[2] ورأى فريــق آخر أنّه ليس ثمّة بون بين القراءتين، فكلتاهما جائزة،[3] "وهما في المعنى واحد؛ إذ المرادُ العمومُ والجمعُ أوفقُ ".[4]

(غُرْفت)، (غُرُفات):[5]

وانفرد حمزة من بين القرّاء العشرة بقراءة (الغرفة) بصيغة المفرد على وزن (فُعْلة)، من قوله تعالى: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"[6] وهو اسم جــنس يــدلّ علــى الجمع والكثرة،[7] ونظيره قوله تعالى: " أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا"،[8] وفي ذلك يقول ابن زنجلة: " فَكَمَا أَن الغرفة يُرَاد بهَا الْجمع وَالْكَثْرَة كَذَلِك " وهــم فِــي الغرفة آمنون" يُرَاد بِهِ الْكَثْرَة وَاسم الْجِنْس وَالْعرب تجتزئ بِالْوَاحِدِ عَن الْجَمَاعَــة قَالَ الله تَعَالَى:" وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا " يُرِيد الْمَلَائِكَة ".[9]

وقرأها الباقون (الغُرُفات) بصيغة الجمع على وزن (فُعُلات)، جمــع مؤنــث سالم، على إرادة الكثرة لا القلّة كما يزعم أصحاب الرّأي القائل: إنّ الجمع بــالألف والتّاء هو لأدنى العدد من الثّلاث إلى العشرة، وفي ذلك يقول صاحب الخصائص: " والألف والتّاء موضوعتان للقلّة، فهما على حد التثنية بمنزلة الزّيدون من الواحد إذا

---

[1] من هؤلاء: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص107. الطّبريّ، جامع البيــان، ج19، ص11. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص83.

[2] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص483.

[3] الأزهريّ، معاني القراءات،ج2، ص187.

[4] السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص319.

[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص92. شرح طيبة النشر، ص299. النشر فــي القــراءات، ج2، ص351. تحبير التيسير، ص517. النويريّ، شرح طيبــة النــشر، ج2، ص517. محيسن، الهادي، ج2، ص160.

[6] سورة سبأ، الآية 37.

[7] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص22. محيسن، القراءات، ج1، ص294.

[8] سورة الفرقان، الآية 75.

[9] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص590. سورة الحاقّة، الآية 17.

كان على حدّ الزّيدان. هذا موجب اللّغة على أوضاعها، غير أنّه قد جاء لفظ الصّحة والمعنى الكثرة، كقوله تعالى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ" إلى قوله تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ "، والغرض في جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة ".[1]

وقد وردت لفظة (الغرفة) بصيغة الجمع في موضعين من التّنزيل، الأوّل في قَوْله تعالى: " مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ "[2] و" لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفَاً "،[3] وقد استدلّ أصحاب قراءة الجمع على صحّة مذهبهم أنّ في التنزيل وكلام العرب الفصيح ما يناظر ذلك، فمنه في القرآن المجيد قول الله العزيز: " مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّه "[4]، وقوله: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون"،[5] فليست كلمات الله قليلة، ولا الغرفات ذات في الأدنى من العدد.[6] وقال حسّان بن ثابت:[7]

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَماً

ويروى أنّ النّابغة لمّا سمع هذا البيت قال لحسّان: " قَلَّلْتَ جِفَانَكَ وَسُيُوفَكَ"،[8] وقد نقل ابن جنّي عن أبي علي الفارسيّ تضعيفه لهذه الرّواية، قال: " هذا خبر مجهول لا أصل له؛ لأنّ الله تعالى يقول: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"، ولا يجوز أن تكون الغرف كلها الّتي في الجنة من الثّلاث إلى العشر"،[9] ثمّ يعلّق ابن جنّي على ذلك، فيقول: " وعذر ذلك عندي أنّه قد كثُر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع جنساً، كقولنا: أَهْلَكَ الناسَ الدنيارُ والدرهم، وذهب الناسُ بالشاة والبعير. فلمّا كثر

---

1 سورة الأحزاب، الآية 35. ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص187.

2 سورة الزمر، الآية 20.

3 سورة العنكبوت، الآية 58.

4 سورة لقمان، الآية 27.

5 سورة سبأ، الآية 37.

6 ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص187.

7 حسّان بن ثابت، الدّيوان، ص219.

8 أبو هلال العسكري، (1984م)، **المصون في الأدب**، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، ط2، مطبعة حكومة الكويت، ص4. البغدادي، خزانة الأدب، ج8، ص108.

9 ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص187.

ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الّذي هو أدنى إلى الواحد أيضاً؛ أعني: الجمع بالواو والنّون والألف والتّاء"،[1] ويزيد أبو البركات الأنباريّ الأمر وضوحاً فيذكر أنّ معيب (النّابغة) على (حسان) في بيته السّالف يجانب الصّواب، قال: " وهذا عندي ليس بصحيح؛ لأنَّ هذا الجمع يجيء للكثرة، كما يجيء للقلّة؛ قال الله تعالى: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ" والمراد به الكثرة لا القلّة، والّذي يدلّ على ذلك: أنّه جمع صحيح، فصار بمنزلة قولهم: الزيدون والعمرون، وكما أنّ قولهم: الزّيدون والعمرون يكون للكثرة والقلة، فكذلك هذا الجمع ".[2]

وقد استدلّ أصحاب هذا المذهب على صحّة اختيارهم أنّ القرّاء العشرة قد اتّفقوا على القراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها"، وفي قوله تعالى: " لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ".[3]

وإذا كان الصّرفيّون قد جعلوا جمع المؤنّث السّالم للقليل من العدد، فإنّ نظرة متفحصة في استعمالات العرب يكشف أنّ هذا الحكم لا يمكن تعميمه؛ حيث إنّ كثيراً من الشّواهد الّتي وردت بصيغة جمع المؤنّث السّالم لم تكن بالضّرورة تدلّ على القليل؛ ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا من اللّغويّين من يجعل هذا الجمع مشتركاً بين القليل والكثير، يقول الفيّوميّ: " وَقِيلَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَيْثُ السَّمَاعُ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ كُلُّ اسْمٍ مُؤَنَّثٍ يُجْمَعُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ فَهُوَ جَمْعُ قِلَّةٍ نَحْوُ الْهِنْدَاتِ وَالزَّيْنَبَاتِ وَرُبَّمَا كَانَ لِلْكَثِيرِ... وَقَالَ ابْنُ خَرُوفٍ جَمْعَا السَّلَامَةِ مُشْتَرَكَانِ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ قَوْله تَعَالَى: " وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ "[4] الْمُرَادُ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَهِيَ قَلِيلٌ "، وَقَالَ: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "،[5] " أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ"، وَهَذِهِ كَثِيرَةٌ ".[6]

---

[1] ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص187.

[2] الأنباريّ، أسرار العربيّة، ص250.

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص590. سورة العنكبوت، الآية 58. سورة الزمر، الآية 20.

[4] سورة البقرة، الآية 203.

[5] سورة البقرة، الآية 183.

[6] الفيوميّ، المصباح المنير، (الخاتمة)، ج2، ص695. سورة البقرة، الآية184.

(بيِّنَت)، (بيِّنات):[1]

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف العاشر وحفص (بينت) من قوله تعالى: " أَمْآتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ "[2] بصيغة المفرد اسماً للجنس،[3] يراد به الكثير[4].

وقد احتجّ أصحاب هذه القراءة على صحّة اختيارهم بقوله تعالى: " وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ "،[5] وقوله تعالى: " قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي".[6]

وقرأها الباقون (بيّنات) جمع مؤنث سالم، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ لأنّها مكتوبة بمصحف عثمان (بينات) بالألف والتاء،[7] وقيل: إنّها قرئت بالجمع ليدلّ به على " ... كثرة ما جاء به النبي- صلى الله عليه وسلم- من الآيات والبراهين الدّالة على صدق نبوته من القرآن وغير ذلك ".[8]

وهناك من فرّق بين هاتين القراءتين اعتماداً على المعنى السّياقيّ للكلمة، فـ (البينة) بصيغتها الإفراديّة تحيل على الرّسول - عليه الصّلاة والسّلام – بآية قوله

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص92. شرح طيبة النشر، ج2، ص517. تحبير التيسير، ص521. النشر في القراءات، ج2، ص352.

[2] سورة فاطر، الآية 40.

[3] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص517.

[4] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص30. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص507. ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج4 ، ص442.

[5] سورة الأعراف، الآية 73.

[6] محيسن، الهادي، ج3، ص161. سورة هود، الآية 28.

[7] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص356.

[8] محيسن، الهادي، ج3، ص161. القراءات، ج1، ص295.

تعالى: " حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّه"[1]. وقراءة الجمع تطلب القرآن بدليل قوله تعالى: " وَبَيِّنات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ".[2]

(بِمَفازتهم)، (بِمَفازاتهم):[3]

وقرأ شعبة وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (بمفازاتهم)على المصدريّة جمع مؤنّث سالم، وذلك من قوله تعالى: " وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ"،[4] و" المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها"،[5] وفي ذلك يقول أبو العبّاس المبرّد: " المفازة مفعلة من الفوز، وهو السعادة، وإن جمع فحسن، كقولك: السّعادة والسّعادات"،[6] ولمّا كان المعنى يقتضي أنّ ما ينجو المؤمن منه يوم القيامة هو متعدّد مختلف جاز الجمع؛ حيث إنّ " لكلّ وَاحِدٍ مفازةً غيرَ مفازةِ الآخر ".[7]

وقرأ الباقون (بمفازَتهم) بغير ألف بصيغة المفرد اسم جنس جمعيّ،[8] ومصدراً ميميّاً،[9] يراد به القليل والكثير؛[10] إذ " المفازة والفوز واحد، وإفراد المفازة كإفراد الفوز"[11]، وفي ذلك يقول الفرّاء: " تَقُولُ فِي الكلام: قد تَبَيَّن أمر القوم وأمورُ القوم، وارتفع الصّوت والأصوات ومعناهُ واحد قَالَ الله " إِنَّ أَنْكَرَ

---

[1] سورة البيّنة، الآية 1-2.

[2] ابن خالويه، الحجّة، ص297.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص94. شرح طيبة النشر، ص305. النشر في القراءات، ج2، ص363. تحبير التيسير، ص536. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص539. محيسن، الهادي، ج3، ص194.

[4] سورة الزمر، الآية 61.

[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص624. الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص97.

[6] الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص590. البغويّ، معالم التنزيل، ج4، ص98. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص24.

[7] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص624. محيسن، الهادي، ج3، ص194.

[8] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج4، ص539.

[9] النحاس، إعراب القرآن، ج4، ص15.

[10] السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص445.

[11] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص624. الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص97.

الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " ولم يقل: أصواتٌ وكلّ صواب"،[1] وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والأخفش؛" لأنّ المفازة ههنا الفوز".[2]

(ثمرت)، (ثَمَرَات):[3]

وقريب من ذلك (ثمرت) من قوله عز من قائل: " وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِها".[4] فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وحفص (ثمرات) بألف بعد الرّاء بالجمع المؤنّث السّالم، وذلك لأنّ المراد في هذا السّياق هو مختلف أنواع الثّمار لا نوع منها[5]، وممّا يقوّي هذه الحجّة ورود (ثمرات) بصيغة الجمع في سياق آخر يناظره، وهو قوله تعالى: " فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا".[6]

وقرأ الباقون (ثمرت) بلا ألف بصيغة المفرد[7] اسماً للجنس،[8] يراد به الكثرة والعموم، فاستغنوا به عن الجمع[9] " بآية أنّ (أنثى) بعد هذه الآية قد أفردت، وهو قوله تعالى: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى " فكمَا أفرد أُنْثَى كَذَلِك يَنْبَغِي أَن يكون " مِنْ

---

1 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص424. سورة لقمان، الآية 19. الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص340. الطبريّ، جامع البيان، ج21، ص320. الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص469.

2 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص249.

3 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص94. شرح طيبة النشر، ص307. تحبير التيسير، ص544. النشر في القراءات، ج2، ص367. النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص546. محيسن، الهادي، ج3، ص204.

4 سورة فصّلت، الآية 47.

5 النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص546.

6 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص638. سورة فاطر، الآية 27.

7 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص307. تحبير التيسير، ص544. النشر في القراءات، ج2، ص367. النويري، شرح طيبة النشر،ج2، ص546. محيسن، الهادي، ج3، ص204.

8 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج9، ص534. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص638. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص546. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5،ص21.

9 الواحديّ، التفسير الوسيط، ج4، ص39.

ثَمَرَةٍ " مُفْرِدَة"؛[1] حيث إنّ المُرَاد بكلتا الآيتين هو جميع أَجنَاس الثِّمَار والإنـــاث.[2] كما استدلّ أصحاب قراءة الإفراد على صحّة اختيارهم أنّ (ثمرة) قد سبقت بقوله " مِنْ أَكْمَامِهَا"، قال أبو عمرو: " ولَو كَانَت (من ثَمَرَات) لكَانَتْ من أكمامه "،[3] ثمّ إنّ "... دخول (من) على (ثمرة) يدلّ على الكثرة، كما تقول: " هل من رجل " فرجــل عامل لرجال كلّهم، ولست تسأل عن رجل واحد، فكذلك (من ثمرة) لست تريد ثمرة واحدة بل هو عام في جميع الثّمرات، فاستغنى بالواحد عن الجمع".[4]

(بشهادتهم)، (بشهاداتهم):[5]

وممّا جرى مجرى (أماناتهم) (شهاداتهم)[6] من قوله تعــالى: " وَالَّــذِينَ هُــمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ"،[7] فقد قرأ يعقوب وحفص (بِشَهاداتِهِمْ) بإثبات ألف بعــد الــدّال، على طريقة جمع المؤنّث السّالم؛ وذلك لأنّ الشّهادة ممّا تعــدّد أنواعــه، " ولأنّــه مضاف إلى ضمير الجماعة، فحسن أن يكون المضاف جمعــاً"[8] وقــرأ البــاقون

---

1 الفارسي، الحجّة، ج6،ص119.

2 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص371. ابن زنجلة، حجّة القراءات،ص638.

3 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص638.

4 محيسن، الهادي، ج3، ص204. القراءات، ج1، ص297.

5 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص99.شرح طيبة النشر، ص320. تحبير التيسير، ص592. النشر في القراءات، ج2، ص391. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص595. محيســن، الهادي، ج3، ص301.

6 كل ما قيل من توجيه ينسحب على هاتين القراءتين، ابن زنجلة، حجّة القــراءات، ص724. الفارسي، الحجّة، ج6، ص322.

7 سورة المعارج، الآية 33.

8 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج10، ص460. محيسن، الهادي، ج3، ص301. القــراءات، ج1، ص297. شهاب الدّين الشّافعي، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: 893هـ)، (2007 م)، **غاية الأماني في تفسير الكلام الربــاني**، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيــا، ص277.

(بشهدتهم) بحذف الألف بصيغة المفرد، اسماً للجنس يراد به الكثير والعمـــوم،[1] " والشّهادة تَنُوب عن الشّهادات؛ لأنّه مصدر".[2]

(جِمالَت)، (جِمالات):[3]

وقد اختلف القرّاء العشرة في (جِمالَة) من قولـــه تعـــالى: " كَأَنَّـــهُ جِمالَـــتٌ صُفْرٌ"[4]. فقرأ حفص وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (جِمالــت) بكســر الجــيم، وحذف الألف الّتي بعد اللام، جمع تكسير لــ (جمل) على وزن (فِعالَة) قياساً علـــى (حَجَر)، فإنّه يجمع " فِي الْقِلَّةِ أَحجارٌ، وَفِي الْكَثْرَةِ حِجارٌ وحجارَةٌ "،[5] وإنّما ألحقت العرب التّاء في " ... جمالاً لتأنيث الجمع، كما لحقت في فحــل وفحالـــة، وذكـــر وذكارة، ومثل لحاق الهاء في فعالة إلحاقها في فعولـــة، نحـــو: بعولـــة وعمومـــة وخيوطة، وربّما كان في فعالة نحو: جمالة، إلحاق الهاء وترك الإلحـــاق. ونظيـــر: جمال وجمالة قول الشاعر:

كَأَنَّهَا مِنْ حِجَارِ الغَيْلِ أَلْبَسَها مَضَارِبُ المَاءِ لَوْنَ الطُّحْلُبِ اللَّزِبِ

فلم يلحق الهاء كما لحقت في قوله: " فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة ".[6]

---

[1] السمين الحلبي، الدر المصون، ج10، ص460.

[2] الأزهري، معاني القراءات، ج2، ص91.

[3] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص325. النشر في القـــراءات، ج2، ص397. تحبير التيسير، ص602. النويريّ، شرح طيبـــة النـــشر، ج2، ص608. محيسن، الهادي، ج3، ص327.

[4] سورة المرسلات، الآية 33.

[5] ابن منظور، لسان العرب، (حجر)، ج3، ص165. وأدخلوا الْهَاء فِي حِجَارَة لِلْمُبَالَغَة فِي التَّأْنِيث كَمَا قَالُوا البعولة والعمومة غَيره حجار وحجارة مثل جن وجنّة انظر: ابن سيده، المخصّص، ج3، ص56.

[6] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص365، 366. سورة البقرة، الآية 74. والبيت من شواهد سيبويه وهو بلا نسبة. انظر الكتاب، ج3، ص572. والحجار هو الأقيس والأكثر – كما يقول سيبويه – ولكنه في الاستعمال قليل. ابن سيده، المحكم، ج3، ص65.

وقرأ الباقون (جِملات) بكسر الجيم وألف بعد اللام، جمع الجمع لـ (جِمالة)، فإنّ "... وَاحِدهَا: جِمَالٌ، مِثْلَ مَا قَالُوا: رِجَالٌ وَرِجَالاتٌ، وَبُيُوتٌ وَبُيُوتَاتٌ"،[1] وقد يجوز أن يكون جمع لـ (جمل) المفرد، فيكون نظير قولهم: "رجِالات قريش كذا قالوه. وفيه نظرٌ؛ لأنَّهم نَصُّوا على أنَّ الأسماءَ الجامدةَ غيرَ العاقلة لا تُجْمَعُ بالألفِ والتّاءِ، إلاَّ إذا لم تُكَسَّرْ. فإنْ كُسِّرَتْ لَم تُجْمَعْ. قالوا: ولذلك لُحِّن المتنبيُّ في قولِه:[2]

إذا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ   فَفِي النَّاسِ بُوْقاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

فجمع (بُوقاً) على (بُوقات) مع قولِهم: أَبْواق، فكذلك جِمالات مع قَوْلِهِم: جَمَل وجِمال. على أنَّ بعضَهم لا يُجيزُ ذلك، ويَجْعَلُ نحو: حَمَّامات وسِجلاَّت شاذّاً، وإنْ لم يُكَسَّر".[3] وانفرد (رويس) بقراءتها (جُملات) بضمّ الجيم وألف بعد اللام، جمع (جُمالة)، وهي: الحبال الغليظة من حبال السّفينة.[4]

---

[1] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص225.

[2] المتنبي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي، (ت: 354ه)، (1983م)، **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص359.

[3] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج10، ص641. القادوسيّ، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، (2010م)، **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً**، رسالة دكتوراه، إشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، ص244.

[4] محيسن، القراءات، ج1، ص604.

3.1 في بنية جمع التكسير

(أُسَارَى)، (أَسْرَى): [1]

قرأ حمزة (أسرى) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ "[2] قرأها (أَسْرى) بفتح الهمزة وإسكان السّين على وزن (فَعْلى) جمع (أسير)، نحو: جَرِيح وجَرْحَى، ومَرِيضْ ومَرْضَى، وصَرِيعْ وصَرْعَى،[3] وهو بذلك يكون من باب (فعيل) بمعنى (مفعول)،[4] قال أبو جعفر الطبريّ: " فمن قرأ ذلك: (وإن يأتوكم أسرى)، فإنّه أراد جمع " الأسير"، إذ كان على (فعيل) على مثال جمع أسماء ذوي العاهات التي يأتي واحدها على تقدير (فعيل)، إذ كان (الأسر) شبيه المعنى في الأذى والمكروه الدّاخل على الأسير ببعض معاني العاهات، وألحق جمع المستلحق به بجمع ما وصفنا، فقيل: أسير وأسرى، كما قيل: مَرِيض ومَرْضَى، وكَسِيْر وكَسْرَى، وجَرِيح وجَرْحَى"،[5] وهذه القراءة من اختيارات أبي عبيدة.[6]

وقرأ الباقون (أُسارى) بضمّ الهمزة وإقحام ألف بعد السّين على وزن (فُعالى)، قال الزّجاج: " يقال أُسَارَى كما يقال سُكَارَى "،[7] وهو ما أنكره أبو حاتم

---

1 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص179. النشر في القراءات، ج2، ص218. متن طيبة النشر، ص63. تحبير التيسير، ص291. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص169.محيسن، الهادي، ج2، ص42.

2 سورة البقرة، الآية 85.

3 الثعلبي، الكشف والبيان، ج1، ص230. مكي، الهداية، ج1، ص336، 337. محيسن، الهادي، ج2، ص42.

4 الثعالبيّ، الجواهر الحسان، ج1، ص275.

5 الطبري، جامع البيان، ج2، ص311.

6 ابن عادل، اللباب، ج2، ص251.

7 القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (ت: 1307هـ)، (1992م)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعه وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ج1، ص216.

السّجستانيّ، قال: " ولَا يَجُوزُ أُسَارَى"،[1] وفي ذلك يقول الشوكانيّ: " فَالْعَجَبُ مِنْ أَبِي حَاتِمٍ حَيْثُ يُنْكِرُ مَا ثَبَتَ فِي التَّنْزِيلِ. وَقَرَأَ بِهِ الْجُمْهُورُ ".[2]

وقد كان لعلماء اللّغة آراء متعدّدة في توجيه هاتين القراءتين، فسيبويه يقرّر أنّ العرب تجمع ما كان على وزن (فَعيل) بمعنى (مَفْعول) على (فَعْلى)، قال: " وأمّا فعيلٌ إذا كان في معنى مفعولٍ فهو في المؤنّث والمذكر سواءٌ وهو بمنزلة فعولٍ، ولا تجمعه بالواو والنّون كما لا تجمع فعولٌ لأنّ قصّته كقصته، وإذا كسرته على فعلى، وذلك قَتيلٌ وقَتْلَى وجَرِيحٌ وجَرْحَى وعَقِيرٌ وعَقْرَى ولَدِيغٌ ولَدْغَى".[3]

وأمّا (أُسارى) فإنّ العرب - كما يقول سيبويه - قد عاملته معاملة ما كان على (فَعْلاَن) فقالوا: " أُسَارَى، شبّهوه بقولهم: كُسَالَى وكَسَالَى. وقالوا: كَسْلَى فشبّهوه بِأَسْرَى".[4]

وقريب من هذا ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش في توجيه هاتين القراءتين، فـ (أسير) هو على قياس (مريض)، وهو يشبه هذا الأخير؛ " لأنَّ به عيباً كما بالمريض، وهذا (فَعِيل) مثله"[5]، وفي ذلك يقول الأخفش: " قالوا في جماعة (المريض): (مَرْضى) وقالوا (أُسارَى) فجعلوها مثل (سُكَارَى) و(كُسالىَ)؛ لأنَّ جمع (فَعْلان) الّذي به علّة قد يشارك جمع (فَعِيل) وجمع (فَعِل) نحو: (حَبِطٌ) و(حَبْطى) و(حُباطَى) و(حَبِجٌ) و(حَبْجى) و(حُباجى). وقد قالوا (أَسارى) كما قالوا (سَكَارَى) ".[6]

ويزيد الاستراباذيّ الأمر وضوحاً فيذكر أنّ الأصل في ما كان على زنة (فَعْلاَن) من صفات المذكرين أن يجمع على فَعَالَى[7]، " وقد يُضَمّ فاء فَعَالَى الذي

---

1 الشوكانيّ، الفتح القدير،ج1، ص127.

2 المصدر نفسه.

3 سيبويه، الكتاب، ج3، ص647.

4 المصدر نفسه، ج3، ص650.

5 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص140.

6 المصدر نفسه.

7 رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص145-146.

هو جمع فَعْلاَن فَعْلى خاصّة كما يجيء، نحو سُكَارَى وكُسَالى، دون المحمول عليه، إلاّ أُسارى، وذلك لأنّه لمّا حمل أسير على حَرّان ولهفان لأنّه لا يخلو من حرارة الجوف ضمّوا أوّله كما يُضَم أول فَعَالَى جمع فَعْلان، والتزموا الضمّ في هذا المحمول ".[1]

ويبيّن أبو زكريا الفرّاء أنّ مرجع البون بين القراءتين هو من جهة استعمالات العرب في لهجاتها؛ فأهل الحجاز يجمعون (أَسير) على (أُسَارى)، وأهل نجد يجمعون في أكثر كلامها على (أَسْرَى)، وهذا الأخير هو الأجود في العربيّة عند الفرّاء؛ " لأنّه بمنزلة قولهم: جَرِيح وجَرْحَى، وصَرِيع وصَرْعَى ".[2]

وقريب من ذلك ما ذهب إليه علي بن عيسى، فقد رأى أنّ الاختيار هو قراءة (أسارى)؛ لأنّ " عَلَيْهِ أَكْثَرَ الْأَئِمَّة وَلِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ إِذْ كَانَ يُقَالُ بِكَثْرَةٍ فِيهِ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي الْوَاحِدِ نَحْوَ شُكَاعَى وَلِأَنَّهَا لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ ".[3]

ويرى الزّجاج أنّ (فَعلى) هي صيغة تقع جمعاً لكلّ ما يصيب الإنسان من أدواء في العقل والبدن، يقال: " هَالِك وَهَلْكَى، ومَرِيض ومَرْضَى، وأَحْمَق وحَمْقَى، وسكْرَان وسكْرَى، فمن قرأ: أُسَارى، فهي جمع الجمع. يقال: أسير وأَسْرَى وأُسَارَى جمع أسرى"،[4] " وَفُعَالَى هُوَ الْأَصْلُ، وَفَعَالَى دَاخِلَةٌ عَلَيْهَا ".[5]

ونجد أبا منصور الأزهريّ يرى أنّ (أَسْرَى) في القراءة الأولى هي جمع (أسير) على حدّ جَرِيح وجَرحَى، وضَعِيف وضَعْفَى. وأمّا قراءة (أُسَارَى) فهي من باب جمع الجمع، قال: " يقال: أُسِير وأسْرى ثمّ أُسَارَى جمع الجمع ".[6] وقد نسب صاحب (البحر) هذا الرّأي الأخير للمفضّل.[7]

---

[1] رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص149.

[2] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص85.

[3] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج3، ص592.

[4] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص86.

[5] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص21.

[6] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص445.

[7] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص454.

ويرى أبو علي الفارسيّ أن الأقيس في العربيّة هـو جمـع (أسـير) علـى (أسرى)؛ ذلك أنّ القياس في كل اسم على وزن فعيل بمعنى مفعول، يجمـع علـى (فَعْلَى)، نحو لَدِيغ ولَدْغَى. وقَتِيل وقَتْلَى، وجَرِيح وجَرْحَى، فلمّا كانت (أسرى) تسلك مسلك هذه الصّفات، كانت قراءة (أَسْرى) أقيس من قراءة (أُسَارى)، يقول الفارسيّ: " ... الأقيس: الأسرى وهو أقيس من أسارى، كما كان أقيس من قولهم: أُسَرَاء، ألا ترى أنّهم قد قالوا: أُسَرَاء، فشبّهوه بِظُرَفاء، كما قالوا في جمع قَتِيل: قُتَلاء، فكما أن أُسَرَاء وقُتَلا في جمع قَتِيل، وأَسِير، ليس بالقياس، كذلك أسارى ليس بالقياس ".[1]

وثمّة من رأى أنّ البون بين هاتين القراءتين ينعقد من جهة المعنى والدّلالـة؛ فـ (الأُسَارَى) هم كلّ من كان في الوثاق، و(الأسرى) هم كل من كان في الأيـدي وإنْ لم يكونوا في وَثَاق،[2] أو هو " ما صار في أيديهم فهو أسارى كأنّه آفة دخلـت عليهم كسَكْرَانَ، وما أتى مستأسراً فهم الأسرى ".[3] وقيل: " ما أُسِرَ فهـو أُسَـارَى وما لم يُؤْسِر فهو أَسْرَى ".[4] وقد نسب أبو عبيدة هذا الرّأي لأبي عمرو بن العلاء، وروى عنه قوله: " الأسرى ما كان في أيديهم عند الأخـذ فـإذا بَـرد ذلـك فهـم الأُسارى"،[5] وروى الأصمعيّ عن أبي عمرو أنّه قال: " يقال لهـم (أسَـارَى) إذا شُدُّوا بالقِدِّ، وأمّا الأسْرى فهم الذين أخِذُوا ولم يُشَدُّوا بِقِدٍّ ".[6]

---

1 الفارسيّ، الحجة، ج2، ص143. ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج1، ص175.

2 الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، **تفسير الماوردي، النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبـد الـرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص155. العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بـن الحـسن الـسلمي الدمـشقي، (ت: 660هـ)، (1996م)، **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، تحقيق: عبد الله بن إبـراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، ج1، ص142.

3 مكي، الهداية، ج1، ص336، 337.

4 الثعلبي، الكشف والبيان، ج1، ص230.

5 السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص24.

6 الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص445. وَالْقِدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ مِنْ جِلْدٍ غَيْرِ مَدْبُوغٍ. ابن فارس، مقاييس اللّغة، ج5، ص6.

وقد كان مذهب أبي العلاء في توجيه هاتين القراءتين محطّ رفض وانتقاد من قبل علماء اللّغة والتّفسير، " ولَم يرْضوا مِنْهُ بِهَذَا الْفرق"[1] فأبو عبيدة راوي هذا التّوجيه لم يخفِ رفضه له حيث يقول: " في الكلّ أسرى لأنّه جمع أسير"،[2] وأنكر الطّبريّ أن يكون في العربيّة مثل ذلك، قال: " وذلك ما لا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب"،[3] ويبلغ هذا الإنكار لمذهب أبي العلاء ذروته عند ثعلب، فقد روى عنه النقّاش أنَّه لمّا سَمع مقالة أبي العلاء قال: " هذا كلامُ المجانين".[4]

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا من العلماء من يساوي بين هاتين القراءتين؛ فـ (أسير) - كما يرى أبو عبيدة - تجمع على (أَسْرَى) و(أُسَارَى)، ولا فرق بينهما في المعنى،[5] و" الصّحيح أنّهما واحد ".[6]

وهناك من وجد في عيار الكثرة والغلبة ضابطاً يوجّه على هديه القراءتين، فجمع ما كان على (فعيل) بصيغة (فَعْلى) هو أكثر دوراناً في كلام العرب من صيغة (فُعالى)؛ لذا كان من الأولى - كما يرى الطّبريّ - أن يقرأ (أَسْرَى) على التّعيين، قال: " وأولى بالصّواب في ذلك قراءة من قرأ (وإن يأتوكم أسرى)، لأنّ " فُعَالَى" في جمع " فعيل" غير مستفيض في كلام العرب، فإذ كان ذلك غير مستفيض في كلامهم، وكان مستفيضاً فاشياً فيهم جمع ما كان من الصّفات التي بمعنى الآلام

---

[1] السمعانيّ، تفسير القرآن، ج1، ص104.

[2] السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص24.

[3] الطبري، جامع البيان، ج2، ص311، 312 .

[4] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج1، ص481. والنقّاش هو: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند أبو بكر المقرئ النقاش نسبه أبو حفص بن شاهين، وهو موصلي الأصل، وكان عالما بحروف القرآن، حافظاً للتفسير، صنف فيه كتاباً سمّاه: شفاء الصدور، وله تصانيف في القراءات وغيرها من العلوم، (ت: 351ه). انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت: 463هـ)، (2002م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص602.

[5] السخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص24.

[6] الماورديّ، النكت والعيون، ج1، ص155.

والزّمانة وواحده على تقدير (فَعِيل)، على (فَعْلَى)، كالذي وصفنا قبل، وكـان أحـد ذلك (الأسير) كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله، فيجمع جمعهـا دون غيرهـا ممّن خالفها ".[1]

وأحسب أنّ هذا الرّأي ليس بدقيق؛ فمن النّافل المعروف أنّ القـراءة إذا ثبـت تواترها كانت سنّة تتّبع، فكيف - والحال هذه - أن يصدر أحدهم حكماً كهذا فيقول: إنّ هذه القراءة أصحّ من تلك الأخرى أو حتّى مجرّد أن يفاضل بينهـا، فـالقراءات المتواترة هي كلّها حجّة لا مزيّة لإحداها على الأخرى.

وهذه الآية الكريمة هي فصل من فصول حياة بني إسرائيل، فبعد أن أنعـم الله عليهم بالتّوبة والمغفرة أخذ عليهم العهود والمواثيق؛ " لِيَقْبَلُوا فَتَحْصُلُ لَهُمُ الْمَنْزِلَـةُ الْعُظْمَى عِنْدَ رَبِّهِمْ "،[2] جاءت هذه الآية الكريمة لتصوّر لنا مدى التّهاون الذي كان من هؤلاء القوم في أداء مواثيق الله وانتهاك ما عاهدوا عليه المولى عـزّ وجّـل، فهاهم يتقاتلون فيقتل بعضهم بعضاً ظلماً وبهتاناً، ولا يتورّعون عن إجلاء بعـضهم بعضاً عن أرضهم وديارهم دون أدنى حق.

ويبلغ مسلسل الظّلم وانتهاك حرمات الله ونقض العهد والميثاق ذروتـه حـين تنتهي معركة القاتل والمقتول وتضع شريعة الغاب أوزارها فيجـد القـوم بعـضهم أسيراً عند بعضهم الآخر، وهنا ترسم لنا الآية الكريمة صورة للحال التي وصـل إليها بنو إسرائيل في تجرّئهم على المولى الذي فضّلهم علـى العـالمين؛ إنّهـم لا يتورّعون عن مفاداة بعضهم بالمال، بل إنّهم ليتركوا أهلهم في الأسر لو لـم يجـد أحدهم ما يفدي به نفسه، حتى لو وصل بهم الأمر أن يبقوا كل أهلهم أسارى.

ومن هنا يخلص الباحث إلى أنّ بين هاتين القراءتين بوناً مـن جهـة المبنـى والمعنى، فعلى صعيد البنية الصّرفيّة يلحظ المرء مدى التفاوت بين صيغة (فَعْلَـى) وبين صيغة (فَعَالَى)، ومعلوم أنّ زيادة المبنى يتبعها - في أحيان كثيرة - زيادة في المعنى، فإذا عرفنا أنّ (أَسْرَى) هي جمع تكسير، وهذا الأخير هو للكثير من العدد، فإنّ جمع ذلك الجمع يكون لغاية مخصوصة يتقصّدها الخطاب القرآنيّ؛ إنّها دلالـة

---

[1] الطبريّ، جامع البيان، ج2، ص212، 213، 311،214، 312 .

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص590.

المبالغة في الكثرة؛[1] أي: كثرة الأسرى، وكأنّ السّياق ينبئ عن عظم ما كان مـن بني إسرائيل من القتال وحرب بعضهم بعضا.

(ريح)، (رياح): [2]

وقد اختلف القرّاء العشرة في هذه اللّفظة إفراداً وجمعاً في ستّة عشر موضـعاً من التّنزيل، وهي:

الأوّل: في قوله تعالى: " وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ".[3]

الثّاني: في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ".[4].

الثّالث: في قوله تعالى: " أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ"[5].

الرّابع: في قوله تعالى: " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ"[6].

الخامس: في قوله تعالى: " فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ"[7].

السّادس: في قوله تعالى: " فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ"[8].

السّابع: في قوله تعالى: " وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ"[9].

الثّامن: في قوله تعالى: " أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ"[10].

التّاسع: في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"[11].

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص592.

[2] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص64،65. شرح طيبة النشر، ص187. النشر في القراءات، ج2، ص223. تحبير التيسير، ص297. النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص189،190. محيسن، الهادي، ج2، ص61،62،63.

[3] سورة البقرة، الآية 164.

[4] سورة الأعراف، الآية 57.

[5] سورة إبراهيم، الآية 18.

[6] سورة الحجر، الآية 22.

[7] سورة الإسراء، الآية 69.

[8] سورة الكهف، الآية 45.

[9] سورة الأنبياء، الآية 81.

[10] سورة الحج، الآية 31.

[11] سورة الفرقان، الآية 48.

العاشر: في قوله تعالى: " وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه"[1].
الحادي عشر: في قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً"[2].
الثّاني عشر: وهو قوله تعالى: "وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ"[3].
الثّالث عشر: وهو قوله تعالى: " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً"[4].
الرّابع عشر:في قوله تعالى: "فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِه"[5].
الخامس عشر: في قوله تعالى: " إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ"[6].
السادس عشر: في قوله تعالى: " وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[7].

فقد قرأ أبو جعفر (الرّياح) بالجمع في خمسة عشر موضعاً، واختلف عنه في الموضع السّادس عشر (في سورة الحج) فقرأه بالجمع والإفراد. وقرأ نافع بالإفراد في خمسة مواضع، في سور: الإسراء والأنبياء والحج وسبأ وص. وقرأ الباقي بالجمع. وقرأ ابن كثير بالجمع في أربعة مواضع، في سور: البقرة والحجر والكهف والجاثية. وقرأ الباقي بالإفراد.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب بالجمع في تسعة مواضع في سور: البقرة والأعراف والحجر والكهف والفرقان والنّمل وثاني الرّوم، وفاطر والجاثية، وقرأوا الباقي بالإفراد. وقرأ حمزة وخلف العاشر بالإفراد في موضعين: في الحجّ والفرقان، وقرأ الباقي بالجمع. وقرأ الكسائيّ بالإفراد في ثلاثة مواضع في سور: الحجر والحج والفرقان، وقرأ الباقي بالجمع.

والتباين في اختيار الإفراد والجمع في هذا الموضع من القراءة هو من المسائل التي كان للغويّين سهم فيها، فقد انقسم أرباب اللّغة والمعاجم في البون بين هاتين

---

1 سورة النمل، الآية 63.
2 سورة الروم، الآية 48.
3 سورة سبأ، الآية 12.
4 سورة فاطر، الآية 9.
5 سورة ص، الآية 36.
6 سورة الشورى، الآية 33.
7 سورة الجاثية، الآية 5.

الصّيغتين، ففريق ذهب إلى أنّ (الرّيح) هي من مدلولات العذاب، وأنّ (الرّيـــاح) لا تقترن إلّا بالرّحمة، ودليلهم في ذلك ما روي عن خاتم النبيين أنّه - صلّى الله عليـــه وسلّم - كان يدعو كلما هبّت ريح: " اللهمّ اجعلها رياحـــاً ولا تجعلهـــا ريحـــاً "،[1] والعرب تقول: " يَوْم مُصَرِّح ومُصْح إذا كَانَ خَالِصاً مِنَ الرِّيحِ والسّحاب".[2] ويقول ابن فارس: " من سُنن العرب وصفُ الشّيء بما يقع فيه أو يكون منـــه، كقـــولهم: " يومٌ عاصِفٍ" المعنى: عاصفُ الرّيح. قال الله جلّ ثناؤه: " فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ " فقيـــل: عاصف لأَنَّ عُصُوفَ ريحه يكون فيه".[3] وممّا يعزّز هذا الرّأي أنّ التنزيل قد قرن (الرّيح) بالشرّ و(الرّياح) بالخير في كلّ سياقاته[4]، " وقد تختص اللّفظة في التّنزيل بشيء فيكون أمارة له"[5] ولذلك وجدنا أبا عبيدة يختار قراءة الجمع في كل ما كـــان للخير وقراءة التّوحيد لكل ما كان للعذاب.[6]

ويزيد أبو علي الفارسيّ المسألة وضوحاً فيذكر أنّ الاختيار عنده هـــو قـــراءة الجمع في آية البقرة؛ فهي - كما يقول - أبين وأقرب للمراد؛ " وذلك أنّ كلّ واحدة

---

[1] الطّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، (ت: 360هـــ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ج11، ص213. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، (ت: 307هـــ)، (1984م)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، ج4، ص341.

[2] الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (ت: 429ه)، (2002م)، **فقه اللّغة وسر العربيّة**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، ص54.

[3] ابن فارس، (1997م)، **الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهـــا**، نشره محمد علي بيضون، ط1، ص168. سورة إبراهيم، الآية 18.

[4] الثعالبيّ، فقه اللّغة، ص266. الحريريّ، القاسم بن علي بن محمد بن عثمـــان، أبـــو محمـــد الحريري البصري، (ت: 516ه)، (1998م)، **درّة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيـــق: عرفات مطرجي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص94.

[5] الفارسيّ، الحجة، ج2، ص257.

[6] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الـــسمرقندي، (ت: 373ه)، **بحـــر العلوم**، ج1، ص110.

من هذه الرّياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانيّة وتسخيرها لينتفع النّاس بهـــا بتصريفها، وإذا كان كذلك فالوجه أن يجمع لمساواة كلّ واحدة منها الأخـــرى فيمـــا ذكرنا، وقد يجوز في قول من وحّد أن يريد به الجنس... "،[1] وأمّا آيـــة الأنبيـــاء فالاختيار عند الفارسي يعتمد على المعنى الذي يرشّحه السّياق؛ " فإن كانت الرّيـــاح كلّها سخّرت له، فالمراد بها الكثرة، وإن سخّرت له ريح بعينهـــا، كـــان كقولـــك: الرّجل، وأنت تريد به العهد".[2]

ويرى الفارسيّ أنّ استقراء سياقات التّنزيل تكشف لنا عن تلازم بـــين إفـــراد الرّيح والعذاب، وممّا يؤكّد ذلك ارتباط الرّيح في القرآن بنعوت الشرّ والهلاك نحو: الدّبور، فإنّهما ممّا عذّب بها القرون الأولى،[3] وفي الحديث: " نُـــصِرْتُ بِالـــصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُور"،[4] وكان في هذه الرّيح أعظم الآيات والدّلالات للنّبيّ صـــلّى الله عليه وسلّم لأنّ الله جلّ وعزّ أرسل على أعدائه ريحاً. ولذلك أيضاً وجدنا ســـيّد الخلق - صلّى الله عليه وسلّم – كلّما هبّت ريح يتمنى على الله - عزّ وجـــلّ - أن يجعلها رياحاً لا ريحاً.[5]

وأمّا أصحاب القراءات ومفسّرو الذّكر الحكيم فإنّهم قد ذهبوا في توجيه هاتين القراءتين مذهب أهل اللّغة، فقراءة التّوحيد تعني في ما تعنيه أنّ (الرّيح) اسم جنس يعمّ القليل والكثير[6] كما في قولهم: " كثر الدِّرْهَم وَالدِّينَار فِي أيدي النَّاس إِنَّمَا تُرِيدُ هَذَا الْجِنْس قَالَ الْكسَائي وَالْعرب تَقول جَاءَت الرّيح من كل مَكَان فَلَو كَانَت ريحـــاً وَاحِدَة جَاءَت من مَكَان وَاحِد فَقَوْلهم من كل مَكَان وَقد وحدوها تدل على أَن بِالتَّوْحِيدِ

[1] الفارسي، الحجة، ج2، ص256.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص33. النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص208.

[5] (نصرت بالصبا): هي الريح التي تهب من مشرق الشمس ونصرته بها صلى الله عليه وســـلم كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعـــت خيـــامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. و(الدبور): هي الرّيح التي تهب من مغرب الشّمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم.

[6] الألوسي، روح المعاني، ج1، ص431. محيسن، القراءات، ج1، ص300.

معنى الْجمع".[1] والرّيح كما يقول أبو منصور الأزهريّ: "... يقوم مقام الرّياح...، فمن قرأ الرّياح فهو جمع الرّيح، وَمَنْ قَرَأَ الرّيح أراد بها: الرّياح. ولذلك أنثت، لأنّ معناها الجماعة ".[2]

ومن جهة ثانيّة هناك من وجّه القراءتين وجهة دلاليّة فـ (الرّيح)من آيات العذاب وسوء المنقلب، و(رياح) من أمارات الخير وبشائر الرّحمة، " وقد يختصّ اللّفظ في القرآن بشيء فيكون أمارة له"،[3] قال ابن عبّاس: " الرّياح للرّحمة والرّيح للعذاب".[4]

بيد أنّ هناك من العلماء من رأى خلاف ذلك فـ (الرّياح) بصيغة الجمع تختصّ بالرّحمة، وأمّا الرّيح المفردة فهي للمفرد والجمع معاً فـ " إنَّ الجمعَ لم يأتِ مع العذابِ أصلاً؛ وأمَّا المفردُ فجاءَ فيهما، ولذلك اختصَّها عليه السّلام في دعائِه بصيغةِ الجمعِ".[5]

وإلى جانب ذلك نجد من العلماء من رأى في قراءة الجمع بياناً عن أنواع الرّيح، وتفصيلاً في أحوالها، فإنّ منها " الْمُخْتَلَفَة المجاري فِي تصريفها وتغاير مهابها فِي الْمشرق وَالْمغْرب وتغاير جِنْسهَا فِي الْحر وَالْبرد ".[6]

---

1 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص120.

2 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص185-186.

3 الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص173.

4 الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (ت: 427هـ)، (2002م)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص33. السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص110.

5 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص207.

6 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص119. البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص196. ابن خالويه، الحجة، ص91. محيسن، القراءات، ج1، ص300. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (ت: 207هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج1، ص97.

وإذا كان القرّاء العشرة قد اختلفوا في ما بينهم في لفظ (الرّيح) إفراداً وجمعـــاً، فإنّنا نجدهم قد اتّفقوا في قراءة موضعين، فجمعوا (الرّيح) في أوّل سورة (الـــرّوم) وهو قوله تعالى: " وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ،[1] كما اتّفقوا على توحيـــد (الرّيح) في سورة (الذاريات) وهو قوله تعالى: " وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الـــرِّيحَ الْعَقِيمَ ".[2] الأمر الّذي يؤكّد مقولة إنّ (الرّيح) بصيغتها الإفراديّة منوطة بالعـــذاب، وأنّ الرّياح ذات الهيئة الجمعية لا تقترن إلا بالرّحمة والبركة.

وممّا تقدّم يلحظ المرء مدى الأهميّة الّتي ظفرت بها لفظتا الرّيح والرّياح في مباحث اللّغة والتّنزيل، حتّى ألفينا من العلماء الأجلاّء من أفرد لها فصلاً بل فصولاً وأبواباً؛ يبيّن أحوالها ومذاهب العرب فيها.

ونحن إذا ما سرّحنا البصر في كلام العرب الفصحاء، لوجدنا القوم قد ميّزوا في لغتهم بين الرّيح والرّياح، فإنّ العرب قد عرفت في حياتها أنواعاً مختلفة من الرّياح، ووسمت كل واحدة منها باسم هو آية عليها وصفة لازمة تحكي حالها وصفاتها، فإذا أرادوا التّسلية عن المكروب ذكروا الصّبا، وإذا طلبوا السّحاب الثقال تمنّوا ريح الجنوب، فإذا استغاثوا رجوا هبوب ريح الشّمال، فإن ذكروا هذه مجتمعة قالوا: رياحاً، فكنّوا بها عن تلك المزيّات مجتمعة؛ " فهي الرّياح كلٌّ واحدة منها فيها خير ".[3]

وإذا قصدوا الخراب والدّمار قالوا: ريح الدّبور؛ فهي " تهدم البنيان وتقلع الشّجر وهي المذكورة في القرآن فقال: الرّيح العقيم، وريح عاصف، وريح صرصر. وكلّ موضع جرى فيه ذكر الرّياح في القرآن فإنّه يرجع إلى الثّلاث الّتي

---

[1] سورة الروم، الآية 46.

[2] سورة الذاريات، الآية 41.

[3] التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، (ت: 651هـ)، (1980م)، **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، ط1، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص310.

تقدّم ذكرها، فيراد بها الرّحمة، وإذا جرى ذكر الرّيح فالمراد به الدّبور، والمراد بها العقوبة ".[(1)]

وبناءً على ما تقدّم يخلص الباحث إلى أنّ العرب كانت تجنح إلى إفراد الرّيح إذا قصدت بها ضرباً واحداً بعينه، فإن أرادوها مجتمعة قالوا: رياحاً، ولمّا كانت العرب لم تتعارف في استعمالها إلاّ على ريح واحدة للدّمار والخراب هي ريح الدّبور؛ اقتصرت على ذكرها مفردة، فإن جمعوا كان مرادهم ما سواها من الرّيح، وإن عنوا بواحدة بعينها ذكروها متبوعة بصفة تميّزها عن تلك الّتي للفناء والهلاك، ومنها ما ورد في قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ "[(2)]، فذكر الرّيح بلفظ الإفراد ثم نعتها بصفة الطيّبة لتمّاز عن ريح العذاب على سبيل المقابلة " فإنّه ذكر ما يقابلها ريح العذاب وهي لا تكون إلا مفردة وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو " وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّه"[(3)].

وثمّة وجه ثانٍ يرى " أَنَّ تَمَامَ الرَّحْمَةِ هُنَاكَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِوَحْدَةِ الرِّيحِ لَا بِاخْتِلَافِهَا فَإِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَسِيرُ إِلَّا بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ فَإِنِ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهَا الرِّيَاحُ وَتَصَادَمَتْ كَانَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَالْغَرَقِ فَالْمَطْلُوبُ هُنَاكَ رِيحٌ وَاحِدَةٌ وَلِهَذَا أَكَّدَ هَذَا الْمَعْنَى فَوَصَفَهَا بِالطَّيِّبِ دَفْعاً لِتَوَهُّمِ أَنْ تَكُونَ عَاصِفَةً بَلْ هِيَ رِيحٌ يُفْرَحُ بِطِيبِهَا".[(4)]

ويعلّل ابن عاشور هذه المسألة فيقول: "... وَجُمِعَ الرِّيَاحَ لِمَا شَاعَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ مِنْ إِطْلَاقِهَا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ عَلَى رِيحِ الْبِشَارَةِ بِالْمَطَرِ لِأَنَّ الرِّيَاحَ الَّتِي تُثِيرُ السَّحَابَ هِيَ الرِّيَاحُ الْمُخْتَلِفَةُ جِهَاتُ هُبُوبِهَا بَيْنَ: جَنُوبٍ وَشَمَالٍ وَصَباً وَدَبُورٍ،

---

(1) التيفاشي، سرور النفس، ص310.

2 سورة يونس، الآية 22.

3 الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص11. سورة آل عمران، الآية 54.

4 الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص11. أبوحيّان، البحر المحيط، ج2، ص82. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص233.

بِخِلَافِ اسْمِ الرِّيحِ الْمُفْرَدَةِ فَإِنَّهُ غَلَبَ فِي الِاسْتِعْمَالِ إِطْلَاقُهُ عَلَى رِيحِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ لِأَنَّهَا تَتَّصِلُ وَارِدَةً مِنْ صَوْبٍ وَاحِدٍ فَلَا تَزَالُ تَشْتَدُّ ".[1]

(رُهُن)، (رِهان):[2]

وانفرد أبو عمرو وابن كثير من بين القرّاء العشرة بقراءة (فَرُهُن) من قوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ "،[3]على (فرُهُن)، وهي على وزن (فُعُل) جمع تكسير واحده (رَهْن) نحو: سَقْف وسُقُف قاله الأخفش،[4] وروى عنه الرّازي في (المختار) قوله: " وَقَدْ يَكُونُ رُهُنٌ جَمْعُ رِهَانٍ مِثْلُ فِرَاشٍ وَفُرُشٍ"،[5] وقيل: هو جمع (رِهان) الّتي واحدها (رَهْن) حكاه الفرّاء والكسائيّ[6]، فيكون بحسب هذا التّأويل الأخير جمع الجمع[7]، وعلى ذلك تكون (رُهُن) هي جمع (رِهان)، وجمع (رِهان) هو (رَهْن)،[8] وهو ما أنكره صاحب (المحكم)، قال: " وَلَيْسَ رُهُنٌ جمع رِهان، لِأَنّ رهاناً جمع، وَلَيْسَ كلّ جمع يجمع،

---

1 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: 1393ه)، (1984م)، **التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر، تونس، ج21، ص121.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص67. شرح طيبة النشر، ص204. النشر في القراءات، ج2، ص237. تحبير التيسير، ص316. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص227. محيسن، الهادي، ج2، ص100.

3 سورة البقرة، الآية 283.

4 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص206. ابن سيده، المحكم، ج6، ص200. النّحاس، معاني القرآن، ج1، ص325.

5 الرازيّ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: 666ه)، (1999م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، (رهن)، ص130.

6 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص32. النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص139. الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص289.

7 ابن قتيبة، غريب القرآن، ج1، ص100. الهروي، إسفار الفصيح، ج1، ص380.

8 ابن خالويه، الحجّة، ص104.

إِلَّا أَن ينص عَلَيْهِ بعد أَن لَا يحْتَمل غير ذَلِك، كَأَكْلُب وأَكَالِب، وأَيْدٍ وَأَيَاد"،[1] وممّا جاء على رُهُنٍ قَوْلُ الْأَعْشَى:[2]

آلَيْتُ لَا أُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا رُهُناً فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

وقرأ الباقون (فرهان) على وزن (فِعال)، وهي جمع تكسير واحده (رَهْن)،[3] نحو: كَعْب وكِعَاب، وكَبْش وكِباش، وبَغْل وبِغَال[4]، قال الشاعر:[5]

أَهْلَكْتُ مُهْرِي فِي الرِّهَانِ لِجَاجَةً وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفُع

وَمن كلام الْعَرَب الْمَأْثُور" غلقت الرِّهَان بِمَا فِيهَا ".[6]

وهناك من اعتمد الاقتران اللّفظيّ أو الاصطحاب المعجمي وسيلة يوجّه القراءة على هديه؛ فـ (رِهان) – كما يقول أبو عمرو بن العلاء - هو من الألفاظ التي لا تقترن إلّا بالخيل[7]، وروي عنه أنّه لمّا سئل عن سرّ اختياره قراءة الضمّ، قال: "لأفرّق بين الرّهن في الدّين، وبين الرّهان في سباق الخيل "،[8] ونقل عنه المبرّد قوله: " لَا أعرف الرِّهَان إِلاّ فِي الْخَيل"،[9] واستدلّ على ذلك بقول قَعْنَبٌ:[10]

---

[1] ابن سيده، المحكم، (رهن)، ج4، ص300.

[2] الأعشى، الديوان، ص229.

[3] الزبيديّ، تاج العروس، ج5، ص2128. الجوهري، الصحاح، ج35، ص122. (رهن)

[4] الطبريّ، جامع البيان، ج6، ص96.

[5] هذا البيت للأَسْعَرُ بن أبي حُمْرَان الجُعْفي. أبو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: نحو 290هـ)، (1960م)، **الفاخر**، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ص184. الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، (ت: 518هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص310.

[6] المبرّد، محمد بن يزيد بن عبدالله الأكبر الثمالي الأزدي، أبوالعباس (ت: 285ه)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص202.

[7] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص84.

[8] ابن خالويه، الحجّة، ص105.

[9] المبرّد، المقتضب، ج2، ص202.

[10] الشاعر هو قعنب بن ضمرة بن أم صاحب، كان في أيّام الوليد، أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص84. ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص189.

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدَنُ   وَغَلِقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرُّهُنُ

وقيل: " والرُّهُن في الرَّهْن أكثر، والرِّهَان في الخيل أكثر"،[1] وعن يونس " الرُّهُن والرِّهَان واحد، عربيتان، والرُّهُنْ في الرَّهْنِ أكثرُ، والرِّهان في الخيلِ أكثرُ ".[2]

بيد أنّ هناك من العلماء من ساوى بين القراءتين، فقد روي عن أبي عبيدة ونفر من العلماء قولهم: (رُهُن) جمع (رَهْن) نحو: سُقُف وسَقْف، وكذلك (رِهان) هي جمع (رَهْن) كبَغْل وبِغال، وحَبْل وحِبال.[3]

وعلى صعيد آخر هناك من العلماء من فاضل بين هاتين القراءتين بناءً على الأشيع في فصيح الاستعمال والأقيس في نواميس الكلام؛ فجمع (رَهْن) على (رِهان) هو من القليل النادر الذي قد يصل إلى درجة الشّذوذ؛ ذلك أنّ العربيّة قد سَنّت لكل ما صيغ على (فُعُل) أن يجمع على (فِعال) نحو: بَحْر وبِحَار، وفَرْخ وفِرَاخ، ونَعْل ونِعَال، وكَلْب وكِلاَب،[4] وقد سُمِع عن العرب أنّهم " ... كسروا فعلاً على فعلٍ"،[5] وروي عن الأخفش قوله عن (الرُهُن) بالضمّ: "... وهي قبيحةٌ... لأنَّ فَعْلاً لا يجمع على فُعُل إلا قليلاً شاذاً، زعم أنّهم يقولون: " سَقْفٌ وسُقُفٌ... وقالوا: قَلْبٌ وقُلُبٌ وقَلْبٌ من قَلْبِ النَّخْلَةِ ولَحْد ولُحُد لِلَحْدِ القَبْرِ وهذا شاذٌ لا يكاد يعرف "،[6] وإلى ذلك ذهب أبو حيّان قال: " وَجَمْعُ فُعُلٍ عَلَى فُعْلٍ قَلِيلٌ ".[7]

---

1 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص237.

2 السمين الحلبي، الدر المصون،ج2، ص679.

3 البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص23. ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج1، ص387. الخطيب الشربيني، السراج المنير، ج1، ص189.

4 ابن السرّاج، الأصول، ج2،ص433. المبرّد، المقتضب، ج2، ص195.

5 سيبويه، الكتاب، ج3، ص627، 628.

6 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص206.

7 أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص743.

ومن جهة ثانية ذهب فريق من العلماء إلى أنّ (رُهُن) هي من الاستعمالات اللّغويّة غير المطّردة؛ لأنّ الأكثرين قالوا بأنّها جمع الجمع، وهذا الأخير من الأنماط غير المطّردة عند سيبويه والجمهور،[1] في حين نجد (الرِّهان) من الجموع التي اطّرد استعمالها في العربيّة، فجمع ما كان على زنة (فَعْل) على (فِعال) هو من الكثير الفاشي في اللّغة،[2] ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا جعفر الطبريّ يصرّح علانية أنّ قراءة (فرِهان) هي أصحّ القراءتين قال: " والّذي هو أولى بالصّواب في ذلك قراءة من قرأ: " فرهان مقبوضة "، لأنّ ذلك الجمعُ المعروفُ لما كان من اسم على " فَعْل"، كما يقال: " حَبْلٌ وحبال" و" كَعْب وكعاب"، ونحو ذلك من الأسماء. فأمّا جمع " الفَعْل" على " الفُعُل أو الفُعْل " فشاذّ قليل".[3]

وكلام الطّبريّ هذا لا يخلو من غلط؛ فهاتين القراءاتين لا مزيّة لإحداهما على الأخرى، فكلاهما صحيح متواتر عن خير البريّة متعبّد بتلاوتها، وأمّا القول إنّ (فِعال) هي أقيس من (فُعُل) في ما جُمع على زنة (فَعْل) فمردود من جهة تلكم الشّواهد التي جاءتنا من أرباب الفصحى وشذا بها من احتجّ ببديع أشعارهم.

وممّا يلاحظ على هاتين القراءتين أنّهما تشتركان مع قراءة (سَقْف وسُقُف) في الوزن الصّرفيّ؛ لذلك يجد الباحث من الحشو والزّيادة تكرير ما قلناه عند تعرّضنا لتوجيه تلك القراءتين إلّا بالقدر الذي تفترق به عنهما.

وإذا اتّفق لنا أنّ قراءة الجماعة هي جمع تكسير للرَّهْن فإنّ في توجيه قراءة الجمع تعدّد واختلاف، لعلّ أقربها إلى القياس أنّها جمع تكسير أيضاً؛ حيث إنّ أغلب اللّغويّين يميلون إلى مذهب أبي عمرو بن العلاء[4] وهو أنّ (رُهُنْ) هي جمع واحدها

---

[1] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج6، ص100. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص680.

[2] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص680.

[3] الطبريّ، جامع البيان، ج6، ص96.

(4) البعليّ، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، (ت: 709هـ)، (2003م)، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط1، مكتبة السوادي للتوزيع، ص296.

(رَهْن)[1] مع أنّ " تكسير فَعْل على فُعُل وفُعْلٍ قَلِيل "؛[2] ولذلك قيل: إنّ الصّحيح[3] أو الأكثر هو جمع (رَهْن) على (رِهان)، كحَبْل وحِبال.[4]

وإنّما دفع اللّغويين إلى القول بأنّ (رُهُن) هو جمع تكسير؛ هي مقولة لسيبويه ذهب فيها إلى أنّ جمع الجمع بابه السّماع، قال سيبويه: " واعلم أنّه ليس كلُّ جمع يجمع، كما أنَّه ليس كلُّ مصدر يجمع، كالأشغال والعقول والحلوم والألبان: ألا ترى أنّك لا تجمع الفكر والعلم والنَّظر. كما أنَّهم لا يجمعون كل اسم يقع على الجميع نحو: التَّمر".[5]

وممّا يجدر ملاحظته أنّ اللّغويين كلّما ذكروا جمع (رَهْن) على (رُهُن) قاسوا ذلك على (سَقْف وسُقُف)، فإذا كان الباحث قد تكوّن له اعتقاد أنّ (سُقُف) هي جمع جمع، كان قياس (الرُهُن) على (سُقُف) ليس بدقيق، إلّا إذا سلّمنا بالرّأي القائل: إنّ (رُهُن) هو جمع جمع.

وثمّة توجيه آخر أحسبه أقرب إلى واقع اللّغة، وهو القائل بالبون المعجميّ بين هاتين القراءتين، فـ (الرَّهْن) هو: " ما يوضع وثيقة للدّين، والرِّهَانُ مثله، لكن

---

(1) الفراهيديّ، كتاب العين، (رهن)، ج4، ص44. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص203، 270. أبو عبيد، **الغريب المصنف**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ج2، ص425. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، (1987م)، **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، (رهن)، ج2، ص807. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (رهن)، ج6، 148. الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص448.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص466. الزبيديّ، تاج العروس، (صقر)، ج12، ص341.

(3) أبو هلال العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (1996م)، **التَّلخيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، عني بتَحقيقِه: عزة حسن، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ص141.

(4) النّوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف،(ت: 676هـ)، (1988م)، **تحرير ألفاظ التنبيه**، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، ص194.

(5) سيبويه، الكتاب، ج3، ص619. الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص448.

يختصّ بما يوضع في الخَطار "،[1] و(الخَطَر) هو: " السَّبَقُ الَّذي يُتَرَامَى عَلَيْهِ فِي التَّرَاهُنِ، ... وأَخْطَرَ المالَ أَي جَعَلَهُ خَطَراً بَيْنَ الْمُتَرَاهنينَ. وتَخاطَرُوا عَلَى الأَمر: تَرَاهَنُوا؛ وخاطَرَهم عَلَيْهِ: رَاهَنَهُمْ. والخَطَرُ؛ الرَّهْنُ بعَيْنِه، فَمَنْ سَبَقَ أَخذه ".[2]

وهذا يعني أنّ قراءة الجمهور هي تخصيص لذلك الرَّهْن الّذي يعقد عادة بين اثنين، إنّها اسم جنس يجمع تحته ضروب الرَّهْن الّتي غالباً ما تجري في تداول الحياة، ثمّ تأتي القراءة الثّانية لتدلّ على " تَعَدُّدِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذَا الْحُكْمِ "،[3] فهي جمع لذلك الجمع؛ إنّها كناية صريحة عن كثرة أنواع الرَّهْن من جهة وكثرة المتعاملين به؛ فإذا كانت القراءة الأولى تخصّ الرّهن بعقد ثنائيّ الأطراف، فإنّ في القراءة الثّانية توسيع لتلك الدّلالة؛ إنّها انتقال من الخاص في أصل الاستعمال إلى العام الّذي يطلبه نسيج المجتمع المعقّد.

وأحترس هنا لأبيّن أنّ ما سقناه من توجيه دلاليّ ليس بالضّرورة حكماً حتميّاً يلغي أو يبطل مقولة إنّ هاتين القراءتين هما صيغتا جمع؛ فالرِّهان قد تكون جمعاً للرَّهْن؛ بآية كثرة الشّواهد التي جاءت على (فَعْل) وجمعت على (فِعال)، والأمر نفسه مع (رُهُن) مع تفاوت بينهما في الكثرة والشّيوع؛ ولعلّ اختيار أبي عمرو وابن كثير للقراءة بهما لخير شاهد على رسوخهما في العربيّة.

(كُتُبِه)، (كِتَابِه):[4]

وقد اختلف القرّاء العشرة في قراءة هذه الكلمة في التّنزيل في موضعين، هما:

1- قوله تعالى: " كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ".[5]

---

[1] الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص367.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (خطر)، ج4، ص251.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص120.

[4] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص204، 319. النشر في القراءات، ج2، ص237، 389. تحبير التيسير، ص316. النويري، شرح طيبة النشر، ج1، ص204، 319. محيسن، الهادي، ج3، ص291، 292.

[5] سورة البقرة، الآية 285.

2- قوله تعالى: " وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ ".[1]

فقد قرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر (وكِتابِهِ) في (البقرة) بكسر الكاف وفتح التّاء مع إقحام ألف بعدها على الإفراد، وقرأ الباقون (وكُتُبِهِ) بضمّ الكاف والباء، بصيغة الجمع.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص (وكُتُبِهِ) بالصّيغة نفسها في (التّحريم)، وقرأها الباقون (وكِتابِهِ) بكسر الكاف وفتح التّاء مع إقحام ألف بعدها على الإفراد. وقد وجّهت قراءة الجمع في الموضعين على معنى الكتب السّماويّة، فمريم ابنة عمران قد صدّقت وآمنت بما نزل على النبيين والرّسل من كتب ورسالات، فكان الجمع أولى؛ إذ الكتب مختلف أجناسها،[2] فيكون " من جمع قرأ على الأصل؛ لأنّ الله تعالى قد أنزل كتباً قبل مريم عليها السّلام، وقد آمنت بجميعها".[3]

وثمّة من رأى في قراءة الجمع ما يحقّق مطلب التّجانس والمشاكلة اللّفظيّة؛ فلفظة "وكتبه" تتقابل في السّياق التّركيبيّ مع كلمات صيغتها الصّرفيّة الجمع؛ ففي آية البقرة تتقابل (وكتبه) مع (ورسله) من ناحية و(وملائكته) من ناحية أخرى، وفي آية التّحريم تتقابل (وكتبه) مع (كلماته)، فكان لذلك قراءة الجمع أولى وأحسن فإنّ من قرأ بها يكون قد " شاكل بين اللّفظين، وحقّق المعنى، لأنّ الله تعالى قد أنزل كتباً وأرسل رسلاً".[4]

ولم تختلف قراءة التّوحيد عن قراءة الجمع في الدّلالة الّتي ترشحها صيغة الجمع على التّعيين، فـ (الكتاب) في هذا السّياق يمكن أن يكون اسم جنس يدلّ على الكثير[5] " فَيُوَافِقُ مَعْنَى الْجَمْعَ "،[6] ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

---

[1] سورة التحريم، الآية 12.

[2] ابن النّحاس إعراب القرآن، ج4، ص306. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص715.

[3] الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، (ت: 535ه)، (1995م)، **إعراب القرآن للأصبهاني**، قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص453.

[4] ابن خالويه، الحجة، ص105.

[5] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ج1، ص49.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص111.

أنّه كان يقول: " الكتاب أَكثر من الْكُتب "،[1] وهو بذلك يناظر قوله تعالى: " فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ "،[2] فدلّ ذلك - كما يقول أبو عبيدة - على إرادة معنى " كل كتاب الله "[3] وهو مقصد لا يلبّيه إلّا اسم الجنس المستغرق في العموم؛[4] لأنّ اسم الجنس يشمل مع - إفراده - جميع أفراد جنسه قليلة كانت أم كثيرة، فهو - كما يرى الزّمخشري وإمام الحرمين- " يتناول جميع الآحاد ابتداء فلا يخرج عنه شيء منه قليلاً أو كثيراً بخلاف الجمع فإنّه يستغرق الجموع أولاً وبالذّات ثم يسري إلى الآحاد".[5]

ويزيد الطّيبيّ هذه المسألة وضوحاً فيبيّن أنّ " المفرد إذا أريد به الجنس يدخل تحته المجموع والأشخاص بخلاف الجمع فإنّه لا يتناول إلا المفردات فقط "؛[6] لذلك قيل إنّ " قراءة الإفراد أولى لأنّ استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع".[7]

وكلام الزّمخشريّ في البون بين اسم الجنس المفرد واسم الجمع ليس بصحيح؛ لأنّ هذا الأخير يكتسب دلالة الشّمول بتعريفه إمّا بالألف واللام الجنسيّة وإمّا

---

[1] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص152-153.

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية 213.

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص153.

[4] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص238.

[5] الألوسي، روح المعاني، ج2 ص65. الزمخشري، الكشاف، ج1، ص331. الطبريّ، جامع البيان، ج7، ص125.

[6] ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج2، ص809. البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي، (ت: 380ه)، **التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد**، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، ص419.

[7] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: 850ه)،(1416م)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص88.

بالإضافة على التّعيين، يقول أبو حيان: " وَدَلَالَةُ الْعَامِّ دَلَالَةٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ، فَلَوْ قَالَ: أَعْتَقْتُ عَبِيدِي، يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّ عَبْدٍ عَبْدٍ، وَدَلَالَةُ الْجَمْعِ أَظْهَرُ فِي الْعُمُومِ مِنَ الْوَاحِدِ، سَوَاءٌ كَانَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ أَمِ الْإِضَافَةُ، بَلْ لَا يُذْهَبُ إِلَى الْعُمُومِ فِي الْوَاحِدِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ لَفْظِيَّةٍ، كَأَنْ يُسْتَثْنَى مِنْهُ، أَوْ يُوصَفُ بِالْجَمْعِ، نَحْوُ: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا و: أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ الصُّفْرُ وَالدِّرْهَمُ الْبِيضُ، أَوْ قَرِينَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ نَحْوُ: نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَقْصَى حَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْجَمْعِ العام إذا أريد بِهِ الْعُمُومُ"[1].

وَالْحَقُّ عندي هو ما ذهب إليه ابن عاشور من أنّ كلًّا من الْمفرد والجمع هما سواءٌ فِي إرادة الجنس[2]. وبناءً على ذلك يمكن توجيه مقولة ابن عباس إن صحّت روايتها بـ (الأكثريّة) في قراءة التوحيد، أنّه ربّما قصد أنّه " أَكْثَرُ لِمُسَاوَاتِهِ لَهُ مَعْنًى، مَعَ كَوْنِهِ أَخْصَرَ لَفْظًا، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ مَعْنَى الْأَرْجَحِ وَالْأَقْوَى".[3]

وهناك من أوّل قراءة الإفراد على المصدريّة، وفي ذلك تفصيل:

1- هناك فريق ذهب إلى أنّ (كتابه) في هذا السّياق هو مصدر أقيم مقام الاسم " فيسمّى الذي يكتب كتاباً، كما قيل: نسج اليمن، أو على تقدير ذي، أي: ذي الذي يكتب "[4].
2- وهناك بعض العلماء أوّل قراءة التّوحيد على " المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله تعالى ".[5]
3- وهناك فريق آخر وجّه القراءة على باب إحلال المصدر محل اسم المفعول، فـ " الكتاب مصدر كتبتُ، ويسمى المكتوب كتاباً، كما يسمّى المخلوق خلقاً،

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص 757-758. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص692. ابن عادل، اللباب، ج4، ص525.
[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص132.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص133.
[4] الفارسيّ، الحجة، ج2، ص459-60.
[5] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج1، ص392.

والمفعول يسمّى بالمصدر، يقال: هذا درهم ضرب الأمير. أي: مضروبه، وهذا الثّوب نسج اليمن. أي: منسوجه".[1] وقد نقل الرّازي عن بعض نحـــاة العربيّـــة وهم: الفرّاء والمبرّد والزجّاج والأنباريّ قولهم في هذه المـــسألة: " وَالْمَفْعُـــولُ وَالْفَاعِلُ يُسَمَّيَانِ بِالْمَصْدَرِ كَمَا يُقَالُ: مَاءٌ سَكْبٌ، أَيْ مَـــسْكُوبٌ وَدِرْهَـــمٌ ضَـــرْبُ الْأَمِيرِ وَثَوْبٌ نَسْجُ الْيَمَنِ، وَالْفَاعِلُ كَقَوْلِهِ: إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً وَرَجُـــلٌ عَـــدْلٌ وَصَوْمٌ، وَنِسَاءٌ نَوْحٌ وَلَمَّا سُمِّيَا بِالْمَصْدَرِ سُمِّيَ الْمَصْدَرُ أَيْضاً بِهِمَا فَقَالُوا: لِلْعَقْـــلِ الْمَعْقُولُ، وَلِلْجَلْدِ المجلود، ومنه قوله تعالى بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ".[2]

4-وفريق ثالث رأى (الكتاب) مصدراً منقولاً قد اشّتق من الفعل (كتب)، ثـــمّ نقـــل فسمّي به، " فصار يجري مجرى الأعيان وما لا معنى فعل فيه، وعلـــى ذلـــك كُسّر، فقيل: كتب كما قالوا: إزار وأزر، ولجام ولجم. ولولا أنّه صار منقـــولاً، لكان خليقاً أن لا يكسّر، كما أنّ عامّة المصادر لا تجمع، فأمّا الجمع فيه فللكثرة ".[3]

ويرى أبو علي الفارسيّ أنّ هذه القراءة شأنها شأن الأسماء الّتـــي تحمـــل مـــع إفرادها معنى الكثرة، نحو قولهم: "أهلك النّاس الشّاة والبعير"،[4] وهي مع ذلك تبقى تخالف ما شاع عن الأسماء ذوات الكثرة والعموم؛ فهذه الزمـــرة الاســـميّة تـــلازم الإفراد، فلا تضاف بل تتحلّى بـــ (ال) التّعريف على التّعيين. وقد عُلّل ذلك بوجود استعمالات قرآنيّة ورد فيها اسم الجنس مضافاً، ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ تَعُـــدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها "،[5] وقوله تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلـــى نِـــسائِكُمْ

[1] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الـــشافعي، (ت: 468هـ)، (1994م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص77.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص430. سورة الملك، الآية 30. سورة القلم، الآية 6.

[3] الفارسيّ، الحجة، ج2، ص458.

[4] المصدر نفسه.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية 34.

"[1]، فَنِعَم الخالق – عزّ وجلّ – كثيرة شاملة تعمّ كلّ خلقه، وإباحة الرّفث ليلة الصّيام ليس منوطاً بليلة بعينها إنّما تشمل ليالي الصّيام كلها. [2]

وقد رُوي عن الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – قوله: " منعت العراق درهمها وقفيزها"،[3] يقول أبو علي الفارسيّ: " فهذا يراد به الكثرة، كما يراد فيما فيه لام التّعريف، وممّا يجوز أن يكون على هذا قول عَدِيْ بن الرِّقَاع:

يَتْرُكُ الحَيُّ بالعَشيِّ رَغَاهَا وَهُمُ عَنْ رَغيفِهِمْ أَغْنَيَاءُ "[4].

ومن علماء القراءات من اعتقد أنّ المراد من إفراد القراءة في (وكتابه) هو القرآن[5]، فأصحاب الدّيانات السّماويّة السّابقة " قد اعترف بعضهم لبعض بكتبهم، وآمنوا بها إلّا القرآن فإنّهم أنكروه فلذلك أفرد. وجمع الرّسل لأنّهم لم يجمعوا على الإيمان بهم ".[6]

وبناءً على هذا التوجيه الأخير قيل إنّ المراد بـ (وكتابه) في آية التحريم هو الإنجيل " لَا سِيَّمَا إِنْ فُسِّرَتِ الكلمة بعيسى ... قال سهل: وكتبه أَجْمَعُ مِنْ كِتَابِهِ، لِأَنَّ فِيهِ وَضْعَ الْمُضَافِ مَوْضِعَ الْجِنْسِ، فَالْكُتُبُ عَامٌّ، وَالْكِتَابُ هُوَ الْإِنْجِيلُ فَقَطْ ".[7]

---

1 سورة البقرة، الآية 187.

2 الفارسيّ، الحجة، ج2، ص90، 119، 459. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص392. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص35. ابن عادل، اللباب، ج4، ص525. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، (1995م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص68.

3 مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص2220.

4 الفارسيّ، الحجة، ج2، ص456-457. عَدِيْ بن زيد بن مالك بن عدي الرّقاع العاملي، (1987م) برواية: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، (ت:291ه)، **ديوان شعر عَدِيْ بن الرّقاع العاملي**، تحقيق: نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص158.

5 العكبري، التبيان، ج1، ص234. البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص166.

6 ابن خالويه، الحجة، ص105.

7 أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص217. الألوسي، روح المعاني، ج14، ص359.

وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها على أنّها من باب اتّفاق المعنى واختلاف المبنى؛ فقراءة الجمع تعني كثرة الكتب، وقراءة الإفراد تطلب المعنى نفسه على التّعيين، فيكون من " جَمَعَ أَرَادَ جَمْعَ كِتَابٍ، وَمَنْ أَفْرَدَ أَرَادَ الْمَصْدَرَ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ مَكْتُوبٍ كَانَ نُزُولُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَيَجُوزُ فِي قِرَاءَةِ مَنْ وَحَّدَ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجَمْعُ، يَكُونُ الْكِتَابُ اسْماً لِلْجِنْسِ فَتَسْتَوِي الْقِرَاءَتَانِ "،[1] فإن قيل إنّ اسم الجنس فيه زيادة عن جمع التكسير من جهة الكثرة والعموم، قيل إنّ الجمع متى أضيف أو دخلته الألف واللام الجنسيّة تحوّل إلى معنى الكثرة والعموم، يقول صاحب (التحرير والتنوير): " وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُفْرَدَ وَالْجَمْعَ سَوَاءٌ فِي إِرَادَةِ الْجِنْسِ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ، إِنَّ الْجَمْعَ فِي مَدْخُولِ الْ الْجِنْسِيَّةِ صُورِيٌّ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: إِذَا دَخَلَتْ الْ الْجِنْسِيَّةُ عَلَى جَمْعٍ أَبْطَلَتْ مِنْهُ مَعْنَى الْجَمْعِيَّةِ، فَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ كَالْمُضَافِ فِي هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ، وَالْإِضَافَةُ تَأْتِي لِمَا تَأْتِي لَهُ اللَّامُ ".[2]

(طائر، طير)، (الطائر، الطيّر):[3]

وممّا كان مضماراً للتعدّد واختلاف القرّاء قوله تعالى: " أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ"[4] وقوله: " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي".[5] فقد قرأ أبو جعفر كلتا الصّيغتين بالإفراد، بإبدال يائهما همزة وإقحام ألف بعد الطّاء على طريقة بناء اسم الفاعل الثّلاثيّ.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص428.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 132-133.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص207. النشر في القراءات، ج2، ص240. تحبير التيسير، ص323. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص239. محيسن، الهادي، ج2، ص112.

[4] سورة آل عمران، الآية 49.

[5] سورة المائدة، الآية 11.

وقد تبع نافع ويعقوب أبا جعفر في قراءة (طير) النّكرة في السّورتين؛ فقــرآه (طائر) بدلاً من (طير) على التّوحيد، وأمّا (الطير) المعرّف فإنّهما قد قرآه بــصيغة اسم الجمع، وقرأ باقي القرّاء الموضعين كليهما بصيغة اسم الجمع.

واختلف اللغويّون في مسألة جمع (طائر): ففريق منهم ذهب إلى أنّ المفرد هو (طائر) وجمعه (طيور)، وروى أبو عمرو بن العلاء عن أبي عبيدة أنّــه أجــاز أن يقال: " طيراً للواحد، وجمعه على طيُور"،[1] وذكر أبو منصور الأزهري أنّه ســمع من العرب من يقول: " لواحد الطّيور: طير وطائر".[2] وأمّا النّحويّون فذهب أكثرهم إلى أنّ (الطير) جمع مفرده (طائر) وذلك قياساً على: شــارِب وشَــرْب، وســافِر وسَفْر،[3] ومنهم من رأى الطّير جمعاً واحده (طــائر)، ويجــوز أن يجمــع علــى (أطْيَاروطُيور).[4]

ويرى صاحب (الصّحاح) أنّ لهذه اللّفظة جموعاً ثلاثة قال: " الطّــائِر جمعــه طَيْر، مثل صَاحِب وصَحْب، وجمع الطّيْر طُيُور وأَطْيَار، مثل فَرْخ وفُرُوخ وأَفْرَاخ "[5]، وإلى ذلك ذهب الرّازيّ في معجمه[6]، وابن فارس في (المجمل)[7] ويزيد (ابن منظور) المسألة وضوحاً، فيبيّن أنّه "... يَجُوزُ أَن يَكُونَ الطائرُ اسْماً للجَمْع كَالْجَامِلِ

---

1 الأزهــــري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370هــ) (2001م)، **تهذيب اللّغــة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربــي، بيروت، طير. معاني القراءات، ج1، ص257.

2 الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص258.

3 الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص258.

4 أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد، (ت: 433هــ)، (2000م)، **إسفار الفصيح**، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج2، ص877.

5 الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393ه)، (1987م)، **الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطــار، ط4، دار العلــم للملايــين، بيروت، طير، ج2، ص727.

6 الرازي، مختار الصحاح، (طير)، ص194.

7 ابن فارس، مجمل اللّغة، (طير)، ج1، ص591.

وَالْبَاقِرِ، وجمعُ الطَّائِرِ أَطْيارٌ، وَهُوَ أَحدُ مَا كُسِّرَ عَلَى مَا يُكَسَّرُ عَلَيْــه مثلُــه؛ فأَمّــا الطُّيُورُ فَقَدْ تَكُونُ جمعَ طَائِرٍ كساجِدٍ وسُجُود، وَقَدْ تَكُونُ جَمْعَ طَيْرٍ الَّذِي هُــوَ اســمٌ للجَمع، وزَعَمَ قُطْرُبٌ أَن الطَّيْرَ يقَعُ لِلْوَاحد؛ قَالَ ابْنُ سيدَهْ: وَلَا أَدري كَيْفَ ذَلِــكَ إِلا أَن يَعْني بِهِ المصدرَ، وقُرِئَ: فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ".[1]

وتأسيساً على هذه المباحثة وُجّهت القراءة بــ (طير) على الجمع؛ فهذه الصّيغة ليست من أبنية الجموع، ولذلك قيل: إنّها اسم جمع، " وإنّما البناء في جمــع طــائر أطيار، وجمع الجمع طيور"،[2] وقيل: إنّه اسم للجنس يراد به القليل والكثير، بآية أنّ الله - خالق كل شيء - قد أذن لعيسى - عليه السّلام " أن يخلق طيراً كَثِيرَةَ ولَــم يكن يخلق وَاحِداً فَقَط "،[3] وروي عن الكسائيّ أنّه كان يقول: " وَالطّير يكون جمعاً وواحداً وحجّته أَنّ الله أخبر عَنهُ أَنّه كَانَ يخلق وَاحِداً ثمَّ وَاحِداً ".[4]

وأمّا القراءة بصيغة الإفراد فإنّ أغلب العلماء لم يختلفوا في توجيهها إذ المراد بها الواحد من الطّير على التّعيين، فإنّ عيسى - عليه السّلام - لم يخلق سوى طائر واحد هو (الخفّاش)[5]،قَالَ الْكسَائي: " الطَّائِر وَاحِد على كل حَــال"[6]، وروي عــن أبي العبّاس ثعلب أنّه كان يقول: " النّاس كلهم يقولون للواحد: (طائراً) وأبو عبيــدة معهم"[7].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص509.

[2] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج1، ص439.

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص164. محيسن، القراءات، ج1، ص301.

[4] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص164.

[5] ابن عادل، اللباب، ج5، ص246. أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص164. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هــ)، (1418ه)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجــود، ط1، دار إحيــاء التراث العربي، بيروت، ج2، ص47. أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإســتانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، (ت: 1127هــ)، **روح البيان**، دار الفكــر، بيــروت، ج2، ص37.

[6] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص164.

[7] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص257.

وأحسب أنّ هاتين القراءتين هما متقاربتان في المعنى؛ فقراءة أبي جعفر ذات الصّيغة الإفراديّة تعني أنّ عيسى - عليه السّلام - قد سخّر له الخالق المصوّر من معجزة نفخ الرّوح في ما تشكّل من طين فيحيه الطير بإذن المولى عزّ وجل، ولم يرد في التّنزيل ولا في السنّة الطّاهرة ما ينصّ أنّ نبي الله وكلمته عيسى - عليه السّلام - قد نفخ الرّوح بطير بعينه، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد أنّ النّفخ والإحياء كان معجزة لكلّ طير، وهذا يعني أنّ (الطّائر) في هذه القراءة هو اسم جنس يشمل الواحد والجماعة، يقول الطّبرسيّ مفسِّراً هذه القراءة: " ومن قرأ (طائراً): أراد فيكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه طائراً فأفرد لذلك فسّر أو أراد يكون كل واحد من ذلك طائراً، كما قال: " فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً "؛ أي: إجلدوا كل واحد منهم "؛[1] ولذلك قيل إنّ (طائر) ههنا هو اسم للجمع، نحو: الحامل والباقر.[2]

وأمّا قراءة الجمهور ذات صيغة الجمع فإنّها في ظنّي اسم جمع، كرَكْب وسَفْر،[3] أو هو اسم جنس " يُرادَ به الواحدُ فما فوقَه "،[4] أو هي جمع على أصله نحو: رَكْب جمع راكِب، وصَحْب جمع صاحِب، وتَجْر جمع تاجر،[5] حكاه أبو الحسن الأخفش،[6] قال أبو البقاء العكبريّ: " وأصل الطّير مصدر طَارَ يَطِيرُ طَيْراً مثل بَاعَ يَبِيعُ بَيْعاً ثم سمّي الجنس بالمصدر ويجوز أن يكون أصله طَيْراً مثل سيد

---

(1) الطّبرسيّ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، (ت: 584هــ)، (1995م)، **تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن**، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: محسن الأمين العاملي، ط1، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج6، ص61.

(2) العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: 616هـ)، (1979م)، **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص232.

(3) سيبويه، الكتاب، ج3، ص624. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج3، ص197.

(4) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج3، ص197.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص575.

(6) الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص316.

ثم خفف كما خفف سيد ويجوز أن يكون جمعاً مثل تاجر وتجر والطير واقع على الجنس والواحد طائر ".[1]

(إصارهم)، (آصارهم):[2]

قرأ ابن عامر (إصرهم) من قوله تعالى: " وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ "[3] بصيغة الجمع على وزن (أَفْعال)، فقرأها (آصارهم)، وقرأها الباقون على التّوحيد (إصرهم).

و(الإصر) هو مصدر يدلّ - مع إفراده - على الكثرة، قال تعالى: " ربّنا ولا تحمل علينا إصراً "،[4] كما ورد في مواضع أخرى مضافاً إلى ضمير الجمع، ومنه قوله - عزّ من قائل- " وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ "[5]، ولذلك رأى الفارسي أنّ: "...الوجه الإفراد كما أفرد في غير هذا الموضع... فجعل إصراً وآصاراً، بمنزلة عدل وأعدال، ويقوّي ذلك قوله: " وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم" والثقل مصدر كالشّبع والصّغر والكبر".[6]

وقيل (الإصر) مصدر يدلّ على القليل والكثير[7]، وقيل: اسم للجنس[8] وممّا يقوّي هذا الوجه أنّ لفظة (الإصر) قد وردت في سياقات متعدّدة بصيغة المفرد،

---

(1) العكبريّ، إملاء مامنّ به الرحمن، ج1، ص110. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص575.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر،ص238. تحبير التيسير، ص379. النشر في القراءات، ج2، ص272. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص339، 340. محيسن، الهادي، ج2، ص253.

3 سورة الأعراف، الآية 157.

4 سورة البقرة، الآية 286.

5 سورةالأعراف، الآية 157.

6 الفارسي، الحجة، ج4، ص94. الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص328. سورة العنكبوت، الآية 13.

7 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص238.

8 الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين، (ت: 1117)، (2006م)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق: أنس مهرة، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، ص302.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: "رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً "،[1] وقَوله: " وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي"،[2] " فَردُّوا مَا اخْتلفُوا فيهِ إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ".[3]

وبناءً على هذه المباحثة فُسّرت قراءة الجمع، فقيل هي: " مصدر يدلّ على القليل والكثير من جنسه"،[4] فـ (الآصار) جمع مفرده (إصر)، وهو في اللّغة الثّقل،[5]وقيل: " العَهْدُ الثَّقيلُ "[6]، " فسمّي العهد إصراً لأنّ حفظ العهد يكون ثقيلاً. ويقال: يعني الأمور التي كانت عليهم؛ أي بني إسرائيل في الشّرائع. ويقال: هو ما عهد عليهم من تحريم الطّيبات".[7] " وسُمِّيَ الذَّنْبُ إِصْراً لِثقَلِه".[8] ولمّا كانت دلالات هذه القراءة تتّجه نحو العهود والمواثيق في جانب منها،[9] والأثقال والشّدائد في جانب ثانٍ،[10] وهذه الأخيرة من طبيعتها التعدّد والتنوّع، فإنّ في بناء الجمع ما يسدّ

---

1 سورة البقرة، الآية 286.

2 سورة آل عمران، الآية 81.

3 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص298.

4 ابن النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص75.

5 المصدر نفسه.

6 الزبيديّ، تاج العروس، (أصر)، ج10، ص57. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص381.

7 السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص556.

8 الزبيديّ، تاج العروس، (أصر)، ج10، ص57.

9 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص300. الطبريّ، جامع البيان، ج 10، ص496. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (ت: 327ه)، (1999م)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ج5، ص1583.

10 الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص293. السمعانيّ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت: 489ه)، (1997م)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض، السعودية، ج2، ص222. ابن النحاس، (1989م)، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج3، ص90.

هذا المطلب على التعيين، " وجمع ابن عامر كأنّه أراد ضروباً من المآثم مختلفـــة، فجمع لاختلافها، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها كما تجمع سائر الأجناس، وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضرباً واحداً كقوله:[1]

هَلْ مِنْ حَلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَتُنْذِرَهُم   مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضّي وتَضْرِيسِي

فأن يجمع ما يختلف من المآثم أجدر. فجعل إصراً وآصاراً، بمنزلة عِدِل وأَعْــدَال، ويقوّي ذلك قوله: " وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم "، والثِّقــل مــصدر كالــشّبع والصِّغر والكِبر".[2]

وهناك من وجد في التّجانس والانسجام اللّفظيّ ما يسوّغ قراءة ابن عامر؛ فــ (الآصال) في هذا السّياق تلتقي مع (الأغلال) فكلاهما صيغت على بناء الجمــع[3]. وإذا كانت هاتين القراءتين قد تباينتا من جهة البنية الصّرفيّة، فإنّ هذا الاخــتلاف لا يعني بالضّرورة أنّهما متفاوتتان في المعنى؛ فقراءة الجمهور بصيغة الإفــراد تــدلّ على أنّ (الإصر) الذي كان مفروضاً على بني إسرائيل لم يكن ضرباً واحداً بعينه؛ إنّما كان أضرباً كثيرة عبّر عنها اسم الجنس ذو الصّيغة المفردة.

وممّا يؤكّد ما زعمناه أنّ هذا الاسم هو مصدر جاء مــضافاً إلــى ضــمير الجماعة (هم)، فاكتسب بهذه النّسبة معنى الكثرة، وهو ما بحثناه قبلاً عند تعرّضــنا لقراءة (خطيئتهم وخطيئاتهم).[4]

وتأتي قراءة ابن عامر ذات الصّيغة الجمعيّة لتضيف إلى هذا المعنى بعداً آخر؛ لتبيّن أنّ ذاك الإصر لم يكن من نوع واحد ولا من صنف متجانس؛ إنّها

---

[1] جرير بن عطية الخطفي، (ت: 114ه)، (1986م)، **ديوان جرير**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص251. الحلوم: العقول، الواحد حلم.

[2] الفارسيّ، الحجة، ج4، ص94. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 15، ص382. سورة العنكبوت، الآية 13.

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص298.

(4) انظر الدّراسة، ص31.

آصار متعدّدة ذات أحوال متغايرة متباينة، " والمصادر قد تُجمع إِذا اخْتلفت ضروبها كَمَا يُجمع سَائِر الْأَجْنَاس"،[1] فدلّ بصيغة الجمع على عظم تلك الآصار، وكثرة متعلَّقاتها وأنواعها،[2] ومنبّهاً في الوقت نفسه على أنّها من الكثرة بمكان يصعب على المرء حصرها أو الإحاطة بها وهو ما تؤذن به قراءة الإفراد.

(مَسْجِد)، (مَسَاجِد):[3]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (مسجد) من قوله تعالى: " مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ"[4] على وزن (مَفْعِلْ) بصيغة المفرد على إرادة المسجد الحرام؛ بدليل إفراده في قوله تعالى: " فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا "،[5] وقوله - عزّ من قائل- : " وَعِمَارَةَ المسجد الحرام "[6] فدلّ ذلك على صحّة المراد. " قَالَ أَبُو عَمْرو وتصديقها قَول " أجعلتم سِقَايَة الْحَاج وَعمارَة الْمَسْجِد الْحَرَام ".[7]

وربّما كانت الغاية من القراءة بالإفراد منصبّة نحو الشّمول والعموم؛ فيكون بذلك (المسجد) اسماً للجنس، " فيعم المساجد كلها "[8] فإنّه "... جائز في اللّغة، أن

---

(1) الفارسيّ، الحجّة، ج4، ص94. ابن سيده، (1996م)، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص52. الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان، ج10، ص121.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص195. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص481.

(3) ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص77. شرح طيبة النشر، ص238. تحبير التيسير، ص379. النشر في القراءات، ج2، ص278. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص339، 340. محيسن، الهادي، ج2، ص253.

4 سورة التوبة، الآية 17.

5 سورة التوبة، الآية 28.

6 سورة التوبة، الآية 19.

7 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص315- 316. محيسن، القراءات، ج1، ص303.

8 مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437ه)،(2008م)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن**

يكون المعنى في قوله: (مسجد الله) يعني به الجمع ".[1]

وأمّا القرّاء الباقون فإنّهم قد اجتمعوا على القراءة في الآية نفسها بصيغة الجمع (مساجد) على وزن (مَفاعِلْ)،[2] على إرادة مساجد الله قاطبة،[3] فيشمل بذلك المسجد الحرام مع الاعتراف له بالسّبق والأولويّة، فـ" هو المراد وجمع؛ لأنّه قبلة المساجد".[4] وقراءة الجمع هي من اختيارات أبي عبيدة؛ لأنّ فيها معنى العموم " وَالْخَاصُّ يَدْخُلُ تَحْتَ الْعَامِّ ".[5]

وهناك من وجّه قراءة الجمع على إرادة (المسجد الحرام) وحده[6]؛ إذ " يجوز أن يحمل على المسجد الحرام، لأنّه يذكر المساجد ويريد به مسجداً واحداً، كما قال: " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ "، يعني به: النبي - صلّى الله عليه وسلّم - "[7]، فيكون بذلك اسم جمع للجنس ظاهره الجمع وباطنه المفرد، وفي ذلك يقول ابن النّحاس: "ومن قرأ " مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ" فتحتمل قراءته معنيين أحدهما أن يكون لجميع المساجد والآخر أن يراد به المسجد الحرام خاصة وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس كما يقال قد صار فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرساً والقراءة مساجد أصوب لأنّه يحتمل المعنيين ".[8]

وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، ط1، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ج4، ص2950.

[1] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص448.

[2] ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص245. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص357. محيسن، الهادي، ج2، ص276.

[3] السمين الحلبي، الدر المصون، ج6، ص31.

[4] الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص302. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص89.

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص89.

[6] ابن فارس، الصاحبي، ص162.

[7] السمرقندي، بحر العلوم، ج2 ص45. سورة المؤمنون، الآية 51.

[8] ابن النّحاس، معاني القرآن، ج3، ص191. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص89.

وأحسب أنّ توجيه هاتين القراءتين يقع من جهة المعنى الّذي يتحصّل من اشتغال البنية الصّرفيّة في سياقاتها التركيبيّة على التّعيين؛ فالقراءة بصيغة التوحيد تحقّق معنى التفرّد والتخصيص، فـ (المسجد) هو المسجد الحرام " قبلة المساجد كلها وإمامها"،[1] يَفضُل بقاع الأرض في قدسيّة المكان وحرمة المحلّ والجوار، لا يقصده إلّا المسلمون المؤمنون، ولا يعمره إلا من صدق عليه قول ذو الجلال والإكرام: " وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ"[2]، وهذا الحكم يسري على جميع مساجد المعمورة، " في أنّه ينبغي أن يكون عمّاره أهله الذين هم أولى به"[3].

ويزداد التّعبير القرآنيّ بلاغة والمعنى بياناً بقراءة الجمع، فـ (المساجد) تعمر بقاع الأرض، وهي مع كثرتها وتعدّد سكناها تشترك هي والمسجد الحرام في انفراد العمارة للمسلمين؛ فـ" إنّ المشركين ليسوا بأولياء لمساجد المسلمين، لا المسجد الحرام ولا غيره، فإذا لم يكونوا أولياءها لم تكن لهم عمارتها، وإنّما عمارتها للمسلمين الذين هم أولياؤه، فدخل في ذلك المسجد الحرام وغيره "[4].

وممّا يؤكد ذلك أنّ القراء العشرة قد اتّفقوا على القراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ "؛[5] إذ المراد جميع المساجد دون أي تحديد أو تخصيص،[6] وفي ذلك اتّساع في الدّلالة وتعميم في المعنى؛ فـ " إنّ الخاصّ يدخل في العام، والعام لا يدخل في الخاص".[7]

---

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص89.

2 سورة الأنفال، الآية 34.

3 الفارسي، الحجة، ج4، ص179

4 الفارسي، الحجة، ج4، ص180.

5 سورة التوبة، الآية 18. ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص278.

6 ابن الجزري، النشر في القراءات، ج2، ص278. الدّمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص302. محيسن، الهادي،ج2، ص276.

7 ابن خالويه، الحجة، ص174.

(كافِر)، (كُفّار):[1]

وقد قرأ بالصّيغة الأولى (المفرد): عاصم ويعقوب وابن عامر وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر، وقرأ الباقون بصيغة جمع التكسير، وذلك من قوله تعالى: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ".[2]

فتحتمل قراءة الإفراد معنى جماعة الكفار، وهي بذلك تكون اسماً للجنس يــراد به الكثرة والشّيوع،[3] كما في (الإنسان) من قوله تعالى: " إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"[4]. يقول الفارسيّ: " وقد جاء فاعل يراد به اسم الجنس، أنشد أبو زيد:

إِنْ تَبْخَلي، يَاجُمْل، أَو تَعْتَلّي أَو تُصْبحي فِي الظَّاعِنِ المُوَلّي

فهذا إنّما يكون على الكثرة، وليس المعنى على كافر واحد ".[5]

ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّ (الكافر) ههنا هو (أبو جهــل)،[6] ونسب صاحب (الكشاف) هذا القول للكلبيّ[7]، ونسبه ابن زنجلة لأبي عمــرو بــن العلاء[8].

---

1 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص81. شرح طيبة النشر، ص257. تحبير التيسير، ص423. النشر في القراءات، ج2، ص298. النويري، النشر في القراءات، ج2، ص400. محيسن، الهادي، ج2، ص338.

2 سورة الرعد، الآية 42.

3 الأزهري، معاني القراءات، ج2، ص58. ابن خالويه، الحجــة، ص202. الــسمين الحلبــي، الــدر المصون، ج7، ص61. ابن عادل، اللباب، ج11، ص324. ابن عطية، المحــرر الــوجيز، ج3، ص319. الشّوكاني، الفتح القدير، ج3، ص108.

4 سورة العصر، الآية 2.

5 الفارسيّ، الحجة، ج5، ص22. والبيت نسبه الجوهري وابن منظور إلى: مَنْظُورُ بْــن مَرْثَدالأَســدي. الجوهري، الصّحاح، ج5، ص1779. ابن منظور، لــسان العــرب، ج11، ص481. البغــدادي، خزانة الأدب، ج6، ص135.

6 ابن خالويه، الحجة، ص202. الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص54. ابن الجوزي، جمال الدين أبــو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هــ)، (2002م)، **زاد المسير في علــم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص502.

7 الزمخشريّ، الكشاف، ج4، ص582.

8 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص375.

وأمّا من قرأ بصيغة الجمع فإنّه " أراد جميع الكفار "،[1] ولعلّ في سياق الآية ما يقوّي هذه القراءة؛ فإنّ " الكَلَام أَتَى عقيب قَوْله " وَقَدْ مكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" ثمَّ قَالَ: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ" بِلَفْظ مَا تقدمه ليأتلف الْكَلَام على سِيَاق وَاحِد وَفِي التَّنْزِيل مَا يُقَــوي هَذَا وَهُوَ قَوْله: " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[2]، وإلى ذلك ذهب الطّبريّ حيث يقول: " والصّوابُ من القراءة في ذلك، القراءةُ على الجميع: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ " لأنّ الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعدَه الخبر عنهم، وذلك قوله: " وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ " وبعده قوله: " وَيَقُولُ الَّــذِينَ كَفَــرُوا لَــسْتَ مُرْسَلا ". وقد ذُكر أنّها في قراءة ابن مسعود: "وَسَيَعْلَمُ الكَافِرُونَ"، وفي قراءة أبيّ: " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا "، " وذلك كلّه دليلٌ على صحّة ما اخترنا من القراءة في ذلــك ".[3]

وهناك من ساوى بين القراءتين؛ فــ " ... معنى الكفّار والكافر ههنــا وَاحِــدٌ. الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدّراهم في أيدي النّاس. وقد كثر الدِّرْهَمُ في أيدِي النّاس"،[4] يقول ابن عاشور: " وَالْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ سَوَاءٌ فِي الْمُعَرَّفِ بلام الْجِنْس ".[5]

ومهما يكن من أمر القراءة بالإفراد أم بالجمع، فإنّ كلتا القراءتين تبقى صحيحة لا يمكن المفاضلة بينهما؛ " لأنّ القراءة سُنَّة "[6]، ويبقى البون في الدّلالة هــو مــا يمكن الوقوف عنده، فالقراءة بصيغة جمع التّكسير تعني أنّ مآل الأمر سيعلمه جميع

---

[1] الواحدي، التفسير الوسيط، ج3، ص21.
[2] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص375.
[3] الطبريّ، جامع البيان، ج16، ص500.
[4] الزجاج، معاني القرآن، ج3، ص151.
[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص174.
[6] الزجاج، معاني القرآن، ج3، ص151.

الكفار، وأمّا قراءة الإفراد فتدلّ على أنّ العلم بما سيكون من عقبى الدار سيشمل كل من وقعت عليه صفة الكفر من النّاس فيعم بذلك جنس الكافرين على الإطلاق.

(عظم، عظام)، (العظم، العظام): [1]

وعلى هدي قراءة (صلواتهم) و(أماناتهم) وجّه اختلاف القرّاء في (عظام، العظام) من قوله تعالى: " فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ".[2] فقرأ ابن عامر وشعبة هاتين اللّفظتين بفتح العين وسكون الظّاء بصيغة المفرد[3] على سبيل إقامة المفرد مقام الجمع، " وقد ينوب العظم عن العظام "[4]، وهو اسم للجنس يدل على العموم.[5] وقرأها الباقون بكسر العين وفتح الظّاء صيغة للجمع على سبيل الحقيقة؛ إذ العظم ممّا كثر أنواعه واختلف أجناسه، منها: الدقيقة والغليظة والمستديرة والمستطيلة ومنه قوله تعالى: "وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها".[6]

(سَقْفا)، (سُقُفا): [7]

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو (سَقفاً) على وزن (فَعْلْ) في قوله تعالى: " ولَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ

1 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص87.شرح طيبة النشر، ص282. تحبير التيسير، ص474. النشر في القراءات العشر، ج2، ص328. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص467. محيسن، الهادي، ج3، ص74.

2 سورة المؤمنون، الآية 14.

3 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص326. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص610.

4 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص188.

5 محيسن، القراءات، ج1، ص305. الهادي، ج3، ص188.

6 سورة البقرة، الآية 259.

7 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص95. شرح طيبة النشر، ص308. تحبير التيسير، ص548. النشر في القراءات، ج2، ص369. النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص551. محيسن، الهادي، ج3، ص214.

وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ"[1] بصيغة المفرد اسماً للجنس،[2] "والمراد به الجمع"[3]، قال الزجّاج: "والسَّقف واحد يدلُّ على الجمع فالمعنى: جعلْنا لبيتِ كلِّ واحد منهم سقفاً من فِضَّة ".[4]

وقرأ الباقون (سُقُفَاً) بضمّ السّين والقاف بزنة (فُعُل) بصيغة الجمع، قال الفرّاء: " وإن شئت جعلت واحدها سقيفة، وإن شئت جعلت سقوفاً، فتكون جمع الجمع كما قَالَ الشَّاعِر:

حَتَّى إِذا بُلَّتْ حلاقِيم الْحُلُقْ　　　أهْوَى لأدْنى فَقْرَةٍ عَلى شَفَقٍ ".[5]

وقد جمع (سُقفاً) في هذه القراءة قياساً على (رَهْن) و(رُهُن)،[6] وفي ذلك يقول أبوعبيدة: " سُقُفاً واحدها سَقْف مجازها مجاز رَهْن ورُهْن"[7]، وهذه الأخيرة عند أكثر النّحويّين هي جمع رِهَان.[8]

وليست (سُقُف) في هذه القراءة جمع لــ (سَقْف) إنّما هي جمع لــ (سُقوف)؛ إذ ليس في العربيّة " اسم على تقدير فَعْل بفتح الفاء وسكون العين مجموعاً على فُعُل، فيجعل السُّقُف والرُّهُن مثله"،[9] ولذلك قيل إنّ (سُقُف) هنا هي جمع الجمع؛[10] فإنّهم قد جمعوا سقْفاً على سُقُوف، نحو: " فَلْس وفُلُوس، ثُمَّ جَعَلُوا فُعُولاً كَأَنَّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ

---

[1] سورة الزخرف، الآية 33.

[2] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج27، ص631. السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج9، ص585. ابن عادل، اللباب، ج17، ص256. الشربيني الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هــ)، (1285هــ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ج3، ص562.

[3] النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص551.

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4،ص410. السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص257. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص77.

[5] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص32. لم أقف على صاحب هذا البيت وهو في التهذيب ج8، ص315. وفي اللسان، ج9، ص155. وهو بلا نسبة.

[6] الفارسيّ، الحجة، ج6، ص148. الزمخشري، الكشاف، ج4، ص249.

[7] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص202.

[8] مكيّ، الهداية، ج10، ص6658.

[9] الطبريّ، جامع البيان، ج21،ص598.

[10] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص84. الشوكانيّ، الفتح القدير، ج4، ص635.

فَجَمَعُوهُ عَلَى فُعُلٍ، فقالوا: سقوف جمعها سُقُف"[1]. وهناك من وجد في المطابقة والمجانسة اللّفظيّة ما يوجّه به قراءة الجمع؛ فَـ (سُقُف) تتقابل مع (بيوت) فكلاهما جمع[2]، وقيل أنّ الجمع في هذه القراءة قد راعى مطابقة اللّفظ والمعنى؛ فَـ " لكل بيت سقفاً، فلمّا كانت البيوت مجموعة في هذا السّياق، كان في جمع السّقوف ما يلبّي هذا المطلب".[3]

وليس لنا أن نفاضل بين هاتين القراءتين؛ فكلتاهما قراءة صحيحة مقطوع بتواترها، فـ (سَقْف) في القراءة الأولى هي اسم مفرد يطلبه جمع التّكسير (بيوت)، فكلّ بيت له سقف يغطّيه؛ فاستحقّ بهذه الدّلالة أن يتحمّل معنى العموم الذي يدلّ عليه اسم الجنس، قال مجاهد: " كلّ شيء من السّماء فهو سقف، وكلّ شيء من البيوت فهو سقف بضمّتين ".[4]

وتأتي قراءة الجماعة لتؤكّد هذا المعنى؛ فـ (سُقُف) هي جمع سَقْف، " كَرَهْنٍ وَرُهُنٍ"،[5] إلّا أنّ من العلماء من ذهب إلى حمل هذا الجمع على القلّة، بل حمله بعضهم على الشّذوذ، قال الزّبيدي في كتاب (الاستدراك على العين): " قل ما يجمع فَعْل على فُعُل إلاّ حروفاً محكيّة، نحو: سَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن ".[6]

ويميل الباحث إلى هذا المذهب الأخير؛ ذلك أنّ مطّرد الاستعمال يجعل صيغة (فُعُل) لما كان وصفاً على زنة (فَعول) بمعنى (فاعِل)، نحو: غَفُور وغُفُر، وصَبُور وصُبُر، " بخلاف: حَلُوب ورَكُوب فإنّهما بمعنى: مَفْعُول"،[7] كما يطّرد في كل اسم رباعيّ معتلّ الحرف الثّالث، صحيح اللّام، مذكراً أو مؤنّثاً، نحو: حِمار

---

[1] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص84.

[2] مكيّ، الهداية الى بلوغ النهاية، ج10، ص6658.

(3) محيسن، الهادي، ج3، ص214.

(4) الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص148.

(5) الرازيّ، مختار الصحاح، (سقف)، ص150.

(6) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت:911ه) (1998م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص112.

(7) الأزهريّ، شرح التصريح، ج2، ص529.

وَحُمُر، وكُرَاع بالضمّ وكُرُع، وقضيب وقُضُب، وَعمود وعُمُد.[1] وبناءً على ما تقدّم يعتقد الباحث أنّ (سُقُف) في القراءة الثانية هي جمع (سقوف). التي واحدها(سَقْف)، فهي إذن جمع جمع، " كأنّكَ قلت: سَقْفٌ وسقوفٌ، ثمَّ سُقُفٌ "،[2] حكاه الفراء،[3] وأنشد عليه قول رؤبة: [4]

حَتَّى إِذَا بُلَّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ   أهوى لأدْنى فقرة عَلَى شفق

ولعلّ في هذا التّوجيه الأخير فضل بيان من أنّ هذه البيوت هي كثيرة عديدة، فكنّى باسم الجنس عن هذا المعنى، ثم جاءت قراءة الجمهور لتؤكّد تلك الدّلالة، وممّا يعضدّ ذلك عطف المعارج على (سقفا)، وهي اسم جمع أو جمع تكسير " وهي المصاعد إلى العلالي".[5]

(ثُمُرِه، ثَمَرِه)[6]، **(ثَمَر، ثُمْر)**: [7]

---

[1] المصدر نفسه، ج2، ص529، 530. الحملاوي، شذا العرف، ص88. ويشترط في مفرده أيضاً ألاّ يكون مضعَّفاً مَدّته ألِفٌ. ثمّ إن كانت عين هذا الْجمع واواً وجب تسكينُها، كَسُورْ وسُوْك جمعَي سِوار وسِواك، وإلا جاز ضمُّها وتسكينُها، نحو: قُذُل بضمّتين، وقُذْل بالسكون، وسُيُل بضمّتين، وسِيْل بكسر فسكون، جمع سَيال، فإن إن سكنت الياء وجب كسر ما قبلها.

[2] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، ج8، ص315. ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص155، (سقف).

[3] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص32.

[4] لم أجد هذا البيت في ديوان رؤبة. وقد نسبه ابن رشيق إلى رؤبة، ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 456ه)، (1981م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، ج2، ص274.

[5] الزمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص249.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص73. تحبير التيسير، ص360،361. النشر، ج2، ص260.

[7] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص83. تحبير التيسير، ص444. النشر في القراءات، ج2، ص310.

وقد تعدّدت مذاهب القرّاء في هذه الكلمة، حيث وردت في التّنزيل في أكثر من موضع على هيئات متباينة، ومن ذلك ما ورد في قوله عزّ من قائل: " انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِه"[1]، وقوله: " كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَر وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِه"[2]، وقوله تعالى: " لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَماعَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ "،[3] فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (ثُمُرُهِم) على وزن (فُعُلهم)،[4] جمع الجمع لـ (ثِمَار)،[5] قال الزجّاج: " يقال: ثَمَرَة، ثَمَرْ، وثِمَار، وثُمُر فمن قرأ: (إلى ثُمُره) بالضمّ أراد جمع الجمع".[6]

وقرأها الباقون (ثَمَرِه) على وزن (فَعَلَة) اسم جنس جمعيّ واحده (ثَمَرَة)، نحو: بَقَرَة وبَقَرْ، وشَجَرَة وشَجَرْ، وجَزَرَة وجَزَر، بآية قوله تعالى: " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَاب".[7]

واختلف القرّاء العشر أيضاً في قوله تعالى: " وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ"،[8] وقوله تعالى: " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ "[9]، فقرأ عاصم وأبو جعفر وروح (ثَمَر، بِثَمَره) معاً بفتح (الثّاء والميم) فيهما، على وزن (فَعَل)، وقرأ رويس (ثَمَر) بفتح الثّاء والميم، و(بِثُمُرِه) بضم الثّاء والميم،[10] وانفرد أبو عمرو بن العلاء بقراءة الموضعين بضمّ الثّاء

---

1 سورة الأنعام، الآية 99.

2 سورة الأنعام، الآية 141.

3 سورة يس، الآية 35.

4 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص309. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص310. محيسن، الهادي، ج2، ص205.

5 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص207. السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص471. الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص174.

6 ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص60.

7 سيبويه، الكتاب، ج3، ص583. الفارسيّ، الحجة، ج3، ص366. سورة النحل، الآية 67.

8 سورة الكهف، الآية 34.

9 سورة الكهف، الآية 42.

10 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص83. شرح طيبة النشر، ص226. النشر في القراءات، ج2، ص310. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص430. محيسن، الهادي، ج3، ص11.

وإسكان الميم على وزن (فُعْل) على سبيل جمع الجمع، أو هي اسم جنس جمعـــيّ؛ فشأنها شأن (ثُمُر)، فالأمْرُ لا يعدو أن يكون سوى أنّ البنية قد خُفّفت من (ثُمُر) إلى (ثُمْر)؛ لثقلها نحو قولهم: رُسُلٌ وَرُسْلٌ.[1] وقرأ الباقون الموضعين كليهما بضمّ الميم والثّاء، على وزن (فُعُلْ).

وعوداً على (سَقْف وسُقُف) و(رَهْن ورُهُن)، فقد وردت هذه القراءات بالصّيغة نفسها التي جاءت عليها هذه الكلم إلّا في فرق يسير يتعلّق بفتح وإسكان عين (ثَمْر) عند بعض القرّاء؛ ولذلك لن يسلّط الباحث الضّوء عليها إلّا بالقدر الذي يكفل معـــه عدم التّكرير والإعادة.

وإذا كان الباحث قد تكوّن له اعتقاد بأنّ صيغة (فُعُل) في (سُـــقُف) و(رُهُـــن) يمكن أن تكون جمع الجمع، فإنّ ذلك ينسحب على (ثُمُر) عنـــد مـــن قرأهـــا بهـــذه الصّيغة، ولكن هذا الجمع غير مطّرد عند "سيبويه وجماهيرِ أتباعه"[2] فهل تـــسعفنا اللّغة بتوجيه آخر يقرّب هذه القراءة من ناموس المطّرد في الاستعمال؟

إنّ من أمعن النّظر في أمّهات كتب اللّغة والتّصريف يجد أنّ العرب قد جمعت ما كان واحده على زنة (فَعَلَة) على عدّة أوزان، منها: (فُعُل)، نحو: خَشَبَة وخُشُب،[3] يقال: " أَكمة وأَكَم مِثْلُ ثَمَرة وثَمَر، وَجَمْعُ أَكَمَةٍ أُكُم كخَشَبَة وخُشُبٍ"،[4] قال ابن سيده: " وقد يَجُوزُ أَنْ يكونَ الثُّمُرُ جمعَ ثَمَرَةٍ كخَشَبَةٍ وخُشُبٍ وأَن لا يكونَ جَمْعَ ثِمارٍ لأنَّ بابَ خَشَبَةٍ وخُشُبٍ أَكثرُ من باب رِهانٍ ورُهُنٍ أَعْني أَنَّ جمعَ الجَمْعِ قَليلٌ في كَلامِهِم وحكَى سِيبَوَيْهِ في الثَّمَرِ ثَمُرَةً وجَمْعُها ثَمُرٌ كسَمُرَةٍ وسَمُرٍ قال ولا يُكَسَّرُ لِقِلَّةِ فَعُلَةٍ في كَلامِهِم ولم يَحْكِ الثَّمُرَةَ أَحَدٌ غَيْرُه ".[5]

---

[1] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص11.

[2] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص680.

[3] ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج3، ص1333.

[4] ابن منظور، لسان العرب، (أكم)، ج12، ص20. والْأَكَمَة: " تَلٌّ وَقِيلَ شُرْفَةٌ كَالرَّابِيَةِ وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ الْحِجَارَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَرُبَّمَا غَلُظَ وَرُبَّمَا لَمْ يَغْلُظْ "، الفيوميّ، المصباح المنير، (أكم)، ج1، ص18.

[5] ابن سيده، المحكم، (ثمر)، ج10، ص146. سيبويه، الكتاب، ج3، ص571، 584.

ويحسب الباحث أنّ هذا التّوجيه هو الأقرب إلى واقع اللّغة؛ ذلك أنّ (ثُمُر) في هذه القراءة هو اسم جنس جمعي واحده (ثَمَرَة) وهذا النّوع من الجمع ممّا شاع استعماله وكثرت شواهده؛ لذلك يمكن الزّعم أنّ حمل (ثُمُر) على اسم الجنس أولى من جعله جمع الجمع؛ وممّا يقوّي هذا الظنّ أنّ اسم الجنس يدلّ بصيغته على الكثرة التي يمكن أن نلمحها في جمع الجمع، مع الاعتراف لهذا الأخير بزيادة الكثرة، فإذا كان اسم الجنس يؤدّي قريب من الدّلالة التي يحملها جمع الجمع، فإنّ الحمل على الكثير المطّرد أولى من الحمل على القليل غير المطّرد.

وإلى جانب هذا الوجه الاستعماليّ ثمّة عيار آخر يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار عند توجيه هذه القراءة، إنّه المعنى المعجميّ؛ فإنّنا نجد أنّ العربيّة قد سمّت أنواع المال (ثَمَر)،[1] قال الجوهريّ: "والثُمُرُ أيضاً: المال المُثَمَّرُ ... وأثمر الرجلُ، إذا كثُرَ ماله. وثَمَّرَ الله مالَه، أي كثّرهُ"،[2] قال الفرّاء: "حَدَّثني يَعْلَى، عَن ابْن نُجَيح، عَن مُجاهد، قَالَ: مَا كَانَ فِي القُرآن من (ثُمُرٍ) فَهُوَ مَال: وَمَا كَانَ من (ثَمَر) فَهُوَ الثِّمَار".[3] وبناءً على ذلك يمكن القول: إنّ قراءة (ثَمَر) بالفتح تعني عامّة الثّمار ممّا يحمله النّبات والشّجر، وإنّ قراءة الضّم هي بيان عن أنواع المال التي منها الثّمار؛ فهي حركة دلاليّة من الخاص إلى العام، فكان في ذلك إثراء للمعنى وزيادة في بلاغة الخطاب.

وأحترس هنا لأبيّن أنّ هذا التّوجيه الدّلاليّ هو خاص بآية الكهف على التّعيين؛ إذ لا يمكن تعميمه على جميع السّياقات التي ورد فيها لفظة (ثَمَر)؛ ولعلّ هذا ما يفسّر لنا رفض يونس وجود فرق بين اللّفظتين؛ " كَأَنَّهُمَا كَانَا عِنْده سوَاء ".[4]

---

[1] الفراهيديّ، كتاب العين، (ثمر)، ج8، ص224.

[2] الجوهريّ، الصحاح، (ثمر)، ج2، ص606.

[3] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص144. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (ثمر)، ج15، ص62.

[4] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (ثمر)، ج15، ص62.

(نِعْمَةً)، (نِعَمَه): [1]

وقرأ حفص وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر(نِعَمَه) من قوله تعـالى: "وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً"[2] على وزن (فِعَلْ) جمع تكسير واحده " نِعْمَة كسِدَرْ وسِدْرَة". [3]

وقرأ الباقون (نِعْمَةً) اسم مصدر على وزن (فِعْلَة) من قولهم: " أنعـم الله عَلَيْـهِ يُنعم إنعاماً ونِعْمَةً، أُقيم الاسم مُقَام الإنعام، كَقَوْلك: أنفقت عَلَيْهِ إنفاقاً ونَفَقَـةً بِمَعْنَـى وَاحِد"[4]، وهو في الوقت نفسه " اسْمُ جِنْسٍ يُرَادُ بِهِ الْجَمْعُ، وَيُدَلُّ بِهِ عَلَى الْكَثْرَةِ"[5]؛ حيث إنّ المفرد قد يدل على الكثرة نحو قوله: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا"،[6] وهو بذلك نظير قول العرب: " كثر الدّينار والدّرهم، والأرض سيف وفرس، وهـذا أبلغ في التّكثير من لفظ الجمع، قالها بن شجرة ". [7]

ويرى الباحث أنّ المعنى في كلتا القراءتين واحد أو على حدّ قـول الطّبـريّ: "متقاربتا المعنى"؛[8] فـ (النّعمة) بصيغتها الإفراديّة قد تحمل فـي طيّاتهـا معنـى

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص91. شرح طيبة النشر، ص295. تحبير التيسير، ص508. النشر في القراءات، ج2، ص347. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص505. محيسن، الهـادي، ج3، ص136.

[2] سورة لقمان، الآية 20.

[3] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج4، ص352. القرطبـيّ، الجـامع لأحكـام القـرآن، ج14، ص73. الفيوميّ، المصباح المنير، (نعم)، ج2، ص613.

[4] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (نعم)، ج3، ص9.

[5] الشوكانيّ، الفتح القدير، ج4، ص277. ابن عادل، اللّباب، ج15، ص454. القنّوجيّ، فـتح البيـان، ج10، ص290.

[6] الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص445.سورة النحل، الآية 18.

[7] الماورديّ، النكت والعيون، ج4، ص342. وابن شجرة هو: أحمد بن كامل بن خلف بن شـجرة بـن منصور بن كعب بن يزيد أبو بكر البغدادي (ت: 350ه)، كان عالماً بالأحكام وعلوم القرآن والنّحو والشّعر والتّاريخ وأصحاب الحديث، تقلّد قضاء الكوفة. البغدادي، تـاريخ بغـداد، ج5، ص587. الدّاوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدّين الـدّاوودي المـالكي (ت: 945هـــ)، **طبقـات المفسّرين للداوودي**، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النّسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلمـاء بإشراف الناشر، ج1، ص65.

[8] الطبريّ، جامع البيان، ج20، ص148.

الجمع؛[1] بآية قوله تعالى: " وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها "،[2] يقول الطّبَـــريّ: " فمعلوم أنّه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال: " وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ "، فجمعها، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب "[3]، وفي ذلك يقول ابن عاشور: " وَلَمَّا كَانَ الْمُرَادُ الْجِنْسَ اسْتَوَى فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ. وَالتَّنْكِيرُ فِيهَا لِلتَّعْظِيمِ فَاسْــتَوَى الْقِرَاءَتَانِ فِي إِفَادَةِ التَّنْوِيهِ بِمَا أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ".[4]

(كِسَفًا)، (كِسْفًا):[5]

وقد كانت هذه الكلمة مضماراً للتعدّد والاختلاف بين القــرّاء العــشرة فــي أربعة مواضع من التّنزيل، وهي:

1- قوله تعالى: " أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً".[6]

2- وقوله عز من قائل: " فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ".[7]

3- وقوله جلّ جلاله: " وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ".[8]

4- وقوله: " إِن نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ".[9]

فقد قرأ حفص (كِسَفاً) في موضعي الشّعراء وســبأ بفــتح الــسّين علــى وزن (فِعَلا) جمع تكسير لأدنى العــدد " مــا بــين الــثّلاث إلــى العــشر"،[10] واحــده

---

[1] البغويّ، معالم التنزيل، ج3، ص590.

[2] سورة إبراهيم، الآية 34.

[3] الطّبريّ، جامع البيان، ج20، ص148. والآية من سورة النحل، الآية 121.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص174.

[5] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص83. شرح طيبة النشر، ص266. النشر، ج2، ص309. تحبير التيسير، ص440. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص426. محيــسن، الهــادي، ج1، ص79.

[6] سورة الإسراء، الآية 92.

[7] سورة الشعراء، الآية 187.

[8] سورة الروم، الآية 48.

[9] سورة سبأ، الآية 9.

[10] الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص550.

(كِسْفَة) وهي القطعة،[1] قال النّحاس: " وذكــر الــسّماء ليــدلّ علــى الجمــع،[2] وروي عن أبي عبيد قوله: " كسفا متحرِّكــة الــسِّين جمــع كــسفة مثــل قِطْعَــة وَقطع وكسرة وَكسر".[3]

فقد قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم وابن عامر موضع الإسراء وحده بفتح الــسّين، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وشعبة موضع سبأ والشّعراء بإسكان السّين، وقرأ الباقون في المواضع الثّلاث بإسكان السّين. وقرأ أبو جعفر وابن ذكــوان موضــع الروم بالإسكان، واختلف عن هشام فروي عنه الفتح والإســكان، وقــرأه البــاقون بالفتح.

وقرأ الباقون (كِسْفًا) في المواضع الأربع بسكون العين على وزن (فِعْلا) اســماً مفرداً جمعه (كِسَفًا)[4] أو هو مصدراً مشتق – كما يقول الزجّاج - مــن قــولهم: " كسفت الشّئ أي غطيته، ويقال: " كسفت الشّمس النّجوم "، إذا غطّــت نورهــا"،[5] وفي (اللّسان): " وكَسَفَ الشيءَ يَكْسِفُه كَسْفاً وكَسَّفَه، كِلَاهُمَا: قَطَعَهُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الثَّوْبَ والأَديم. والكِسْف والكِسْفَةُ والكَسِيفَة: القِطْعة مِمَّا قطَعْت"[6] ويجوز أن يكون اسم جنس جمعيّ واحده (كِسْفَة)، يراد به الكثير،[7] نحو: سِدْرَة وَسِدْر،[8] " وذكــر السّماء ليدلّ على الجمع "،[9] وحكى (الفرّاء) أنّه سمع أعرابيّاً يقول لبــزاز ونحــن

---

[1] أبو حاتم السجستانيّ، غريب القرآن، ص397. ابن قتيبة، غريب القرآن، ص261. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (كسف)، ج10، ص45.

[2] النّحاس، إعراب القرآن،ج2، ص284.

[3] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص410.

[4] الأزهري، معاني القراءات، ج2، ص101. ابــن ســيده، المخــصص، ج1، ص394، ج4، ص24.

[5] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص259. النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص194.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (كسف)، ج9، ص299.

[7] الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص550.

[8] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص390. أبو حاتم السجستاني، غريب القرآن، ص398.

[9] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص384.

بطريق مكة:" أعطني كَسْفَة من هذا الثّوب أي قطعة ".[1] وقد اتّفق القرّاء العــشرة على القراءة بالإسكان في قوله تعالى: " وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ســاقِطاً يَقُولُــوا سَحابٌ مَرْكُومٌ"[2]؛ " وذلك" لوصفه بالمفرد المذكر فيقوله تعالى: (ساقطاً).[3]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتملان وجوهاً عدّة؛ وذلك بحسب السّياق الذي ترد فيه، وتفصيل ذلك أنّ من قرأ موضع (الإسراء) بسكون السّين كانت قراءته محتملة للمصدريّة؛[4] ذلك أنّ (سقط) هو فعل لازم، يقال: "سَقَطَ يَسْقُطُ سُقُوطَاً"،[5] " وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيُقَالُ أَسْقَطْتُهُ"،[6] وإذا كان ذلك كذلك انتصب هذا المصدر على الحاليّة، فيكون المعنى– والله أعلم– هو طلب إسقاط السّماء عليهم وهي مقطّعة الأجزاء،[7] وممّا يقوّي هذا التّوجيه أنّ (الكَسْف) في أصل اللّغة هو: " قطع العرقوب بالسّيف. كَسَفَهُ يكْسِفُهُ"،[8] ويقال: " كَسَفْتُ الثّوبَ أكْسِفُه كَسْفاً: إذا قطعته".[9]

وأمّا قراءة (كِسَفًا) بفتح السّين في الموضع نفسه، فإنّها تحتمل معنى طلب إسقاط السّماء عليهم قطعاً،[10] أو ذات قطع، قال أبو عبيد: " يقال: أتانا بخبر كِسَفٍ:

---

[1] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص131. النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص189.

[2] سورة الطور، الآية 44.

[3] محيسن، الهادي، ج2، ص379.

(4) الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص119.

(5) ابن منظور، لسان العرب، (سقط)، ج7، ص316.

(6) الفيوميّ، المصباح المنير، (سقط)، ج1، ص280.

(7) الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص119.

(8) الفراهيديّ، العين، (كسف)، ج5، ص314. ابن فارس، المجمل، (كسف)، ج1، ص784.

(9) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276ه)، **الجراثيم**، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، ج1، ص305.

(10) الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص551. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص189.

أي قِطَعٍ "؛[1] ولعلّ هذا التّأويل الأخير هو الذي يفسّر لنا سبب اختيار بعض القرّاء قراءة (كِسَفًا) بفتح الكاف في موضع الرّوم؛ لأنّ السّحاب يكون قِطَعًا متناثرة تسبح في الجو، " وإنّما يتضامّ عن تفرّق"،[2] والمعنى: " يجعل الرّيح السّحاب قطعاً يحمل بعضها على بعض"،[3] ولعلّ هذا التّوجيه ينسحب على من قرأ بسكون السّين؛ إذ الكِسْف هو أيضاً جمع كِسْفة، نحو: دِمْنَةٍ ودِمْنٍ.[4]

(أَثَر)، (آثار):[5]

وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر(آثــار) مــن قولــه تعالى: " فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ"،[6] على وزن (أفعال) جمع تكــسير واحــدها (أثر)،[7] والمراد " آثار المطر الذي هو رحمة من اللَّه "،[8] فكان في جمع (الأثــر) ما يلبّي تلك الغاية؛ " وذلك لتعدّد أثر المطــر ومنافعــه "؛[9] إذ المــراد بالرّحمــة المطر.[10]

---

(1) الخطابيّ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، (1982م)، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ج1، ص180.

(2) الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص120.

(3) مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، (ت:150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، ج3، ص419.

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (كسف)، ج10، ص45. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص44.

5 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص91. شرح طيبــة النــشر، ص294. تحبيــر التيــسير، ص505. النشر في القراءات، ج2، ص345. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص504. محيسن، الهادي، ج3، ص133.

6 سورة الروم، الآية 50.

7 ابن منظور، لسان العرب، (أثر)، ج4، ص5.

8 الزجاج، معاني القرآن، ج4، ص140.

9 محيسن الهادي، ج3، ص134. القراءات، ج1، ص307.

10 أبو هلال العسكريّ، الوجوه والنظائر، ص227.

وقرأ الباقون (أَثَرْ) على وزن (فَعَل) اسماً مفرداً ناب مناب الجمع، بدليل إفـــراد (أثر) في قوله تعالى: " هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي "؛[1] إنّه لمّا أضيف إلى مفـــرد أفـــرد ليأتلف الكلام، وأيضاً فإنّ (أثر) يدلّ على الجمع لأنّ المقصود به الجنس.

وأحسب أنّ هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى؛ فـــــ (الأثـــر) بـــصيغته الإفراديّة هو اسم جنس[2] إفراديّ يدل بالنّيابة على الكثير، و(الآثار) هـــي صـــيغة جمعيّة وافقت قرينتها (الرّحمة) في الكثرة والعموم؛ " لأنّ رحمة الله يجوز أن يـــراد به الكثرة كما قال سبحانه: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا "،[3] وهـــذا يعنـــي أنّ من قرأ بصيغة المفرد إنّما أراد تحقيق مطلب المشاكلة اللّفظيّة بين ركني المركّـــب الإضافي، وأمّا من قرأ بصيغة الجمع فإنّه حمل القراءة على المعنى، قال مقاتـــل: " أثر رحمة الله هو النبت، وهو أثر المطر، والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه ".[4]

(سُرُجاً)، (سِرَاجَاً):[5]

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (سِرَاجاً) من قوله تعالى: " وَجَعَلَ فِيهـــا سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً "[6] (سُرُجَا)على وزن (فُعُل)، جمع تكسير واحـــده (سِـــراج)، وذلك على إرادة الكواكب؛[7] " لأنّ كل كوكب سِرَاج، وهي تطلع مع القمر، وذكرها كما ذكر القمر...، قال تعالى: " وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً "، والمـــصابيح هي السُرُج"[8]، جاء في (اللّسان): " والسِّراجُ: الْمِصْبَاحُ الزَّاهِرُ الَّذِي يُسْرَجُ بِاللَّيْـــلِ،

---

[1] ابن خالويه، الحجّة، ص28. والآية من سورة طه، الآية 84.

[2] محيسن الهادي، ج3، ص134. القراءات، ج1، ص307.

[3] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص449. والآية من سورة النحل، الآية 18.

(4) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج3، ص419. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص437.

[5] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص89. شرح طيبة النشر، ص287. تحبير التيسير، ص485. النشر، ج2، ص334. الهادي، ج3، ص98.

[6] سورة الفرقان، الآية 61.

[7] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج2، ص544.

[8] محيسن، الهادي، ج3، ص99. القراءات، ج1، ص307. سورة فُصّلت، الآية 12.

وَالْجَمْعُ سُرُجٌ"[1]؛ لذلك فسّر البعض (السُرُج) بأنّه " اسم جميع الأنوار "[2]، وقيل هي النّجوم؛ " إذ كان يهتدي بها"،[3] أو هي كما يرى الزجّاج: " الشّمس والكواكب العظام معها "[4] ويكون القمر بحسب هذا التّأويل داخل في (السُرُج)، " غَيْرَ أَنَّهُ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِنَوْعِ فَضِيلَةٍ، كَمَا قَالَ: " فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ"، خَصَّ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي الفاكهة لنوع شرف".[5]

وقرأ الباقون (سِرَاجًا) على وزن (فِعَال) اسماً مفرداً، والمراد به (الشّمس)[6] بدليل تذكير والقمر بعده،[7] وهو نظير قوله " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً"،[8] وفي ذلك يقول صاحب (النّكت والعيون): " جعل الشّمس سراجاً والقمر منيراً، لأنّه لمّا اقترن بضياء الشّمس وهج حرّها جعله الأجل الحرارة سراجاً، ولما كان ذلك في القمر معدوماً جعله نوراً "،[9] وقيل المراد بـ (السّراج) ههنا الشّمس والكواكب معاً بآية قوله عز من قائل: " وَلَقَدْ زَيَّنّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ".[10]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (سرج)، ج2، ص297.

[2] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج4، ص217.

[3] الطبري، جامع البيان، ج19، ص289.

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص74. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج3، ص326. الزمخشريّ، الكشّاف، ج3، ص290.

[5] البغوي، معالم التنزيل، ج3، ص454. أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص124. سورة الرحمن، الآية 68.

[6] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص79. عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت:211هـ)، (1999م)، **تفسير عبد الرزاق**، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، ط1، بيروت، ج2، ص457.

[7] ابن خالويه، الحجّة، ص266.

[8] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7، ص144. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص74. سورة نوح، الآية 16.

[9] الماورديّ، النّكت والعيون، ج4، ص153.

[10] الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص345. سورة الملك، الآية 5.

وقد حاول الألوسيّ أن يوافق بين هاتين القراءتين فرأى أنّ المراد بـ (السّراج) في القراءة الأولى هو الشّمس، بدليل قوله تعالى: "وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً". وأمّا (السرُج) في القراءة الثّانية فهي الشّمس أيضاً؛ حيث إنّ البنية في هذا السّياق هي اسم جمعيّ يقوم مقام الجماعة، وهو في ذلك يجري مجرى (أمّة) من قوله تعالى: " إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً"،[1] وفي ذلك يقول الألوسيّ: " لأنّ الشّمس لعظمها وكما لإضاءتها لأنّها سرج كثيرة أو الجمع باعتبار الأيام والمطالع، وقد جمعت لهذين الأمرين في قول الشاعر:

لمعان برق أو شعاع شموس

وعلى هذا القول تتّحد القراءتان".[2]

(كَبِيرَ)، (كَبائرَ):[3]

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر(كبائر) بصيغة المفرد (كبير)، وذلك في موضعين من التّنزيل، الأوّل قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ".[4] والثّاني قوله تعالى: " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ"[5] على

---

[1] سورة النحل، الآية 120.

[2] الألوسيّ، روح المعاني، ج10، ص41. هذا شطر من بيت لـ (الأَشْتَرُ النَّخَعِيّ)، ونصه بالكامل:

حَمِيَ الحديدُ عليهمُ فكأَنه لَمَعَانُ بَرْقٍ أَو شُعاعُ شُمُوسِ.

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت:356هـ)، (1926م)، **الأمالي، شذور الأمالي، النوادر**، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط2، دار الكتب المصرية، ج1، ص85.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص95. شرح طيبة النشر، ص307. النشر في القراءات، ج2، ص367، 368. تحبير التيسير، ص546. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص548. محيسن، الهادي، ج3، ص209.

[4] سورة الشورى، الآية 37.

[5] سورة النجم، الآية 32.

وزن (فَعيل) اسماً مفرداً يراد به (الشرك)،[1] أو هو اسم مفرد أقيم مقام الجمع على سبيل النّيابة كقوله عزّ من قائل: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصوها "،[2] وممّا يؤكّد ذلك أنّ " وزن (فعيل) يقع بمعنى الجمع مثل قوله تعالى: " وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقــاً"[3] أي رفقاء. " وقيل: هو اسم جنس للقليل والكثير،[4] والمعنى: " كبير كل إثم ".[5]

وقرأ الباقون (كَبائر) على وزن (فَعائل) جمع تكسير واحده (كبيرة)[6]؛ وذلك لتحقيق مطلب المجانسة اللّفظيّة لما بعدها (الفواحش). وهنــاك مــن رأى المعنــى متقارباً في كلتا القراءتين فــ "... الإثم جنس، فكبيره وكبائره واحِــدٌ، كقولــك: لا تلبس ثياب الحرير، ولا تلبس ثوب الحرير"،[7] وفي ذلك يقول الطبريّ: " والصّواب من القول في ذلك عندنا أنّهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء مــن القــرّاء على تقارب معنييهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ".[8]

(نُصُب)، (نَصْب):[9]

وانفرد حفص وابن عامر من بين القرّاء العشرة بقراءة (نصب) مــن قولــه تعالى: " يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُب"[10] (نُصُب) على وزن

---

1 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص209. ابن النّحاس، معــاني القــرآن، ج6، ص319. ابــن خالويه، الحجّة، ص319.

2 الواحديّ، التفسير الوسيط، ج4، ص57.سورة النحل، الآية 18.

3 محيسن، الهادي، ج3، ص209. القراءات، ج1، ص310. سورة النساء، الآية 69.

4 ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج5، ص39. محيسن، الهادي، ج3، ص209. القــراءات، ج1، ص310.

5 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص643.

6 ابن دريد، جمهرة اللّغة، (كبر)، ج1، ص327.

7 السّخاويّ، فتح الوصيد، ج2، ص453.

8 الطبريّ، جامع البيان، ج21، ص545.

9 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص99. شرح طيبة النشر، ص321. النشر فــي القــراءات، ج2، ص391. تحبير التيسير، ص592. النويريّ، شرح طيبــة النــشر، ج2، ص596. محيسن، الهادي، ج3، ص301.

10 سورة المعارج، الآية 43.

(فُعُل) جمع تكسير واحده (نَصْب) نحو: رَهْن ورُهُن، وسَقْف وسُقُف،[1] أو تكون جمع " نَصَبٍ كَشُقْفٍ جَمْعُ شَقَفٍ"،[2] وعن الفراء والأخفش " النُّصُبُ جَمْعُ النَّصْبِ مِثْلَ رَهْنٍ وَرُهُنٍ، وَالْأَنْصَابُ جَمْعُ نُصُبٍ، فَهُوَ جَمْعُ الجمع "،[3] وقيل: هي جمع مفردها (نِصاب)، نحو: حِمار حُمُر،[4] " ونَصب وَالنُّصب حِجَارَة كَانَت لَهُم يعبدونها وَهِي الْأَوْثَان فقَوله: " كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ"، أَي إِلَى أصنامِهُم"،[5] بآية قوله " وَمَا ذبح على النصب ".[6]

وقرأ الباقون (نَصْب) على وزن (فَعْل) مصدراً بمعنى (مفعول) من "نَصَبْ" نَصَبتُ الشّيء نَصْباً "، ويقال: " فَلَانٌ نُصْبَ عَيْنِي"،[7] وفي اللّغة: " والنَّصْبُ، بِالْفَتْح: (العَلَمُ المَنْصُوبُ) يُنْصَبُ للقَوم"،[8] والمعنى: " كأنّهم إلى علم منصوب يمضون... يستبقون"،[9] أو " كأنّهم إلى صنم منصوب (لهم) يسرعون ذليلين ".[10]

وعوداً على (سَقْف وسُقُف) و(رَهْن ورُهُن)، فإنّ المتأمّل بهذه القراءات ليلحظ وجود قاسم مشترك بينها وبين (نَصْب ونُصُب)، وهو الوزن الصّرفيّ؛ لذلك يجد الباحث في توجيه تلك القراءات فضل بيان يغني عن التّكرير والإعادة.

---

1 ابن خالويه، الحجّة، ص353.

2 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج30، ص648.

3 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص273. الفراء، معاني القرآن، ج3، ص186. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص296.

4 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص14.

5 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص725.

6 الزجاج، معاني القرآن، ج5، ص224. سورة المائدة، الآية 3.

7 البغويّ، معالم التنزيل، ج5، ص155.

8 الزبيديّ، تاج العروس، (نصب)، ج4، ص272.

9 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص498.

10 مكيّ، الهداية، ج12، ص7723.

وثمّة توجيه آخر أحسبه أقرب إلى واقع اللّغة، وهو القائل بالبون المعجميّ بين هاتين القراءتين، فـ (النُّصُب) بالضمّ الأصنام "واحِدُها نِصاب"،[1] كقوله عزّ من قائل: "وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ"،[2] ويجوز أن تكون " جمعُ نَصِيبَةٍ، كسَفِينةٍ وسُفُنٍ، وصَحِيفَةٍ وصُحُفٍ"،[3] وأمّا (النّصَب) بالفتح فهو العَلَم[4] " وأنصاب الحرم أعلامه"،[5] فجمع (النَّصْب) هو (أنصاب) أيضاً، جاء في اللّسان: " والنَّصْبُ والنُّصُبُ: كلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْجَمْعُ أَنْصابٌ ".[6]

(جِدار)، (جُدُر):[7]

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدُر) من قوله تعالى: " لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ".[8] (جدار) على وزن (فِعال) اسماً مفرداً على أصل الاستعمال،[9] أو هو اسم مفرد قام مقام الجمع على سبيل النيابة[10]، وقيل: هو

---

(1) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص152. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص146.ابن منظور، لسان العرب، (نصب)، ج1، ص759.

(2) سورة المائدة، الآية 3.

(3) الزبيديّ، تاج العروس، (نصب)، ج4، ص272.

(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص224. ابن منظور، لسان العرب، (نصب)، ج1، ص759.

(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص152.

(6) ابن منظور، لسان العرب، (نصب)، ج1، ص759.

7 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص318. النشر في القراءات، ج2، ص386. تحبير التيسير، ص579. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص584. محيسن، الهادي، ج3، ص280.

8 سورة الحشر، الآية 14.

9 الراغب الأصفهانيّ، المفردات، ص189.الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:817)، (1996م)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج2، ص372.

10 النّحاس، إعراب القرآن، ج4، ص264. العكبريّ، التبيان، ج2، ص1216. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص706.

اسم جنس يراد به الكثير[1]، وربّما أريد به " السور الجامع للجدر والحيطـــان "[2]، والمعنى: " أنَّ كلَّ فِرْقة منهم وراءَ جدار، لا أنَّهم كلَّهم وراءَ جدار ".[3]

وقرأ الباقون جُدُر على وزن (فُعُل) جمع تكسير واحده (جِـدار) نحـو: كتـاب وكتب، وحمار وحُمُر[4]، " وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ، لِأَنَّهَـا نَظِيـرُ قَوْلِـهِ تَعَالَى: " فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ " وَذَلِكَ جَمْعٌ "[5]، ويكون المعنى بحـسب هـذه القـراءة الأخيرة أنّ لكلّ طائفة منهم جداراً يحتمون به، وأنّ هذه (جدر) هي كثيـرة عديـدة يتّخذونها ستراً تقيهم بأس عدوّهم.[6]

وهكذا كانت هاتان القراءتان متظافرتين تكمل كل واحدة منهما المعنى؛ فالقراءة الأولى تخبر عن حال اليهود وتفرّقهم في جماعات وقد احتموا بالجـدر " تَحْـسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى"،[7] ثمّ تأتي قراءة الجماعة لتزيد هذا المعنى عمقـاً والـصّورة بياناً فلكلّ طائفة منهم جدار يحتمون به، وأنّ هذه (جدر) كثيرة عديدة يتّخذونها ستراً تقيهم بأس عدوّهم.[8]

---

[1] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج5، ص289. النويريّ، شرح طيبـة النـشر، ج2، ص584. الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص63.

[2] الألوسيّ، روح المعاني،ج14، ص251.

[3] السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج10، ص289.

[4] الزجاج، معاني القرآن، ج5، ص148. الفيوميّ، المصباح المنيـر، (جـدر)، ج1، ص93. السجستانيّ، غريب القرآن، ص182.

[5] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص35.

[6] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص584. محيسن، القراءات، ج1، ص312.

(7) سورة الحشر، الآية 14.

[8] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص584. محيسن، القراءات، ج1، ص312.

الفصل الثّاني
في بنية المصادر

1.2 مدخل:

لعلّ من المقرّر المستحكم أنّ المصدر هو من المباحث التي كانت إحدى المسائل الخلافيّة في الفكر النّحويّ العربيّ، فقد تعدّدت آراء النّحاة وتباينت مذاهبهم في مقولة أولويّة البناء في الكلم، وتساجل العلماء في مسألة أيّهما أحقّ بالأصالة في الاشتقاق أهو الفعل أم المصدر؟[(1)]

ويعدّ نحاة البلدين الكوفة والبصرة من طليعة النّحاة الذين تصدّوا للبحث في هذه المسألة " وجاء كل طرف بشواهده وأدلّته التي ترجح رأيه وتفنّد رأي خصمه، وتبع ذلك اجتهاد من غير الطّرفين، صب بعضه في الاتّجاه نفسه وخرج بعضه الآخر ليأتي بجديد".[(2)] فكان أغلب البصريين يقرّون للمصدر بالأصالة في الاشتقاق،[(3)] ليس للفعل حسبُ، وإنّما لسائر المشتقات،[(4)] في مقابل الكوفيين الذين

---

[1] الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة 28.

[2] الشّمّري، شيماء متعب محمود الشّمّريّ، (2005م)، **أبنية الصرف في تفسير روح المعاني لأبي الثناء الآلوسي، دراسة صرفية دلالية**، رسالة ماجستير، إشراف: خديجة زبار عنيزان الحمداني، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة بغداد، ص71.

[3] ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبدالله، شمس الدين، (ت:720هــ)، (2004م)، **اللمحة في شرح الملحة**، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج1، ص115. السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص95.

[4] ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، **(ت: 672هـ)**، (2002م)، **إيجاز التعريف في علم التصريف**، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص180. شرح الكافية الشافية، ج5، ص257.

رأوا الفعل هو أصل المشتقات،[1] وثمّة وجهة ثالثة ذهبت إلى أنّ كلاً منهما قائم برأسه ليس لأحدهما فضل على الآخر في الاشتقاق قاله ابن طلّحة،[2] ورأى فريق رابع أنّ المصدر هو أصل الفعل، وهذا الأخير هو أصل للوصف المشتق حكاه بعض البصريين.[3]

وربّما تكون الدّلالة اللّغويّة هي الإرهاصة التي ولّدت هذه القضيّة الخلافيّة؛ فإنّ المتتبّع لمصطلح المصدر في بواكيره الأولى يلحظ أنّ النّحاة قد اعتمدوا في مقولة الأصالة والفرعيّة للمصدر وللفعل بناءً على المعنى اللّغويّ لهما في أصل الاستعمال. ولعلّ أوّل من صدّر عن مصطلح المصدر في الفكر اللّغويّ العربيّ هو الخليل بن أحمد الفراهيديّ[4] في (كتاب العين) حيث يقول: " الصَّدْرُ: أعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ، وصَدْرُ القَناة أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوَّلُه... والمصدَرُ: أصلُ الكلمة الذي تَصدُرُ عنه الأفعالُ. وتفسيره: إنّ المصادر كانت أوّلَ الكلام، كقولك: الذَّهاب

---

1 ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، (ت: 769هـ)، (1980م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،** تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ج2، ص171.

2 السيوطيّ، همع الهوامع، ج2، ص95. وابن طلحة هو: محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف بن الأسعد النحوي، من أهل يابرة، (بلد في غربي الأندلس)، كان إماماً في العربيّة، لقي السهيليّ، وسمع عليه كتابه (الروض الأنف في شرح غريب السير)، اشتهر بتحقيق العربية والقيام عليها، قرأ عليه كثيرون، منهم: ابن عبد النور والسقطي والشلوبين وغيرهم، وكان أستاذ حاضرة إشبيلية، يميل إلى مذهب ابن الطراوة في العربية، توفي سنة (618ه). الفيروزآبادي، (2000م)، **البلغة في تراجم أئمة النّحو واللّغة**، ط1، دار سعد الدين للطّباعة والنشر والتوزيع، ص267.

3 المصدر نفسه.

4 الشّمريّ، أبنية الصرف في تفسير روح المعاني، ص71.

والسَّمْع والحِفظ، وإنّما صَدَرت الأفعالُ عنها، فيقال: ذَهَبَ ذَهاباً، وسَمَعَ سمعاً وسَماعاً وحَفِظَ حَفِظَاً". [1]

وعلى هدي الخليل تواضع نحاة البصرة في حدّ المصدر، فقالوا إنّ المصدر سميّ بذلك لأنّه "هو الموضع الذي يَصْدُرُ عنه، ولهذا قيل للموضع الذي تصدر عنه الإبل "مَصْدَر" فلمّا سُمِّيَ مَصْدَراً دلّ على أنّ الفعل قد صَدَرَ عنه". [2]

وفي ذلك يقول الزّمخشريّ في (المفصّل): " المفعول المطلق هو المصدر سمّي بذلك لأنّ الفعل يصدر عنه. ويسمّيه سيبويه الحدث والحدثان وربّما سمّاه الفعل"، [3] ويزيد ابن يعيش الأمر وضوحاً فيقول: "وإنّما سمّي مصدراً؛ لأنّ الفعل صدرَ عنه، وأخذ منه ولهذا قيل للمكان الذي يصدر عنه الإبل بعد الرّي مصدر كما قيل مورد لمكان الورود ". [4]

ويعلّق (علي مطر) على ذلك فيقول: " وفي هذه الأقوال بيان للمناسبة بين المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحيّ لكلمة المصدر. ويلاحظ: أنّ هذه المناسبة إنّما تتحقّق بناءً على قول سيبويه وجميع البصريين: الفعل مأخوذ من المصدر، والمصدر سابق له، وأنّه إنّما سُمّي مصدراً لكونه موضع صدور الفعل. وقد خالفهم الكوفيّون في ذلك، وذهبوا إلى أنّ المصدر مشتقّ من الفعل، وقالوا: لا يجوز أن يقال: إنّ المصدر إنّما سُمّي مصدراً لصدور الفعل عنه، كما قالوا: للموضع الذي تصدر عنه الإبل: مصدراً؛ لصدورها عنه؛ لأنّا نقول: لا نسلّم، بل سُمّي: مصدراً؛

---

[1] الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت: 170هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج7، ص94، 95، 96.

[2] الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص192.

[3] الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، (1993م)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، ص55.

[4] ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء بن يعيش (ت: 643ه)، **شرح المفصل**، دار الطباعة المنيرية، مصر، ج1، ص110.

لأنّه مصدور عن الفعل، كما قالوا: مَرْكبٌ فارِه، ومَشــربٌ عَذْبٌ، أي: مركوبٌ فاره، ومشروبٌ عذْب، والمراد به: المفعول، لا الموضــع ".[1]

ونغادر هذه الإلمامة عن الخلاف في الأصالة والفرعيّة للمصدر والفعل، لنجد الأوائل قد ميّزوا في الدّرس الصّرفيّ بين ضربين من الأسماء، هما: المصدر واسم المصدر. فالمصدر هو الاسم الذي يحمل الدّلالة على الحدث، " والأحداث نحو: الضّرب والحمد والقتل " حكاه سيبويه،[2] والمراد بالأحداث ههنا هو المصدر على حدّ كلام الزّجاجيّ،[3] وهو عند ابن السّراج " اسم كسائر الأسماء، إلا أنّه معنى غير شخص والأفعال مشتقة منه"،[4] وحدّه الرّمانيّ بقوله: " المصدر اسْم لحادث يُوجد فِيهِ الْفِعْل "،[5] وقال ابن مالك: " الاسم الموضوع بأصالة الدّالة على المعنى الصّادر من المحدث به عنه أو القائم به أو الواقع عليه، والأفعال والصّفات مشتقة منه، ويصحب منها ما تصرف، إما شبه ما تصرف منصوباً به لتوكيد أو بيان نوع أو عدد، ويقوم مقامه مادل على معناه من مصدر غيره ".[6]

وأمّا اسم المصدر فهو: " ما ساوى المصدر في الدّلالة على معناه وخالفه بخلوه - لفظاً وتقديراً دون عوض- من بعض ما في فعله "،[7] وقيل: " اسْماً دَالاً على الْحَدث لكنّه لَا يجرى على الْفِعْل وَذَلِكَ نَحْو قَوْلك أَعْطَيْت عَطاء فإنّ الَّذِي

---

[1] مطر، علي حسن مطر، (2006م)، **مصطلحات نحــويّة**، مجلة تراثنا، العددان: 81-82، ص255، 256.

[2] سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

[3] مطر، مصطلحات نحويّة، ص256.

[4] ابن السّراج، ج1، ص159. الشّمّري، أبنية الصرف، ص70.

[5] الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: 384هــ)، **رسالة الحدود**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ص69.

[6] ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، ص689. نقلاً عن الشمري، أبنية الصرف، ص71.

[7] الأشمونيّ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي، (ت:900هــ)، (1998م)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص204. ابن عقيل، ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج3، ص98. مطر، مصطلحات نحوية، ص256.

يجْرِي على أَعْطَيْت إنَّمَا هُوَ إعْطَاء لِأَنَّهُ مستوف لحروفه وَكَذَا اغْتَسَلْت غُسْلاً بِخِلَاف اغْتسل اغْتِسَالاً ".[1]

وقد بسط الصّرفيّون الأوائل القول في الأجناس التي يشملها اسم المصدر، فذكر لنا ابن الحاجب أنّ النّحاة يطلقون اسم المصدر على اسم المعنى الذي " ... ليس له فعل يجري عليه، كالقهقرى، فإنّه نوع من الرجوع، ولا فعل له يجري عليه من لفظه"،[2] وقد يعنون باسم المصدر اسم الآلة " التي يستعمل بها الفعل، كالطُهور والطَهور، والأكْل والأُكُل، فالطُهور: المصدر، والطَهور: اسم ما يتطهّر به، والأكْل: المصدر، والأُكُل: ما يؤكل ".[3]

ويزيد ابن هشام الأمر وضوحاً فيذكر في مصنّفه (الشّذور) أنّ اسم المصدر يشتغل في ثلاثة فصائل اسميّة، الأولى فصيلة الأسماء التي كانت في أصل استعمالها " لغير الحدث ثم نقل إلى الحدث كالكلام والعطاء، فإنّهما في الأصل لما يُتكلم به ولما يُعطى، ثم نقلا إلى الإعطاء والتكلّم"،[4] والثّانية: ما كان صدره ميماً زائدة " لغير المفاعلة، كمضرب ومقتل"،[5] وآخرها " ما كان علماً على معنى كبَرَّة علماً على المبرّة، وفَجارِ علماً على الفجرة، وحَمَاد علماً على المحمدة ".[6]

وقد استقام لدى الصّرفيّين الأوائل تقسيم الأسماء في العربيّة إلى سمتين هما: الجامد والمشتقّ، وعرّفوا الجامد بأنّه: كلّ اسم " لم يؤخذ من غيره، ودلَّ عَلَى

---

1 ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (ت:761هــ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ص492. مطر، مصطلحات نحوية، ص256.

2 مطر، مصطلحات نحويّة، ص256.

3 المصدر نفسه.

4 الجَوجَري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، (ت:889هــ)، (2004م)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة السعودية، ج2، ص720.

5 الجَوجَري ، شرح شذور الذهب، ج2، ص721.

6 المصدر نفسه، ج2، ص722.

حَدَث، أو معنى من غير ملاحظة صفة، كأسماء الأجناس المحسوسة مثل: رجُل وشجَر وبَقر، وأسماء الأجناس المعنويّة، كنصْر وفَهْم وقيام وقعود وضَوء ونُور وزَمان"،[1] وواضح من هذا الحدّ أنّ الاسم الجّامد يحتمل إحدى دلالتين: فهو إمّا أن يدلّ على الذّات كرجل وفرس وحجر، وإمّا أن يدل على المعنى "المصدر" كفهم وفرح ونصر. وأمّا الاسم المشتق فهو: " ما أخِذَ من غيره ودل على ذات مع ملاحظة صفة، كعالِم وظريف. ومن أسماء الأجناس المعنوية المصدريّة يكون الاشتقاق، كفَهِم من الفهم، ونَصَرَ من النَّصر. وندر الاشتقاق من أسماء الأجناس المحسوسة، كأورقتِ الأشجارُ، وأسبعتِ الأرضُ: من الوَرَق والسَّبُع، وكعقْرَبْتُ الصُّدْغ، وفَلْفَلْتُ الطَّعام، ونَرْجَسْتُ الدّواء: من العَقْرب، والنَّرْجس، والفُلْفُل، أي: جعل تشَعر الصدغ كالعقرب: وجعلت الفلفل فى الطّعام، والنرجس فى الدّواء".[2]

وأمّا الاشتقاق فهو: " نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنىً وتركيباً، وتغايرهما، في الصيغة بحرف أو بحركة، وأن يزيدَ المشتقُّ على المشتقّ منه بشيء"،[3] وهو: " اقتطاع فرع من أصل يَدُور فِي تصاريفه حُرُوف ذَلِك الأَصْل، وَقيل: هُوَ أَخذ كلمة من أُخْرَى بتغيير مَا، مَعَ التناسب فِي الْمَعْنى، وَقيل: هُوَ رد كلمة إِلَى أُخْرَى لتناسبهما فِي اللَّفْظ وَالْمعْنَى".[4] وينقسم إلى ثلاثة أقسام: الاشتقاق الصّغير والاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر،[5] والصّدر من هذه الأقسام هو موضع الاهتمام عند الصرفيّين، وعرّفه أكثرهم على أنّه: "إنشاء فرع من أصل يدل

---

[1] الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص56.

[2] الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص56.

[3] الجرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت: 471هـ)، (1987م)، **المفتاح في الصرف**، حققه وقدم له: علي توفيق الحَمَد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص62.

[4] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، **الكليّات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص117.

[5] ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج2، ص135.

عليه"،[1] وقيل: هو " أَخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر ".[2]

(غُرْفَة)، (غَرْفَة):[3]

قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر(غُرْفَة) من قوله تعالى: " إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ "[4] (غُرْفَة) على وزن (فُعْلَة) اسماً للماء المغترف، نحو الخُطوة والأُكلة،[5] أو هو الماء القليل،[6] وروي عن الكسائي وأبي عبيدة أنّ " الغُرْفَة بالضمّ الذي يحصل في الكف من الماء إذا غُرِف،[7] وقال أبو حاتم: " الغُرْفَة بالضَّم ملءُ الكف أو ملء المغرفة "[8]، أو هي " مِقْدَار ملْء الْيَد من المغروف"[9] وهي عند المبرد " اسْمُ مِلْءِ الْكَفِّ أَوْ مَا اغْتُرِفَ بِهِ ".[10] وقرأ الباقون

---

[1] ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: 669هـ)، (1987م)، **الممتع الكبير في التصريف**، تحقيق: فخر الدّين قباوة، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، ص41.

[2] السيوطيّ، المزهر، ج1، ص275.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص198. النشر في القراءات، ج2، ص230. تحبير التيسير، ص307. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص212. محيسن، الهادي، ج2، ص86.

[4] سورة البقرة، الآية 249.

[5] السمرقندي، مفتاح العلوم، ج1، ص163.

[6] الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج1، ص223.

[7] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص216.

[8] المصدر نفسه.

[9] السجستاني، غريب القرآن، ص353.

[10] الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص511.

(غَرْفَة) على وزن (فَعْلَة) مصدراً للمرّة؛ أي الاغتراف مرّة واحدة باليد،[1] وقيل: هي " المرّة الواحدة من القليل والكثير"،[2] وهي – كما يقول أبو العباس المبرد– مصدر يقع لما قلّ أو كثر في اليد.[3]

ويمكن أن نجد في العلاقات التّركيبيّة لهذه الجملة القرآنيّة ما يسعفنا في توجيه هاتين القراءتين؛ فـــ (الغَرْفَة) بفتح (الغين) هي من العناصر الّتي يسمح لها السّياق التّركيبيّ بالحلول محل المصدر على سبيل النّيابة، فأصل التركيب – والله أعلم – في القراءة الأولى: " إلاّ من اغترف اغترافاً من الماء، ثُمّ حُذِف المصدر (اغتراف) لحلّ اسم المصدر مكانه، فيصبح التّركيب " إلاّ من اغترف ماء غرفة"؛[4] ولذلك رأى القرطبيّ (الغَرْف والاغتراف) هما سيّان في المعنى.[5] ويعلّق ابن عرفة على هذه المسألة فيقول: " وفائدة التّأكيد بالمصدر على هذا تحقيقاً للرّخصة في ذلك الفعل وتأكيدَ (إباحتها) خشية أن يتوهم قصر ذلك على أدنى شيء من الماء المأخوذ باليد فأكده تنبيها على إباحته الغرفة الواحدة بكمالها ".[6]

وأمّا الغُرُفة بضمّ الغين في القراءة الثّانيّة فإنّ الفعل في سياقها التركيبيّ يطلبها على المفعوليّة؛ إذ "الغُرْفَة هي العين المغترفة"،[7] وهذا يعني أنّ الآية يمكن حملها على معنى " إلّا من اغترف ماء ".[8]

وبناءً على ذلك ذهب بعض النّحاة والمفسّرين إلى تغليب إحدى القراءتين على الأخرى والمفاضلة بينهما، فنرى الطّبريّ يُؤثر قراءة الضّم على قراءة الفتح،

---

[1] ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، (ت:399هــ)، (2002م)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط1، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ج1، ص248.

[2] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص216.

[3] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج6، ص511.

[4] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج1، ص335. الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص295.

[5] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص253.

[6] ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج1، ص708.

[7] المصدر نفسه.

[8] المصدر نفسه.

قال: " وَأَعْجَبُ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ ضَمُّ الْغَيْنِ فِي الْغُرْفَةِ بِمَعْنَى: إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ كَفّاً مِنْ مَاءٍ، لِاخْتِلَافِ غَرْفَةٍ إِذَا فُتِحَتْ غَيْنُهَا"،[1] وإلى ذلك ذهب أبو علي الفارسيّ، قال: قراءة الضم أرجح؛ لأنّ القراءة بفتح الغين تصيّر (الغرفة) مصدراً، " والمصدرُ لا يوافق الفعلَ في بنائِهِ، إنّما جاء على حَذْفِ الزوائد وجَعْلُها بمعنى المفعول لا يُحْوِج إلى ذلك فكانَ أرجَح ".[2]

وأحسب أنّ هذا الرّأي وذاك التّرجيح ليس بدقيق؛ ذلك أنّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا يجوز المفاضلة بينهما أو تفضيل إحداهما على الأخرى، فكلتاهما سنّة متّبعة يتعبّد بتلاوتها، وفي ذلك يقول أبو حيّان معلّقاً على ذلك: " وَهَذَا التَّرْجِيحُ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالنَّحْوِيُّونَ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ لَا يَنْبَغِي، لِأَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ وَمَرْوِيَّةٌ ثَابِتَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا وَجْهٌ ظَاهِرٌ حَسَنٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهَا تَرْجِيحُ قِرَاءَةٍ عَلَى قِرَاءَةٍ ".[3]

(دِفَاع)، (دَفْع): [4]

وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب من قوله تعالى: " وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ"[5]، وقوله تعالى: " وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ "[6] (دِفاع) على وزن (فِعَال) مصدراً يراد به الكثير،[7] وهو إمّا أن يكون مصدراً لــ (دَفَعَ) نحو قولنا: دَفَعْتُهُ دَفْعَاً وَدِفَاعَاً، وكَتَبْتُهُ كَتْبَاً وكِتَابَاً، " وفعال كثيراً يَجِيءُ مَصْدَراً لِلثُّلَاثِيِّ مِنْ فَعَلَ وَفَعِلَ، تَقُولُ: جَمَحَ

---

[1] الطبريّ، جامع البيان، ج5، ص343.

[2] الفارسيّ، الحجة، ج2، ص351-352. السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص528.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص588.

[4] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص198. النشر في القراءات، ج2، ص230. تحبير التيسير، ص308. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص213. محيسن، الهادي، ج2، ص87.

[5] سورة البقرة، الآية 251.

[6] سورة الحج، الآية 40.

[7] البغويّ، معالم التنزيل، ج5، ص389.

جِمَاحاً، وَطَمَحَ طِمَاحاً، وَتَقُولُ: لَقِيتُهُ لِقَاءً، وَقُمْتُ قِيَاماً"،[1] ويكون المعنى بناءً على ذلك: ولَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ مَعْنَاهُ ولَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ. وإمّا أن يكون مصدراً لـــ (دافع) بِمَعْنَى دَفَعَ،[2] قَالَ أَبُو ذؤيب:[3]

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

ويكون المعنى بحسب هذا التّوجيه الأخير " أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَكُفُّ الظَّلَمَةَ وَالْعُصَاةَ عَنْ ظُلْمِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَئِمَّةِ دِينِهِ وكَانَ يَقَعُ بَيْنَ أُولَئِكَ الْمُحِقِّينَ وَأُولَئِكَ الْمُبْطِلِينَ مُدَافَعَاتٌ وَمُكَافَحَاتٌ، فَحَسُنَ الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمُدَافَعَةِ، كَمَا قَالَ: " يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، " شَاقُّوا اللَّهَ "، وَكَمَا قَالَ: " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ "، وَنَظَائِرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ "،[4] وهي اختيار أبي حاتم، قال: " وقد يكون الفعال من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدّفاع، وعافاك الله، وعاقبه الله، وناول شيئاً ".[5]

وقرأ الباقون (دَفْع) على وزن (فَعْل) مصدر (دَفَع)، نحو: ضرب وفتح[6] على إرادة القليل والكثير،[7] وهو اختيار أبي عبيدة الذي أنْكَرَ أَنْ يُقْرَأَ (دِفَاعُ)؛ قال: لأنّ الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدّافع وحده،[8] وكلام أبي عبيدة هذا فيه نظر؛ حيث إنّه بنى اختياره للقراءة من اعتقاده، أنّ (دِفاع) هو مصدر للفعل (دافع) الذي يدل على المفاعلة التي "... هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُدَافِعِينَ دَافِعاً لِصَاحِبِهِ وَمَانِعاً لَهُ مِنْ فِعْلِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ"،[9]وهو وهم

---

1 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج6، ص518.

2 ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج1، ص338.

3 أبو سعيد السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (1965م)، **ديوان الهذليين**، الدار القوميّة للطباعة والنشر، القاهرة، ق1، ص2.

4 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج6، ص518. والآيات الواردة في النّص: سورة المائدة، الآية 33. سورة الْأَنْفَالِ، الآية 13. سورة التَّوْبَة، الآية 30.

5 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص224.

6 أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص94.

7 البغويّ، معالم التنزيل، ج5، ص389.

8 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص259. الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص224.

9 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج6، ص518.

لو فطن إليه أبو عبيدة لما وقع في مزلّة تخطيء القراءة بل إنكارها، وفي ذلك يقول مكيّ: " يُوهِمُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْمُفَاعَلَةِ ولَيْسَ بِهِ"،(1) ثمّ إنّ هذه القراءة ممّا أُجمع على تواترها وقُطع بصحّتها، ومطلب الترجيح والمفاضلة بينها من الأمور التي يمتنع الخوض فيها.

ولقد بحثت في معاجم اللّغة وكتب التّصريف عن تفريق أو اختلاف لهاتين الصّيغتين، فوجدت من القوم من ساوى بينهما، فصاحب الكتاب يقرّر بمصدريّتهما للفعل (دَفَع)،(2) وتبعه في ذلك أبو حاتم حيث يقول: " دَافِعٌ وَدَفْعٌ وَاحِدٌ مِثْلُ: طَرَقْتُ نَعْلِي وَطَارَقْتُهُ؛ أَيْ خَصَفْتُ إِحْدَاهُمَا فَوْقَ الْأُخْرَى، وَالْخَصْفُ: الْخَرْزُ ".(3)

وممّا يعزّز هذا التّوجيه أنّ في التّنزيل شواهد كثيرة جاء فيها الفعل بصيغة (فَاعَلَ) بمعنى (فَعَلَ) كقوله جلّ ثناؤه: " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"،(4) إذ ليس للمفاعلة في هذا السّياق وجه من المعنى،(5) الأمر الذي يدفع الباحث إلى الاعتقاد أنّ هاتين القراءتين هما سيّان في المعنى، وهو مذهب قال به نفر من العلماء.(6)

(كُرْها)، (كَرْها):(7)

وقد تباين القرّاء العشرة في قراءة هذه الكلمة في ثلاثة مواضع من التّنزيل، وهي:

1- قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً ".(8)

2- وقوله عزّ من قائل: " قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ".(9)

---

1 الشوكانيّ، فتح القدير، ج1، ص305.

2 سيبويه، الكتاب، ج1، ص153.

3 الشوكانيّ، فتح القدير، ج1، ص305. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص259.

(4) سورة التوبة، الآية 30.

(5) الفارسيّ، الحجة، ج2، ص354.

6 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص227. النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص124.

7 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص70. شرح طيبة النشر، ص214. النّشر في القراءات، ج2، ص248. تحبير التيسير، ص556. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص266. محيسن، الهادي شرح طيبة النّشر، ج2، ص146.

8 سورة النساء، الآية 19.

9 سورة التوبة، الآية 53.

3- وقوله تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً"[1].

حيث اتّفق حمزة والكسائيّ وخلف العاشر على قراءتها في الآيات الثّلاث (كُرْهاً) بضمّ الكاف، على أنّها مصدرٌ بزنة (فُعْلْ)، يقال: " كَرِهْتُ الشّيءَ كَرْهاً وكُرْهاً وكَراهةً وكَرَاهِيَةً ".[2] وتبعهم في موضع (الأحقاف) ابن ذكوان وهشام بخلاف عنه وعاصم ويعقوب حيث قرؤوه بالضمّ (كُرْها).

وقرأ الباقون المواضع الثّلاث بالفتح (كَرْهَاً) وهو الوجه الثّاني لهشام، على أنّه مصدر على وزن (فَعْلْ)،[3] على معنى (الإكراه).[4] والفتح والضّم في (الكره) هما لغتان عند الكسائي[5] بمعنى واحد هو المشقّة قاله الأخفش،[6] جاء في اللّسان: " وَقَدْ أَجمع كَثِيرٌ مِنْ أَهل اللُّغَةِ أَن الكَرْهَ والكُرْهَ لُغتانِ، فبأَيِّ لُغَةٍ وَقَعَ فجائِزٌ"،[7] وقيل: الكَرْه بالفتح المصدر وبالضمّ الاسم،[8] أي: (مكروه)،[9] وروي عن المبرد قوله: " الكَرْه أولى لأنّها لمصدر بعينه"،[10] وحكي عن الخليل وتلميذه سيبويه أنّهما قالا: " كلّ فعل ثلاثي فمصدره فعل، واستدلّا على ذلك أنّك إذا رددته إلى المرة الواحدة جاء مفتوحاً نحو قام قومة، وذهب ذهبة، فإذا قلت: ذهب ذهاباً فإنّما هو عندهما اسم للمصدر لا مصدر، وكذلك الكُره اسم للمصدر والكَرْه المصدر".[11]

---

[1] سورة الأحقاف، الآية 15.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج13، ص534.

[3] النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص206، ج2، ص122.

[4] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص290.

[5] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج10، ص11.

[6] الأخفش، معاني القرآن،ج1، ص184.

[7] ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج13، ص534.

[8] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص266.

[9] ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج13، ص534.

[10] النحاس، إعراب القرآن، ج4، ص109.

[11] المصدر نفسه.

وأحسب أنّ هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد، وهو مذهب قال به كثير من أهل العربيّة،[1] قال الفارسيّ: " الكَرْه والكُرْه: لغتان، كقولهم: الفَقْر والفُقْر، والضَّعْف والضُّعْف، والدَّفّ والدُّفّ، والشَّهْد والشُّهْد. فمن قرأ الجميع بالضمّ فقد أصاب. وكذلك لو قرأ قارئ جميع ذلك بالفتح، وكذلك إن قرأ بعض ذلك بالفتح وبعضه بالضمّ، كل ذلك مستقيم ".[2]

(شَنَئَان)، (شَنَآن):[3]

قرأ ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جمّاز بخلاف عنه (شَنَئَان) من قوله تعالى: " وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا "،[4] وقوله تعالى: " وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا "،[5] حيث قرأوا (شنآن) على وزن (فَعْلان) صفة مشبهة[6] لمذكّر بمعنى (البغض)،[7] فـ " الشَّنَاءَةُ مِثْلُ الشَّناعةِ: البُغْضُ"[8] مؤنّثه (فَعْلانَة) نحو: عَطْشَان عَطْشَانَة وسَكْرَان سَكْرَانَة،[9] وقيل: رجل شنآن وامرأة شنآنة،[10] وروي عن الفرّاء قوله: (شنآن) بالتّخفيف وهي اسم بمعنى (البَغِيضُ).[11]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج13، ص534.

[2] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص144-145.

[3] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص71. شرح طيبة النشر، ص218. النشر في القراءات، ج2، ص253،254. تحبير التيسير، ص345. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص283. محيسن، الهادي، ج2، ص167.

[4] سورة المائدة، الآية 2.

[5] سورة المائدة، الآية 8.

[6] الألوسي، روح المعاني، ج3، ص229.

[7] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص147.

[8] ابن منظور، لسان العرب، (شنأ)، ج1، ص101.

[9] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج3، ص1472.

[10] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج11، ص282.

[11] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص300.

ويحتمل أن يكون مصدراً نحو: لَيَّان[1] قاله (الواحديّ)،[2] وقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: " وَهُوَ شَاذٌّ فِي اللَّفْظِ لأَنّه لَمْ يَجِئْ شيءٌ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَيْه"،[3] ويزيد الزّبيديّ الأمر وضوحاً فيقول: "... لم يجىءْ من المصادر على فَعْلاَن بِالْفَتْح إِلاَّ لَيَّان وشَنْآن، لَا ثَالِث لَهما".[4]

وبناءً على تضعيف مصدريّة (شنآن) بل تشذيذها، ذهب بعض المفسّرين إلى تفضيل قراءة (شَنَآن) بالفتح وأنّها " أولى القراءتين... بالصّواب"[5] من قراءة التّسكين، وقيل: " وَالْفَتْحُ أَجْوَدُ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ أَكْثَرُهَا على فَعَلَانِ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ مِثْلُ الضَّرَبَانِ وَالسَّيَلَانِ وَالنَّسَلَانِ وَنَحْوِهَا "،[6] قال الجوهريّ: " وهما شاذّان فالتّحريك شاذ في المعنى لأنّ فَعَلان إنّما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضّرَبان والخَفَقان والتّسكين شاذٌّ في اللّفظ لأنّه لم يجئ شيءٌ من المصادر عليه ".[7]

وقد غلّط (الفارسيّ) من زعم أن (شنْئان) بالتّسكين ليست بمصدر، قال: " من أسكن النّون مصدراً كاللّيّان، فيكون المعنى: لا يجرمنّكم بغض قوم، كما كان التّقدير في من فتح كذلك، وقال أبو زيد: رجل شنآن وامرأة شنآنة، مصروفان... وقد يقال: رجل شنآن بغير صرف، ولأنّك تقول: امرأة شنأى... فأمّا الشّنآن على فَعْلان، فإنّ فعلان قد جاء مصدراً وجاء وصفاً، وهما جميعاً قليلان"،[8] وقرأ الباقون ومعهم ابن جمّاز بخلاف عنه (شنآن) على وزن (فَعَلان)، " وَالشَّنَآنُ هُوَ الْبُغْضُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

---

[1] ركن الدين الاستراباذيّ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الاستراباذي، (ت: 715هـ)، (2004م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ص159.

[2] الواحديّ، التفسير الوسيط، ج2، ص150. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج11، ص282.

[3] الجوهريّ، الصحاح، (شنأ)، ج1، ص57.

[4] الزبيديّ، تاج العروس، (شنأ)، ج1، ص286.

[5] الطبريّ، جامع البيان، ج9، ص486.

[6] البغويّ، معالم التنزيل، ج2،ص9.

[7] الجوهريّ، الصحاح، (شنأ)، ج1، ص57. السيوطيّ، المزهر، ج1، ص184.

[8] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص198، 199، 200.

وَغَيْرُهُ وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ شَنَأْتُهُأَ شَنْؤُهُ شَنَآناً بِالتَّحْرِيكِ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ جَمَزَان ودَرَجَان ورَقَلان مِنْ جَمَزَ وَدَرَجَ ورَقَل ".[1]

و(شَنَآن) – كما يرى الزّبيديّ وغيره كالجوهري– هو من جملة المصادر الشّاذّة، قال: " هُوَ شَاذ فِي الْمَعْنى، لأَنّ فَعَلان إِنّما هُوَ من بِناء مَا كَانَ مَعناه الحَركةَ وَالِاضْطِرَاب، كالضَّربَان والخَفَقان، وَقَالَ سيبويه: الفَعَلان بِالتَّحْرِيكِ مصدرُ مَا يدُلُّ على الحَركة كَجَوَلَان، ولَا يكون لِفعل مُتَعَدَ فيشذّ فِيهِ من وَجْهَيْن، لأَنه مُتَعدَ، وَلعدم دلَالَته على الْحَرَكَة ".[2] فيكون المعنى والله أعلم: لا يُكْسِبَنَّكم بُغْضُ أو بغيض قومٍ " مِنْ أجْل أَنْ صَدُّوكم عدواناً عليهم وظلماً لهم ".[3]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتملان وجهين؛ فهما إمّا أن يكونا مصدرين بمعنى واحد هو البغض، وإلى ذلك ذهب نفر من العلماء.[4]وإمّا أن يكونا صفتين مشبّهتين بمعنى واحد أيضاً، قال الرّازي: " وَفَعَلَانُ قَدْ جَاءَ وَصْفاً وَقَدْ جَاءَ مَصْدَراً"،[5] وقال السّمين الحلبي في (الدّر المصون): " وجَوَّزوا في كل منهما أن يكونَ مصدراً وأن يكون وصفاً ".[6]

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:774ه)، (1999م)، **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ج2، ص12.الصابوني، محمد علي الصابوني، (1981م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ج1، ص478.

[2] الزبيديّ، تاج العروس، (شنأ)، ج1، ص286. سيبويه، الكتاب، ج4،ص15.

[3] الثعالبيّ، الجواهر الحسان، ج2، ص338.

(4) الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص612. ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج2، ص149.
البيضاويّ، أنوار التنزيل، ج2، ص114. أبو حيّان، البحر المحيط، ج4، ص169.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص282.

(6) السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج4، ص189-190.

(دكّاء)، (دكّا):[1]

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (دكّاً) من قوله تعالى: " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً "،[2] وكذلك قرأوا ومعهم حفص (دَكَّاءَ) من قوله تعالى: " فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً "[3] (دكّاء) بإلحاق همزة بعد الألف، دون تنوين، على وزن (فعلاء) اسماً مفرداً نحو: حمراء وصفراء، " وَالدَّكَّاءُ النَّاقَةُ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا"[4]، وعن ابن دريد " النّاقة الدّكاء إذا كَانَت مفترشة السّنام فِي ظهرهَا أَو مجبوبة "،[5] أو هو اسم للرّابية النّاشزة من الأرض، كالدكّة أو أرضاً دكّاء مستوية حكاه الزمخشريّ.[6] ويكون تأويل هذه الآية " أنّ الله جلّ في علاه صيّر الجبل أَرْضاً دَكَّاءَ كالنَّاقَةِ الدَّكَّاءِ، أي جعله حين التجلّي مستوياً لا ارتفاع فيه؛ تعظيماً لله تعالى وخضوعاً له ".[7]

وقرأ الباقون في كلا الموضعين (دَكّاً) بحذف الألف والهمزة مع إلحاق التنوين، على وزن (فَعْلاً) مصدر دككت الأرض دكّا، إذا " جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض"،[8] أو هي مصدر أقيم مقام اسم المفعول أي جعله مدكوكاً قاله (مكيّ) في (الهداية)،[9] ومن سنن العرب في كلامها إقامة المصدر مقام اسم

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر، ص236. النشر في القراءات، ج2، ص271. تحبير التيسير، ص378،450. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص337. محيسن، الهادي، ج2، ص248.

[2] سورة الأعراف، الآية 143.

[3] سورة الكهف، الآية 98.

[4] نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم، (دكك)، ج4، ص2006.

[5] ابن دريد، الجمهرة، (دكك)، ج1، ص193.

[6] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص195.

[7] أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص167. محيسن، القراءات، ج1، ص546.

[8] محيسن، القراءات، ج1، ص546.

[9] مكيّ، الهداية، ج4، ص2540.

المفعول، " فَيَقُولُونَ هَذَا دِرْهَم ضرب الْأَمِير أَي مَضْرُوب الْأَمِير"[1] ونظير هذه القراءة قوله تعالى: " كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً "،[2] ومنه قول الشاعر:[3]

قد كان شَغْبٌ لو أنَّ الله عَمَّرَهُ عِزّاً تُزَادُ به في عِزِّها مُضَرُ
لَيْتَ الجِبَالَ تَداعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ دَكّاً فلم يَبْقَ في أحجارِها حَجَرُ

(مُجْراها)، (مَجْراها):[4]

قرأ حمزة والكسائيّ وحفص وخلف العاشر (مَجْراها) من قوله تعالى: " وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها"،[5] بفتح الميم على أنّه مصدر ثلاثيّ من جرى جَرْيَاً ومَجْرَى،[6] والمراد بِسم الله جريانها، وبِسم الله مُرْسَاها.[7]

وقرأ الباقون (مُجْراها) بضمّ الميم، مصدراً مزيداً من أَجْرَيْتُ السّفينة،[8] والمعنى: " باللَّه إجراؤها وباللَّه إِرْسَاؤها"،[9] أو هو على معنى: " اركبوا الآن متبرّكين باسم الله في الوقتين اللّذين لا ينفكّ الرّاكبون فيها منهما من الإرساء

---

1 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص295.

2 سورة الفجر، الآية 21.

3 هذا البيت لعكرشة (أبي شغب) يرثي ابنه شغباً، المبرد، الكامل في اللّغة، ج1، ص180. أبو علي القالي، الأمالي، ج2، ص88.

4 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص79. شرح طيبة النشر، ص250. النشر في القراءات، ج2، ص288. تحبير التيسير، ص405. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص378. محيسن، الهادي، ج2، ص307.

5 سورة هود، الآية 41.

6 ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: 815هـ)، (1423ه)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص189.

7 الزجاج، معاني القرآن، ج3،ص52.

8 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص289.

9 الزجاج، معاني القرآن، ج3، ص52. الأزهريّ، معاني القراءات، ج2،ص46.

والإجراء".[1] ويكون المعنى بحسب هاتين القراءتين أنّ الله جلَّ علاه أمَرَهُمْ أن يذكروا اسمه في وقت جريان السّفينة ووقت استقرارها.

(بِقْية)، (بَقِيّة):[2]

وانفرد ابن جمّاز بقراءة (بقية) من قوله تعالى: " فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ"،[3] حيث قرأها (بِقْية) بكسر الباء، وإسكان القاف وتخفيف الياء، مصدراً للمرّة على وزن (فِعْلَة)،[4] من قولهم: " بَقَيْتُ الرَّجُلَ أبقيه بَقْياً "،[5] أي أنظر إليه وأترقّبه[6]، ويمكن أن يحمل على أنّه " مَصْدَر بِمَعْنَى فَعِيلٍ، وَهُوَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ"،[7] ومنه حديث معاذ بن جبل قال: " بَقِينَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَلَاةِ الْعَتَمَةِ لَيْلَةً فَتَأَخَّرَ بِهَا حَتَّى ظَنَّ الظَّانُّ أَنْ قَدْ صَلَّى أَوْ لَيْسَ بِخَارِجٍ..."،[8] يريد: " انتظرناه وترصّدنا له مدة كثيرة"،[9] وقال الشّاعر:[10]

---

1 الفارسيّ، الحجّة، ج4، ص331.

2 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النشر، ص253. النشر في القراءات، ج2، ص292. تحبير التيسير، ص409. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص385، 386. محيسن، الهادي، ج2، ص319.

3 سورة هود، الآية 116.

4 العكبريّ، التبيان، ج2، ص718. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج6، ص423. محيسن، القراءات، ج1، ص586.

5 أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي، (ت: 224ه)، (2003م)، **غريب الحديث**، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السّنة والجماعة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص243.

6 الجوهريّ، الصّحاح، (بقي)، ج5، ص1923. الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص437.

7 العكبريّ، التبيان، ج2، ص718. محيسن، الهادي، ج2، ص319.

8 البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هــ)، (2003م)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب من استحب تأخيرها، حديث رقم: 2121، ج1، ص662.

9 الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ج1، ص138.

10 الأبيات بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها: الأزهري، تهذيب اللّغة، ج9، ص261. الجوهري، الصّحاح، ج5، ص1923. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص216.

فهـــــــنّ يّعْلُكْنَ حـــــــــــــــدائدِاتِهـــــــــــــا

جُنْحُ النَّواصِي نَحْوَ ألْوِياتِها

كـــــــالطير تبقى متداوماتِها

يعني: " تنظر إليها "[1]، وقال كثير عزة:[2]

فَمَا زِلْتُ أَبْقِي الظُّعْنَ حَتَّى كَأَنَّهَا أَوَاقِي سَدىً تَغْتَالُهُنَّ الْحَوَائِكُ

وقرأ الباقون بَقِيّة بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء، على وزن (**فَعِيلَة**) مصدراً من قولهم: " بَقِيَ من الشّيء بقيّة"،[3] والمراد به الخير والفضل قاله ابن عباس، وعن ابن قتيبة " يقال: قوم لهم بقيّة وفيهم بقية. إذا كانت بهم مُسْكَةٌ وفيهم خير"،[4] وإنّما سمّت العرب الفضل والجود بَقِيَّةً؛ " لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسْتَبْقِي ممَّا يُخْرِجُهُ أَجْوَدَهُ وَأَفْضَلَهُ، فَصَارَ هَذَا اللَّفْظُ مَثَلاً فِي الْجَوْدَةِ يُقَالُ فُلَانٌ مِنْ بَقِيَّةِ الْقَوْمِ أَيْ مِنْ خِيَارِهِمْ، وَبِهِ فُسِّر بَيْتُ الْحَمَاسَةِ:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ يَأْتِينِي بَقِيَّتُكُمْ

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ:

فِي الزَّوَايَا خَبَايَا وَفِي الرِّجَالِ بَقَايَا "[5].

ويرى الباحث أنّ بَقِيّة قد تكون مصدراً من باب بَقِيَ يَبْقى بَقاءً وبَقِيّة؛ إذ "... الباقية، توضع موضع المصدر، قال الله تعالى: " فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ"،[6] أي:

---

[1] أبو عبيد، غريب الحديث، ج2، ص243.

[2] كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر(105ه)، (1971م)، **ديوان كُثَـــيِّر عزة**، شرحه وحققه: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص348.

[3] الجوهريّ، الصّحاح، (بقي)، ج6، ص2283.

[4] ابن قتيبة، غريب القرآن، ج1، ص210.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص224. الشطر الأول هو لرُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِيّ وتتمّته:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تأْتِيني بَقِيَّتُكم فَمَا عليَّ بذَنْبٍ منكمُ فَوْتُ

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: 502هــ)، **شرح ديوان الحماسة**، (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت: 231هــ)، دارالقلم، بيروت، ص47.

[6] الرازي، مختار الصحاح، (بقي)، ص38. سورة الحاقّة، الآية 8.

(بَقاء) قاله الفرّاء قال: " وَيُقَال: هَلْ ترى منهم باقياً ؟ وكل ذَلِكَ فِي العربيّة جائز حسن"،[1] وقيل هي: بِمَعْنَى الْبَقْوَى، " كَالتَّقِيَّةِ بِمَعْنَى التَّقْوَى"، حكاه الزّمخشريّ في الكشّاف،[2] وروى أبو عبيد عن الكسائيّ قَالَ: " البَقْوَى والبُقْيا هِيَ الْإِبْقَاء، مِثْل الرَّعْوَى، والرُّعْيَا مِن الإرعاء على الشَّيْء، وَهُوَ الإبقاءُ عَلَيْهِ "،[3] وقيل: هي على زنة " فَعِيلَةٌ اسْمُ فَاعِلٍ لِلْمُبَالَغَةِ ".[4]

وبناءً على ذلك يحسب الباحث أنّ المعنى وفق هذا التّوجيه يمكن أن يكون – والله أعلم – " فَهَلَّا كَانَ مِنْهُمْ ذُو بَقَاءٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصِيَانَةٍ لها من سخط اللّه تعالى وَعِقابِهِ"،[5] ويقول صاحب البحر معقّباً على ذلك: " وَإِنَّمَا قِيلَ: بَقِيَّةٌ لِأَنَّ الشَّرَائِعَ وَالدُّوَلَ وَنَحْوَهَا قُوَّتُهَا فِي أَوَّلِهَا، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَضْعُفُ، فَمَنْ ثَبَتَ فِي وَقْتِ الضَّعْفِ فَهُوَ بَقِيَّةُ الصَّدْرِ الْأَوَّل".[6]

(بِشَق)، (بِشِق):[7]

وانفرد أبو جعفر من بين القرّاء العشرة بقراءة (بِشَق) من قوله تعالى: " وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ"[8] بفتح الشّين (بشَق) على وزن (فَعْل) مصدر شَقَقْتُ،[9] من قولهم: " شَقَّ الأمرُ عليه شَقّاً "[10] يريد: " إِلَّا

---

[1] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص180.

[2] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص437.

[3] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، ج9، ص260. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص80. (بقي)

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص224.

[5] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص437.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص224.

[7] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص81. شرح طيبة النشر، ص260. النشر في القراءات، ج2، ص302. النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص411. تحبير التيسير، ص430. محيسن، الهادي، ج2، ص353، 354.

[8] سورة النحل، الآية 7.

[9] ابن منظور، لسان العرب، (شقق)، ج10، ص181.

[10] الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص594. مكيّ، الهداية، ج6، ص3953. النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص56.

بِمَشَقَّةٍ " قاله مجاهد،[1] قال ابن قتيبة: " يقال: نحن بِشِقٍّ من العيش، أي بِجَهْدٍ "[2]، وعن أبي عبيد قال: " الشَّقُّ: المَشَقَةُ والجَهْدُ والعَنَاءُ"،[3] وزاد عليه صاحب المفردات: "والانْكِسارُ الَّذِي يَلْحَقُ النَّفْسَ والبَدَنَ".[4]

وقرأ الباقون (بِشِق) بكسر الشّين على وزن (فِعْل) اسماً للمصدر، وهو " نصف الشّيء، يقال: أخذت شِقَّ الشّاة "،[5] والمعنى: " إلا بنقص من القوة، أي ذهاب شق منها، أي: ذهاب نصفها "،[6] قاله الفرّاء قال: " وقد يجوز في قوله: (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) أن تذهب إلى أنّ الْجَهد ينقص من قوة الرّجل ونَفْسه حَتَّى يجعله قد ذَهَب بالنّصف من قوّته، فتكون الكسرة عَلَى أَنَّهُ كالنّصف والعرب تَقُولُ: خذ هَذَا الشِّقّ لشقّة الشّاة ويُقَال: المالُ بيني وبينك شَقّ الشعرة وشِقّ الشَّعَرة وهما متقاربان، فإذا قالوا شققت عليْكَ شَقّاً نصبوا ولم نسمع غيره ".[7]

ونحن إذا ما بحثنا المسألة عند أصحاب المعاجم وصنّاع التّصريف[8] فإنّنا نجد منهم من رأى الصّيغتين مترادفتين بمعنى واحد،[9] فكان مُعَاذ الْهَرَّاء[10] يقول:

---

1 مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ)، (1989م)، **تفسير مجاهد**، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ص420.

2 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص241. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص551.

3 الزبيديّ، تاج العروس، (شقق)، ج25، ص512.

4 الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص459. الزبيديّ، تاج العروس، (شقق)، ج25، ص512.

5 الجوهريّ، الصّحاح، (شقق)، ج4، ص1502.

6 مكيّ، الهداية، ج6، ص3953. الماورديّ، النكت والعيون، ج3، ص180.

7 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص97. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (شقق)، ج8، ص205.

(8) القادوسيّ، أثر القراءات القرآنية، ص282-283.

(9) الرازيّ، مختار الصّحاح، (شقق)، ص167.

(10) هو أبو مسلم معاذ الهراء، ولد زمن يزيد بن عبد الملك، وعاش إلى أيام البرامكة، وقد سمّي بــ (الهراء) لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيع الثِّيَاب الهروية، ولم يصلنا مصنف له، أخذ عنه الكسائيّ، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة، في خلافة الرشيد. الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: 577هـ)، (1985م)، **نزهة الألباء**

" هي لغة، تَقُولُ الْعَرَبُ بِشِقٍّ وَبِشَقٍّ، وَبِرِقٍّ وَبَرَقٍ"،[1] وذهب أبو عبيدة إلى أنّ (شقّ) هو ممّا تتعاقب على فائه الفتحة والكسرة "ومعناه بِمَشَقَة"،[2] وأنشد عليه بيتاً لعمرو بن مِلْقَط، وهو قوله:[3]

والخَيْلُ قَدْ تُجْشِمُ أَرْبَابَها الشقّ   وَقَدْ تَعْتَسِفُ الرّاوِيَة

وهذا ابن جنيّ يقرّر أنّ الفتح والكسر في كلتا الصّيغتين سيّان، قال: " الشَقّ، بفتح الشّين بمعنى الشِقّ بكسرها وكلاهما المشقّة"،[4] وأنشد عليه بيت عمرو بن مِلْقَط سالف الذكر، وقيل: " هما مصدران بمعنىً واحد، أي: المَشَقَّة"،[5] أو هما متقاربان حكاه الْمَهْدَوِيُّ،[6] وقال الثعلبيّ: "... هُمَا لُغَتَانِ، مِثْلَ رِقٍ وَرَقٍّ وَجِصٍّ وَجَصٍّ وَرِطْلٍ وَرَطْلٍ".[7]

وإلى جانب هذا المذهب ثمّة من رأى الصّيغتين مترادفتين في المعنى متباينتين في الفصيلة التصريفيّة؛ إذ (الشِّقُّ) بالكسر هو اسم من المَشَقّة، و(الشَّقُّ) بالفتح هو مصدر يحمل الدّلالة نفسها،[8] وقيل: هما مصدران بمعنى واحد،[9] " أي: المَشَقَّة".[10]

في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، ط3، مكتبة المنار، الأردن، ص50.
التنوخيّ، تاريخ العلماء النحويين،ص193.

[1] الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص171.

[2] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص356.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص183. الزبيدي، تاج العروس، ج25، ص512.

[4] ابن جنيّ، المحتسب، ج2، ص7.

[5] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج7، ص194.

[6] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص72.

[7] البغويّ، معالم التنزيل، ج3، ص72.

[8] النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص56. الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص349.

[9] الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص349.

[10] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج7، ص194.

وبناءً على هذه المباحثة يعتقد الباحث أنّ هاتين القراءتين متباينتان في البنية الصّرفيّة والمعنى المعجميّ، وهو مذهب أخذ به فريق من العلماء،[1] فيرى الزّمخشريّ أنّ هاتين القراءتين "... بينهما فرق: وهو أنّ المفتوح مصدر شَقَّ الأمرُ عليه شَقّاً، وحقيقته راجعة إلى الشَّقِّ الذي هو الصَّدْع، وأمّا الشِّقُّ النِّصْفُ، كأنّه يذهب نصف قوّته لما يناله من الجهد "،[2] قال الرّازي: " وَقُرِئَ: بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بِكَسْرِ الشِّينِ وَفَتْحِهَا، وَأَكْثَرُ الْقُرَّاءِ عَلَى كَسْرِ الشِّينِ. وَالشِّقُّ الْمَشَقَّةُ وَالشِّقُّ نِصْفُ الشَّيء، وحمل اللّفظ ههنا عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ جَائِزٌ، فَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى المشقّة كان المعنى: لم تكونوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى نِصْفِ الشّيء كان المعنى: لم تكونوا بَالِغِيهِ إِلَّا عِنْدَ ذَهَابِ النِّصْفِ مِنْ قُوَّتِكُمْ أَوْ مِنْ بَدَنِكُمْ وَيَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ إِلَى الْمَشَقَّةِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَالْأَنْعامَ خَلَقَها الْإِبِلُ فَقَطْ بِدَلِيلِ أَنَّهُ وَصَفَهَا فِي آخِرِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ وَهَذَا الْوَصْفُ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْإِبِلِ".[3]

ومع ذلك يبقى لمن غلّب الاستعمال اللّغويّ على البون في الدّلالة والبنية ما يسوّغه؛ فقد وردت لفظة (الشّق) في بعض الشّواهد الشّعريّة بفتح الشّين وكسرها، ومنه قول النّمرِ بنِ تَوْلَب:[4]

وذِي إبِلٍ يَسْعَى وَيحْسِبُها لَهُ   أخِي نَصَبٍ مِنْ شَقِّهَا ودُؤُوبِ

---

(1) الحريريّ، درّة الغواص، ص269.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف، ج2، ص594-595.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص176.

4 النّمر بن تولب بن زهير بن أُقَيْش، (2000م)، **ديوان النمر بن تولب العُكْلي**، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر، بيروت، ص44. والبيت في الدّيوان برواية أخرى:

وذِي إبِلٍ يَسعَى ويَحسِبُها لَه   أخِي نَصَبٍ في سَقْيِهَا ودَؤُوبِ

وورد البيت بهذه الرّواية في المصادر الآتية: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص380. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص184.

(خِطَاء)، (خَطَأ)، (خِطْء):[1]

وانفرد ابن كثير من بين القرّاء العشرة في (خِطئاً) من قوله تعالى: " إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً "،[2] حيث قرأها (خِطَاءً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها، على وزن (فِعَال) مصدر خَاطأَ يُخَاطِئ خِطَاء، نحو: صَامَ يَصُومُ صِيَاماً، وقَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالاً[3]، ويجوز أن تكون من " خطئ يخطأ خطأ وخطاء ... كمَا تَقول سفد الطَّائِر يسفد سفاداً ".[4] وقرأ ابن ذكوان وأبو جعفر وهشام بخلاف عنه (خَطَأ) بفتح الخاء والطاء، مع حذف الألف والمدّ، على وزن (فَعَلْ) وهو ضدّ الصّواب، أو – كما قالوا – " العدول عنه بسهو"،[5] مصدر (خَطِئْتُ) بمعنى (أَخْطَأْتُ) قاله (أبو عبيدة)[6] وأنشد عليه قول أَوسُ بْنُ غَلْفاء الهجيميّ:[7]

دَعِينِي إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوْبِي   عَلَيَّ وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالِي

وكلام أبي عبيدة من أنّ خَطِئْتُ بِمَعْنَى أَخْطَأْتُ فيه نظر؛ ذلك أنّ المتداول بين أرباب اللّغة وصُنّاع المعاجم هو " أَن خطئ بِمَعْنَى أَثِمَ وَأَخْطَأَ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدْ أَوْ إِذَا لَمْ يُصِبْ"،[8] وإلى ذلك ذهب أبو جعفر النّحاس، قال: " وهذا المعروف في اللّغة يقال خَطِئَ يَخْطَأ خَطَأ إذا أثم وتعمّد الذّنب وقد حكى في المصدر خَطَأً وأَخْطَأَ

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص82. شرح طيبة النشر، ص263. النشر في القراءات، ج2، ص307. النويري، شرح طيبة النشر، ج2، ص420. محيسن، الهادي، ج2، ص369.

[2] سورة الإسراء، الآية 31.

[3] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص92.

[4] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص401.

[5] الماورديّ، النكت والعيون، ج3، ص240.

[6] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص376.

[7] ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج3، ص1311.

[8] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (852ه)، (1959م)، **فتح الباري شرح صحيح** البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة، بيروت، ج8، ص390.

وتَخَطَّأ إِخْطَاءً والاسم الخَطَأْ إذا لَمْ يَتَعمَّد الذّنْب".[1] ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا إسحق الزجّاج ينبّه إلى مثل ذلك حين يقول: " وخَطأً كبيراً له تأويلانِ أحدهما معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال: قد أَخْطَأَ يُخْطِئُ إخْطَاءً وَخَطَأً، والخَطَأُ الاسم من هذا لا المصدَرُ، ويكون الخطأ من خَطِيءَ يَخْطَأُ خَطَأً إذا لم يصب مثل لِجَجَ يَلْجَجُ".[2]

وقرأ الباقون ومعهم (هشام) (خِطْئا) بكس الخاء، وإسكان الطاء، على وزن (فِعْلْ) اسماً من خطأت قاله أبو عبيدة[3] قال: " خَطِئَ خِطْئاً مِنْ بَابِ عَلِمَ "،[4] وقيل: هو مصدر خَطِيء يَخْطَأُ خِطْئاً، يقال: " قد خَطِئَ الرَّجُلُ يَخْطَأُ خِطْئاً: أَثِمَ يَأْثَمُ إِثْمَاً "،[5] يعني: إِثْمَاً وَذَنْبَاً كبيراً،[6] " وليس في معنى أَخْطَأَ لأَنْ ما أَخْطَأْتَ فيه ما صنعته خَطَأً، وما خَطِئْتَ فيه ما صنعته عمداً وهو الذّنب"،[7] ومنه قول امرئ القيس:[8]

يا لَهْفَ نَفْسي إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلا　　　القاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاحِلا

وقال آخر:[9]

وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الْأَمِيرَ إِذَا هُمْ　　　خَطَئُوا الصَّوَابَ وَلَا يُلَامُ الْمُرْشِدُ

---

[1] النحاس، معاني القرآن، ج4، ص147.

[2] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص236.

[3] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص376.

[4] الفيوميّ، المصباح المنير، (خطو).

[5] الزجاج، معاني القرآن، ج3، ص236.

[6] ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ج3، ص20.

[7] الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص422.

[8] امْرُؤُ القَيْس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: 545م)، (2004م)، **ديوان امرئ القيس**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت، ص142.

[9] البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص423. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص236. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص27. أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص763.

وقيل: (الخِطء) هو: "العدول عن الصّواب بعمد"،[1] ومنه قول الشاعر:[2]

الخِطْءُ فاحشةٌ والبِرُّ نافِلةٌ   كعَجْوةٍ غرسَتْ في الأرض تؤتَبرُ

وهناك من عزا هذه القراءات إلى التباين اللّغويّ؛ إذ ليس في إحداها ما تمّاز به عن أخواتها، فــ "... كلّها لغات بمعنى واحد "[3] تكلّمت بها العرب.

(مَهْلَكهِمْ)، (مُهْلِكهِمْ)، (مُهْلَكهمْ):[4]

وانفرد شعبة بقراءة (لمهلكهمْ) من قوله تعالى: " وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِــداً"،[5] و(مهلك) من قوله تعالى: " ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِه"،[6] حيــث قرأهمــا (لِمَهْلَكهِمْ) و(مَهْلَك) بفتح الميم واللّام الّتي بعد الهاء، على وزن (مَفْعَلْ) على أنّهمــا مصدر ميميّ للفعل الثّلاثيّ (هَلَكَ يَهْلِكُ).[7] وقرأ حفــص وحــده فــي الموضــعين (مَهْلِكهِمْ) بفتح الميم وكسر اللّام على وزن (مَفْعِلْ) على أنّه اسم زمان، والمراد وقت مهلكهم،[8] وقيل: هو مصدرٌ ميميّ سماعيّ للفعل الثّلاثيّ هلــك، نظيــر: الْمرجــع والمحيض.[9] ويكون تأويل هذه الآية بحسب هذين التوجيهين، أنّ الله جلّ ثناؤه قــد

---

1 الماورديّ، النّكت والعيون، ج3، ص240.

2 لم يرد هذا البيت في كتب اللّغة والمعاجم التي اطّلعت عليها، وقد ذكرت هذا البيت بعض كتب التّفسير دون أن تنسبه لأحدٍ من الشّعراء. الطّبري، جامع البيان، ج17، ص437. الماوردي، النّكت والعيون، ج3، ص240. ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج3، ص451.

3 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج6، ص97.

4 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص83. شرح طيبة النشر، ص268. النشر في القراءات، ج2، ص311. تحبير التيسير، ص446. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص432،433. محيسن، الهادي، ج3، ص16،17.

5 سورة الكهف، الآية 59.

6 سورة النمل، الآية 49.

7 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص148.

8 مكيّ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437هـ)، (1985م)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص445.

9 المصدر نفسه.

جعل– وهو العالم بقصد خطابه- لمهلكهم أو لهلاكهم مَوْعِداً وزمَنَاً مَخْــصُوصَاً لا يَسْتَأخِرُون عنه سَاعة ولا يستقدمون.[1]

وقرأ الباقون (مُهْلَكهِمْ) بضمّ الميم وفتح اللّام على وزن (مُفْعَلْ)، على أنّه مصدر ميميّ قياسيّ من الفعل أهلك المزيد بهمزة، أي لإهلاكهم، ويجوز أن يكون اسم مفعول من الفعل أهلك أي: " لِمَنْ أُهْلِكَ، أَوْ لِمَا أُهْلِكَ مِنْهَا،[2] ويحتمل أن يكون اسم زمان على تقدير: وقت إهلاكِهِم.[3] ويكون المعنى بحسب قراءة الجمهور أنّ الله جلّ في علاه قد خصّص لمن أهلكه منهم في الدّنيا موعداً يحلّ عليه انتقامه فيه منه أشدّ انتقام وهو يوم القيامة أو في جهنّم وبئس المصير.[4]

(مُقَامَاً)، (مَقَامَاً):[5]

انفرد ابن كثير من بين القرّاء العشرة بقراءة (مقاما) من قوله تعالى: " أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا"،[6] حيث قرأها (مُقامَا) بضمّ الميم، على وزن (مُفْعل) مصدراً ميميّاً، أو هو اسم مكان من الفعل الرّباعيّ (أقام)، أي خير إقامة أو مكان إقامة، يُقَال: "طَال مقَامي بِالْبَلَدِ وأقمت بِالْبَلَدِ مقَاماً وَإِقَامَة".[7] وعن ابن عبّاس- رضي الله عنهما-: " قال: المَقَام: المَسكَن، والنديّ، المجلس والنّعمة والبهجة التي كانوا فيها".[8]

---

[1] الألوسيّ، روح المعاني، ج8، ص289.

[2] العكبريّ، التبيان، ج2، ص853.

[3] الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص369.

[4] الألوسيّ، روح المعاني، ج8، ص289.

[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص85. شرح طيبة النشر، ص272. النشر في القراءات، ج2، ص318-319. تحبير التيسير، ص455. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص444. محيسن، الهادي، ج3، ص35.

[6] سورة مريم، الآية 73.

[7] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص446.

[8] الطّبري، جامع البيان، ج18، ص239.

وقرأ الباقون (مَقَامَاً) بفتح الميم على وزن (مَفْعَل) مصدراً ميميّاً، أو هو اسم مكان من الفعل الثلاثيّ (قام)، أي خير قِيام، أو مكان قيام.[1] يقال: "خير مَقَامَاً بِالْفَتْح أَي مَكَاناً تَقول قَامَ يقوم مَقَامَاً وَهَذَا مَقامَنا فالمَقام يَسْتَقِيم أَن يكون مصدراً ويستقيم أَن يكون اسْم الْموضع ".[2]

وهكذا كانت هاتان القراءتان يكمل كل منهما الأخرى فالقراءة الأولى تخبر عن حسن إقامة أولئك المؤمنين عند ربهم الكريم، وتأتي القراءة الثانية لتؤكّد هذا المعنى؛ فإذا كانت الإقامة كريمة وجب أن يكون محلها مقاماً كريماً أيضاً، وفي ذلك يقول سفيان الثّوري: " من قرأها خير مقاماً فإنّما يعني مقامه الذي يقيم فيه الدّهر والذي يقرأها مقاماً هنا فَإِنَّمَا يَعْنِي الْمُقَامَةَ الَّتِي يُقِيمُ فيها ".[3]

(لا مُقام)، (لا مَقام):[4]

قرأ حفص وحده (لا مُقام) من قوله تعالى: " وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا".[5] (لا مُقامَ) بضمّ الميم على وزن (مُفْعَل) اسم مكان من (أقام) الربّاعي، أي لا مكان إقامة لكم، أو مصدر من (أقام) الرباعيّ أيضاً، أي لا إقامة حسنة لكم. وقرأ الباقون (لا مَقَام) بفتح الميم، اسم مكان من قام الثّلاثي أي لا مكان قيام لكم، أو هو مصدر من قام الثّلاثي، أي: لا قيام لكم.

(مُقامٍ أَمِينٍ)، (مَقامٍ أَمِينٍ):[6]

---

[1] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص446.

[2] المصدر نفسه.

[3] سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: 161هـ) (1983م)، **تفسير الثوري**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص188.

[4] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص91. شرح طيبة النشر، ص296. النشر في القراءات، ج2، ص348. تحبير التيسير، ص511. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص509. محيسن، الهادي،ج3، ص143.

[5] سورة الأحزاب، الآية 13.

[6] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص91. شرح طيبة النشر، ص296. النشر في القراءات، ج2، ص371. تحبير التيسير، ص553. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص509.محيسن، الهادي،ج3، ص143.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (مَقامٍ أَمِينٍ) من قوله تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقامٍ أَمِينٍ"[1] (مُقامٍ) بضمّ الميم، على وزن (مُفْعل) اسم مكان من (أقام) أو هو مصدر ميمي على حذف مضاف، والتّقدير: في موضع إقامة أمين. وقرأ الباقون (مَقامٍ أَمِينٍ) بفتح الميم على وزن (مَفْعَل) اسم مكان من (قام) الثّلاثي. وقد اتّفق القرّاء العشرة على قراءة (مقام) من قوله تعالى: " وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ"[2] بفتح الميم؛ " لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَكَانُ، وَكَذَا فِي غَيْرِهِ، وَكَذَا مِنْ مَقَامٍ وَمَا أُجْمِعَ عَلَى فَتْحِهِ ."[3]

(مِهَاداً)، (مَهْدَاً): [4]

وقرأ ابن عامر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (مَهْدَاً) من قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً "،[5] ومن قوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا "، [6]حيث قرؤوها (مِهَادا) بكسر الميم، وفتح الهاء، وإقحام ألف بعدها، على وزن (فِعَال) اسماً مفرداً[7] قاله أبو عبيدة[8] وهو الفِرَاش[9]، والمعنى: جعل الأرض " فِرَاشَاً وبِسَاطَاً"[10]، نظير قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً "[11]، وقوله عزّ من قائل: " وَاللَّهُ جَعَلَ

---

1 سورة الدخان، الآية 51.

2 سورة الدخان، الآية 26.

3 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص371.

4 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص85. شرح طيبة النشر، ص274. النشر في القراءات، ج2، ص320. تحبير التيسير، ص458. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص449. محيسن، الهادي، ج3، ص41، 42.

5 سورة طه، الآية 53.

6 سورة الزخرف، الآية 10.

7 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج11، ص209.

8 أبوحيان، البحر المحيط، ج7، ص343.

9 الفيوميّ، المصباح المنير، (مهد)، ج2، ص582.

10 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج2، ص402.

11 سورة البقرة، الآية 22.

لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًاً"[1] وفي ذلك يقول أبو علي الفارسيّ: " فالمِهَاد مثل الفِرَاش والبِسَاط، وهما اسم مَا يُفْرَشُ وَيُبْسَطُ "،[2] وقيل: هي اسم للأرض، أي: " جَعَلَهَا لَهُم فِرَاشَاً"،[3] وهي اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم لإجماع القرّاء على قراءة (مهاداً)[4] من قوله تعالى: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً"،[5] ويجوز أن تكون جمع تكسير واحده (مَهْد)[6]، وهو (الفَرْش)[7]، أو هو اسْمٌ لِمَا " يُمَهَّدُ لِلصَّبِيِّ، أَيْ يُوضَعُ عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ فِيهِ، فَيَكُونُ بِوَزْنِ كِعَابٍ جَمْعاً لِكَعْبٍ. وَمَعْنَى الْجَمْعِ عَلَى اعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْبِقَاعِ ".[8] وهناك من ذهب إلى أنَّه اسمٌ للمفعول بِمَعْنَى الْمَمْهُودِ،[9] كقولهم: " فِرَاش وغِرَاس ولِبَاس بمعنى: مَفْرُوش ومَغْرُوس ومَلْبُوس، ونظيرها: بِسَاط ومِهَاد"[10] وقيل: هو مصدر ثلاثي من مَهَّدَ مِهَاداً قاله المفضّل.[11]

وقرأ الباقون (مَهْداً) بفتح الميم وإسكان الهاء وحذف الألف الّتي بعدها، على وزن (فَعْل) مصدراً من مَهَّدَ مَهْداً[12] وقيل: هو مصدر بمعنى المفعول " كالخلق بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ، ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ فَصَارَ اسْمًا لِمَا يُمَهَّدُ "،[13] ويحتمل أن يكون اسماً

---

1 سورة نوح، الآية 19.

2 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص223.

3 ابن خالويه، الحجّة، ص241.

4 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج6، ص247.

5 سورة النبأ، الآية 6.

6 ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج4، ص48.

7 ابن الجوزيّ، زاد المسير،ج3، ص162.

8 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص236.

9 المصدر نفسه.

10 الهوريني، نصر يونس الوفائي الهوريني (ت: 1291هـ)،(2005م)، **المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّة**، تحقيق وتعليق: طه عبد المقصود، ط1، مكتبة السنة، القاهرة، ص41.

11 أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص343.

12 المصدر نفسه.

13 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص236.

مفرداً جمعه (مِهاد) نحو: سَهْم وَسِهَام،[1] وفَرْخٌ وفِرَاخٌ. وهناك من ساوى بين القراءتين فــ (مَهْد) و(مِهَاد) هما بمعنى واحد وهو الفِرَاش كقوله جلَّ وعزَّ: " جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ".[2]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتملان وجهين؛ فهما إمّا أن يكونا مصدرين بمعنى واحد[3] وهو الفِراش كقوله جلَّ وعزَّ: " جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً"،[4] قال المفضّل: " هُمَا مَصْدَرَانِ لِمَهَّدَ إِذَا وَطَّأَ لَهُ فِرَاشاً يُقَالُ مَهَّدَ مَهْداً وَمِهَاداً وَفَرَشَ فَرْشاً وَفِرَاشاً"،[5] قال بعض المفسّرين: " الْمِهَادُ الْفِرَاشُ لِلنَّوْمِ، فَلَمَّا كَانَ الْمُعَذَّبُ فِي النَّارِ يُلْقَى عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ جَعَلَ ذَلِكَ مِهَاداً له وفِرَاشاً "،[6] وقد ألمح الطّبريّ إلى مثل هذا حيث يقول: " إنّهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مشهورتان فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصّواب فيها ".[7]

ويجوز أن يكون (مِهَاد) " اسْمَاً لما يُمْهد كالفِراش"،[8] وأن يكون (مَهْد) " مصدراً سُمِّي به المفعولُ"،[9] قال أبو عُبيد: مِهَادٌ اسْمٌ، وَمَهْدٌ الْفِعْلُ يَعْنِي الْمَصْدَرَ"،[10] "ووَصْفُ الأرضِ بالمَهْدِ: إمَّا مبالغةً، وإمَّا على حذف مضاف أي: ذات مَهْدٍ".[11] ويكون معنى الآية وفق هاتين القراءتين أنّ الله عزّ ثناؤه قد صيّر

---

[1] الفيوميّ، المصباح المنير، (مهد)، ج2، ص582.

[2] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص146. سورة البقرة، الآية 22.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج5، ص47.

(4) الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص146. سورة البقرة، الآية 22.

(5) الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج22، ص60.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص349.

(7) الطبريّ، جامع البيان، ج18، ص320.

(8) أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982ه)، **تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص21.

(9) المصدر نفسه.

(10) أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص343.

(11) السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج8، ص51.

الأرض بما ييسّر لعباده العامرين لها سبل عيشهم فيها فجعلها "مَمْهُودَةً مُسَهَّلَةً لِلسَّيْرِ وَالْجُلُوسِ وَالِاضْطِجَاعِ بِحَيْثُ لَا نُتُوءَ فِيهَا إِلَّا نَادِراً يُمْكِنُ تَجَنُّبُهُ، كَقَوْلِهِ: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجَاجَاً ".[1]

ومن جهة ثانية اتّفق القرّاء العشرة على قراءة (مِهاداً) من قوله تعالى: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً"،[2] (مِهَاد) بكسر الميم وفتح الهاء وإقحام ألف بعدها،[3] على وزن (فِعَال)؛ وذلك " اتِّبَاعاً لِرُؤُوسِ الْآيِ بِبَعْدَهُ ".[4]

(خَلْقه)، (خلَقه):[5]

وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (خلقه) من قوله تعالى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ "،[6] (خَلَقه) بفتح اللّام، على وزن (فَعَلَه) فعلاً ماضياً ثلاثيّاً،[7] وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ " قالا: لسهولتها في المعنى وهي قراءة سعيد بن المسيب"،[8] والمعنى: " أَتْقَنَ وأَحْكَمَ كُلّ شّيء خَلَقَهُ "،[9] قاله الكلبيّ ومجاهد.[10] وقرأ الباقون (خَلْقَه) بإسكان اللّام، على وزن (فَعْل) مصدراً ثلاثيّاً، من

---

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص236. سورة نوح، الآيتان 19، 20.

2 سورة النبأ، الآية 6.

3 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص371.

4 المصدر نفسه.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص91. شرح طيبة النشر، ج1، ص295. النشر في القراءات، ج2، ص347. تحبير التيسير، ص509. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص507. محيسن، الهادي، ج3، ص139.

6 سورة السجدة، الآية 7.

7 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص568.

8 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7، ص327.

9 الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص450.

10 مجاهد، تفسير مجاهد، ص544. الواحديّ،التفسير الوسيط، ج3، ص450.

الفعل الثّلاثيّ خَلَقَ قاله سيبويه،[1] والتّقدير: الذي أحسن خَلْقَ كلّ شيء، أي: أَتْقَنَهُ وَأَحْكَمَه.

(التّناوش)، (التّناؤش):[2]

وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (التناوش) من قوله تعالى: " وَأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ"،[3] (التّناؤش) بهمزة مضمومة بعد الألف، على وزن (تَفاعُلْ) مصدراً من " نَأَشَ الشّيء نَأْشاً أَخَذَهُ وَأَيْضاً طَلَبَهُ"،[4] يقال: " اتنأشت الشّيء إذا طلبته من بعد"،[5] ويقال: " نَأَشْتُ أَنْأَشُ نَأْشاً: أي تأخّرت"،[6] حكاه أبو عبيدة عن الأصمعيّ.[7] وهناك من رأى (التّنَاؤش) مشتق من (النّئيش) بمعنى البطء في الحركة، يقال: " تَنَاشَيْت الشّيء أي أخذته من بعيد،

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص381. النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص199.الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص204.

[2] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص92. شرح طيبة النشر، ج1، ص300. النشر في القراءات، ج2، ص351. تحبير التيسير، ص518. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص517. محيسن، الهادي، ج3، ص161،162.

[3] سورة سبأ، الآية 52.

[4] ابن القَطَّاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، (ت: 515هـ) (1983م)، **كتاب الأفعال**، ط3، عالم الكتب، ج3، ص272.

[5] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج4، ص427.

[6] الأنباريّ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبوبكر الأنباري (ت: 328هـ)، (1992م)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ج2، ص243.

[7] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (نوش)، ج11، ص286.

والنّيْشَ الشّيء البَطِيء "،[1] ويقال: "... جَاءَ نَئِيشَاً أي بَطِيئَاً "[2] وأَنشَد عليه الفرّاء قول نَهْشَل بْنِ حَرِّيٍّ:[3]

ومَوْلىً عَصاني واستَبَدَّ برَأْيِه، كَمَا لَمْ يُطَعْ فِيمَا أَشارَ قَصِيرُ
فَلَمَّا رَأَى مَا غَبَّ أَمْري وأَمْرَه، وناءَتْ بأَعْجازِ الأُمورِ صُدُورُ
تَمَنَّى نَئِيشاً أَن يكونَ أَطاعني، ويَحْدُثُ مِن بَعْدِ الأُمورِ أُمُورُ

وقال آخر:[4]

قَعَدْتُ زَمَانَاً عَنْ طِلابِكَ لِلْعُلَا وَجِئْتَ نَئِيشَاً بَعْدَمَا فَاتَكَ الخَبَرُ

ويكون المعنى – والله أعلم – " من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه".[5]

وقرأ الباقون (التناوُش) باستبدال واو مضمومة بالهمزة، على وزن (تَفاعُل) مصدراً من تَناوَشَ يَتَنَاوَشُ تَنَاوُشَاً فهو مُتَنَاوِش،[6] وهو(التّناول)،[7] من قولهم: يُقَالُ

---

[1] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص95.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (نأش)، ج6، ص349.

[3] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص365. ابن قتيبة، (1998م)، **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص88. الجوهري، الصحاح، ج3، ص1020. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص349. الزبيدي، تاج العروس، ج17، ص396.

[4] البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج2، ص365. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج11، ص286. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص317. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص361.

[5] السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص97.

[6] عمر، أحمد مختار عمر، (2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1،ج3، ص2305.

[7] الفارابيّ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت:350هــ)، (2003م)، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ج3، ص460.

نُشْتُ مِنَ الطَّعَامِ أَنُوشُ نَوْشاً: إذا تَنَاوَلْتُ[1]، يقال: "نشته نوشا إذا تناولته "،[2] وأنشد عليه الفرّاء قول الرّاجز:[3]

فَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشَاً مِنْ عَلَا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَا

وقال آخر:[4]

كَغِزْلَانٍ خَذَلْنَ بِذَاتِ ضَالٍ تَنُوشُ الدَّانياتِ من الغُصُون

ومعنى قول العرب: " قد تناوش القوم"، " قد تناول بعضهم بعضاً في القتال"،[5] ومنه حَدِيثِ قَيْسٍ بن عاصم – رحمه الله - أَنَّهُ قَالَ لِبَنِيه: " إِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنِّهَا آخِرُ كَسْبِ الْمَرْءِ وَإِذَا متُّ فَغَيِّبُوا قَبْرِي مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَإِنِّي كُنْتُ أُنَاوِشُهُمْ، أَوْ قَالَ: أُهَاوِشُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ".[6] يعني – كما يرى الخطابي – " كنتُ أقاتلهم"،[7] ويقال: " تناوش القوم في الحرب "إذا تَنَاوَل بَعْضهم بعضاً وتدانوا "،[8] وقيل هو " الرَّدَّ إِلَى

---

1 الأنباريّ، الزاهر، ص243. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص591.

2 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص96.

3 البيت لغَيْلان بْن حُرَيث الرَّبَعِيُّ. الجوهريّ، الصّحاح، ج3، ص1023. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص362. الزّبيدي، تاج العروس، ج17، ص431. السّيرافي، شرح أبيات سيبويه، ج2، ص247.

4 المُثَقِّب العبْدي، العائذ بن مِحْصَن، (1971م)، **ديوان شعر مُثَقِّبِ العبْدي**، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط1، معهد المخطوطات العربية، ص154. الأنباريّ، الزاهر، ج2، ص243.

5 الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص243. الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان، ج4، ص32.

6 الخطابيّ، غريب الحديث، ج2، ص560.

7 المصدر نفسه.

8 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص96.

الدُّنْيَا" حكاه مجاهد،(1) وقيل: هو " تناول التّوبة "،(2) وروى الكلبيّ عن ابن عباس قوله: التَّنَاوُش هو الرّجوع، وأنشد:(3)

تَمَنَّى أَنْ تَؤُوبَ إِلَيَّ مَيُّ وَلَيْسَ إِلَى تَنَاوُشِهَا سَبِيلُ

والمعنى: - والله أعلم- كيف يكون لهم " التناول للإيمان من مكان بعيد"(4) والمكان البعيد هو الآخرة، أي من الآخرة إلى الدّنيا،(5) وقد كان هذا البعيد " مبذولاً لهم وكان قريباً منهم، كيف يتناولونه حين بَعُدَ عَنْهُمْ ".(6)

ونحن إذا ما وجّهنا الفكر شطر المعجم والتّصريف فإنّنا نجد من القوم من فسّر التعدّد في هاتين القراءتين بالتّباين اللّهجيّ، فيقرّر الفرّاء أنّ أهل الحجاز وغيرهم قد تركوا همزها، فــ " جَعلوها من نُشْته نَوْشَاً وهو التّناول: وهما متقاربان، بمنزلة ذِمْتُ الشّيء وذَأَمْتُه أي عِبْتُه"،(7)، وقال أبو عبيد: " التَّنَاوش التَّنَاوُل، والنَّوْش مثله"،(8) وهو " يهمز ولا يهمز"؛(9) إذ الهمزة فيه ليست بأصليّة، " وَمن همزه فَلِأَن الْوَاو انضمّت بعد ألف زَائِدَة فهمزها"،(10) وله نظائر كثيرة في

---

1 مجاهد، تفسير مجاهد، ص556.

2 ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت: 406هــ)، (2009م)، **تفسير القرآن العظيم**، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج2، ص157.

3 البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص244. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص316. أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص566.

4 ابن جنيّ، المحتسب، ج2، ص197.

5 مجاهد، تفسير مجاهد، ص556. محيسن، الهادي، ج2، ص41.

6 الزجاج، معاني القرآن، ج4، ص259.

(7) الفراء، معاني القرآن، ج2، ص365.

(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (نوش)، ج11، ص286.

(9) ابن القطّاع، كتاب الأفعال، ج3، ص272.

(10) مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص590.

كلام العرب، نحو: أدْؤُر[1] وأَجْؤُه،[2] ومنه اختلاف القرّاء في (أُقّتتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ"،[3] حيث قرأ أبو عمرو (وقّتت) باستبدال الواو بالهمزة، وقرأ غيره (أقّتت) بالهمزة.[4] قال الزّجاج: " وكل واو مضمومة ضمَّتُها لازمة، إن شئت أبْدَلْتَ منها همزة وإن شِئْتَ لم تبدل نحو قولك أَدْوُر وتقاوُم، وإن شئت قلت: أدؤر وتَقَاؤم فهَمَزْتَ ".[5]

وقال سيبويه: "... الهمزة تبدل من الياء والواو إذا كانتا لامين في قضاءٍ وشقاءٍ ونحوهما، وإذا كانت الواو عيناً في أدؤر وأنؤر والنّؤور ونحو ذلك "،[6] ولكنّ أبا حيان لم يجوّز ذلك على إطلاق، قال: " وَمَا ذَكَرُوهُ مِنَ أَنَّ الْوَاوَ إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً ضَمَّةً لَازِمَةً يَجُوزُ أَنْ تُبْدَلَ هَمْزَةً، لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِه، بَلْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمُتَوَسِّطَةِ إِذَا كَانَ مُدْغَمَةً فِيهَا، وَنَحْوُ يَعُودُ ويقوم مَصْدَرَيْنِ وَلَا إِذَا صَحَّتْ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ: تَرَهْوَكَ تَرَهْوُكاً، وتَعَاوَنَ تَعَاوُناً، وَلَمْ يَسْمَعْ هَمْزَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ. وَالتَّنَاوُشُ مِثْلُ التَّعَاوُنِ، فَلَا يَجُوزُ هَمْزُهُ، لِأَنَّ وَاوَهُ قَدْ صَحَّتْ فِي الْفِعْلِ ".[7]

ولا ندري كيف توصّل أبو حيان إلى أنّ الصّرفيين قد أوجبوا قلب الهمزة واواً على إطلاق، إنّما الحقّ أنّهم وجدوا الظّاهرة شائعة في كلام العرب فجوّزوها دون أن يوجبوا لها قاعدة مطّردة، قال ابن جنيّ: " وجملة القول في هذه الواو أنّها متى انضمّت ضمّاً لازماً غير عارض، فهمزها جائز حسن، نحو: أُعِدَ في وُعِدَ، وأزن في وزن، وأَدْؤُر في أَدْوُر، وسُرِتُ سُئُوراً في سُوُور. ومنه قوله تعالى: " وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ "، في وُقّتت وهي فُعِّلَت من الوقت ".[8]

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج3، ص463. النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص242-243.

[2] الزمخشريّ، الكشاف، ج3، ص593.

[3] سورة المرسلات، الآية 11.

[4] ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص325. محيسن، الهادي، ج3، ص325.

[5] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص259.

[6] سيبويه، الكتاب، ج4، ص237.

[7] أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص566. الألوسيّ، روح المعانيّ، ج11، ص331.

[8] ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، (1954م)، **المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ط1، دار إحياء التراث القديم، ص212.

وبناءً على ما تقدّم يرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتملان الوجهين معاً؛ فإن قدّرنا (التناوش والتناؤش) بنيتين متغايرتين كان المعنى أنّ هؤلاء الكفّار لمّا رأوا ما كانوا ينكرونه من عبادة الله وحده والبعث والجنّة والنّار، طلبوا العودة إلى الدّنيا للتّوبة، فكان الجواب من الواحد القهّار: " وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ "، أي كيف يكون لكم ذلك وقد بعدت عنكم الدّنيا وحيل بينها وبينكم، فأصبحتم بمنأى عن طلبها وتناول ما ينجيكم ممّا هو لاقيكم، " وإنّما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنّهم قالوا: ذلك في القيامة فقال الله: أنّى لهم بالتّوبة المقبولة، والتّوبة المقبولة إنّما كانت في الدّنيا، وقد ذهبت الدّنيا فصارت بعيداً من الآخرة ".[(1)]

وأمّا إذا قدّرنا القراءتين لغتين كان تأويل الآية منسجماً والتّوجيه الأوّل،والحقّ ما صرّح به الطّبريّ حين قال: " والصّواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنّهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، ... فبأيّ القراءتين اللّتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصّواب في ذلك ".[(2)]

(حُسْناً)، (حَسَناً):[(3)]

قرأ حمزة والكسائيّ ويعقوب وخلف العشر (حُسْناً) من قوله تعالى: " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً "[(4)] (حَسَنا) بفتح الحاء والسّين على وزن (فَعَلْ) اسماً مفرداً، وهي صفة " لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلاً حَسَناً "،[(5)] وهي اختيار أبي عبيد.[(6)]

---

(1) الطبريّ، جامع البيان، ج20، ص427.

2 المصدر نفسه.

3 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص63. شرح طيبة النشر، ج1، ص179. النشر في القراءات، ج2، ص351. تحبير التيسير، ص518. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص169. محيسن، الهادي،ج2، ص41.

4 سورة البقرة، الآية 83.

5 أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص460.

6 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص228.

وقرأ الباقون (حُسْناً) بضمّ الحاء وإسكان السّين، مصدراً على وزن (فُعْل) من: حَسُنَ يَحْسُنُ حُسْناً[1]، ويحتمل أن تكون اسماً على تقدير: " قَوْلاً ذا حُسْن" حكاه الزّجّاج[2]، أو هي اسم أقيم مقام المصدر نحو: رَجُلٌ عَدْلٌ،[3] ويجوز أن تكون لغة في (الحُسْن) نحو: البُخْل والبَخَل والرُّشد والرَّشَد، وهذه القراءة هي اختيار أبي حاتم.[4]

(إحْسَانا)، (حُسْنا):[5]

وقريب من ذلك ما قرأ به عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (إحْسَانا) من قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً"،[6] حيث قرؤوها (إحسَاناً) بإلحاق همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء، وفتح السّين مع إقحام ألف بعدها، مصدراً[7] بزنة (إفْعال) من أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانَاً،[8] والمعنى - والله أعلم – ووصّينا الإنسان أي: أمرناه أن يحسن لوالديه إحْسَانَاً فـــ " ليَأْتِي الْإِحْسَان إِلَيْهِمَا دون الْإِسَاءَة "،[9] ونظيرها قوله تعالى: " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانَاً ".[10]

وقرأ الباقون (حُسْنَاً) بحذف الهمزة والألف مع ضمّ الحاء وإسكان السين، مصدراً على وزن (فُعْل) من: حَسُنَ يَحْسُنُ حُسْنَاً[11]، وهي " كالمصادر التي اعتقب

---

1 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (حسن)، ج4، ص182.

2 الزجاج، معاني القرآن، ج1، ص164. مكيّ، الهداية، ج1، ص331.

3 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج3، ص588.

4 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص228.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص96. شرح طيبة النشر، ج1، ص310. النشر في القراءات، ج2، ص373. تحبير التيسير، ص556. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص559. محيسن، الهادي، ج3، ص227.

6 سورة الأحقاف، الآية 15.

7 الزجاج، معاني القرآن، ج4، ص442.

8 ابن خالويه، الحجّة، ص326.

9 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص663.

10 سورة البقرة، الآية 83.

11 ابن خالويه، الحجّة، ص326.

عليها الفَعْل والفُعَل، نحو الشَّغَل والشُّغْلِ، والبَخَلِ والبُخْل"[1]، ونظيرها قوله تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنَاً "[2].

ويحتمل أن تكون اسماً أقيم مقام المصدر،[3] أو هي اسماً صفة لا مصدراً على حدّ كلام أبي الفتح؛[4] إذ ربما يكون المراد " أَنَّا أَمَرْنَاهُ بِأَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْهِمَا فِعْلاً حَسَناً، إِلَّا أَنَّهُ سَمَّى ذَلِكَ الْفِعْلَ الْحَسَنَ بِالْحُسْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا يُقَالُ: هَذَا الرَّجُلُ عِلْمٌ وَكَرَمٌ "،[5] والقراءة الأولى هي موافقة لرسم مصحف أهل الكوفة. قال أبو عمرو الدّاني: وفي الأحقاف في مصاحف أهل الكوفة (بِوالِدَيْهِ إِحْساناً) بزيادة ألف قبل الحاء وبعد السّين، وفي سائر المصاحف (حسنا) بغير ألف.

(وفِصَالُهُ)، (وفَصْلَهُ):[6]

انفرد يعقوب من بين القرّاء العشرة بقراءة (وفصله) من قوله تعالى: " وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً "،[7] حيث قرأها (وفَصْله) بفتح الفاء وإسكان الصّاد من غير ألف، مصدراً على وزن (فَعْل)، من: "... فَصَلَ المولودَ عَنِ الرِّضَاعِ يَفْصِله فَصْلاً".[8] وقرأ الباقون (وفِصالُهُ) بكسر الفاء وفتح الصّاد وإقحام ألف بعدها، مصدراً على وزن (فِعال) من: "... فَصَلَ المولودَ عَنِ الرِّضَاعِ يَفْصِله فَصْلاً وَفِصَالَاً"،[9] يقول الزّمخشريّ: " والفَصْلُ والفِصَال: كالفَطْمُ والفِطَام، بناء ومعنى".[10] ومن جهة ثانية اتّفق القرّاء العشرة على قراءة (وفِصَالُه) من قوله

---

[1] ابن جنيّ، المحتسب، ج2، ص265.

[2] سورة العنكبوت، الآية 8.

[3] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص380.

[4] ابن جنيّ، المحتسب، ج2، ص265.

[5] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج28، ص14.

[6] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص96. شرح طيبة النشر، ص310. النشر في القراءات، ج2، ص373. تحبير التيسير، ص556. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص559. محيسن، الهادي، ج3، ص228.

[7] سورة الأحقاف، الآية 15.

[8] ابن منظور، لسان العرب، (فصل)، ج11، ص522.

[9] المصدر نفسه.

[10] الزمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص302.

تعالى: " وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ"،[1] (وَفِصَالُه) " بكسر الفّاء وفتح الصّاد وإثبات ألف بعدها ".[2]

(شُرْب)، (شَرْب):[3]

قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم وحمزة (شرب) من قوله تعالى: "فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ"،[4] بضم الشّين مصدراً ثلاثيّاً على وزن (فُعْل)،[5] ويجوز أن يكون " اسم لما يشرب"،[6] حكاه أبو عبيدة[7] وهي اختيار أبي حاتم.[8]

وقرأ الباقون (شَرْب) بفتح (الشّين)، مصدر شَرِبَ شُرْب[9]، قاله أبو عبيدة،[10] ويحتمل أن يكون اسماً للمصدر[11] أو هو اسم بمعنى الإناء،[12] وهي اختيار أبي عبيد[13]، قَالَ أَبُو زَيْد: "سَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ بِضَمِّ الشِّينِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا، وَالْفَتْحُ هُوَ الْمَصْدَرُ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ كُلَّ مَصْدَرٍ مِنْ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ فَأَصْلُهُ فَعْلٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَرُدُّهُ إِلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ، فَتَقُولُ: فَعْلَةٌ نَحْوُ شَرْبَةٍ وَبِالضَّمِّ الِاسْمُ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَفْتُوحَ وَالِاسْمَ مَصْدَرَانِ، فَالشَّرْبُ كَالْأَكْلِ، وَالشُّرْبُ كَالذُّكْرِ، وَالشِّرْبُ بِالْكَسْرِ الْمَشْرُوبُ كَالطِّحْنِ

---

[1] سورة لقمان، الآية 14.

[2] محيسن، القراءات، ج1، ص209.

[3] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص97. شرح طيبة النشر، ص315. تحبير التيسير، ص573. النشر في القراءات،ج2، ص383. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص577. محيسن، الهادي، ج3،ص263، 264.

[4] سورة الواقعة، الآية 55.

[5] سيبويه، الكتاب، ج1، ص336. النّحاس، إعراب القرآن، ج4، ص225.

[6] ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج5، ص247.

[7] ابن منظور، لسان العرب، (شرب)، ج1، ص487.

[8] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج9، ص214.

[9] النسفيّ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص425.

[10] الجوهريّ، الصحاح، (شرب)، ج1، ص153.

[11] النّحاس، إعراب القرآن،ج4، ص225.

[12] الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص50.

[13] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج9، ص214.

الْمَطْحُونِ".[1] ويجوز أن يكون (الشَرب) جمع تكسير واحده (شارب)، نحو: صَاحِب وصَحْب وراَكِب وركْب ورَاجِل ورجْل، وتَاجِر وتَجْر،[2] ومنه قول الشاعر:[3]

فَقُلْتُ للشَّرْبِ فِي دَرْنِي، وَقَدْ ثَمِلُوا   شِيمُوا، وكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ؟

وهناك من رأى القراءتين لغتين مترادفتين بمعنى واحد،[4] نحو: الضَّعْفُ والضُّعْف[5] قال الكسائيّ: "شَرِبْتُ شُرُبَاً وشَرِبَاً"،[6] وقال الأصمعي وأبو عبيدة: "... ويروى: شَرْبَةٌ وشِرْبةٌ، قال أبو عُبَيْدة: ويقرأ: " فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ" و" شَرْبَ الْهِيمِ" و" شِرْبَ الْهِيمِ"، قال: والرَّفْع والخَفْض اسمان من شَرِبْتُ، والفَتْح مصدر كما تقول: شَرِبْتُ شَرْباً"،[7] ونسب ابن الجوزيّ الفتح لأهل نجد، قال: " وأكثر أهل نجد يقولون: شَرْباً بالفتح، أنشدني عامّتهم:

تَكْفيهِ حَزَّةُ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ بها   من الشِّواءِ ويَكْفِي شَرْبَهُ الغُمَرُ "[8]

ويزيد البعلي الأمر وضوحاً فيذكر أنّ "... الشُّرْبُ مصدر شَرِبَ وفيه ثلاث لغات: ضمّ الشّين وهو أشهرها، وفتحها وهو القياس، وكسرها وهو قليل ".[9]

---

[1] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص214.

[2] الرازيّ، مختار الصحاح، (شرب)، ص163. النّحاس، إعراب القرآن، ج4، ص225.

[3] الأعشى، الدّيوان، ص57.

[4] ابن خالويه، الحجّة، ص341.

[5] الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص532.

[6] الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص50.

[7] ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ت: 244هـ)، (2002م)، **إصلاح المنطق**، تحقيق: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، ص69.

[8] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص225. والبيت (لأعشى باهلة) من قصيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهليّ، واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث ويكنّى أبا قحافة. أبو عبيد البكري، سمط اللآلي، ج1، ص75. والحزة: ما قطع من اللّحم طولاً، والفلذ: كبد البعير، والغمور: قدح صغير، والغمر: الماء الكثير.

[9] البعليّ، المطّلع على ألفاظ المقنع، ص64.

(فَرَوْح)، (فَرُوْح):[1]

انفرد رويس من بين القرّاء العشرة في (فروح) من قوله تعالى: " فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ"،[2] حيث قرأها مضمومة (الفاء) على وزن (فُعْل) اسماً للمصدر،[3] بمعنى الرّحمة. وقرأ الباقون (فَرَوْح) بفتح الرّاء مصدر،[4] ومعناها: الرّاحة؛[5] أي من الدُّنيا والاستراحة من أحوالها. وقيل: هي الخير والرّجاء، قاله مجاهد.[6]

(نُصُوحاً)، (نَصُوحاً):[7]

انفرد شعبة من بين القرّاء العشرة في قراءة (نَصُوحاً) من قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً"،[8] حيث قرأها بضمّفائها (نُصُوحاً) مصدراً[9] على وزن فُعول، يقال: " نَصَحْتُ له نُصْحاً وَنَصَاحَةً ونَصُوحاً "[10]،

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص97. شرح طيبة النشر، ص315. تحبير التيسير، ص574. النشر في القراءات، ج2، ص383. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص577، 578. محيسن، الهادي، ج3، ص264.

2 سورة الواقعة، الآية 89 .

3 محيسن، القراءات، ج1، ص570.

4 المصدر نفسه.

5 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج4، ص225.

6 مجاهد، تفسير مجاهد، ص646.

7 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص319. تحبير التيسير، ص585. النشر في القراءات، ج2، ص388، 389. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص590. محيسن، الهادي، ج3، ص292.

8 سورة التحريم، الآية 8.

9 الزمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص570.

10 السجستانيّ، غريب القرآن، ص469. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص194.

كما قالوا: صَلُحَ صَلُوحَاً،[1] النُّصحَ والنُّصوحَ كَالشُّكْرِ وَالشُّكُور والكُفْرِ والكُفُور، قاله الزّمخشريّ،[2] وإنّما وصف به التّوبة على سبيل المجاز؛[3] إذ النُصح هو وصف للتّائب لا للتّوبة " وَهُوَ أَنْ يَنْصَحَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى طَرِيقِهَا، وَهِيَ خُلُوصُهَا مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ الْمُفْسِدَةِ لَهَا، من قَوْلِهِمْ: عَسَلٌ نَاصِحٌ، أَيْ خَالِصٌ مِنَ الشَّمْعِ، أَوْ مِنَ النَّصَاحَةِ وَهِيَ الْخِيَاطَةُ، أَيْ قَدْ أَحْكَمَهَا وَأَوْثَقَهَا، كَمَا يُحْكِمُ الْخَيَّاطُ الثَّوْبَ بِخِيَاطَتِهِ وَتَوْثِيقِهِ ".[4]

وقرأ الباقون (نَصُوحَاً) بفتح (الفاء) مصدراً[5] على وزن (فَعُول) نحو: " كَفَرَ كُفْراً وكُفُورَاً، وشَكَرَ شُكْرَاً وشُكُوراً "،[6] والمعنى: " تَوْبَةً ذَاتَ نُصْحٍ" حكاه أبو العباس المبرِّد،[7] ويجوز أن تكون اسماً للمفعول بمعنى الفاعل، نحو: الشَّكُور والصَّبُور، أي تَوْبَةً " نَاصِحَةً صَادِقة لا يهمّ معها بالمعاودة "،[8] وقيل: هي صيغة مبالغة، نحو: ضَرُوبٍ وقَتُولٍ،[9] أي: " تَوْبَةً بَالِغَةً فِي النُّصْحِ ".[10]

---

[1] ابن خالويه، الحجّة، ص349.

[2] الزمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص570.

[3] السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج10، ص371. الزمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص570.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص213، 214.

[5] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص168.

[6] السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج10، ص371.

[7] الشوكانيّ، الفتح القدير، ج5، ص303.

[8] بيان الحق، أبو القاسم، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، (ت: بعد 553هــ)، (1998م)، **باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج3، ص1517. النيسابوريّ، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج2، ص824.

[9] أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص213.

[10] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هـ)، (2004م)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**، تحقيق: طارق فتحي السيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص407.

وأحسب أنّ الصّواب في توجيه قراءة الفتح أنّها اسم فاعل عدل عنه إلى صيغة المفعول لقصد الكثرة والمبالغة، وهذا الاستعمال ممّا شاع تداوله في العربيّة، فهناك من الصّفات ما ليس لتاء التّأنيث فيها دالّة صرفيّة، وهي تلك الزّمرة التي استعارت صيغة اسم المفعول لتسبك فيها دلالتها الحادثة؛ فبعد أن كانت تحمل في استعمالها الأوّل دلالة اسم الفاعل، عدلت إلى صيغة اسم المفعول لتدلّ بها على معنى الكثرة والمبالغة، فيقال: امرأة صبور ورجل صبور بمعنى صابرة وصابر،[1] يقول الهرويّ: " فعدل عن صَابِر إلى صَبُور، وعن شَاكِر إلى شَكُور، وأرادوا بذلك كثرة الفعل والمبالغة فيه، لأنّ معنى امرأة صَبُور: كثيرة الصّبر معتادة له، ومعنى امرأة شَكُور: كثيرة الشُّكر. والصّبور: هي المحتملة للمكروه من غير جزع منه. والشّكور: التي تثني على الإحسان وتكافئ عليه".[2]

(وَطْئاً)، (وِطَاءً):[3]

اتّفق أبو عمرو وابن عامر على قراءة (وَطْئاً) من قوله تعالى: " إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً "[4]، حيث قرآها (وِطَاءً) بكسر الواو وفتح الطّاء وألف ممدودة بعدها، مصدراً على وزن (فِعال)،[5] كَصِرَاع وَقِتَالْ، أي مُوَاطَأَةً ومُلاءَمَةً ومُوَافَقَةً[6]، " وواطَأَه عَلَى الأَمر مُواطَأَةً: وافَقَه. وتَواطَأْنَا عَلَيْهِ وتَوطَّأْنا: تَوافَقْنا "،[7] يقال: " وَطَأَ اللِّسَانُ والقَلْبُ مُوَاطَأَةً وَوَطَأَ أقوم قراءة لفراغه من سُفْلِ الدنيا "[8]، ومنه قوله تعالى: " لِيُواطِؤُا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ "[9] أي يُوافِقُوا،[10]، وهي اختيار

---

[1] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج4، ص1738.

[2] الهرويّ، إسفار الفصيح، ج2، ص784.

[3] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص99. شرح طيبة النشر، ص223. تحبير التيسير، ص596. النشر، ج2،ص388، 389. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص599، 600. محيسن، الهادي،ج3، ص311.

[4] سورة المزمل، الآية 6.

[5] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص354.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص685.

[7] ابن منظور، لسان العرب، (وطأ)، ج1، ص199.

[8] ابن فورك، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص71.

[9] سورة التوبة، الآية 37.

[10] الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص685.

أبي عبيد[1]، وأبي حاتم.[2] والمعنى: " أَشَدُّ ثَبَاتَ قَدَمٍ، لِأَنَّ النَّهَارَ يَضْطَرِبُ فيهِ النَّاسُ وَيَتَقَلَّبُونَ فيهِ لِلْمَعَاشِ"، قاله الفراء،[3] وقيل: المُواطأة هِيَ المُواتاةُ أَي "مُواتاةُ السَّمعِ والبصرِ إِيَّاهُ"،[4] وذكر المنذريّ أنّ " أبا الْهَيْثَمِ اخْتَارَ هَذه القراءَة وقَــالَ: مَعْنَــاهُ أَنَّ سَمْعَه يُواطِئُ قَلْبَه وبَصَرَه، ولِسانُه يُواطِئُ قَلْبَه وِطاءً. يُقَالُ واطَأَني فُلَانٌ عَلَى الأَمرِ إِذَا وافَقَكَ عَلَيْهِ لَا يَشْتَغِلُ القلبُ بِغَيْرِ مَا اشْتَغَلَ بِهِ السَّمْعُ، هَذَا واطأَ ذاكَ وذاكَ واطَــأَ هَذَا؛ يُرِيدُ: قِيامَ الليلِ والقراءةَ فيه ".[5]

وَفِي حَدِيثِ لَيْلَةِ القَدْرعن النبيّ – صلى الله عليه وسلّم – أنّه قال: " أَرَى رُؤياكُم قَدْ تَوَاطَتْ فِي العَشْرِ الْأَوَاخِرِ"،[6] قال ابن الأثير: " هَكَذَا رُوِي بتَرْك الْهَمْزِ، وَهُو مِنَ الْمُوَاطَأَةِ: الموافَقَة. وحَقِيقَتُه كَأَنَّ كُلاًّ منهما وَطِيءَ مَا وَطِئه الآخَر ".[7] قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: " قَوْلُهُ تَوَاطَأَتْ بِالْهَمْزَةِ أَيْ تَوَافَقَتْ وَزْناً وَمَعْنىً وَقَالَ

---

1 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج10، ص61.

2 الأزهري، تهذيب اللّغة، (وطأ)، ج14، ص37.

3 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص197. الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص685.

4 الزبيديّ، تاج العروس، (وطأ)، ج1، ص495.

5 الأزهري، تهذيب اللّغة، (وطأ)، ج14، ص37.

(6) هذا الحديث عند البخاريّ برواية أخرى وهي قول النّبي – صلى الله عليه وسلّم -: " أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ "، البخاريّ، صحيح البخاري، باب فضل من تعارّ من اللّيل فصلّى، حديث رقم: 1156، ج2، ص55. وأمّا هذه الرّواية فأوردها العينيّ في كتابه: العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. باب فضل من تعارّ من اللّيل فصلّى، حديث رقم: 6511، ج7، ص215.

7 ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: 606هـ)، (1979م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ج5، ص202.

ابن التِّين رُوِيَ بِغَيْرِ هَمْزٍ وَالصَّوَابُ بِالْهَمْزِ وَأَصْلُهُ أَنْ يَطَأَ الرَّجُلُ بِرِجْلِهِ مَكَانَ وَطْءِ صَاحِبِهِ ".[1]

وقرأ الباقون وطأ بفتح الواو، وإسكان الطّاء، من غير مد، مصدراً على وزن (فَعْل)،[2] على معنى " أبلغ في القيامِ وأبين في القول"،[3] يقال: "وطئنا اللّيل وطئاً فراشاً أي مهاداً لأنّه يفترش اللّيل".[4] وأصل استعماله كما يرى ابن قتيبة من قولنا: "اشْتَدَّت على القوم وَطْأَةَ سُلْطَانِهم: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم ويأخذهم به"؛[5] لذلك ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد بـــ (الوطء) ههنا " أَثْقَلُ وَأَغْلَظُ عَلَى الْمُصَلِّي مِنْ صَلَاةِ النَّهَارِ"،[6] وَفِي الْحَدِيثِ: " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ".[7]

ويكون المعنى – والله أعلم– أنّ مجاهدة المصلّي بالقراءة لآيات الرّحمن في جوف اللّيل يتحقّق له فيها من أسباب التّدبر والتّفكر بفعل تواطئ تلكم الجوارح على

---

(1) ابن حجر العسقلانيّ، فتح الباري، ج4، ص257. وابن التين هو أبو محمد: العلامة الفقيه المحدث عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف: بابن التين التونسي الصفاقسي المالكي، المتوفى في حدود سنة 611ه، قال ابن مخلوف في شجرة النور الزكية: أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي الشيخ الامام العلامة الهمام المحدث الراوية المفسر المتفنن المتبحر، له شرح على البخاري مشهور سماه "المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح " له فيه اعتناء زائد في الفقه ممزوجاً بكثير من كلام المدونة، وشراحها مع رشاقة العبارة ولطف الاشارة، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، وكذلك ابن رشيد وغيرهما، توفي سنة 611 هــ بصفاقس، وقبره بها معروف. وسماه صاحب هداية العارفين عبد الواحد فقال: عبد الواحد بن التين السفاقسي المغربي المالكي المحدث المتوفى، له شرح الجامع الصحيح للبخاري في عدة مجلدات. شجرة النور الزكية ص168. هدية العارفين ج1، ص630.

2 السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج10، ص518.

3 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص240.

4 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص273.

5 ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص215.

6 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج30، ص685.

7 البيهقي، السنن الكبرى، باب من استحب تأخيرها، حديث رقم: 3084، ج2، ص281.

ذلك، وهو ما يكون بأكثر ممّا يتواطأ عليه في وضح النّهار، إنّه "مواطأةَ السّمعِ واللّسان والقلب على الفهم له، والإحكامِ لتأويله ".[1]

(وَلا كِذّابا)، (وَلا كِذَابَا):[2]

وقرأ الكسائيّ وحده (ولا كِذَّابَا) من قوله تعالى: "لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذَّاباً"،[3] (كِذابَا) بتخفيف الذّال، مصدراً أي كَذِباً[4] على وزن (فِعالْ)، نحو: كَتَبَ كِتَابَاً[5]، وصَام صِيَامَاً،[6]يقال: " كَاذَبْتُه مُكَاذَبَةً وَكِذَابَاً "[7]، قال سيبويه: " وقد جاء المصدر أيضاً على فَعِلٍ، وذلك: خَنَقَهُ يَخْنُقُهُ خَنِقَاً، وكَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبَاً وَقَالُوا كِذَابَاً، جاءوا به على فعالٍ، كما جاء على فعولٍ. ومثله وحَرَمَهُ يَحْرِمَهُ حَرِمَاً وسَرَقَه يَسْرِقَه سَرِقَاً"[8]، وقال في سياق آخر:" وقد جاء بعض مصادر ما ذكرنا على فعال كما جاء على فُعُول، وذلك نحو: كَذَبْتُهُ كِذَابَاً وكَتَبْتُهُ كِتَابَاً وحَجَبْتُهُ حِجَابَاً ".[9]

وقرأ الباقون (كِذّابَا) بتشديد الذّال، على وزن (فِعّال) مصدراً[10] قياسياً[11] يقال: " كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبَاً وكِذْبَاً وكِذَابَاً "،[12]، فهو من كَذَّبَ كِذّابَاً،[13] نظير قوله تعالى: " وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً ".[14]

---

[1] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص493.

[2] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص326. تحبير التيسير، ص603. النشر في القراءات، ج2، ص397. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص609. محيسن، الهادي، ج3، ص329.

[3] سورة النبأ، الآية 35.

[4] السجستانيّ، غريب القرآن، ص399. ابن منظور، لسان العرب، (كذب)، ج1، ص706.

[5] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص370.

[6] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص86.

[7] ابن خالويه، الحجّة، ص361.

[8] سيبويه، الكتاب، ج4، ص6.

[9] المصدر نفسه، ج4، ص7.

[10] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص283.

[11] الفارسيّ، الحجة، ج6، ص369.

[12] ابن جنيّ، المحتسب، ج2،ص348.

[13] ابن خالويه، الحجّة، ص361.

[14] سورة النبأ، الآية 28.

وقد بحثت في مصنّفات اللّغة والتّصريف عن هاتين الصّيغتين، فبصرت اللّغويين يعدّونهما لغتين قالت بهما العرب، فيقرّر صاحب العين أنّ "... الكِذّابُ بالتّشديد لغة... وذلك أن العرب تقول: كذَّبته تكذيباً، ثم تجعل بدل التَّكذيب: كِذّاباً"،[1] وسُمِع عن بعضهم قوله: " وَهُوَ يَسْتَفْتِي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمِ الْقِصَارُ، يُرِيدُ التَّقْصِيرَ، يَعْنِي فِي الْحَجِّ "،[2] وقال الزّمخشريّ: " وَفِعَالٌ فِي بَابِ فَعَلَ كُلِّه فَاشٍ فِي كَلَامِ فُصَحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَقُولُونَ غَيْرَهُ، وَسَمِعَنِي بَعْضُهُمْ أُفَسِّرُ آيَةً فَقَالَ: لَقَدْ فَسَّرْتَهَا فِسَاراً مَا سُمِعَ مِثْلِهِ ".[3]

وقد نسب الكسائيّ صيغة التّخفيف لأهل اليمن والتّشديد لغيرهم من العرب، فقد روى اللّحيانيّ عنه قوله: " أَهلُ الْيَمَنِ يَجْعَلُونَ مصدرَ فَعَّلْتُ فِعَّالاً، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ تَفْعيلاً "،[4] وحكى الفرّاء أنّها لغة يمنيّة فصيحة، " يقولون: كذَّبت به كِذَّاباً، وخرَّقْتُ القَمِيصَ خِرَّاقاً، وَكُلُّ فَعَّلتُ فَمَصْدَرُهَا فِعَّالٌ بِلُغَتِهِمْ مُشَدَّدَةٌ. قَالَ: وَقَالَ لِي أَعْرَابِيٌّ مَرَّةً عَلَى الْمَرْوَةِ يَسْتَفْتِينِي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمِ الْقِصَّارُ؟"[5] وأنشد عليه قول بعض بني كلاب:[6]

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطَتْنِي عَنْ صَحَابَتِي   وَعَنْ حِوَجٍ قِضَّاؤُهَا مِنْ شِفَائِيَا

وأمّا أهل التصريف فيذهبون إلى أنّ هاتين الصّيغتين هما مصدران للفعل (كَذَّبَ) وفي ذلك يقول سيبويه: " وأمّا فَعّلْتُ فالمَصْدَرُ مِنْهُ على التَّفْعِيل، جَعلوا التّاء التي في أوّله بدلاً من العين الزّائدة في فَعّلْتُ، وجعلت الياء بمنزلة ألف الإفعال،

---

(1) الفراهيديّ، العين، (كذب)، ج5، ص347.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص388.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف، ج4، ص689.

4 ابن سيده، المحكم، (كذب)، ج6، ص790،791.

5 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص229.

6 البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراهيدي، العين، ج3، ص259. الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص229. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص706. أبو حيّان، البحر المحيط، ج10، ص388.

فغيّروا أوّله كما غيّروا آخره. وذلك قولك: كَسَّرْتُه تَكْسيراً، وَعَذَّبْتُهُ تَعْذِيباً...، وَأمّا الّذين قَالُوا: كِذَّابا فَإِنَّهُم قَالُوا تحَمَّلت تِحِمَّالا أَرَادوا أَن يُدْخِلوا الأَلِفَ كَمَا أدخلوها فِي أَفْعَلْتُ واستَفْعَلْتُ، وأرادوا الكسر في الحرف الأوّل كما كسروا أوّل إِفْعَالٍ واسْتِفْعَال، ووفّروا الحروف فيه كما وفّروهما فيهما ".[1]

ويرى ابن السّراج أنّ ما كان مشدّد (العين) فإنّ مصدره يكون على (تفعيل) نحو: قَطَّعتُه تَقْطيعاً وكَسَّرتهُ تكسيراً وشمَّرتُ تَشميراً، وأنّ الأصل في هذه المصادر أن تشتقّ على (فِعّال) بتخفيف (العين)، قال: " وكان أَصلُ هَذا المصدرِ أنَ يكونَ فِعَّالاً كما قلتَ أَفْعلتُ إفْعَالاً ولكنّهُ غُيرَ ليبينَ أَنهُ ليسَ ملحقاً ولو جاءَ بهِ جاءٍ علَى الأَصلِ لكانَ مصيباً كما قالَ الله جلَّ ذكره: " وَكَذَّبُوا بِآياتِنَا كِذَّاباً "، وقالَ قومٌ: حَمَّلتهُ حِمَّالاً وكَلّمتُه كِلاّماً ".[2]

ويزيد الفارسيّ المسألة وضوحاً فيذكر أنّ " الكِذّاب: مصدر كَذَّبَ، كما أنّ الكَلام مصدر كَلَّمَ، وكذا القياس فيما زاد على الثّلاثة، أي: يأتي بلفظ الفعل ويزيد في آخره الألف، كقولك: أَكْرَمْتُهُ إكْراماً... فأمّا الكَذاب فمصدر كَذَبَ"،[3] والعرب تقول: "وخَرَّقْتُ القَمِيصَ خِرَّاقاً، وقَضيت حاجاتي قِضاءً "،[4] ومنه قول الأعشى:[5]

فَصدَقْتُها وكَذَبْتُهَا   وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

وقال الجوهريّ: كِذَّاباً هو " أَحد مَصَادِرِ المشدَّد، لأَنّ مَصْدَرَهُ قَدْ يجيءُ عَلَى تفعيلٍ مِثْلَ التَّكْلِيم، وَعَلَى فِعَّالٍ مِثْلَ كِذَّابٍ، وَعَلَى تَفعِلَة مِثْلَ تَوْصِيَة، وَعَلَى مُفَعَّلٍ مِثْلَ: " وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ".[6]

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، ص79.

[2] سورة النبأ، الآية 28. ابن السّراج، الأصول، ج3، ص116.

(3) الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص369.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص117.

[5] لم أقف على هذا البيت في ديوان الأعشى. القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح، ج2، ص878. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص193. أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص388.

(6) الجوهريّ، الصحاح، (كذب)، ج1، ص210. سورة سبأ، الآية 19.

ويرى مكي أنّ هاتين القراءتين مصدران، قال: " من شدد جعله مصدر كذب زيدت فِيهِ الْألف كَمَا زيدت فِي إكراماً وَقَوْلهمْ تَكْذِيباً جعلُوا التَّاء عوضاً من تَشْدِيد الْعين وَالْيَاء بَدَلاً من الْألف غيروا أَوله كَمَا غيروا آخِره وأصل مصدر الرّباعي أَن يَأْتِي على عدد حُرُوف الْمَاضِي بزِيَادَة ألف مَعَ تَغْيِير الحركات وَقد قَالُوا تكلما فَأتى الْمصدر على عدد حُرُوف الْمَاضِي بِغَيْر زِيَادَة ألف وذل لِكَثْرَة حُرُوفه وضمت اللَّام وَلم تكسر لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَام اسْم على تفعل وَلم يفتحوا لِئَلَّا يشبه الْمَاضِي وقرأه الْكسَائيّ كذاباً بِالتَّخْفِيفِ جعله مصدري كَاذِب كذابا وَقيل هُوَ مصدر كَذِب كَقَوْلِك كَتَبْتُ كِتَابَاً ".[1]

ويحاول الفرّاء أنّ يبحث عن توجيه نحويّ يوجّه به قراءة الكسائيّ، فيذكر أنّ (كِذابا) قد خُففتْ لأنّها ليست بمصدر متعلّقاً بالفعل الذي قبلها، قال: "... لأنّها ليست مقيدة بفعل يصيِّرها مصدراً. ويشدِّد: " حساباً وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً "؛ لأن كذّبوا يقيّد الكذّابَ "؛[2] ولذلك قيل: " إنّه مصدر جرى على غير المصدر "،[3] قال الأزهريّ: " وإنّما فرّق الكسائيّ بين الأوّل والثّانى لأنّ الأوّل مقيّد بـــ (كَذَّبوا) فقرأه (كِذَّابا)؛ لأنّه مصدر (كَذَّبوا)، وخفّف الثّاني لأنّه غير مقيّد بما قبله، فالمعنى: لا يسمعون فيها لغواً، أي: باطِلاً، " وَلا كِذَّاباً "، أي: كَذِباً ".[4]

وبناءً على ما تقدّم يفترض الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتملان وجهين؛ فهما إمّا أن يكونا لغتين بمعنى واحد وهو مذهب له ما يؤيّده في السّماع. وإمّا أن تكونا مصدرين متغايرين في المبنى مترادفين في المعنى؛ فقراءة التخفيف تفيد نفي سماع الكذب عن هؤلاء السعداء بنعيم المولى سبحانه؛ حيث إنّ " الْكِذَابَ بِالتَّخْفِيفِ وَالْكَذِبَ وَاحِدٌ... فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِالتَّخْفِيفِ تُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي النَّفْيِ ".[5]

---

[1] مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص796.

[2] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص229. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (كذب)، ج10، ص99.

سورة النبأ، الآية 28.

[3] ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج1، ص531.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص117.

[5] الرّازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص22.

وتأتي القراءة الثّانية ذات الصّيغة المشدّدة لتؤكّد ذلك المعنى؛ فهي تحمل في طيّاتها إشارة إلى ما كان يقع من أولئك المعاندين من التّكذيب بشرائع الله وبأنبيائه المصطفين، وهو ما أخبرت عنه الآية الكريمة المتقدّمة وهو قوله عزّ من قائل: "وَكَذَّبُوا بِآياتنا كِذَّاباً"،[1] " وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ السُّعَدَاءَ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمُ الْمُشَوَّشَ الْبَاطِلَ الْفَاسِدَ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ إِلَيْهِمْ تَكُونُ خَالِيَةً عَنْ زَحْمَةِ أَعْدَائِهِمْ وَعَنْ سَمَاعِ كَلَامِهِمُ الْفَاسِدِ وَأَقْوَالِهِمُ الْكَاذِبَةِ الْبَاطِلَةِ.[2]

(خَاتَمه)، (خِتَامه):[3]

قرأ الكسائيّ وحده أيضاً (ختامه) من قوله تعالى: " خِتَامُهُ مِسْكٌ "،[4] (خاتَمه) بفتح الخاء وإقحام ألف بعدها من غير ألف بعد التّاء، على وزن (فَاعَلْ) اسماً لما كان آخر الشّيء قال الخليل: " وخاتِمُ العمل وكل شيء: آخرهُ "؛[5] لذلك قيل إنّه في هذه القراءة اسم لما يختم به الكأس،[6] وقيل: اسم آلة سماعيّ نحو: القَالِبْ والطَّابِع،[7]، والمعنى: إنَّ الكَأْسَ التي يَشْرَبُونَهَا آخِرُهَا مِسْك، أي " خَاتِمَتُهُ مِسْك "،[8] وهو نظير قوله تعالى: "وَخَاتَمَ النَّبِيِّين"،[9] يعني آخرهم.[10]

---

(1) سورة النّبأ، الآية 28.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص22.

3 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص101. شرح طيبة النشر، ص328. تحبير التيسير، ص608. النشر في القراءات، ج2، ص399. النويريّ، شرح طيبة النشر،ج2، ص614. محيسن، الهادي، ج3، ص341، 342.

4 سورة المطففين، الآية 26.

5 الفراهيديّ، كتاب العين، (ختم)، ج4، ص242.

6 الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص576.

7 الألوسيّ، روح المعاني، ج15، ص282.

8 ابن خالويه، الحجّة، ص366.

9 سورة الأحزاب، الآية 40.

10 الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص387. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (ختم)، ج7، ص138.

وقرأ الباقون (خِتَامه) بكسر الخاء وحذف الألف الّتي بعدها، وإقحام ألف بعد التّاء، على وزن (فِعَالْ) مصدراً،[1] من قولهم: " خَتَمَه يَخْتِمُه خَتْماً وخِتاماً"،[2] أي: "عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ"،[3] " وآخر طعمه... إذا شرب"،[4] فآخره طعم المسك ورائحته، يعني " طِيبُهُ مِسْكٌ" قاله مجاهد،[5] ومنه قولهم للعطّار إذا اشْتروا منه الطّيب: " اجْعَلْ خَاتمه مِسْكاً"،[6] والمراد: أنّ " آخر شَرَابهم مِسْك، أي: مَخْتُوم بِمِسْك"،[7] يقول ابن زنجلة: " كَأَنَّهُ إِذا شَرِبَ أحدهم الكأس وجد آخر شَرَابَه مِسْكَاً وخِتَامَ كلّ شَيْء آخِره أَيّ آخر مَا يجدونه رَائِحَة الْمِسْك"،[8] وفي ذلك يقول أبو إسحاق الزّجاج: " شربوا هذا الرّحيق فَنِيَ ما في الكأس وانقطع الشّرْبُ، انختم ذلك بطَعْم المِسْك ورائحته".[9] قال الفرزدق:[10]

فَبِتْنَ بِجَانِبِيَّ مُصَرَّعَاتٍ   وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الخِتَامِ

وقال ابن مقبل:[11]

صِرْفٌ، تَرَقْرَقُ فِي النَّاجُودِ، نَاطِلُهَا   بِالْفُلْفُلِ الْجَوْنِ وَالرُّمَّانِ مَخْتُومُ

---

1 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص248.

2 ابن منظور، لسان العرب، (ختم)، ج12، ص163.

3 عبد الرّزاق، تفسير عبد الرزاق،ج3، ص406. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص290.

4 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص520.

5 مجاهد، تفسير مجاهد، ص712.

6 السجستانيّ، غريب القرآن، ص216.

7 ابن خالويه، الحجّة، ص366.

8 ابن زنجلة، حجّةالقراءات، ص754.

9 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص301.

10 لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق، ولقد نسبته المصادر التي اطلعت عليها للفرزدق. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج7، ص138. الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص248. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص146. الفيومي، المصباح المنير، ج2، ص475.

11 ابن مقبل، تميم بن أُبَيّ مُقْبِل بن عوف، (1995م)، **ديوان ابن مقبل**، عني بتحقيقه: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ص195.

وهكذا أخبرنا العزيز الكريم عن النّعيم الذي وعده لعباده المخلصون، فبيّن لنا في هذه الآية ذات القراءتين واحدة من نعمائه التي سيلقاها كلّ من يرضى عنه ذو الجلال والإكرام، فهذا شرابهم رحيق مستودع في كؤوس من قوارير فضيّة يستلذّ به الشّاربُون فيجدون آخره مسكاً طيب الرّائحة فتطيب به نفوسهم، فإذا كان آخر ذلك الشّراب المسك فكيف أوّله؟

(مَطْلِعْ)، (مَطْلَعْ):[1]

قرأ الكسائي وخلف العاشر (مطلع) من قوله تعالى: " سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ"،[2] (مَطْلِع) بكسر (اللّام) على وزن (مَفْعِلْ) مصدراً سماعيّاً؛ إذ الأصل في ما كان على (فَعَلَ يَفْعُلُ) أن يكون مصدره على (مَفْعَلْ) (مَطْلَع)[3] بالفتح، ولكن ورد عن العرب قولهم " طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَطْلِعاً فيكسرون. وهم يريدون: المصدر، كما تقول: أَكْرَمْتُكَ كَرَامَةً، فتجتزىء بالاسم من المصدر" حكاه الفرّاء،[4] ويزيد سيبويه الأمر وضوحاً قال: " وقد كسروا المصدر في هذا كما كسروا في يفعل، قالوا: أتيتك عند مَطْلِعَ الشَّمْس، أي عند طُلُوعِ الشَّمْس. وهذه لغة بني تميم، وأمّا أهل الحجاز فيفتحون"،[5] وقيل هو اسم للزَّمان، والمراد وقت طُلُوع الشّمس،[6] والعرب – كما يقول الأزهريّ – " تضع الْأَسْمَاء مَوَاضِعِ المصادر".[7]

وقرأ الباقون (مَطْلَعْ) على وزن (مَفْعَلْ) مصدراً ميميّاً،[8] على إرادة

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص101. شرح طيبة النشر، ص330. تحبير التيسير، ص616. النشر في القراءات، ج2، ص403. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص622. محيسن، الهادي، ج3، ص359.

[2] سورة القدر، الآية 5.

[3] ابن السّراج، الأصول، ج3، ص142.

[4] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص281.

[5] سيبويه، الكتاب، ج4، ص90.

[6] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص155. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج4، ص537.

[7] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (طلع)، ج2، ص100.

[8] الألوسيّ، روح المعاني، ج15، ص420.

(الطّلوع)،[1] جاء في اللّسان: " طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْفَجْرُ وَالنُّجُومُ تَطْلُعُ طُلُوعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً، فَهِيَ طالِعةٌ، وَهُوَ أَحَد مَا جَاءَ مِنْ مَصادرِ فَعَلَ يَفْعُلُ عَلَى مَفْعِلٍ ومَطْلَعاً، بِالْفَتْحِ، لُغَةٌ، وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَالْكَسْرُ الأَشهر "،[2] وقول الفرّاء: " إذا كَانَ الْحَرْفُ مِنْ بَابِ فعَل يفعُل مثْل دَخَلَ يَدْخُلُ وَخَرَجَ يَخْرُجُ وَمَا أَشبهها آثَرَتِ الْعَرَبُ فِي الِاسْمِ مِنْهُ وَالْمَصْدَرُ فَتْحُ الْعَيْنِ، إلا أَحرفاً مِنَ الأَسماء أَلزموها كَسْرَ الْعَيْنِ فِي مَفْعِلٍ، مِنْ ذَلِكَ: المسجِدُ والمَطْلِعُ والمَغْرِبُ والمَشْرِقُ والمَسْقِطُ والمَرْفِقُ والمَفْرِقُ والمَجْزِرُ والمسْكِنُ والمَنْسِكُ والمَنْبِتُ، فَجَعَلُوا الْكَسْرَ عَلَامَةً لِلِاسْمِ وَالْفَتْحَ عَلَامَةً لِلْمَصْدَرِ ".[3]

ويرى الفارسيّ أنّ المعنى في هذا السّياق يرشّح المصدريّة في (المَطْلَع)، قال: " المعنى: سلام هي حتى وقت طلوعه، وإلى وقت طلوعه، فهذا نحو: مَقْدَم الْحَاج، وخُفُوقِ النَّجْم، تجعل المصدر فيه زماناً على تقدير حذف المضاف، فكذلك المطلع، وإذا كان كذلك، فالقياس أن يفتح اللام، كما أن مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو: المَقْتَل، والمَخْرَج ".[4]

(مُنْزَلاً)، (مَنْزِلاً):[5]

انفرد شعبة من بين القرّاء العشرة في (منزلاً) من قوله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً"،[6] حيث قرأها (مَنْزِلاً) بفتح الميم وكسر الزّاي، على وزن (مَفْعِلْ) اسماً للمكان،[7] فـــ " المنزل بمعنى النّزول كما تقول جَلَسَ مَجْلِسَاً والمَجْلِس

---

1 الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص581.

2 ابن منظور، لسان العرب، (طلع)، ج8، ص235.

3 ابن منظور، لسان العرب، (طلع)، ج8، ص235.

4 الفارسيّ، الحجة، ج6، ص427.

5 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص283. تحبير التيسير، ص475. النشر في القراءات، ج2، ص328. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص468. محيسن، الهادي، ج3، ص75، 76.

6 سورة المؤمنون، الآية 29.

7 النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص79.

الموضع الذي يُجْلَسُ فيه "،[1] ويجوز أن يكون مصدراً قاله الفارسي في (الحجّة).[2]

وقرأ الباقون (مُنْزَلا) بضمّ الميم، وفتح الزّاي، على وزن (مُفْعَل) مصدراً بمعنى (الإنزال)[3]، من أنزل يَنْزِل إنزالا ومُنزلاً، ويجوز أن تكون اسم مكان، حكاه الأزهريّ،[4] ويكون المعنى – والله أعلم – أنزلني إنزالاً مباركاً في مكان مبارك.

(شَقَاوَتنَا)، (شِقْوَتنَا):[5]

قرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر (شقوتنا) من قوله تعالى: " قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا"،[6] بفتح الشّين والقاف، وإقحام ألف بعد القاف، (شَقَاوَتنا) على وزن (فَعَالة) مصدراً نحو: سلم سلامة،[7] قال ابن منظور: " الشَّقاءُ والشَّقَاوَةُ، بِالْفَتْح: ضدُّ السَّعَادَة، يُمَدُّ ويُقْصَرُ، شَقِيَ يَشْقَى شَقاً وشَقاءً وشَقَاوةً وشَقْوةً وشِقْوَةً ".[8] وقرأ الباقون (شِقْوتنا) بكسر الشّين وإسكان القاف، وحذف الألف الّتي بعدها، مصدراً على وزن (فِعْلة)، نحو قولهم: فَدَيْتُه فِدْيَة،[9] ومنه قول الشاعر:[10]

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وشِقْوَتِهْ بنتَ ثمانِيَ عَشْرةٍ مِنْ حِجَّتِهْ

---

[1] النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص454.

[2] الفارسيّ،الحجّة، ج5، ص294.

[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص11.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات،ج2، ص190.

[5] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص88.شرح طيبة النشر، ص284. تحبير التيسير، ص477. النشر في القراءات، ج2، ص329. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص470. محيسن، الهادي، ج3، ص79، 80.

[6] سورة المؤمنون، الآية 106.

[7] ابن خالويه، الحجّة، ص258.

[8] ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص438.

[9] ابن خالويه، الحجّة، ص258.

[10] ينسب هذا البيت (لأَبي ثَرْوَانَ). الفراء، معاني القرآن، ج2، ص242. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج9، ص198. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص438.

(سِخْرِيّاً)، (سُخْرِيّاً):[1]

اختلف القرّاء العشرة في قراءة هذه اللّفظة في موضعين من التّنزيل، وهما:

1- قوله تعالى: " فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي".[2]

2- قوله عزّ من قائل: " أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ ".[3]

فقرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (سُخْرِيّاً) بضمّ السّين، مصدراً على وزن (فُعْل) من تُسَخِّرُونَهُم، أي: من السُّخْرة والاستعباد[4] والتّسخير،[5] وقرأ الباقون سِخْرِيّة بكسر السّين على وزن (فِعْل) مصدراً من سَخِرَ يَسْخَرُ سِخْرِيَّةً،[6] أي تَسْخَرُونَ منهم[7] وتَهْزَأونَ بِهم.[8]

وهناك من رأى القراءتين سواء؛ فهما لغتان مسموعتان عن العرب، وفي كلامهم ما يناظرهما كالعُصِيّ والعَصِيّ جمع (العَصَا)،[9] قال الكسائيّ: " هما لغتان بمعنى واحد كما يقال: عَصِيّ وعُصِيّ"،[10] وهو مذهب سيبويه وشيخه الخليل قالا: " هما لغتان مثل قول العرب: بَحْرٌ لُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ، وكَوْكَبٌ دُرِّيٌّ وَدِرِّيٌّ، وكُرْسِيٌّ وكِرْسِيٌّ".[11]

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص88. شرح طيبة النشر، ص284. تحبير التّيسير، ص477. النّشر في القراءات، ج2، ص329. النّويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص470. محيسن، الهادي، ج3، ص80.

[2] سورة المؤمنون، الآية 110.

[3] سورة ص، الآية 63.

[4] الطبري، جامع البيان، ج19، ص80.

[5] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص24.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (سخر)، ج4، ص352.

[7] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص300.

[8] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص24.

[9] الطبريّ، جامع البيان، ج19، ص80.

[10] النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص86، 87.

[11] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7،ص58.

(السَّجْنُ)، (السِّجْنُ):[1]

قرأ العشرة إلّا يعقوب (السِّجْنُ) منقوله تعالى: " قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"[2] بكسر (السّين) اسم للمكان وهو (الحبس)،[3] أي: " نُزولُ السّجنِ"،[4] يقول ابن منظور: " فَمَنْ كَسَرَ السِّينَ فهو المَحْبِس وَهُوَ اسْمٌ"،[5] والمعنى: " قال يوسف: يارب، الحبس في السِّجن أحبُّ إليَّ ممّا يدعونني إليه من معصيتك، ويراودنني عليه من الفاحشة ".[6]

وقرأ يعقوب (السَّجْنُ) بفتح (السّين) مصدراً ثلاثيّاً من: "سَجَنَه يَسْجُنُه سَجْناً أَيحَبَسَهُ"،[7] وَفِي الْحَدِيثِ: " مَا شيءٌ أَحَقَّ بطُولِ سَجْنٍ مِنْ لسانٍ"،[8] والمعنى: " أَنْ أُسْجَنَ أَحبُّ إليَّ ".[9]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النشر، ص255. تحبير التيسير، ص414. النشر في القراءات، ج2، ص295. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص393. محيسن، الهادي، ج2، ص327.

2 سورة يوسف،الآية 33.

3 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص44.

4 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص108. النّحاس، معاني القراءات، ج3، ص424.

5 ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص203.

6 الطبريّ، جامع البيان، ج16، ص86.

7 ابن منظور، لسان العرب، (سجن)، ج13، ص203. النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص202. مكي، الهداية، ج3، ص3556. الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص467.

8 البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، (2003م)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، ببومباي، بالهند، باب في: الجهاد، حديث رقم: 3916، ج6، ص88.

9 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص108.

وعلى صعيد آخر اتّفق القرّاء العشرة على كسر السّين من السِّجن في غير هذا الموضع،[1] وهو في قوله تعالى: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ"،[2] وقوله تعالى: " يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ"،[3] وقوله تعالى: " يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً"،[4] وقوله عز من قائل: " فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"؛[5] وذلك " لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْمَحْبَسُ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُسْجَنُفِيهِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَصْدَرُ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الْمَصْدَرِ فِيهِ ظَاهِرَةٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: أَرَادَ يَعْقُوبُ بِفَتْحِهِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الِاسْمِ وَالْمَصْدَرِ ".[6]

1 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص295.

2 سورة يوسف، الآية 36.

3 سورة يوسف، الآية 39.

4 سورة يوسف، الآية 41.

5 سورة يوسف، الآية 42.

6 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص295.

الفصل الثّالث

في بنية المشتقّات

1.3 مدخل:

وفي سيرورة البحث عن التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة يقف الباحث على بنيات صرفيّة مخصوصة ابتدعتها العربيّة للدّلالة على معانٍ معلومة يستردفها ابن الكفاية في مواقفه التداوليّة. وأوّل ما يميّز هذه الصّيغ أنّها ذات دلالات ثابتة لا تنفكّ، فتجاوزها إلاّ إذا تطلّب المقام اجتلاب معنى إضافي يلبّي مقاصد الرّسالة الإبلاغية.

وتتوزّع هذه البنيات على أبوابٍ سبعة التزمها أغلب الصّرفيّين في تناولهم لمباحث التّصريف، وستقتصر الدّراسة على المباحث الصّرفيّة التي وردت بها القراءات العشرة، وهي:

1- **اسم الفاعل**: وهو الصّفة الدّالة على " مَا اشتق من فعل لمن قَامَ بِهِ على معنى الْحُدُوث "،[1] أو هو: " الْوَصْف الدَّال على الْفَاعِل الْجَارِي على حركات الْمُضَارِع وسكناته "،[2] وقيل: هو: " ما دلّ على الحدث والحدوث "،[3] وهو يعمل عمل فعله سواء أكان مفرداً أم مثنّى أم جمعاً؛[4] فإن كان مشتقّاً من فعل لازم اقتصر في العمل على الاسم الذي بعده، فلم يجاوزه؛ " يعني: إن كان فعله لازماً فهو لازم "،[5] نحو: زيدٌ شريفٌ أبوه،[6] فإن كان مشتقّاً من فعل متعدٍّ؛ " عَمِلَ عَمَلَ الفعل المضارع؛ لشبهه به في عِدَّة الحروف، وهيئة الحركة والسّكون، فـ (ضارب) يُضَاهي (يَضْرِبْ) في كون كلٍّ منهما رُباعيّ الحروف، ثانيهما ساكن، وما عداه متحرّك؛ فلمَّا اشتبها من هذا الوجه أُعْرِبَ الفعل المضارع من بين الأفعال، وعمل هذا الاسم عمله في

---

(1) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص496.

(2) ابن هشام، شرح قطر الندى، ص270.

(3) الأزهريّ، شرح التصريح، ج2، ص11.

(4) السيوطيّ، همع الهوامع، ج3، ص68.

(5) المراديّ، توضيح المقاصد، ج2، ص849.

(6) ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة، ج1، ص342.

الحال والاستقبال ".[1] ويصاغ اسم الفاعل من الفعل الثّلاثي على وزن فاعِل غالباً، نحو نَاصِر وضَارِب وقَابِل.[2] ويصاغ من غير الثّلاثي بلفظ مضارعه، باستبدال الميم المضمومة بحرف المضارعة، وكَسر ما قبل الآخر،[3] نحو مُدَحْرِج ومُنْطَلِق ومُسْتَخْرِج.[4]

2- **صيغ المبالغة**: وإذا قصد المتكلّم في خطابه التّداولي معنى التّكثير والمبالغة جنح إلى أبنية مخصوصة ابتدعتها اللّغة تلبية لهذا المطلب، وذلك بتحويل بنية اسم الفاعل إلى واحدة من " أوزان خمسة مشهورة، تُسَمَّى صِيغ المبالغة "،[5] قال سيبويه: " وأجروا اسمَ الفاعِل، إذا أرادوا أن يُبالِغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعِلٍ، لأنّه يُريد به ما أراد بفاعِل من إيقاع الفعل، إلاّ أنّه يُريد أن يُحدِّثَ عن المُبالغة. فمَا هو الأصلُ الذى عليه أكثر هذا المعنى: فَعولٌ، وَفَعّال ومِفْعَال وَفَعِلٌ. وقد جاء: فَعِيلٌ كَرَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وقَدِيرٍ وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ، يجوز فيهنّ ما جاز في فاعِلٍ من التّقديم والتّأخير، والإضمار والإظهار "،[6] وقال الجوجريّ في شرح (الشّذور): " ... أمثلة المبالغة وهي ما حوّل عن اسم فاعل الثلاثيّ لقصد المبالغة والتكثير إلى فَعَّال بتشديد العين، كغَفَّار، أَو مِفْعَال بكسر الميم، كَمِنْحَار، أَو فَعُول بفتح الفاء، كضَرُوب، أَو فَعِيل كَعَلِيم، أَو فَعِل كَحَذِر ".[7]

---

[1] ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة، ج1، ص342.

[2] الحملاويّ، شذا العرف، ص62.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك، ج3، ص215.

[4] وقد سمع عن العرب ألفاظ مخصوصة خالفت هذا القياس المطرد منها: مُسْهَب ومُلْفَج ومُحْصَن بفتح ما قبل الآخر. وجاء من أفعل على فاعِل عاشِب ووارِس ويافِع وبَاقِل، وجاء منها من أفعل على فعول: عَقُوق، ولا تصاغ على زنة مُفَعِل. والمُلْفَج هو المُفلِس. والعَقوق هو من قولهم: أعَقَّت الفرس فهي عَقوق إذا حملت. الجرجانيّ، المفتاح في الصرف، ص58.

[5] الحملاويّ، شذا العرف، ص62.

[6] سيبويه، الكتاب، ج1، ص110.

[7] الجوجريّ، شرح شذور الذهب، ج2، ص688.

وقد وردت عن العرب أبنية أخرى للمبالغة غير تلك الأبنية الخمسة، منها: " فِعِّيل: بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة كسِكِّير. ومِفْعيل: بكسر فسكون كَمِعْطِير، وفُعَلة: بضم ففتح، كهُمَزَة ولُمَزة. وفاعُول: كفاروق. وفُعال: بضمّ الفاء وتخفيف العين أو تشديدها، كطُوّال وكُبّار، بالتّشديد أو التّخفيف ".[1]

3- **الصّفة المشبّهة باسم الفاعل**: وهي الوصف المشتق الذي يدلّ بصيغته التّصريفيّة على معنى الثّبوت والدّوام،[2] لا على التجدّد والحدوث،[3] فـ " كأنّه من السّجايا والطّبائع اللازمة "؛[4] وقيل: هي: " الصّفة المصوغة لغير تَفْضِيل لإِفَادَة نِسبَة الْحَدث إِلَى موصوفها دون إفادة الْحُدُوث "،[5] وإنّما سُمّيت بـ (الصّفة المشبّهة باسم الفاعل)، فذلك لأنّها تشترك معه في وجوه، وتفترق عنه في وجوه أخرى.[6] ولا تصاغ الصّفة المشبّهة إلّا من فعل لازم،[7] " ويغلب بناؤها من لازم باب فرِح، ومن باب شرُف، ومن غير الغالب نحو سيّد وميِّت، ... وأوزانها الغالبة فيها اثنا عشر وزناً ".[8]

4- **اسم المفعول**: وهو الصّفة الدّالة على " مَا اشتق من فعل لمن وَقع عَلَيْهِ "،[9] على سبيل التجدّد والحدوث،[10] وهو يصاغ من الفعل الثّلاثي على زنة مَفْعُول، نحو: منصور ومطلوب، ومن غير الثّلاثيّ بلفظ مضارعه باستبدال

---

[1] الحملاويّ، شذا العرف، ص62.

[2] الزمخشريّ، المفصل، ص293.

[3] الغلاييني، جامع الدروس العربيّة، ج1، ص178.

[4] المصدر نفسه.

[5] ابن هشام، شرح قطر الندى، ص277.

[6] انظر هذه الوجوه عند ابن هشام في مغني اللبيب، ص598-600.

[7] ركن الدّين الاسترباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص287.

[8] الحملاويّ، شذا العرف، ص63-64.

[9] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص508.

[10] ابن هشام، شرح قطر الندى، ص277.

الميم المضمومة بحرف المضارعة، وفتح الحرف قبل الأخيــر، علــى وزن (مُفْعَل)، نحو: مُرْزَم ومُعَظَّم ومُسْتعان به.[1]

(مَالِك)، (مَلِك):[2]

وأوّل ما نستفتح به هذا الباب هو (مالك يوم الدّين) في أمّ الكتاب، حيث قرأ عاصم والكسائيّ ويعقوب وخلف العاشر(ملك)من قوله تعالى:"مالك يوم الدين"[3] بإثبات ألف بعد الميم،اسم فاعل[4] مشتق من " المِلْك "،[5] وهو من:" مَلَك فهو مالِكٌ،مثل قهر فهو قاهر"،[6] معناه: "قاضي يوم الجزاء والحساب لأنَّه متفرِّدٌ في ذلك اليوم بالحكم "،[7] فهو " مَالِكُهُ الَّذِي يَمْلِكُهُ "،[8] قاله ابن عبّاس والسدي[9] ومقاتل،[10] وقيل: معناه: " أنه ذو المِلْكَةِ في يوم الدين، وقيل: معناه أنه مالِك الملك يوم الدين".[11]

---

(1) الحملاويّ، شذا العرف، ص63.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص38. شرح طيبة النشر، ص49. تحبير التيسير، ص186. النشر في القراءات، ج1، ص271. النويري، شرح طيبة النشر، ج1، ص303، 304. محيسن، الهادي، ج2، ص7، 8.

3 سورة الفاتحة، الآية 3.

4 ابن سيده، إعراب القرآن، ج1، ص5.

5 الطبريّ، جامع البيان، ج1، ص149.

6 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص15.

7 الواحديّ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: 468هـ)، (1995م)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ص88.

8 ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ج1، ص119.

9 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص115.

10 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج1، ص36.

11 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص109.

وقرأ الباقون (مَلِكِ) بحذف الألف وكسر اللاّم والكاف، على وزن (فَعِلْ) صفة مشبّهة،[1] " صَارَتِ اسْماً لِصَاحِبِ الْمُلْكِ بِضَمِّ الْمِيمِ"،[2] وهو: " مَنْ عَمُرَ مُلْكُهُ؛ يُقَالُ مَلِكٌ بَيِّن الْمُلْكِ بِالضَّمِّ "،[3] وقيل: هو: " المتصرّف بالأمر والنّهي في الجمهور، وذلك يختصّ بسياسة النّاطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ النّاسِ، ولا يقال: مَلِك الأشياء "؛[4] " وإنّما شرط الجمهور لأنّ كل إنسان يملك ذلك في نفسه وما يختص به، ثم يقال له: ملك، وهذا إنّما قاله بالنّظر العامي وأمّا بالنّظر الخاصّي، فهو في الحقيقة اسم لمن يملك السّياسة من نفسه أو منها أومن غيرها، ومالك ذلك من نفسه أجل ملك وأكبر سلطان".[5]

وقد عني بتوجيه هاتين القراءتين نفر غير قليل من علماء اللّغة والتّفسير، حتى أنّنا لا نجد تصنيفاً في بيان معاني التّنزيل أو إعراب تراكيبها وتصريف كلمها لا يخلو من ذكر لهما.فقد اعتمد فريق من العلماء على الاقتران اللّفظيّ دالّة يوجّه على هديه ما يختاره من القراءة، فهذا أبو حاتم السجستانيّ يؤثر قراءة (مالك) على قراءة (ملك) بناءً على قانون الاصطحاب المعجميّ؛ الذي يبيح لـــ (مالك) أن تقترن بألفاظ من مثل: النّاس، فـــ " يقال ملك الناس وَلا يُقَالُ: مَلِكِ الدَّوَابِّ أَوِ الدَّرَاهِمِ"،[6] قال: "وهو أجمع من ملك لأنّك تقول إنّ الله مالك النّاس ومالك الطّيرِ ومالك الرّيح ومالك كل شيء من الأشياء ونوع من الأنواع ولا يقال الله ملك الطّير ولا ملك الرّيح ونحو ذلك وإنّما يحسن ملك النّاس وحدهم".[7] وهذه الحجّة من لدن أبي حاتم لم يوافقه عليها جلّ علماء اللّغة، " منهم أبو عبيد وأبو العباس محمد بن يزيد واحتجوا بقوله تعالى: لمن المُلك اليوم. والمُلْك مصدر المَلِك ومصدر المَالِك مِلك بالكسر وهذا

---

[1] الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص163.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص175.

[3] العكبريّ، التبيان،ج1، ص6.

[4] الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص774.

[5] الرّاغب الأصفهانيّ، التفسير، ص55،56.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص175.

[7] النّحاس، معاني القرآن،ج1، ص61.

احتجاج حسن وأيضاً فإنّ حجّة أبي حاتم لا تلزم لأنّه إنّما لم يستعمل ملك الطّير والرّياح لأنّه ليس فيه معنى مدح".[1]

ومن جهة ثانية كان هناك من العلماء من فاضل بين القراءتين بناءً على فصاحة اللّفظ وبلاغة التعبير، فمن قرأ بصيغة اسم الفاعل وجد (مالك) أبلغ في التّعبير من (ملك)؛ " لأنّه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولايقال ملك: إلا لملك من ملوك "،[2] بذلك وجدنا أبا حاتم يقرّ لقراءة (مالك) بعلوّ كعبها في الفصاحة والبلاغة؛ حيث أنّ" مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك، ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من مالك ".[3]

وأمّا من اختار القراءة بالقصر فإنّه رأى هذا اللّفظ أفصح في الاستعمال وأبين في الإبلاغ بآية أنّك "إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة، يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك وإذا قلت فلان مالك هذه البلدة، كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة "؛[4] ولذلك قيل: إنّ " المَلِك أبلغ في المدح من المالك، لأنَّ كلَّ مَلِكٍ مالِكٌ، وليسَ كلُّ مالِكٍ ملِكاً، ولأنّ أمر الملِكِ نافذ على المالِكِ "،[5] وقال: أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالِكِ أجمع وأوسع وأمدح، ألا ترى أنّه يقال: الله مالك الطّير والدّواب والوحش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنّما يقال: مَلِكِ النَّاسِ؟قالوا: ولا يكون مالك الشّيء إلّا هو يملكه ويكون ملك الشّيء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم ".[6]

وهناك فريق آخر وجد المسألة تشتغل في التباين اللّهجيّ، فــ (مالك وملك) هما لغتان بمعنى واحد لا فضل لإحداهما على الأخرى، شأنهما في ذلك شأن فرهين وفارِهِينَ، وحذرين وحاذرين وفَكِهِينَ وفاكِهِينَ،[7] ومعناهما" الربّ، كمايُقَالُ: رَبُّ

---

[1] النّحاس، معاني القرآن، ج1، ص62. سورة غافر، الآية 16.

[2] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص17.

[3] الماورديّ، النكت والعيون، ج1، ص56.

[4] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص17.

[5] الماورديّ، النكت والعيون، ج1، ص56. السّمعانيّ، تفسير القرآن، ج1، ص36.

[6] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص114.

[7] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص114.

الدَّارِ وَمَالِكُهَا "،[1] والعرب تقول: " ربّ الدّار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالكها، ولا يفرّقون بين قولهم: ربّها ومالكها ".[2]

وولّى فريق رابع فكره شطر المعنى والدّلالة، فرأى القراءة بـــ(مالك) هي أعم في المعنى من القراءة بـــ(الملك)؛ إذ تشمل القليل والكثير،[3] فهي تقبل الإضافة لما لا حصر له من الموجودات،[4] سواء أكانت معاني عامّة أم دلالات خاصّة،[5] فيقال: " مَالِكُ الجنِّ والإِنْسِ والطَّيْر"،[6] كما يقال: " مَالِك الْمُلُوك"،[7] وفي ذلك يقول الراغب في (المفردات): " والمِلْكُ كالجنس للمُلْكِ، فكلّ مُلْك مِلْك، وليس كلّ مِلْك مُلْكاً "،[8] ومنه قول الشّاعر:[9]

سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الوجوهُ لوجهِهِ مَلِكِ الملوكِ ومالكِ العَفْوِ

ولذلك جاز أن يقال: " مَالِكُ الْمُلْكِ"، وامتنع أن يقال: " مَلِكُ الْمُلْك"،[10] ويعلّل ابن الحصّار ذلك فيقول: "إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لأنَّ الْمُرَادَ مِنْ "مالِك" الدَّلالَةُ عَلَى الْمِلْك بِكَسْرِ الْمِيمِ وَهُوَ لا يَتَضَمَّنُ "الْمُلْكَ" بِضَمِّ الْمِيمِ وَ"مَلِكُ" يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً فَهُوَ أَوْلَى بِالْمُبَالَغَةِ. وَيَتَضَمَّنُ أَيْضاً الْكَمَالَ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْمُلْكَ عَلَى مَنْ دُونَهُ ".[11]

---

1 البغويّ، معالم التنزيل، ج1، ص74.

2 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص115.

3 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص141.

4 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج1، ص49.

5 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص141.

6 الدر المصون، ج1، ص49. ابن عادل، اللباب، ج1، ص187.

7 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص141.

8 الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص775.

9 نسب هذا البيت أبو هلال العسكريّ للفرزدق، ولم أقف عليه في ديوانه. أبو هلال العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، **الفروق اللّغويّة**، حقّقه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص182.

10 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص141.

11 المصدر نفسه.

ويحاول الماوردي أن يكون أكثر دقّة في التّفريق بين (المَلِك والمَالِك)، فيذكر" أنّ المَالِك من المخلوقين، قد يكون غير مَلِك، وإن كان الله تعالى مَالِكاً كان مَلِكاً، فإن وُصف الله تعالى بأنّه مَلِك، كان ذلك منصفات ذاته، وإن وصف بأنّه مَالِك، كان منصفات أفْعاله ".[1]

(مُوَلَّاها)، (مُوَلّيها):[2]

قرأ ابن عامر وحده (مولِّيها) من قوله تعالى: " وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ "[3] بفتح اللام وألف بعدها، اسماً للمفعول من فوق الثّلاثيّ، أي: " مَصْرُوفًا إِلَيْهَا "،[4] ومواجهها،[5] أي: " وكل أهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة" قاله بعض أهل اللّغة.[6]

وقرأ الباقون (مولِّيها) بكسر اللام وإقحام ياء ساكنة بعدها اسم فاعل من غير الثّلاثي، أي: " مُسْتَقْبِلِهَا "[7] ومُقْبِل إليها، يقال: " ولّيته، وولّيت إليه. إذا أقبلت إليه وولّيت عنه إذا أدبرت عنه "،[8] وقيل: هي على معنى موجّهها،[9] يقال: " ولّيتك القبلة إذا صيّرتك تستقبلها بوجهك "،[10] وقيل: مُتْبِعُهَا وراضِيها،[1] ويكون المعنى – والله أعلم – أنّ لكلّ أمّة وِجهة،[2] " ولكل أَهْل مِلَّة قِبْلَةً هُمْ مستقبلوها ".[3]

---

[1] الماورديّ، النكت والعيون، ج1، ص56.

[2] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص64. شرح طيبة النشر، ص187. تحبير التيسير، ص296. النشر في القراءات، ج2، ص223. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص187، 188. محيسن، الهادي، ج2، ص59.

[3] سورة البقرة، الآية 148.

[4] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص13.

[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص117.

[6] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص225.

[7] الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص85. ابن قتيبة، غريب القرآن، ص65. السجستانيّ، غريب القرآن، ص488.

[8] الثّعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص13.

[9] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص60.

[10] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص230، 231.

(مُنْزَلِينَ، مُنَزَّلِينَ)، (مُنْزِلُونَ، مُنَزِّلُونَ)، (مُنَزَّلٌ، مُنْزَلٌ):[4]

انفرد ابن عامر بقراءة (منزلين) من قوله تعالى: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاف مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ "،[5] و(مُنْزِلُون) من قوله تعالى: " إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ "،[6] حيث قرأهما (مُنَزّلين، مُنَزِّلُون) بتشديد الزّاي، الأولى على وزن (مُفَعَّلين) اسم مفعول من غير الثّلاثيّ، والثّاني اسم فاعل من غير الثّلاثيّ أيضاً على زنة (مُفَعِّلون)، وكلاهما من الفعل الثّلاثيّ مضعّف العين (نزّل)،[7] على إرادة التّكثير أو التّدريج.[8]

وقرأ الباقون (مُنْزَلِينَ، مُنْزِلُونَ) بسكون النّون وتخفيف الزّاي، على أن (مُنْزَلِين) اسم مفعول من (أَنْزَل) الثّلاثي المزيد بالهمزة، و(مُنْزِلُون) اسم فاعل من (أَنْزَلَ) الثّلاثيّ المزيد بالهمزة أيضاً.[9]

ومن جهة ثانية قرأ حفص وابن عامر (منزّل) من قوله تعالى: "يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ "،[10] بفتح النّون وتشديد الزّاي، على أنّه اسم مفعول من

---

1 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص117.

2 الأخفش، معاني القرآن،ج1، ص162. التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، (ت: 283هـ)، (2003م)، **تفسير التستري**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص32.

3 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج1، ص148.

4 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص209. النشر في القراءات، ج2، ص242، 343. تحبير التيسير، ص326، 502. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص244، 245. محيسن، الهادي، ج2 ، ص118.

5 سورة آل عمران، الآية 124.

6 سورة العنكبوت، الآية 34.

7 ابن خالويه، الحجّة، ص113.

8 البيضاويّ، أنوار التنزيل، ج2، ص37. الألوسي، روح المعاني، ج2، ص260.

9 ابن خالويه، الحجّة، ص113. محيسن، القراءات، ج1، ص473.

10 سورة الأنعام، الآية 114.

(نزّل) الثّلاثي مضعّف العين. وقرأ الباقون (مُنْزَل) بسكون النّون، وتخفيف الـزّاي، على أنّه اسم مفعول من أَنْزَل المزيد بالهمزة.

والمتأمّل لهذه القراءات يلحظ أنّها تدور في فلك الاختيار بين القراءة بصيغة (فَعّلَ) والقراءة بصيغة (أَفْعَلَ) على التّعيين، وقد كان الوقوف على دقائق استعمال هاتين الصّيغتين من المسائل التي تصدّى لها بالبحث والتّمحيص كلّ من علماء اللّغة والنّحو والتّصريف،[1] وكان لكلّ فريق منهم رأي في توجيه هذه الظّاهرة وتفسيرها.

فيذكر لنا سيبويه أنّ أبا عمرو بن العلاء كان " يفرق بين نزلت وأنزلت"،[2] ولكنّه لم يبيّن لنا ذلك الفرق،[3] ويرى الأزهريّ أنّ العرب تقول: نَزّلْت القومَ مَنَازِلَهُم، وأنزلتهم منازلهم بمعنى واحد. ومنهم من يستعمل التّشديد فيما يُتكرّر ويكثر العمل فيه، ويخفّف فيما لا يكثر ولا يتكرّر.[4]

ويفهم من كلام الزمخشريّ أنّه كان يرى أنّ (نزّل) مضعّف العين هو لما كان متدرّجاً في النّزول، في مقابل (أَنزَل) التي هي لما ينزل دفعة واحدة، قال في تفسير (نزّلنا) من قوله جلّ ثناؤه " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا "،[5] قال: " فإنّ قلت: لم قيل: (مِمَّا نَزَّلْنا) على لفظ التّنزيل دون الإنزال؟ قلت:لأنّ المراد النزول على سبيل التّدريج والتّنجيم "،[6] وقوله في تفسير قوله تعالى: " نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ "،[7] " فإن قلت: لم قيل (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ) (وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ) ؟ قلت: لأنّ القرآن نزل منجماً، ونزل

---

[1] النماس، مصطفى أحمد النماس، **بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربيّة**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: 53، المدينة المنورة، ص237.
[2] سيبويه، الكتاب، ج4، ص63.
[3] الزبيديّ، تاج العروس، (نزل)، ج30، ص478.
[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص167.
[5] سورة البقرة، الآية 23.
[6] الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص96.
[7] سورة آل عمران، الآية 3.

الكتابان جملة".[1] يعني أنّ القرآن نزل متفرقاً على مراحل بلغت عشرين عاماً ونيّفا بخلاف الكتب السّابقة، وهذا القول من الزّمخشريّ ليس بصحيح كما يقول أبو حيّان، " لِأَنَّ التَّضْعِيفَ فِي نَزَّلَ لَيْسَ لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّفْرِيقِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلتَّعْدِيَةِ، وَهُوَ مُرَادِفٌ لِلْهَمْزَةِ ".[2]

ويزيد أبو حيّان الأمر وضوحاً فيقول: " وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَضْعِيفِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ هُنَا، هُوَ الَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالتَّكْثِيرِ، أَيْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِالتَّضْعِيفِ وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْكَثْرَةِ وَذَهَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ عَنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَالِباً فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ التَّضْعِيفِ مُتَعَدِّيَةً، نَحْوَ: جَرَحْتُ زَيْداً، وَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَقَطَعْتُ، وَذَبَحْتُ، لَا يُقَالُ: جَلَّسَ زَيْدٌ، وَلَا قعد عمرو، وَلَا صَوَّمَ جَعْفَرٌ، وَنَزَّلْنَا لَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّياً قَبْلَ التَّضْعِيفِ إِنَّمَا لَازِماً، وَتَعَدِّيهِ إِنَّمَا يُفِيدُهُ التَّضْعِيفُ أَوِ الْهَمْزَةُ، فَإِنْ جَاءَ فِي لَازِمٍ فَهُوَ قَلِيلٌ. قَالُوا: مَاتَ الْمَالُ، وَمَوَّتَ الْمَالَ، إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ فيه، وَأَيْضاً، فَالتَّضْعِيفُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ التَّكْثِيرُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ وُقُوعِ الْفِعْلِ، أَمَّا أَنْ يَجْعَلَ اللَّازِمَ مُتَعَدِّيًا فَلَا، وَنَزَّلْنَا قَبْلَ التَّضْعِيفِ كَانَ لَازِماً وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّيًا، فَيَكُونُ التَّعَدِّي الْمُسْتَفَادُ مِنَ التَّضْعِيفِ دَلِيلاً عَلَى أَنَّهُ لِلنَّقْلِ لَا لِلتَّكْثِيرِ، إِذْ لَوْ كَانَ لِلتَّكْثِيرِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَى اللَّازِمِ، بَقِيَ لَازِمًا نَحْوَ: مَاتَ الْمَالُ، وَمَوَّتَ الْمَالُ. وَأَيْضاً فَلَوْ كَانَ التَّضْعِيفُ فِي نَزَّلَ مُفِيداً لِلتَّنْجِيمِ لَاحْتَاجَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً إِلَى تَأْوِيلٍ، لِأَنَّ التَّضْعِيفَ دَالٌّ عَلَى التَّنْجِيمِ وَالتَّكْثِيرِ، وَقَوْلُهُ: جُمْلَةً واحِدَةً يُنَافِي ذَلِكَ. وَأَيْضاً فَالْقِرَاءَاتُ بِالْوَجْهَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا جَاءَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَأَيْضاً مَجِيءُ نَزَّلَ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ فِيهِ التَّكْثِيرُ وَالتَّنْجِيمُ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ بَعِيدٍ جِدًّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا، لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُمُ اقْتَرَحُوا تَكْرِيرَ نُزُولِ الْآيَةِ، وَلَا أَنَّهُ عَلَّقَ تَكْرِيرَ نُزُولِ مَلَكٍ رَسُولٍ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ مَلَائِكَةٍ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، مُطْلَقُ الْإِنْزَالِ".[3]

---

[1] الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص336.

[2] أبو حيّان، البحر المحيط، ج4، ص98.

[3] المصدر نفسه.

وأحسب أنّ أبا حيّان قد تعجّل الحكم في هذه المسألة على صاحب الكشاف؛ ذلك أنّني وجدت الزّمخشريّ يصرّح في موضع آخر من تفسيره بقريب ممّا ذهب إليه أبو حيّان، قال: " وقرئ تَدْرُسُونَ، من التّدريس، وتُدْرِسُون على أنّ أَدْرَسَ بمعنى دَرَّسَ كَأَكْرَمَ وكَرَّمَ وأَنْزَلَ ونَزَّلَ. وتدرّسون، من التدرّس. ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على النَّاس كقوله: (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ) فيكون معناهما معنى تُدَرِّسُونَ من التّدريس "،[1] ويفهم من كلام الزّمخشريّ أنّه لا يرى أيّ فرق دلاليّ بين هاتين الصّيغتين، قال: "وقرئ مُنَزَّلِينْ بالتّشديد، ومُنْزِلِين بكسر الزّاي، بمعنى: مُنْزِلِين النّصرَ"،[2] وتبعه في ذلك ابن عطيّة في (المحرّر الوجيز)،[3] وهما عند الفخر الرّازي لغتان بمعنى واحد.[4]

وهناك من اعتمد على الوظيفة التّركيبيّة للبنية الصّرفية للفرق بين هاتين القراءتين؛ فيرى أبو حيان أنّ صيغتي (أفعَلَ وفَعَّلَ) هما ذواتا وظيفة تركيبيّة واحدة وهي: التّعدية؛ لذلك حكم بأنّهما سيّان، قال: " وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ مُنْزَلِينَ بِالتَّخْفِيفِ مَبْنِيّاً لِلْمَفْعُولِ، وَابْنُ عَامِرٍ بِالتَّشْدِيدِ مَبْنِيّاً لِلْمَفْعُولِ أَيْضاً، وَالْهَمْزَةُ وَالتَّضْعِيفُ لِلتَّعْدِيَةِ فَهُمَا سِيَّانِ. وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: مُنَزِّلِينَ بِتَشْدِيدِ الزَّايِ وَكَسْرِهَا مَبْنِيّاً لِلْفَاعِلِ. وَبَعْضُ الْقُرَّاءِ بِتَخْفِيفِهَا وَكَسْرِهَا مَبْنِيّاً لِلْفَاعِلِ أَيْضاً، وَالْمَعْنَى: يُنْزِلُونَ النَّصْرَ ".[5]

(مُسَوِّمِينَ)، (مُسَوَّمِينَ):[6]

قرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (مسوّمين) من قوله تعالى: " بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ

---

[1] الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص378.

[2] المصدر نفسه.

[3] ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج1، ص504.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص353.وذكر الرازي وجه ثاني يرى أنّ التشديد لمعنى التكثير.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص334.السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج3،ص386.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص209. تحبير التيسير، ص327. النشر في القراءات، ج2، ص242. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص245. محيسن، الهادي، ج2، ص118-119.

مُسَوِّمِينَ"[1] (مُسَوِّمِين) بكسر الواو، اسم فاعل[2] من (سَوَّمَ) مضعّف العين، بمعنى: " مُعلمين بالسَّوْمَة"،[3] وهي "علامة يُعرَفون بها في الحرب"،[4]و"هو من المسوّم الذي له سيماء بعمامة أو بصوفة أو بما كان"،[5] فـ "السُّومَةُ بِالضَّمِّ الْعَلَامَةُ تُجْعَلُ عَلَى الشَّاةِ وَفِي الْحَرْبِ أَيْضاً"،[6] وعن الخليل: " وَسَوَّمَ فُلانٌ فَرَسَهُ تسويما: أَعْلَمَ عليه بحريرة، أوشيء يُعْرَفُ بها "،[7] قال ابن الأعرابي: " السِّيَمُ: العلامات على صُوف الْغنم "،[8] وفي التّنزيل: " تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ".[9] وقيل هي من: " التّسويم الذي هو إظهار سيما الشّيء "،[10] وفي الحديث عن النّبيّ - صلى الله عليه وسلّم – أنّه قال:" تَسَوَّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ"،[11] وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنّه فسّر (المسوّمين) حين سأله عنها نافع بن الأزرق في هذه الآية بقوله: " الملائكة عليهم عمائم بيض مسوّمة، فتلك سيما الملائكة ".[12]

---

[1] سورة آل عمران، الآية 125.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص196.

(3) الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص272.

(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص109. السجستانيّ، غريب القرآن، ص434.

(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص103.

(6) الرّازيّ، مختار الصّحاح، (سمو)، ج1، ص158.

(7) الفراهيديّ، العين، (سمو)، ج7، ص320.

(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (سمو)، ج13، ص76.

(9) سورة البقرة، الآية 273.

(10) البيضاويّ، أنوار التّنزيل،ج2، ص37.

(11) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: 235هـ)، (1989م)،**الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعوديّة، حديث رقم: 36668، ج6، ص437.

(12) ابن عبّاس، أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشميّ، (ت: 68هـ)، **غريب القرآن في شعر العرب** (مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط1، الجفان والجابي، مسألة رقم: 237، ص176. ولم أجد هذه المسألة عند بنت الشاطيء، عائشة محمد علي عبد الرحمن، التي جمعت مسائل ابن الأزرق في كتابه، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، ط3، دار المعارف، ص287-600.

وقرأ الباقون (مسوّمين) بفتح الواو اسم مفعول[1] من " (سوّم) مضعّف العين، بمعنى " مُعْلَمين قد سوموا، فهم مسومون"،[2] وقيل معناها: " سَوَّمَهُمُ اللَّهُ أَوْ ويجوز أن تكون هاتان القراءتان مشتقّتين من " السَّوْمِ وَهُوَ تَرْكُ الْبَهِيمَةِ تَرْعَى"،[3] يقال: " أَسَمْتُ الْإِبِلَ إِذَا أَرْسَلْتَهَا، وَيُقَالُ فِي التَّكْثِيرِ سَوَّمْتُ كَمَا تَقُولُ أَكْرَمْتُ وَكَرَّمْتُ "،[4] قال الأصمعيّ: " السَّوام والسائمة: كلُّ إبلٍ تُرسَل ترعَى وَلَا تُعلَف فِي الأَصْل "، قال جلّ ثناؤه: " وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ "،[5] وحكى أبو زيد: " سَوَّم الرجل خيلَه: أي أرسلها، وحكى بعضهم: سَوَّمْتُ غُلامي أي: أرسلْتُه ".[6]

وقد فطن أبو الحسن الأخفش إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية، فقال: " يَكُونُ مُعَلَّمين وَيَكُونُ مُرْسَلِينَ مِنْ قَوْلِكَ سَوَّم فِيهَا الخيلَ أَي أَرسلها؛ وَمِنْهُ السَّائِمَةُ، وإِنّما جَاءَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ لأَنّ الْخَيْلَ سُوِّمَتْ وَعَلَيْهَا رُكْبانُها "،[7] وَفِي الْحَدِيث: عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – أنّه قال: "... إِنَّ لِلَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فُرْسَاناً مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ مُسَوِّمِينَ"؛[8] أي: مُعَلَّمِينَ،[9] قال الزّمخشريّ شارحاً هذا الحديث: " يُقَال: فَارس مسوّم ومعلم (بِالْفَتْح وَالْكَسْر) : وَهُوَ الَّذِي أعلم نَفسه بعلامة يعلم بهَا فِي الْحَرْب من ريشة يغرزها في بيضته أو غير ذَلِك. والسّوْمَة والسّيمي والسّيمِيَاء: الْعَلامَة ".[10]

---

[1] القرطبيّ،الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص196.

[2] الواحديّ، التفسير الوسيط، ج1، ص489.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص335.

[4] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج8، ص353.

[5] سورة آل عمران، الآية، 14.

[6] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج3، ص387.

[7] الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص233. الجوهريّ، الصحاح،(سوم)، ج1، ص158.

[8] هذا النص هو جزء من حديث ذكره الطبرانيّ في معجمه، انظر: الطّبرانيّ، المعجم الكبير، حديث رقم: 663، ج18، ص265.

[9] الخطابيّ، غريب الحديث، ج1، ص395. ابن منظور، لسان العرب، (سوم)، ج12، ص312.

[10] الزمخشريّ، الفائق في غريب الحديث،ج2، ص206.

وبناءً على ذلك يمكن توجيه القراءتين من جهة أنّ مَنْ قَرَأَ (مُسَوِّمِينَ) بِالْكَسْرِ يكون المعنى والله أعلم: أنّ الملائكة قد علّمت أنفسها بعلامات تعرف بها تسرية للمؤمنين وتثبيتاً لهم، ثمّ " سَوَّمواخيلَهمأي: أعطَوها سَوْمَها من الجري والجوَلان وتركوها كذلك كما يَفْعل مَنْ يَسِيمُ ماشِيتَه في المَرْعى ".[1]

وأمّا من قرأ بالفتح فإنّ المعنى – والله أعلم – أنّ الله سبحانه وتعالى قد نصر المؤمنين بجند من ملائكته فوسمهم بعلامات مخصوصة، ثمّ أرسلهم بخيلهم يغيرون على المشركين، قال أبو زيد: " سوّم الرّجل تسويماً فهو مسوّم إذا أغار على القوم إغارة فعاث فيهم. وقال: وسوّمت الخيل تسويماً إذا أرسلتها وخلّيتها تخلية"،[2] قال الرازيّ: "... مَنْ قَرَأَ مُسَوِّمِينَ بِكَسْرِ الْوَاوِ فَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَرْسَلَتْ خَيْلَهَا عَلَى الْكُفَّارِ لِقَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، وَمَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الْوَاوِ فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُهْلِكُوهُمْ كَمَا تُهْلِكُ الْمَاشِيَةُ النَّبَاتَ والحشيش".[3]

(قاسِية)، (قسيّة):[4]

قرأ حمزة والكسائي (قاسِية) من قوله تعالى: " فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً "[5] بتقصير الألف التي بعد القاف وتشديد الياء، على وزن (فعيل) صفة مشبّهة، إذ أصلها (قِسيوَة)، " فلمّا اجتمعت الياء والواو، والسّابق ساكن قلبوا الواو ياء وأدغموها، فالتّشديد لذلك ".[6] ومنهم من قال: إنّ (فعيل) في هذا السّياق هي بمعنى (فاعل)،[7] إلا أنّ القسِيّ " أبلغ في ذم القوم منقاسية " قاله

---

[1] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج3، ص387.

[2] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص77.

[3] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج8، ص353.

4 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص71. شرح طيبة النشر، ص219. تحبير التيسير، ص346. النشر في القراءات، ج2، ص254. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص284. محيسن، الهادي، ج2، ص169، 170.

5 سورة المائدة، الآية 13.

6 ابن خالويه، الحجّة، ص129.

7 أبو العلاء الحنبليّ، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي (ت: بعد 563هـ)، (2001م)، **مفاتيح الأغاني في القراءات**

الطّبريّ،[1] وله نظائر في الاستعمال، يقال: شَاهِدْ وَشَهِيد، وَعَالِم وَعَلِيم، وعَارِف وعَرِيف.[2] وقيل: " إنّما قرئ على فعيلة لأنّ قلوبهم إنّما وصفت بالطّبع عليها كالدّرهم القِسيّ وهو الذي يخالط فضّته نحاس أو رصاصأو نحوه ".[3]

وقرأ الباقون (قَاسِيَة) بإثبات ألف بعد القاف وتخفيف الياء، اسم فاعل، بقلب (الواو) (ياء) " لكسرة السّين "،[4] يقال: " قَسَا قَلْبُه يَقْسُو قَسْواً وقَسْوَةً وقَساوَةً وقَساءً ، بالمدِّ: صَلُبَ وغَلُظَ ، فَهُوَ قاسٍ؛ وقولُه تَعَالَى: " ثمَّ قَسَتْ قُلُوبُكم مِن بَعْد ذلكَ " أَي: غَلُظتْ ويَبِسَتْ وعَسَتْ"،[5] قال صاحب التّهذيب: " تأْويل قَسَت فِي اللُّغَة غَلُظت ويَبِست وعَسَت، فتأْويل القَسْوَة فِي الْقَلْبِ ذَهاب اللِّين وَالرَّحْمَةِ وَالْخُشُوعِ مِنْه "،[6] فهي " جافة غير لينَة لَا تدْخلهَا الرَّحْمَة"،[7] وهي اختيار أبي عبيدة.[8]

وهناك من فرّق بين هاتين القراءتين اعتماداً على المعنى المعجميّ، فـ(القلوب القاسية) هي ما غاب منها اللِّيْن والرَّحْمة والخُشُوع فغدت كالحجارة في صلابتها،[9] لانتزاع الرّحمة والرّأفة منها؛[10] ولذلك يقال للرّجل الرّحيم: " لَيْنُ القلب، وللرّجل غير الرّحيم: قَاسِيَ القَلْبِ وَيَابِسَ القَلْبِ"،[11] وأمّا (القلوب القِسيّة) فهي القلوب التي اختلط فيها الإيمان بالكفر، إنّها الأفئدة الفاسدة التي ليس الإيمان فيها خالص، بل هي

والمعاني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، تقديم: محسن عبد الحميد، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص153.

[1] الطّبريّ، جامع البيان، ج10، ص128. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج11، ص325.

[2] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص217. الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج2، ص167.

[3] مكي، الكشف، ج1، ص407، 408.

[4] ابن خالويه، الحجّة، ص129.

[5] الزبيديّ، تاج العروس، (قسو)، ج39، ص297.

[6] الأزهري، تهذيب اللّغة، ج9، ص180. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص181.

[7] السمعاني،تفسير القرآن، ج2، ص21.

[8] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص38.

[9] الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص671. الزّبيدي، تاج العروس، (قسو)، ج39، ص297.

[10] الماوردي، النّكت والعيون، ج3، ص481.

[11] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص160.

كالدّراهم القِسِيّة المغشوشة التي اختلط فضّتها بالنّحاس والرّصاص وغيرهـــا، فهـــي شديدة صلبة لقلّة فضتها، قال المبرّد: " سُمِّيَ الدِّرْهَمُ الزَّائِفُ قَسِيّاً لِشِدَّتِه بِالْغِشِّ الَّذِي فِيهِ ".[1]

وهناك من ذهب إلى أنّ (قَاسِية وقَسِيّة) هما لغتان بمعنى واحد،[2] فهما بمنزلة: " عِلِيَّة وَعَالِيَة وعِلِيّ وَعَال"،[3] و"عَالِم وَعَلِيم، وعَارِف وعَرِيف"،[4] و" زَكِيَّةً وزَاكِيةً"،[5] يقال: " قَسَت فهي قَاسِيَة وَقَسِيّة"،[6] وإلى ذلك ذهب أبو منصور الأزهريّ قال: " القاسِية والقَسِيَّة بمعنى واحد، وهي: القلوب التي قَسَت وغلظت واستَمرت على المعاصي، وكل شيء يبس وذهب رقتُه فقد قَسَا، ومنه قيل للدّراهم التي قد مَرَنَتْ وطال عليها الدّهر: قَسِيَّةً "،[7] قال أَبُو زُبَيْدٍ الطّائي يصف المساحي:[8]

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السِّلَامِ كَمَا   صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِيفِ

وقال آخر:[9]

فَمَا زَادُونِي غَيْرَ سَحْقِ عِمَامَةٍ   وَخَمْسَ مِيءٍ فِيهَا قَسِيٌّ وَزَائِفُ

(سَاحِرٌ)، (سِحْرٌ):[10]

---

1 أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص205.السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص223.

2 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص224.

3 النّحاس، معاني القرآن، ج2، ص281.

4 الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص117.

5 الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص155.

6 السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص376.

7 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص328.

8 ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ج3، ص1204.

9 نسب هذا البيت إلى الشّاعر مزرد. ابن السّكيت، إصلاح المنطق، ص214. ابن سيده، المحكم، ج2، ص560.

10 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص72. شرح طيبة النشر، ص221. تحبير التيسير، ص350، 351. النشر في القراءات، ج2، ص256. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص292، 451، محيسن، الهادي، ج2، ص180.

وقد ورد تباين القرّاء العشرة في قراءة هاتين المفردتين في أربعة مواضع من الذّكر الحكيم، وهي:

1- قوله جلّ ثناؤه: " فَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا منْهُمْ إنْ هذا إلَّا سحْرٌ مُبينٌ ".[1]

2- قوله تعالى: " قالَ الْكافِرُونَ إنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ ".[2]

3- وقوله عزّ من قائل: " لَيَقُولَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا إنْ هذا إلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ".[3]

4- قوله تعالى: " فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ ".[4]

فقرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر في المواضع الأربع (ساحِر) بإقحام ألف بعد السّين وكسر الحاء، على وزن (فاعِل) اسم فاعل[5] من سَحَرَه يَسْحَرُه سَحْراً،[6] وتبعهم في ذلك ابن كثير وعاصم في (يونس)، وقرآ المواضع الباقية بلا ألف بعد السّين ولا كسرة على الحاء. والمراد به في المواضع كلّها عيسى عليه السّلام، إلاّ في سورتي هود ويونس فإنّه يحيل على محمد عليه الصّلاة والسّلام.[7] ويجوز أن يكون اسم الفاعل في هذا السّياق بمعنى المصدر، كقولهم: " قُم قَائِماً فَالْمَعْنَى: قُم قِيَاماً"،[8] ومنه قول الفرزدق ":[9]

أَلَمْ تَرَنِيْ عَاهَدْتُ رَبِّي، وَإِنَّني لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائماً وَمَقَامِ
على قَسَمٍ لا أَشْتُم الدَّهْر مُسْلِمَاً وَلا خَارِجَاً مِن فِيَّ سُوءُ كَلامِ

ويعلّق المبرّد على هذا البيت فيقول: " وقوله: ولا خارجاً إنّما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر، أراد: لا أشتم الدّهر مسلماً، ولا يخرج خروجاً من في زور

---

[1] سورة المائدة، الآية 110.

[2] سورة يونس، الآية 2.

[3] سورة هود، الآية 7.

[4] سورة الصف، الآية 6.

[5] ابن خالويه، الحجة، ص135.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (سحر)، ج4، ص348.

[7] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص4. البغويّ، معالم التنزيل، ج2،ص101.

[8] المبرد، المقتضب، ج3، ص269.

[9] الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم، (ت: 114ه)، (1987م)، **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص539.

كلام، لأنّه على ذا أقسم "،[1] وفي ذلك يقول الفارسيّ: " وقد جاء فاعل يراد به المصدر في حروف ليست بالكثيرة نحو: عَائِذَاً بالله من شرّها، أي: عياذاً، ونحو: العاقبة. ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يسوغ القياس عليها. وحكي أنّ أبا عمرو كان يقول: إذا كان بعده: (مبين) " فهو سحر"، وإذا كان بعده (عليم) " فهو ساحر"، ولا إشكال في الوصف بعليم أنّه لا ينصرف إلى الحدث، ولكن (مبين) يقع على الحدث كما يقع على العين، فإذا كان كذلك لم يمتنع: ساحر مبين، كما لم يمتنع: سحر مبين".[2] والتّقدير: " ماهذا الذي جاء به من الآيات الخوارق إلا سِحْرٌ"، ويُحْتمل أن تكون الإشارةُ إلى عيسى – عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ – جَعَلُوه نفس السحْر مبالغةً؛ نحو: رَجُلٌ عَدْلٌ، أو على حذفِ مضافٍ، أي: إلاَّ ذُو سِحْرٍ".[3]

وقرأ الباقون المواضع كلّها (سِحْر) بكسر السّين وإسكان الحاء وحذف الألف، الّتي بعد السّين، على وزن (فِعْل) مصدراً ثلاثيّاً،[4] من: سَحَر يسْحَر سِحْراً، كخَدَع يخدَع خِدْعاً،[5] وقيل: " السّحر ههنا بمعنى الخِدَاع ".[6]

(حَرَجَاً)، (حَرِجَاً):[7]

قرأ شعبة ونافع وأبو جعفر (حَرِجَاً) من قوله تعالى: " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً "[8] (حَرِج) بكسر الرّاء على وزن (فَعِلْ) وهو: اسم فاعل[9]

---

[1] المبرد، الكامل في اللّغة والأدب، ج1، ص102. رضي الدّين الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص72.

[2] الفارسي، الحجة، ج3، ص272.

[3] ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج7، ص602.

[4] ابن خالويه، الحجة، ص135.

[5] الأزهريّ، معاني القرآن، ج1، ص342.

[6] الكرمانيّ، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج1، ص499.

[7] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص74. شرح طيبة النشر، ص228. تحبير التيسير، ص363. النشر في القراءات، ج2، ص262. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص314، محيسن، الهادي، ج2، ص214.

[8] سورة الأنعام، الآية 125.

[9] مكي، الكشف، ج1، ص450. النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص30. الرازي، مفاتيح الغيب، ج13، ص142.

من: " حَرِجَ يَحَرَجُ، فهو حَرِجٌ "،[1] وقيل: هو اسم،[2] ومعناه (الضيّق)،[3] أو هو: " أضيق الضيّق "، حكاه الزّجاج[4] لذلك قيل: هــو صــيغة مبالغــة " للمبالغــة فِــي الضيّق"،[5] ويجوز أن تكون صفة مشبّهة " مِنْ قَوْلِهِمْ: حَرِجَ الشَّيْءُ حَرَجاً، مِنْ بَابِ فَرِحَ، بِمَعْنَى ضَاقَ ضَيْقاً شَدِيداً، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: دَنِفَ، وَقَمِنَ، وَفَرِقَ، وَحَذِرَ"،[6] ويقال: " حَرِجَ صَدْرُهُ يَحْرَجُ حَرَجاً: ضَاقَ فَلَمْ يَنْشَرِحْ لِخَيْرٍ، فَهُوَ حَرِجٌ وحَــرَجٌ "،[7] أي: " ضيّقاً بكفره، لأنّ الكفر لا يكاد تسكن إليه النّفس لكونه اعتقاداً عن ظنّ، وقيل: ضيّق بالإسلام ".[8]

وقرأ الباقون (حَرَجًا) بفتح (الرّاء) " وهو مصدر بزنة فَعَــل، وأَصــله مجتمــع الشجر. وتصُوِّر منه ضيق ما بينهما فقيل للضيّق حَرَج "،[9] قال سيبويه: " الحَــرَج بالفتح المصدر كالصلْبِ والحلْب "،[10] أي: (ذا حَرَج)،[11] وقيل: هــو " الْمَوْضِــعُ الْكَثِيرُ الشَّجَرِ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الرَّاعِيَةُ"،[12] حكاه ابن عباس- رضي الله عنهما –

---

1 مكي، الهداية، ج3، ص2177.

2 البغويّ، معالم التنزيل، ج2، ص158.

3 ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: 319هــ)، (2002م)، **كتاب تفسير القرآن**، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بــن محمد السعد، ط1، دار المآثر، ج2، ص778.

4 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص290. الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص2273.

5 السمعانيّ، تفسير القرآن، ج2، ص142.

6 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص59. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص143.

7 ابن منظور، لسان العرب، (حرج)، ج2، ص233.

8 الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص227.

9 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص447.

10 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص188. ابن خالويه، الحجّة، ص149.

11 العكبريّ، التبيان، ج1، ص537.

12 لفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص353. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج4، ص84.

قال: " فكذلك صَدْر الكافر لا تصل إِلَيْهِ الحكمة "،[1] وقيل: " هُوَ جَمْعُ حَرَجَةٍ مِثْلُ قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ ".[2]

وهناك من رأى هاتين القراءتين سيّين، فهما لغتان بمعنى واحد وهو: (الضّيق) قاله يونس،[3] " إلا أنّ الفتح أكثر على السنّة العرب من الكسر "،[4] نحو: الأنف والأنف، والْفَرَدُ وَالْفَرِدُ، والوَعد والوعد،[5] وقد نسب ابن الهائم قراءة الفتح لقريش.[6] أمّا قراءة الكسر فيفهم من الرّواية التي نقلت عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنّها تنسب لكنانة، فقد روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا سمع مَنْ عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: "ضَيِّقاً حَرِجَاً" بكسر الرّاء، وكان هو يقرؤها بالفتح، " فقال عمر: ابْغُونِي رَجُلاً مِنْ كِنَانَةَ وَاجْعَلُوهُ رَاعِيًا، وَلْيَكُنْ مُدْلَجِيًّا، قَالَ: فَأَتَوْهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَافَتىً، مَاالْحَرَجَةُ؟ قُل: الْحَرَجَةُ فِينَا: الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ وَلَا شَيْءٌ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: كَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ لَايَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ ".[7]

(مُرْدِفِين)، (مُرْدَفِين):[8]

قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (مردفين) من قوله تعالى: " فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ "،[9] (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال، على وزن (مُفْعَل) اسماً

---

[1] الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص353.

[2] العكبريّ، التبيان، ج1، ص537.

[3] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص384.

[4] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص66.

[5] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص188.

[6] ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص164.

[7] الطّبريّ، جامع البيان، ج12،ص104. السيوطي، الدر المنثور، ج3، ص356. الألوسي، روح المعاني، ج4، ص367.

[8] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص77. شرح طيبة النشر، ص241. تحبير التيسير، ص384. النشر في القراءات، ج2، ص275، 276. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص349. محيسن، الهادي، ج2، ص263.

[9] سورة الأنفال، الآية 9.

للمفعول من فوق الثلاثيّ بمعنى مُتبَعين،[1] وقيل: معناه: "مُمِدِّينَ "، حكاه مجاهـد،[2] وتكون (مُرْدَفين) بحسب هذا التأويل حال، أي: " أردف بهـم المـؤمنين "،[3] قـال الزّجاج: " يُقَال: رَدِفْتُ الرجلَ إِذا ركبتَ خَلْفه، وأَرْدَفْتُه أَركبته خَلْفي؛ وَيُقَال: هَـذِه دابةٌ لَا تُرادف، وَلَا يُقَال: لَا تُردِف، وَيُقَال: أَرْدَفتُ الرجلَ إِذا جِئتَ بعده ".[4]

وقرأ الباقون (مُرْدِفِينَ) بكسر الدّال على وزن (مُفْعِل) اسم فاعـل مـن فـوق الثلاثيّ " وَفِعْلُهُ أَرْدَفَ "[5] بمعنى متبِعين، قاله ابن عبـاس،[6] قـال أبـو منـصور الأزهريّ: " هو على معنى رادفين"،[7] وروى ثعلب عن ابـن الأعرابـيّ قولـه: " رَدِفْتُه وأَرْدَفْتُه بِمَعْنى وَاحد"،[8] ونقل لنا أَبُو عبيد عَن أبي زيد قوله: " يُقَال: رَدِفْـتُ الرَّجُلَ وَ أَرْدَفْتُهُ إِذَا رَكِبْتُ خَلْفَه "،[9] ومنه قول خُزَيْمة بن مالك بن نَهْد:[10]

إذا الجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

ويقال: " رَدِفْتُه وأَرْدَفْتُه: إذا جئت بعده "،[11] والعرب تقول: " أَرْدَفْتُ الرّجل: أَرْكَبْته على قطاة دابّتي خلفي. وردفته: إذا ركبت خلفه ".[12]

---

1 الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص404.

2 مجاهد، تفسير مجاهد، ص352.

3 النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص91.

4 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص402.

5 العكبريّ، التبيان، ج2، ص617.

6 النّحاس، معاني القرآن، ج3، ص134. الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص404.

7 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص436.

8 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (ردف)، ج14، ص68.

9 الأزهري، تهذيب اللّغة، ج14، ص69. الواحدي، التفسير الوسيط، ج3، ص384.

10 أبو عُبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:224هـ)، (1980م)، **الأمثال**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط1، دار المأمون للتراث، ص345. أبو عبيد البكري، سمط اللآلي، ج1، ص100.

11 ابن قتيبة، غريب القرآن، ج1، ص177. السجستانيّ، غريب القرآن، ص439.

12 ابن خالويه، الحجّة، ص169. القطاة: العجز، وما بين الوركين، أو مقعد الرّديف من الدابة، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (قطا).

وبناءً على ما تقدّم يمكن استشراف الدّلالات التي تحتملها (مُرْدِفِين) في هذا السّياق من الخطاب القرآنيّ، فالقراءة بصيغة اسم الفاعل ترشّح معنى التّتابع المستمر من قبل الملائكة، فهم منزلون لِغَوث المسلمين يتوافدون وقد " أردف بعضهم بعضاً"،[1] " بعضهم على إثر بعض "،[2] " وراء كل ملك ملك "،[3] مُرْدِفِين يضربون عدوّهم من ورائهم والمؤمنون من قدّامهم.[4]

وأمّا القراءة بصيغة اسم المفعول فإنّها تسير وفقاً لمقاصد الفعل المبني للمجهول الذي يجعل حركة الإسناد تتّجه نحو المفعول به، فهذا المدد الرّبانيّ جاء ليقود جيش المسلمين إلى النّصر، فهم " مُتْبَعِين أو مُتْبِعِين ".[5]

(الْمُعَذِّرُونَ)، (الْمُعْذِرُونَ): [6]

قرأ العشرة إلاّ يعقوب من قوله تعالى: " وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ"[7] (الْمُعَذِّرُونَ) بفتح العين، وتشديد الذّال مع كسرها، اسماً للفاعل من غير

---

1 النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص91.

2 الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، (ت: 905هـ)، (2004م)، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص7.

3 السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، **الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ج4، ص30. الألوسيّ، روح المعاني، ج5، ص162.

4 النخجواني، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، (ت:920هـ)، (1999م)، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، ط1، دار ركابي للنّشر الغورية، مصر، ج1، ص282.

5 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4، ص8.

6 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص78. شرح طيبة النشر، ص246. تحبير التيسير، ص392. النشر في القراءات، ج2، ص280. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص361، محيسن، الهادي، ج2، ص282.

7 سورة التوبة، الآية 90.

الثلاثيّ، وهو من " الأصل المعتذرون ثم أدغمت فألقيت حركة التّاء على العـين "، وهو مذهب الأخفش[(1)] والفرّاء[(2)] وأبي عبيد وأبي حاتم[(3)] خلافاً لأبي العبّاس المبرّد الذي رأى امتناع هذا التّقدير لوقوع اللّبس،[(4)] والمعنى: أنّ هؤلاء الأعراب قد جاءوا يعتذرون دون أن يكون لهم حقّ في ذلك، أو على حدّ كلام الكسائيّ: " يَعْتَذِرُ بِغَيْـرِ عُذْرٍ "؛[(5)] إذ " لا عُذْرَ لهم فتكلّفوا عُذْراً "، قاله الخليل،[(6)] أو كما قال الزّجاج: سواء أكان لهم عذر أم لم يكن لهم،[(7)] قال أبو عبيدة: (المعذِّرون) " من مُعذِّر وليس بجـادّ إنّما يظهر غير ما في نفسه ويعرض ما لا يفعله "،[(8)] ويقول الرّازيّ: " وَالاعْتِذَارُ قَدْ يَكُونُ بِالْكَذِبِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ. فَبَيَّنَ كَوْنَ هَـذَا الِاعْتِذَارِ فَاسِدًا بِقَوْلِهِ: قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا وَقَدْ يَكُونُ بِالصِّدْقِ كَمَا فِي قَوْلِ لَبِيدٍ:

وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرَ

يُرِيدُ فَقَدْ جَاءَ بِعُذْرٍ صَحِيحٍ ".[(9)]

ويجوز أن يكون من عذّر مضعّف العين، وهو: من " تَكَلَّفَ الْعُـذْرَ وَلَـا عُـذْرَ لَهُ"،[(10)] " وعَذَّرَ فِي الأَمر: قَصَّر بَعْدَ جُهْد. والتَّعْذِيرُ فِي الأَمر: التقـصيرُ فِيـهِ، ...

---

1 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص363.

2 الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص447.

3 النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص130.

4 مكي، الهداية، ج4، ص3096.

5 الحربيّ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، (285هـ)، (1985م)، **غريـب الحـديث**، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، ج1، ص273.

6 الفراهيديّ، كتاب العين، (عذر).

7 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص464.

8 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص267. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص287.

9 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج16، ص120. سورة التوبة، الآية 94. هذا الشّطر من البيت للبيـد بن ربيعة، الدّيوان، ص51. وتتمّة البيت:

إلَى الحَوْلِ، ثم اسْمُ السَّلام عليكُمَا، ومن يَبْكِ حَوْلا كاملا فَقَد اعتَذَر

10 أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص481.

وعَذَّرَ الرَّجُلُ، فَهُوَ مُعَذِّرٌ إِذا اعْتَذَرَ وَلَمْ يأْت بِعُذرٍ. وعَذَّرَ: لَمْ يَثْبُتْ لَــهُ عُــذْرٌ "،[1] وتقول العرب: " عَذَّرْتُ الأَمْرَ إِذْ قَصَّرْتُ، وَأَعْذَرْتُ إِذَا جَدَّدْتُ "،[2] والمــراد بـــــ الْمُعَذِّرُونَ المقصّرين، أي: هم " الَّذين يوهمون أَن لَهُم عذرا وَلَا عــذر لَهُــم "،[3] فالمُعذّر هو " الَّذِي يَعْتَذِرُ وَلَا عُذْرَ لَهُ "،[4] وفي ذلك يقول الجوهريّ: " وأمّا الــذي ليس بمحقٍّ فهو المُعَذِّرُ، على جهة المُفَعِّلِ، لأنّه الممرِّض والمقــصِّر يَعْتــذِرُ بغيــر عُذْرٍ"،[5] قال ابن قتيبة: (المعذِّرون) " هم الذين لا يجدُّون إنمــا يَعْرِضُــونَ مــا لا يريدون أن يفعلوه. يقال: عذَّرت في الأمر إذا قصّرت وأعْذَرت حذّرت ".[6]

ويحاول أبو بكر بن الأنباريّ أن يفرّق بين هاتين القرائتين بناءً علــى الأصــل الاشتقاقيّ لكلّ منهما،[7] فإذا كانت بنيتها الصّرفيّة مشتقّة من الأصل (عذّر) تعيّنــت لمعنى انتفاء العذر؛ إذ (المُعْذِّر) هو: "من يظنّ أنّ له عُذْراً ولا عُذْرَ له"،[8] فهــم لا عذر لهم.[9] وإذا احتملت البنية الصّرفيّة الأصل الاشتقاقيّ (افتعل) أي: (مُعْتَذِرون) صار المعنى إلى ثبوت العذر لهم.

وأمّا يعقوب فإنّه انفرد بقراءة (الْمُعْذِرُونَ) مخففة الذّال مع إسكان العــين اســم فاعل من: أعْذَر يُعْذِر فهو مُعْذِر، وهو ما كان له عذراً،[10] " ومــنهم المجتهــدون

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (عذر)، ج4، ص546.

[2] ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ج2، ص226.

[3] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص321.

[4] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج8، 225.

[5] الجوهريّ، الصحاح، (عذر)، ج1، ص203.

[6] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص191. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص287.

[7] الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص438.

[8] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج4، ص36. الراغب الأصفهانيّ، المفــردات، (عــذر)، ص555.

[9] الأنباري، الزاهر، ج1، ص438. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج2، ص184.

[10] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص464. ابن فارس، مقاييس اللّغــة، (عــذر)، ج4، ص254.

المبالغون في العذرة "،[1] وقيل: " المخلصون، أصحاب العذر"، حكاه ابن عباس – رضي الله عنهما–،[2] ووافقه مجاهد عليه،[3] وروي عن ابن عباس أنّه: " كان يقول لعن الله المعذِرّينَ كأنَّ الأمر عنده أنّ المعذّرَ بالتّشديد هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة والمُعّذرُ الذي له عُذر"،[4] وقال الكلبي: " المُعْذِرون هم الذين لهم عذر وبهم علّة"،[5] والعرب تقول: " أعذر فلَان أَي كَانَ مِنْهُ مَا يُعذَر بِهِ".[6]

(الْمُخْلَصِينَ)، (الْمُخْلِصِينَ):[7]

اختلف القراء العشرة في لفظة (الْمُخْلِصِينَ) حيثما وردت بالتنزيل بصيغة جمع المذكر السّالم ومعرفة بال، ومنه قوله تعالى: " إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ "،[8]حيث قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (الْمُخْلِصِينَ) بفتح اللّام، اسم مفعول،[9] من أُخلص يُخلص فهو مُخلَص، أي: الذين أخلصوا، أَخْلَصَهُمُ اللَّـهُ مِنَ الأسْوَاءِ والفواحش، مثل المُصْطَفَيْنَ"،[10] ونظير ذلك قوله تعالى: " إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار"،[11] " فصاروا مُخْلَصِين بإخلاص الله إياهم "،[12] وقيل هم: "

[1] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج5، ص80.

[2] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص1860. السمرقنديّ، بحر العلوم، ج2، ص81.

[3] الطّبريّ، جامع البيان، ج14، ص416. ولم أجد في تفسير مجاهد ما عزاه التّفسير له.

[4] ابن القطّاع، كتاب الأفعال، ج2، ص327.

[5] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبومنصور الماتريدي (ت: 333هـ)، (2005م)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ص444.

[6] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (عذر)، ج2، ص184.

[7] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النشر، ص254. تحبير التيسير، ص413. النشر في القراءات، ج2، ص295. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج1، ص222. محيسن، الهادي، ج2، ص326.

[8] سورة يوسف، الآية 24.

[9] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص46. ابن خالويه، الحجّة، ص194.

[10] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص102.

[11] سورة ص، الآية 46.

[12] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص89. سورة النساء، الآية 146.

المَعْصُومون من الذّنوب والفواحش"،[1] لذلك كان هناك مـن فـسّر المُخْلَـصون " المختارين للنبوّة، دليلها قوله إنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ".[2]

وقرأ الباقون (الْمُخْلِصينَ) بكسر اللّام، اسم فاعل من فوق الثلاثيّ، والمعنى: أنّ هؤلاء هم " الذين أخْلَصوا دينَهُمْ للَّهِ عزَّ وجلَّ "،[3] أي: "أخلصوا دينَهُمْ و أَعْمَـالَهُمْ منَ الرِّيَاءِ، وحجتهم قوله: { وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ }[4]وقوله: { مُخْلِصاً لَهُ دِينِي }،[5]فـإذا أَخْلَصُوا فهم مُخْلِصُونَ، تقول: رَجُلٌ مُخْلِصٌ مُؤْمِنٌ، فترى الفعل في اللّفظ له".[6]

وهكذا كانت هاتان القراءتان بصيغتي اسم الفاعل واسم المفعول يعـضّد كـلّ منهما الأخرى؛ فمن قرأ بصيغة اسم الفاعل جعل منها دليلاً دامغاً على أنّ يوسف – عليه السّلام – كان من هؤلاء الذين اتّصفوا بدوام العبادة واصطناع الطّاعات بـين يدي مولاه جلّ ثناؤه مع اصطباغ ذلك بالإخلاص، وأمّا القراءة بصيغة اسم المفعول فهي بيان من العزيز المجيد باستخلاصه لنفسه سبحانه وتعالى، " وَاصْطَفَاهُ لِحَضْرَتِه "،[7] وفي ذلك يقول القرطبيّ: " وَقَدْ كَانَ يُوسُفُ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بِهَـاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، لِأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَخْلَصاً لِرِسَالَةِ الله تعالى".[8]

ولعلّ في هاتين القراءتين ما ينزّه يوسف – عليه السّلام – ممّا نسب إليـه زوراً وبهتاناً، يقول الرازيّ: " وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّهُ مِنْ أَدَلِّ الْأَلْفَاظِ عَلَى كَوْنِهِ مُنَزَّهـاً عَمَّا أَضَافُوهُ إِلَيْهِ ".[9]

---

1 السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص188.

2 الثعلبي، الكشف والبيان، ج5، ص214.

3 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص102.

4 سورة النساء، الآية 146.

5 سورة الزمر، الآية 14.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص46. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص359.

7 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج18، ص441.

8 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص170.

9 الرازي، مفاتيح الغيب، ج18، ص441.

(مُخْلَصاً)، (مُخْلِصاً):[1]

وقريب من ذلك (مُخْلَصاً) من قوله تعالى: " إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَكانَ رَسُولاً نَبِيّاً"؛[2] حيث قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ونافع وابن عامر وأبو جعفر (مُخْلِصاً) بلام مكسورة، اسم فاعل، وهو " الذي وَحَّدَ اللَّه - عزَّ وجلَّ وجَعَلَ نفسه خالصة في طاعة اللَّه غير دنِسَة ".[3]

وقرأ الباقون (مُخْلَصاً) بفتح اللام اسم مفعول، وهو " الذي أخلصه اللَّه جلَّ وعزَّ"،[4] أي: " أخلصناه فجعلناه مختاراً خَالِصاً مِن الدّنَس".[5]

(حَافِظاً)، (حِفْظاً):[6]

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر (حَافِظاً) من قوله تعالى: " فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"،[7] (حَافِظاً) بإقحام ألف بعد الحاء وكسر الفاء على صيغة اسم الفاعل،[8] والمعنى: " فالله خيركم حَافِظَاً"،[9] يعني " حِفْظُ اللَّه لِبِنْيَامِينَ

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النشر، ص254. تحبير التيسير، ص413. النشر في القراءات، ج2، ص295. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج1، ص222. محيسن، الهادي، ج2، ص326.

[2] سورة مريم، الآية 51.

[3] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص333. النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص337.

[4] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص333.

[5] النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص337.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص80. شرح طيبة النشر، ص255. تحبير التيسير، ص415. النشر في القراءات، ج2، ص295، 296. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص395. محيسن، الهادي، ج2، ص330.

[7] سورة يوسف، الآية 64.

[8] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص48.

[9] الطّبريّ، جامع البيان، ج16، ص160.

خَيْرٌ مِنْ حِفْظِكُمْ ".[1] وقرأ الباقون (حِفْظَاً) بحذف الألف وكسر الحاء وإسكان الفاء، على وزن (فِعْلاً) مصدراً ثلاثيّاً،[2] والمعنى: " وَاللَّهُ خَيْرُكُمْ حِفْظَاً ".[3]

(خَالِقُ)، (خَلَقَ):[4]

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (خَلَقَ) من قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ "،[5] وقوله جلّ ثناؤه: " وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مـــاءٍ "[6] (خَالِقُ) بألف بعد الخاء وكسر اللّام، على طريقة اسم الفاعـــل،[7] قـــال أبـــو علـــي الفارسيّ في توجيهها: " ووجه من قال: (خالق) أنّه جعله مثـــل: فَـــاطِرَ الـــسّموات والأرض، ألا ترى أنّ فاطراً بمعنى خالق، وكذلك قوله: فالق الإصباح وجاعل اللّيل سكناً، هو على فاعل دون فعل، وهما ممّا قد فعل فيما مضى ".[8]

وقرأ الباقون (خَلَقَ) بفتح الخاء واللّام، وحذف الألف، فعلاً ماضيّاً صـــحيحاً،[9] قال أبو علي الفارسيّ في توجيه هذه القراءة: " وجه قول من قرأ: (خَلَقَ) أنّ ذلـــك أمرٌ ماض فأخبروا عنه بلفظ المضيّ على فَعَل ".[10]

---

1 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج18، ص479.

2 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص48.

3 الطبريّ، جامع البيان، ج16، ص160. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج18، ص479.

4 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص81. شرح طيبـــة النـــشر، ص258. تحبيـــر التيـــسير، ص424. النشر في القراءات، ج2، ص298، 332. النويريّ، شرح طيبـــة النـــشر، ج2، ص402، 403. محيسن، الهادي،ج2، ص342.

5 سورة إبراهيم، الآية 19.

6 سورة النور، الآية 45.

7 الطّبري، جامع البيان، ج16، ص557.

8 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص28. سورة إبراهيم، الآية 10. سورة يوسف، الآية 101. سورة فاطر، الآية 1. سورة الأنعام، الآية 96.

9 الطّبري، جامع البيان، ج16،ص557.

10 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص28.

(مُفْرِطُونَ)، (مُفْرِّطُونَ)، (مُفْرَطُونَ):[1]

انفرد نافع من بين القرّاء العشرة بقراءة (مُفْرَطُونَ) من قوله تعالى: " لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ"،[2] حيث قرأها مُفْرِطُونَ بـــراء مكـــسورة مخفّفـــة اســـماً للفاعل من الإفراط،" أَفْرَطَ إِفْرَاطًا أَسْرَفَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ "،[3] أيهم متجاوزون الحدَّ في المعاصي"،[4] ومنه قولهم: " أفرط فلان فِي كَذَا إِذا تجاوز الحد وأســـر"،[5] ويكـــون المعنى: " أنّهم كانوا مفرِطين على أنفسهم في الذّنوب"،[6] يعني: " مُـــسْرِفُون علـــى أَنْفُسِهم فِي الذُّنُوب"،[7] وعن النَّحاس: هم من كانوا " مبالغون متجاوزون في الـــشرّ، ومنه يقال: قد أفرط فلان على فلان"،[8] وقيل: (مُفْرِطون) مشتقّة مـــن " أفـــرط" إذا أعجل، فمعناه: و أَنَّهم مُعْجِلون إلى النّار، أي: سَابِقون إليها. وقيل معناه: وأنّهم ذوو إفراط الى النّار أي: ذوو عجل إليها ".[9]

وقرأ أبو جعفر (مُفَرِّطُونَ) بـــراء مكسورة مشدّدة اسم فاعل من: " فَـــرَّطَ فِـــي الْأَمْرِ تَفْرِيطاً قَصَّرَ فِيهِ وَضَيَّعَهُ "،[10] و" فَرَطَ في الأمر يَفْرُطُ فَرْطاً، أي قصَّر فيـــه

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص82. شرح طيبـــة النـــشر، ص261. تحبيـــر التيـــسير، ص432. النشر في القراءات، ج2، ص304. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص414. محيسن، الهادي، ج2، ص359.

[2] سورة النّحل، الآية 62.

[3] الفيوميّ، المصباح المنير، (فرط)، ج2، ص469.

[4] السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، (1988م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج2، ص494.

[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص391.

[6] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج20، ص229.

[7] السجستانيّ، غريب القرآن، ص443.

[8] النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص253.

[9] مكي، الكشف، ج2، ص38.

[10] الفيوميّ، المصباح المنير، (فرط)، ج2، ص469.

وضيَّعه حتّى فات "،[1] ومنه (التّفريط)،[2] على " معنى المبالغة والتكثير"،[3] ومنــه قول العرب: " أَفْرَطَ فُلان في الأَمْرِ: إذا قصّروإذا جاوز الحدّ "،[4] وقــولهم: " قــد فرَّط فلان في حاجتي "،[5] يعني: " قد قدّم فيها التّقصير و العجــز"،[6] وقــال أبــو عبيدة: " فرَّطْت فِي الشَّيْء: ضيّعته "،[7] ويكون المعنى: أنّهم " مُضَيِّعون مُقَصِّرُون "،[8] وهو نظير قوله تَعَالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْــهُ رُسُــلُنَا وَهُــمْ لَــا يُفَرِّطُونَ"،[9] وقوله عزّ من قائل: " أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ".[10]

وقرأ الباقون (مُفْرَطُون) بــراء مفتوحة مخفّفة اسم مفعول من " أفْرَطْتُ الشّيءَ أي نَسِيته "،[11] ويقال: " أَفْرَطْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَرَكْتُهُ وَ نَسِيتُهُ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: يُقَالُ مَــا أَفْرَطْتُ مِنَ الْقَوْمِ أَحَداً، أَيْ مَا تَرَكْتُ مِنْهُمْ أَحَداً "؛[12] ولــذلك فُــسِّر (المُفْرَطــون) بحسب هذه القراءة بأنّهم: " مَنْسِيُّونَ فِي النَّارِ"، قالــه مجاهــد،[13] أو " متروكــون

1 الجوهريّ، الصحاح، (فرط)، ج3، ص1148.

2 السيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص494.

3 النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص253.

4 ابن خالويه، الحجّة، ص212.

5 الأنباريّ، الزّاهر، ج1، ص309.

6 المصدر نفسه.

7 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (فرط)، ج13، ص226.

8 الأنباريّ، الزّاهر، ج1، ص310. ابن القطّاع، كتاب الأفعال، ج2، ص458.

9 سورةالأنعام، الآية 61.

10 سورة الزمر، الآية 56.

11 أبو عبيد، غريب الحديث، ج1، ص46.

12 السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبومحمد (ت: 302هــ)، (2001م) **الدلائل في غريب الحديث**، تحقيق: محمد بن عبدالله القناص، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، ج2، ص668.

13 مجاهد، تفسير مجاهد، ص422.

منسيّون فِي النَّار"،[1] حكاه سعيد بن جبير،[2] وقيل ابن عباس،[3] وتبعهم فعلى ذلــك كلّ من: أبو عبيدة [4] والكسائي[5] والفرّاء،[6] والعربُ تَقُولُ: " أَفْرَطْتُ مِنْهُمْ نَاساً أَيْ خَلَّفْتُهُمْ وَنَسِيتُهُمْ". [7]

ويجوز أن تكون (مُفْرَطُون) مشتقّاً من (الفَرْط)[8] وهو: " الــسّبق والتّقــدم"،[9] يقال: " فَرَطَ منّي ما لم أحسبه. أي سبق. والفَارِط: المتقدِّم إلــى المــاء لإصــلاح الأَرْشِيَةِ والدِّلاء حتى يَرِدَ القوم. وأَفْرَطْتُه: أي قدّمته "،[10] ومنه دعاؤهم فِي الصَّلَاة على الطّفل الميّت: " اللهمَّ اجْعَلْه لنا فَرَطاً " أي أجْراً مُتَقَدِّماً"،[11] وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِــيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ "؛[12] وقوله: " (وَأَنَا فَرَطُهُمْ) أَيْ:

---

[1] الباوَرْدي (غلام ثعلب)، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبــو عمــر الزّاهــد المطــرز الباوَرْدي، (ت: 345هــ)، (2002م)، **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، تحقيــق: حققه و قدم له محمد بن يعقوب التركستاني، ط1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينــة المنورة، ص295.

[2] النّحاس، معاني القرآن، ج4، ص79.

[3] ابن زنجلة، حجّة القــراءات، ص391. الفيروزآبــادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، لبنان، ص226.

[4] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص361.

[5] النحاس، معاني القرآن، ج4، ص80.

[6] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص108.

[7] المصدر نفسه.

[8] السيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص494.

[9] الماتريدي، تأويلات أهل السنّة، ج6، ص523.

[10] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص245.

[11] ابن دريد، جمهرة اللّغة، (رطف)، ج2، ص745.

[12] أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هــ) (1995م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القــاهرة، حديث رقم: 4042، ج4، ص125.

أَتَقَدَّمُهُمْ، وَالْفَرَطُ وَ الْفَارِطُ: الْمُتَقَدِّمُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، يُقَالُ: فَرَطْتَ الْقَوْمَ: إِذَا تَقَدَّمْتَهُمْ لِتَرْتَادَ لَهُمُ الْمَاءَ "،[1] وَقَالَ الْقُطَامِيُّ: وقَالَ الشّاعر:[2]

فأثار فارِطُهم غَطاطا جُثَّمًا أصواته كتَراطُنِ الفُرْسِ

وقال القطامي:[3]

فاستعجلونا وكَانُوا من صحابتنا كَمَا تعجل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ

وربّما تكون هذه القراءة مأخوذة من (الفَرَط) – كما يروي ابن الأعرابيّ – (العَجَلَة)،[4] أي: "هم معجلون إلى النّار"،[5] وروي عن قتادة قوله: " مُفْرَطُونَ أَيْ: مُعَجَّلُونَ إِلَى النَّارِ، مِنَ الفَرَط وَهُوَ السَّابِقُ إِلَى الورِدْ ولَا مُنَافَاةَ لِأَنَّهُمْ يُعَجَّلُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، وَيُنْسَوْنَ فِيهَا، أَيْ: يَخْلُدُونَ"،[6] وهو قول الحسن أيضاً،[7] وكان أبو عمرو بن العلاء يفسِّر هذه الكلمة في هذا السّياق القرآنيّ بقوله: "معناه: وأنّهم مُقَدَّمون إلى النّار مُعَجّلونَ إليها"،[8] وقيل: (مُسلَّمُون).[9]

---

1 البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510هـ)، (1983م)، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت،ج1، ص324.

2 نسبت المصادر التي اطلعت عليها هذا البيت لطرفة بن العبد، ولم أقف عليه في ديوانه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص181. الزبيدي، تاج العروس، ج35، ص98. الغَطاط: القطا.

3 القطامي، عمير بن شُييم بن عبّاد (ت: 101ه) (1960م)، **ديوان القطامي**، تحقيق: إبراهيم السّامرائي وأحمد مطلوب، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص90. والفُرّاط جمع الفارط.

4 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (فرط)، ج13، ص227.

5 مكي، الكشف، ج2، ص38.

6 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج4، ص580.عبد الرّزاق، تفسيرعبد الرّزاق، ج2، ص269.

7 النّحاس، معاني القرآن، ج4،ص79.

8 الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص309.

9 يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت: 200هـ)، (1979م)، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ص318.

(زَكِيَّةً)، (زَاكِيَةً):[1]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر ورويس (زَكِيَّةً) من قوله تعـالى: " قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ"[2] (زاكِية) اسم فاعل،[3] وهي التي لا ذنب لها، فهي النّفس " الطّاهرة من الذّنوب إمّا لأنّها طاهرة عنده؛ لأنّه لم يرها قد أذنبت أو لأنّهـا صغيرة لم تبلغ الحنث {بِغَيْرِنَفْسٍ} أي لم تقتل نفساً فيقتص منها ".[4]

وقرأ الباقون (زكيّة) بحذف الألف وتشديد الياء، صيغة صفة مشبّهة على وزن فعيلة،[5] أي: " بَرِيئَة"،[6] "لا ذَنْبَ لَها"،[7] فهي نفس " طاهرة مخلصة من الـذّنوب، ومنه عبد زكي أي طاهر"،[8] وقيل: هي " صَغِيرَة، وَقيل معنى ذَلِك المُطَهَّرَة وَهِـي الَّتِي لَا ذَنْب لَهَا، وَلم تذنب لصغرها "،[9] قال الأنباريّ: المراد بالنّفس الزّكيّة في هذا السّياق " زائدة الخير، لم تذنب، ولم تكن منها خطيئة ".[10]

وهناك من ذهب إلى أنّ هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد، كقاسية وقسيّة،[11]

---

1 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص84. شرح طيبة النـشر، ص269. تحبيـر التيـسير، ص447. النشر في القراءات، ج2، ص313. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص433. محيسن، الهادي، ج3، ص18.

2 سورة الكهف، الآية 74.

3 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج7، ص528.

4 الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص736.

5 أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص208. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج7، ص528.

6 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص303.

7 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل،ج2، ص596.

8 النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص146.

9 السجستانيّ، غريب القرآن، ص252.

10 الأنباريّ، الزاهر، ج2، ص177.

11 الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص155. ابن خالويه، الحجّة، ص227. الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص511.

ومعناها: النفس " الَّتي لَم تَجْنِ شَيْئاً"،[1] قاله الكسائيّ والفـرّاء،[2] وقيـل معناهمـا (مُؤمنَة)،[3] قال ثعلب: " الزَّكِيَّةُ أَبْلَغُ "،[4] وقال أبو حيّان: " ... زَكِيَّةً بِغَيْـرِ أَلِـفٍ وَبِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ زَاكِيَةٍ لِأَنَّ فَعِيلاً الْمُحَوَّلَ مِنْ فَاعِلٍ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ ".[5]

ويلخّص لنا صاحب تفسير (النّكت والعيون) آراء العلماء في هذه المسألة فيذكر أنّهم على مذهبين، فريق لا يرى أي بون دلاليّ بـين القـراءتين، وفريـق يـرى القراءتين متمايزتين من جهة المعنى، قال: " واختلف في زاكيـة – وزكيَّـة علـى قولين: أحدهما: وهو قول الأكثرين أنّ معناهما واحد، فعلى هذا اختلف فـي تأويـل ذلك على ستّة أوجه: أحدها: أنّ الزاكِية التّائبة، قاله قتادة. والثّاني: أنّها الطّـاهرة، حكاه ابن عيسى. والثّالث: أنّها النّامية الزّائدة، قاله كثيرمن المفسّرين، قال نابغة بني ذبيان:

وما أخرتَ من دُنياك نقص　　　وإن قدّمْتَ عادَ لَك الزّكاءُ

يعني الزّيادة. والرّابع: الزّاكية المسلمة، قاله ابن عباس لأنّ عنده أن الغلام المقتـول رجل. الخامس: أنّ الزّاكِية التي لم يحل دمها، قاله أبو عمرو بن العلاء. السّـادس: أنّها التي لم تعمل الخطايا، قاله سعيد بن جبير. والقول الثّـاني: أنّ بـين الزّاكيـة والزكية فرقاً، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنّ الزّاكية في البدن، والزّكية فـي الـدّين، وهذا قول أبي عبيدة. الثاني: أنّ الزّكية أشدّ مبالغة من الزّاكية، قاله ثعلب. الثّالـث: أنّ الزّاكية التي لم تذنب، والزّكية التي أذنبت ثم تابت فغفر لها، قاله أبو عمرو بـن العلاء. {لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً} فيه أربعة أوجه: أحدها: شيئاً منكـراً، قالـه الكلبـي.

---

[1] الطّبري، جامع البيان، ج18، ص75.

[2] مكي، الهداية، ج6، ص4431. البغويّ، معالم التنزيـل، ج3، ص208. الـرازيّ، مفـاتيح الغيب، ج21، ص487.

[3] الباوَرْدي، ياقوتة الصراط، ص328.

[4] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص21.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص208.

الثّاني: أمراً فظيعاً قبيحاً، وهذا معنى قول مقاتل. الثّالث: أنّه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل. الرّابع: أنّه أشدّ من الإِمْر، قاله قتادة ".[1]

(حَمِئَةَ)، (حَامِيَةَ):[2]

قرأ نافع وحفص وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (حَمِئَة) من قوله تعالى: " حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ "[3] علـى وزن (فَعِـلْ) صـفة مشبّهة أي: " كثيرة الحمأة "،[4] وهي " طِينَةً سَوْدَاءَ تَأْطِ "؛ حكاه مجاهد،[5] أو "حارة سوداء"، قاله مقاتل،[6] ويقال: " حَمأتُ البئر إِذَا أخرجتُ حَمْأتَها، وأحْمأتها إذا ألقيت فيها الحَمْأةَ".[7]

وقد احتجّ أصحاب هذه القراءة على صحّة مذهبهم بالخبر الذي روي عن ابن عباس، قَالَ ابْن عَبَّاس – رضي الله عنهما - : " كنت عِنْد مُعَاوِيَة فَقَرَأَ " تغرب فِي عين حامية " فَقلت مَا نقرؤها إِلَّا {حَمِئَة}، فَقَالَ لعبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ كَيفَ تقرؤها فَقَالَ كَمَا قرأتها يَا أَمِير الْمُؤمنينَ قَالَ ابْن عَبَّاس فَقلت فِي بَيْتِي نزل الْقُرْآن فَأرْسل مُعَاوِيَة إِلَى كَعْب أَيْن تَجِد الشَّمْس تغرب فِي التَّوْرَاة فَقَالَ أمّا الْعَرَبيَّة فَأَنْتم أعلم بهَا وَأما أَنا فأجد الشَّمْس فِي التَّوْرَاة تغرب فِي مَاء وطين أَرَادَ أَنَّهَا تغرب فِي عين ذَات حمئة ".[8] ويعلّق ابن زنجلة على هذه الرّواية فيقول: " وَهَذَا القَوْل لَيْسَ يَنْفِي قَول من قَرَأَهَا حامية إِذا كَانَ جَائِزاً أَن تكون الْعين الَّتِي تغرب الشَّمْس فِيهَا

---

[1] الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص329، 330.ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج3، ص99، 100.

[2] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص84. شرح طيبة النشر، ص269. تحبير التيسير، ص448. النشر في القراءات، ج2، ص314. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص433. محيسن، الهادي، ج3، ص2، 23.

[3] سورة الكهف، الآية 86.

[4] الباوَرْدي، ياقوتة الصراط، ص328، 329.

[5] مجاهد، تفسير مجاهد، ص450.

[6] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج2، ص600.

[7] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص308.

[8] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص430.

حارة، وَقد تكون حارة وَذَات حمأة وطينة سَوْدَاء فَتكون مَوْصُوفَة بالحرارة وَهِي ذَات حمأة ".[1]

وقرأ الباقون (حامية) بألف بعد الحاء وإبدال الهمزة ياء مفتوحة، على أنّها اسم فاعل من: " من حميت تحمى فَهِيَ حامية "؛[2] أي: حارة،[3] وهي نظير قوله تعالى: " تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ".[4] وقد استدّل أصحاب هذه القراءة على صحّة اختيارهم بما روي عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: " كنتُ رَدِيفَ رسُولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – وهو على حِمارٍ، والشّمسُ عندَ غروبِها، فقال: " هل تَدرِي أين تَغْرُبُ هذه ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: " فإنَّها تغْرُبُ في عَيْنٍ حَامِيَة ".[5]

ويجوز أن تكون (حامية) أصلها (حامِئة) فخُفِّفت الهمزة فقلبت ياء محضة، " وإن خفّف الهمزة من فاعل على قول الخليل كانت بين بين"،[6] قال سيبويه: " وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء السّاكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف السّاكنة. ألا ترى أنّك لا تتم الصّوت ههنا وتضعِّفه لأنَّك تقرِّبها من السّاكن، ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن، وذلك قولك: يئس وسئم، وهو قول العرب والخليل "،[7] وفي ذلك يقول أبو حاتم: " وَقَدْ تُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ حَامِيَةٌ مَهْمُوزَةً بِمَعْنَى ذَاتِ حَمْأَةٍ فَتَكُونُ الْقِرَاءَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ يَعْنِي أَنَّهُ سُهِّلَت الْهَمْزَةُ بِإِبْدَالِهَا يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا"،[8] ولذلك ذهب بعض العلماء إلى عدّ هاتين القراءتين

---

1 المصدر نفسه، ص430، 431.

2 المصدر نفسه، ص428.

3 السجستانيّ، غريب القرآن، ص193.

4 سورة الغاشية، الآية 4.

5 أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، حديث رقم: 4002، ج4، ص37.

6 الفارسيّ، الحجة، ج5، ص169.

7 سيبويه، الكتاب، ج3، ص542.

8 أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص221.

متساويتين من جهة المعنى، يقول الفخر الرازيّ: " وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْحَمِئَةِ وَالْحَامِيَةِ، فَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعاً ".[1]

(حاذِرُونَ)، (حَذِرُونَ):[2]

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه (حاذِرُونَ) من قوله تعالى: " وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ"[3] بإثبات ألف بعد الحاء (حاذِرُونَ) اسم فاعل معناه: " وَادُّونَ مُسْتَعِدُّونَ "، قاله مجاهد،[4] وقيل: " مؤدّون مقوون أي ذَوُو أَدَاة وذوو سلَاح وقُوَّة "،[5] أي: هم " متأهبون"،[6] وقيل: " المؤدّي في السّلاح، وإنّما يفعل ذلك حَذَرَاً واحتِياطاً لِنَفسِه، والْحَادِرُ: السَّمِينُ الْقَوِيّ ".[7] قال الشّاعر:[8]

أُحِبُّ الصَّبِيَّ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ   وَأُبْغِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرُ

" أي أقوياءُ وأشدَّاءُ وقيل مدجَّجون في السِّلاحِ قد كسبهم ذلك حَدَارةً في أجسامِهم"،[9] "والحاذر الذي يحذر ما حدث أو المستعد كأنّه أخذ حذره "،[10] قال الفارسيّ: "... فأمّا حَاذِر فإنّه يراد به أنّه يفعل الحذر فيما يستقبل كقولك: بعيرك صائد غداً، وكذلك

---

1 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج21، ص496.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص89. شرح طيبة النشر، ص288. تحبير التيسير، ص487. النشر في القراءات، ج2، ص335. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص483. محيسن، الهادي، ج3، ص102.

3 سورة الشعراء، الآية 56.

4 مجاهد، تفسير مجاهد، ص510.

5 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص517.

6 ابن دريد، جمهرة اللّغة، (حذر)، ج1، ص507.

7 الزمخشريّ، الكشاف، ج3، ص315.

8 البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج4، ص236. الزمخشريّ، الكشاف، ج3، ص315. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص173.

9 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص244.

10 أبو شامة، إبراز المعاني، ص621.

قوله: وإنّي حاذر أنمي سلاحي كأنّه يريد متحذّر عند اللّقاء"،[1] ويقال: " الحَاذِر الذي يَحْذَر في الفَور"،[2] ويكون المعنى: أنّهم قوم ليس من عادتهم الحذر فهو أمر حادث فيهم. وكان ابن عباس – رضي الله عنهما- يقول: " الحَذِرُون: الممتلئون من السّلاح"،[3] واحتج بقول الشاعر:[4]

لعمر أبي أثالٍ حيثُ أمسى   لقد فَخَرَتْ به أبناءُ بكر

حنيفةُ في كتائب حاذِراتٍ   يقودهم أبو شبلٍ هِزَبْرِ

وقرأ الباقون (حذرون) بحذف (الألف)، وهو الوجه الثّاني لــ (هشام) على أنّه صفة مشبّهة من حذر[5] وهو: " المتيقظ "،[6] وقيل: "الحذِر من طُبع على الحذر"،[7] قال الأزهريّ: " العرب تقول للرجل الذي جُبِلَ حَذَراً: فلان حَذِر، وحُذُر"،[8] ويكون المعنى بحسب هذا التوجيه أنّهم قوم من عادتهم الحذر " وَاسْتِعْمَالُ الْحَزْمِ ".[9]

وهناك من ساوى بين هاتين القراءتين، فذهب إلى أنّهما لغتان[10] بمعنى واحد، قال أبو عبيدة: " رَجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُرٌ وَحَاذِرٌ بِمَعْنى وَاحِدٍ "،[11] وهو مذهب سيبويه،[12] فقد كان سيبويه يذهب إلى أنّ (حذر) هي صيغة مبالغة، وأنّها تجري

---

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص359.

[2] السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص5.

[3] الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص303.

[4] لم أقف على هذه الأبيات في المصادر التي اطّلعت عليها. إلا عند الأنباري وهي بلا نسبة. الأنباري، الزاهر، ج1، ص303.

[5] الألوسيّ، روح المعاني، ج10، ص81.

[6] السّيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص152.

[7] أبو شامة، إبراز المعاني، ص621.

[8] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص225.

[9] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج24، ص506.

[10] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7، ص164.

[11] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص86. مكي، الهداية، ج8، ص5305.

[12] النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص124. مكي، الهداية، ج8، ص5305.

مجرى اسم الفاعل في الإعمال، فينصب المفعول به،[1] فيجوز أن يقال: " هُوَ حَذِرٌ زَيْداً، كَمَا يُقَالُ: حَاذِرْ زَيْداً "،[2] وأنشد عليه قول الشّاعر:[3]

حَذِرٌ أُمُوراً لاَ تُضِيرُ وَآمِنٌ   مَا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الأَقْدَارِ

قال السّيرافي: " الشّاهد فيه إنه أَعْمَل حَذِر وهو على فعل عمل الفعل ".[4]

وأحسب أنّ من قال إنّ سيبويه قد ساوى بين (حَذِرْ وحَاذِر) قد وقع في غلط؛ وذلك لأنّ سيبويه لم يتكلّم في هذا المبحث عن البون الدّلاليّ بين هاتين الصّيغتين، وإنّما كان نظره منصبّاً نحو مسألة إعمال الصّيغة على التّعيين، ولعلّ أبا البقاء العكبريّ قد ألمح إلى ذلك، حيث ذكر أن سيبويه إنّما أعمَل فَعِلْ[5]؛ " لِأَنّ مَا فِيهَا من الْمُبَالغَة وَزِيَادَة الْحَرْف جَبْرٌ لما دَخلهَا من النَّقْص عَن اسْم الْفَاعِل فِي جَرَيَانه على الْفِعْل ".[6]

(فارِهِينَ)، (فَرِهِينَ):[7]

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (فَرِهين) من قوله تعالى: " وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ"[8] بإثبات ألف بعد الفاء على أنّه اسم فاعل

---

[1] أبو حيان، البحر، المحيط، ج8، ص157.السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص522.

[2] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص101.

[3] البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. سيبويه، الكتاب، ج1، ص113. الجوهري، الصحاح، ج2، ص626. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص176.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1، ص113. السيرافي، شرح أبيات سيبويه، ج1، ص270.

[5] العكبريّ، اللّباب، ج1، ص442.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص441.

[7] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص89. شرح طيبة النشر، ص288. تحبير التيسير، ص488. النشر في القراءات، ج2، ص336. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص483، محيسن، الهادي، ج3، ص104.

[8] سورة الشعراء، الآية 149.

بمعنى: "حَاذِقِين"،[1] حكاه مقاتل بن سليمان،[2] "وعنه عن الحسن: آمنين"،[3] وقيل: "مَرِحِين".[4]

وقرأ الباقون (فَرِهين) بحذف الألف على أنّه صفة مشبّهة، قال أبو عبيدة: " أَشِرِينَ بَطِرِينَ"،[5] وهو قول مجاهد أيضاً،[6] والعرب تقول: " لكلّ من حَذَق صناعته: فارِهٌ، ويجمع فُرْهَة، مثل صاجا وصُحْبة، وغلام رائق وجمعه رُوقَة، وسمعت غير واحد من العرب يقول: جَارية فَارٍ بغير هاء، إذا كانت صبيحة الوجه ذَاتَ مَلَاحَةٍ، وهو كقولهم: امراة عاشق، ولحية نَاصِل".[7]

ويجوز أن تكون الهاء في (فرهين) مبدلة من الحاء، " وَالْعَرَبُ تُعَاقِبُ بَيْنَ الْهَاءِ وَالْحَاءِ مِثْلَ مَدَحْتُه ومَدَهْتُهُ "؛[8] ولذلك لا نعجب إذ ما وجدنا الأخفش يفسّر (الفَرِهِين) بـــ (الفَرِحِين)،[9] وفي ذلك يقول الواحديّ: " والهاء من فَرِهِين بدل من الحاء، والفرح في كلام العرب بالحاء الأَشِرِ البَطِرِ، ومنه قوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}".[10]

---

[1] الفراهيديّ، كتاب العين، (فره)، ج4، ص46. الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص282.

[2] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج3، ص275. وقد نسب ابن أبي حاتم هذا القول لابن مجاهد، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص2802. ولم أجد ذلك في تفسير مجاهد.

[3] مكي، الهداية، ج8، ص5338.

[4] نسب ابن حجر هذا القول لأبيّ عبيدة، وهذا غلط منه لأنّ أبا عبيدة صرّح في المجاز بقوله: " وقال آخرون " ممّا يدلّ على أنّ هذا الرأي ليس لأبي عبيدة كما ظنّ ابن حجر وغيره من المفسّرين، وأمّا أبو عبيدة فقال: فاكهين معناها حاذقين. ابن حجر العسقلانيّ، فتح الباري، ج8، ص498. مكي، الهداية، ج8، ص5339. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص88.

[5] الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج3، ص360. الطبري، جامع البيان، ج19، ص382. الفراهيديّ، كتاب العين، (فره)، ج4، ص46.

[6] النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص128. ولم أجده في تفسير مجاهد.

[7] الأزهري، معاني القراءات، ج2، ص228، 229.

[8] البغويّ، معالم التنزيل، ج3، ص476.

[9] البغويّ، معالم التنزيل، ج3، ص476.

[10] الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج3، ص360. سورة القصص، الآية 76.

ويرى الفرّاء أن (فَرِهين وفَارِهين) كليهما لغتان بمعنى واحد، نحو: " طَمِعَ وطَامِع"،[1] و"مَلِك ومَالِك، وحَاذِرين وحَذِرين، وفَكِهينَ وفَاكِهينَ"،[2] وإلى ذلك ذهب قطرب،[3] يقال: " فَرِه يَفْرَه فهو: فاره، وفرِه يَفْرُهُ فهو فَرِهٌ وفَارِه: إذا كان نِشيطاً ".[4]

ويبسّط لنا الماورديّ في (النّكت والعيون) آراء العلماء في هذه المسألة فيقول: " فمن قرأ {فَرِهِينَ} ففي تأويله ستّة أوجه: أحدها: شَرِهين، قاله مُجَاهد. الثّاني: مُعْجَبِين، قاله خُصَيْفٌ. الثّالث: آمنين، قاله قتادة. الرّابع: فَرِحين، حكاه ابن شجرة. الخامس: أَشِرِينَ بَطِرِين، قاله ابن عبّاس. السّادس: مُتَخَيِّرِين، قاله الكَلْبيّ. ومنه قول الشّاعر:[5]

إِلَى فَرِهٍ يُمَاجِدُ كُلَّ أَمْرٍ قَصَدْتُ لَهُ لِأَخْتَبِرَ الطِّبَاعَا

وأمّا قراءة (فَارِهِينَ) فتحتمل كما يذكر صاحب (النّكت والعيون) أربعة أوجه: " أحدها: معناه كَيِّسِين قاله الضَّحَاك. الثّاني: حَاذِقِين: قاله أبو صالح، مأخوذ من فراهة الصّنْعَة، وهو قول ابن عباس. الثّالث: قَادِرين، قاله ابن بَحر. الرّابع: أنه جَمَع فَارِه، والفَارِه المَرِح، قاله أبوعبيدة "، وأنشد لعدي بن الرّقاع الغنويّ:

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهَ الطَّلَبِ

أي من اللبب". [6]

[1] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص519.

[2] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص114. البغويّ، معالم التنزيل، ج1، ص74، ج3، ص476.

[3] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص129.

[4] مكي، الهداية، ج8، ص5339، 5340.

[5] الماورديّ، النّكت والعيون، ج4، ص183، 184. والبيت بلا نسبة في المصادر التي اطّلعت عليها. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص129.

[6] الماورديّ، النّكت والعيون، ج4، ص183، 184. ونسب ابن منظور هذا البيت إلى (ابن وادع العوفي) برواية (الطّلب) بدلاً من (اللّبب)، ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص366.

(فاكِهُونَ، فَكِهُونَ)، (فاكِهِينَ، فَاكِهِينَ):[1]

انفرد أبو جعفر من بين القرّاء العشرة في قراءة (فاكِهُونَ، فاكِهِينَ) في أربعة مواضع من التّنزيل، وهي:

1- قوله تعالى: إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ".[2]

2- وقوله جلّ ثناؤه: " وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ".[3]

3- ومن قوله تعالى: " فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ".[4]

4- وقوله عزّ من قائل: " وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ".[5]

حيث قرأها (فَكِهُون، فَكِهِين) حيثما وردت في المواضع المذكورة قبلاً من غير ألف، على وزن (فَعِلْ) صفة مشبّهة،[6] معناها: "مُعْجَبِين"، حكاه مُجَاهد،[7] ومقاتل،[8] أو هي "الأَشِرُ"،[9] قاله الفرّاء[10] وقيل: " كثير الفَوَاكِهِ صَاحِب فَاكِهَة"،[11] قال الحُطيئة:[12]

---

[1] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص93. شرح طيبة النشر، ص301. تحبير التيسير، ص524. النشر في القراءات، ج2، ص354، 355. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص524. محيسن، الهادي، ج3، ص171، 172.

[2] سورة يس، الآية 55.

[3] سورة الدخان، الآية 27.

[4] سورة الطور، الآية 18.

[5] سورة المطففين، الآية 31.

[6] الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص468.

[7] الطبري، جامع البيان، ج20، ص536.

[8] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج3، ص582.

[9] الرازي، مختار الصحاح، (فكه)، ص242.

[10] الأزهريّ، معاني القرآن، ج3، ص132.

[11] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص164.

[12] الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك، (ت: 45هـ)، (1993م)، **ديوان الحطيئة**، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص91.

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ　　　لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرْ

قال أبو عبيدة: " أي ذو لَبن وتَمر أي عنده لبن كثير وتمر كثير، وكذلك عَاسِل ولاَحِم وَشَاحِم "،[1] وقال الشاعر:[2]

فَكِهٌ على حين العشيّ إذا　　　خَوَتِ النجومُ وضُنَّ بالقَطْرِ

قال الأنباريّ: " وهو بمنزلة قولهم: رجل تامِر: إذا كَثُر التّمر عنده "،[3] وعن ابن قتيبة " فَكِهِين أي يَتَفَكَّهون "،[4]قال أبوعُبيد:" تقول العرب للرّجُل إذا كان يَتَفَكّه بالطّعام أو بالفاكهة أو بأعراض النّاس: إنّ فُلانَاً لَفَكِهٌ بِكَذا، ومنه يقالُ للمِزاح: فاكهةٌ"،[5] قال الشّاعر:[6]

فَكِهٌ إلى جَنْبِ الخِوَانِ إِذَا غَدَتْ　　　نَكْبَاءُ تَقْطَعُ ثابتَ الأَطْنَابِ

وقال أبو زيد: " يقال: رجل فكه، إِذا كَانَ طيب النَّفس"،[7] " ضَاحِكاً "،[8] " ولم يسمع له فعل من الثّلاثي، وقال أبو مسلم: إنّه مأخوذ من الفكاهة بالضّم وهي التّحدث بما يسر، وقيل التّمتع والتّلذُذ"،[9] وقَالَ القُتَبيّ: "فَاكِهُونَ: يتفكّهون ويقال للمزاح: فَكَاهَة"،[10] وقال أبو عَوْسجة: (فَاكِهُونَ): من المفاكهة، والمفاكهة: المُمَازحة"،[11] وَقِيلَ: " إِنَّ الْفَاكِهَ هُوَ الْمُسْتَمْتِعُ بِأَنْوَاعِ اللَّذَّةِ كَمَا يَتَمَتَّعُ الْآكِلُ بِأَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ. وَالْفَاكِهَةُ:

---

1 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص164. ابن حجر العسقلانيّ، فتح الباري، ج8، ص541.
2 البيت بلا نسبة. الأنباري، الزاهر، ج1، ص159.
3 الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص159.
4 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص366.
5 المصدر نفسه.
6 لم أقف على قائل هذا البيت. التبريزي، ديوان الحماسة، ص458.
7 النّحاس، معاني القرآن، ج5، ص507.
8 السجستاني غريب القرآن، ص364.
9 الألوسيّ، روح المعاني، ج12، ص34.
10 الماتريدي، تأويلات أهل السنّة، ج8، ص530.
11 المصدر نفسه.

فَضلٌ عَنِ الْقُوتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ "،[1] وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: " فكِهِين مُعْجَبِين ".[2] وقد تبعه حفص وابن عامر بخلف عنه، في (فكِهِين) التي وردت في سورة المطفّفين، أمّا بقيّة المواضع فإنّهما قد قرأوا (فَكِهُون) التي في سورة يس، و(فَكِهِين) التي في سورتي الدّخان والطّور، بـــ (ألف) مقحمة بعد (الفاء) على أنّه اسم فاعل.

وقرأ الباقون ومعهم ابن عامر في وجهه الثّاني في سورة المطفّفين في المواضع الأربعة (فَاكِهُون، فَاكِهِين) على أنّها اسم فاعل،[3] ومعناه: " ذَوِي فَاكهةٍ؛ كما يقال: فلان لابنٌ تامرٌ "،[4] و" شاحم لاحم، أي: ذو شحم ولحم"،[5] قال الكسائيّ: " الفَاكِه والفَاكِهَة مثل شَاحِمٍ ولاَحِمٍ ولابِن وتَامِر"،[6] وقال أبو عبيدة: " يقال رَجُل فَكِه: إذا كان يأكل الفَاكهة، ورجل فَاكِه: إذا كانت عنده فاكهة كثيرة "،[7] وأنشد عليه قول الشّاعر:[8]

فَكِهُ العَشِيِّ إذا تأَوَّب رحلَهُ ضيفُ الشتاءِ مُسامَحٌ بالميسِرِ

قال الأنباريّ: " معناه: يأكل الفَاكِهة في هذا الوقت"،[9] قال الخليل: فاكهين معناه: "ناعمينَ مُعْجَبينَ بماهم فيه"،[10] وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: " فَاكِهِين، فَرِحِين ".[11]

---

1 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص139.

2 النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص270.

3 الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص468.

4 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص366. مكي، الهداية، ج9، ص6055.

5 ابن فورك، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص197.

6 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص132.

7 الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص159.

8 نسب الزّمخشري هذا البيت إلى صخر بن عمرو بن الشّريد. الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، (1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص33.

9 الأنباريّ، الزّاهر، ج1، ص159.

10 الفراهيديّ، كتاب العين، (فكه).

11 النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص270.

وهناك من رأى هاتين القراءتين لغتين بمعنى واحد،[1] فكان الفرّاء يذهب إلى أنّهما مترادفتان لا فرق بين إحداهما في المعنى شأنهما في ذلك شأن (حَذِر وحَاذِر)،[2] قال: " فَاكِهِين وفَكِهِين لُغَتَانِ مثل طَمِعِين وطَامِعِين وبَخِلِين وبَاخِلِين".[3]

ويبسط لنا ابن الجوزيّ في تصنيفه (زاد المسير في علم التّفسير) آراء العلماء في هاتين القراءتين، فيذكر أنّ في اختلاف القراءتين قولين: " أحدهما: أن بينهما فَرقاً. فأمّا (فَاكِهون) ففيه أربعة أقوال: أحدها: فَرِحُون، قاله ابن عباس. والثّاني: مُعْجَبُون، قاله الحَسَن، وقُتَادة. والثّالث: نَاعِمُون، قاله أبو مالك ومُقَاتل. والرّابع: ذوو فَاكِهَة، كما يقال: فلانٌ لابِنٌ تَامِرٌ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأمّا(فَكِهون) ففيه قولان: أحدهما: أن الفَكِه الذي يتفكَّه، تقول العرب للرّجل إذا كان يتفكَّه بالطّعام أو بالفَاكِهة أو بأعراض الناس: إنّ فلاناً لفَكِهٌ بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكاهَة، قاله أبو عبيدة. و الثاني: أن فَكِهين بمعنى فَرِحين، قاله أبوسليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فَاكِهِين وفَكِهِين بمعنى واحد، كما يقال: حَاذِرٌ وحَذِرٌ، قاله الفرّاء. وقال الزّجاج: فَاكِهون وفَكِهون بمعنى فَرِحين. وقال أبو زيد: الفَكِه: الطيِّب النَّفْس الضَّحوك، يقال: رجل فاكِه وفَكِه ".[4]

(لابِثِينَ)، (لَبِثِينَ):[5]

قرأ روح وحمزة (لابِثِينَ) من قوله تعالى: " لابِثِينَ فيها أَحْقاباً"[6] من غير ألف، على وزن (فَعِلين) صفة مشبّهة، يقال: " هو لَبِثٌ بمكانِ كَذا وكَذَا، إذا صار اللَّبْثُ

---

[1] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8،ص132.

[2] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص380. الأزهري، معاني القراءات، ج3، ص132.

[3] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص755.

[4] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج3، ص528. الماورديّ، النكت والعيون، ج5، ص25.

[5] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص325. تحبير التيسير، ص603. النشر في القراءات، ج2، ص397. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص609. محيسن، الهادي، ج3، ص329.

[6] سورة النبأ، الآية 23.

شأنه"،[1] ومعناها " البَطِيءُ ".[2] وقرأ الباقون (لبثين) بألف بعد اللام، على وزن (فاعلين) اسم فاعل من (لبث) الثّلاثي يقال: " لَبِثَ الرّجُلُ يَلْبَثُ لُبْثاً ولَبْثاً فهو لاَبِث"،[3] معناه: " طول الإقامة ".[4]

وهناك من ساوى بين هاتين القراءتين فذهب الفرّاء إلى أنّهما لغتين[5] بمعنى واحد،[6] نحو: " طَمِعَ وطَامِع، وفَرِهَ وفَارِه "،[7] ويقال: " هو لابِث بالمكان، ولَبِث"،[8] "ومع ذلك يؤكّد غير واحد من اللّغويين والمفسّرين على أنّ هناك فرقاً في المعنى بين القراءتين"،[9] فيبيّن الألوسيّ أنّ قراءة (لَبِثينَ) بصيغة الصّفة المشبّهة هو أبلغ في المعنى من قراءة (لابِثين) بصيغة اسم الفاعل.[10]

وعلى صعيد آخر برز من العلماء من فاضل بين هاتين القراءتين، فهذا صاحب (الكشّاف) يذهب، إلى أنّ قراءة (لبث) أقوى في الاستعمال، قال: " واللّبث أقوى، لأنّ اللابث من وجد منه اللّبث، ولا يقال (لبث) إلا لمن شأنه اللّبث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك ".[11]

وفي مقابل ذلك نجد أبا جعفر الطّبريّ يؤثر قراءة (لاَبِثِين) على نظيرتها (لَبِثِين)، وحجّته في ذلك قوانين العمل النّحويّ[12] التي لا تجيز للصّفة المشبّهة المصوّغة على زنة (فَعِلْ) أن تشتغل في الجملة فتنصب مفعولاً به، قال: " واختلفت

---

1 الأزهريّ معاني القراءات، ج3، ص117.

2 ابن منظور، لسان العرب، (لبث)، ج2، ص182.

3 الأزهريّ معاني القراءات، ج3، ص117.

4 ابن خالويه، الحجّة، ص361.

5 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج10، ص15. البغويّ، معالم التنزيل، ج5، ص201.

6 السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص538.

7 الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج4، ص414.

8 ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص389.

9 القادوسي، أثر القراءات القرآنية، ص207.

10 الألوسيّ روح المعاني، ج15، ص214.

11 الزمخشريّ، الكشاف، ج4، ص688. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص15.

12 القادوسي، أثر القراءات القرآنية، ص207.

القرّاء في قراءة قوله: (لابِثِينَ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قــرّاء الكوفة (لابِثِينَ) بالألف. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة " لَبِثِينَ " بغير ألــف، وأفــصح القراءتين وأصحهما مخرجاً في العربيّة قراءة من قرأ ذلك بالألف، وذلك أنّ العرب لا تكاد توقع الصّفة إذا جاءت على فَعِل فتعملها في شيء وتنصبه بها، لا يكادون أن يقولوا: هذا رجل بَخِل بماله، ولا عَسِر علينا، ولا هو خَصِم لنا؛ لأنّ فعــل لا يــأتي صفة إلا مدحاً أو ذمّاً، فلا يعمل المدح والذمّ فيغيره، وإذا أرادوا إعمال ذلــك فــي الاسم أو غيره جعلوه فاعلاً فقالوا: هو بَاخِل بماله، وهو طَامِع في ما عندنا، فلــذلك قلت: إنّ (لابِثِينَ) أصحّ مخرجاً في العربية وأفصح، ولم أُحِلّ قراءة من قرأ لَبِثِــينَ وإن كان غيرها أفصح، لأنّ العرب ربما أعملت المدح في الأسماء ".[1]

وبناءً على نظريّة العمل النّحويّ رأى الفرّاء أنّ القراءة بصيغة اسم الفاعل هـــي أجود من قرينتها ذات الصّيغة المشبّهة، إلاّ أنّه لم يضعّف هذه الأخيرة فيحكم عليهــا بالشّذوذ أو اللّحن، قال: " والنّاس بعد يقرؤون: (لابثين)، وهو أجــود الــوجهين لأنّ (لابثين) إذَا كانت فِي موضع تقع فتنصب كانت بالألف، مثل: الطّامِع، والبَاخِل عــنْ قليل. واللّبِثُ: البَطِيء، وهو جائز، كما يُقال: رَجُل طَمِعٌ وطَامِع. ولو قلــت: هَــذَا طَمِعٌ فيما قبلك كَانَ جائزاً، وقَالَ لبيد:

أو مِسْحَلٍ عَمِلٌ عِضَادَةَ سَمحجٍ   بِسَرَاتِها نَدَبٌ لهو كُلُومُ

فأوقع عمل عَلَى العضادة، ولو كانت عاملاً كَانَ أبين فِي العربيّة ".[2]

وهناك من اعتمد الاستعمال اللّغويّ فضلاً عن قانون العمل النّحوي أساساً فـــي المفاضل بين هاتين القراءتين، فرأى البعض قراءة (لبثين) ضعيفة، بل تجرّأ آخرون

---

[1] الطبري، جامع البيان، ج24، ص159، 160.

[2] الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص228. لبيد بن ربيعة، الدّيوان، ص101. والبيت برواية (سَنِقٌ) بدلاً من (عَمِلٌ).

فنعتوا هذه القراءة المتواترة باللّحن، قال النّحاس: " وقد اعترض في هـذه القـراءة فقيل: هي لحن لا يجوز: هُوَ حَذِرٌ زَيْداً، وإن كان سيبويه قد أجازه وأنشد: "[1]

حَذِرٌ أُمُوراً لاَ تُضِيرُ وَآمِنٌ   مَا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الأَقْدَارِ

وأنشد الفرّاء (بيت لبيد السّابق) إلا أنّ سيبويه أنشده (أو مِسْحَلٌ شَنْجٌ)، "... وقال قوم: هو لحن لأنّه إنّما يقال: حذر، وكذا باب فعل لمن كان في خلقته الحذر، فأمّـا اللّابث فليس من ذلك في شيء".[2]

وقد غلّط النّحاس من اتّهم هذه القراءة باللّحن، فبيّن أنّ قياسهم الذي أقاموا عليه حجّتهم هو فاسد، قال: " أما القول الأوّل فغلط ولا يشبه هذا قولك: حَذِر زَيداً لأنّ أحقاباً ظرف وما لا يتعدّى، يتعدّى إلى الظّرف، وأمّا الثّاني فهو يلزم إلّا أنّه يجوز على بعد. والقراءة بلابثين بيّنة حسنة ".[3]

ويضاف إلى كلام النّحاس سالف الذّكر أنّ سيبويه كان يجيز إعمال الصّفة المشبّهة الّتي على وزن (فَعِلْ) نحو: لَبِث، وأنشد على ذلك قول عمرو بن أحمر:[4]

أو مِسْحَلٌ شَنَجٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ   بسَرَاته نَدَبٌ لها وكلوم

ويعلّق السّيرافيّ على ذلك فيقول: " لا والشّاهد إنّه نصب (عضادة) بـ (شـنج) نصب المفعول به ".[5] وذهب القيسيّ إلى تضعيف قراءة (لَبِثين)؛ لأنّ ما كان صفة على وزن (فَعِلْ) فحقّه أن يشتغل في حقل الطّبائع والسّجايا، قال: " وَمن قَرَأَهُ لبثـين شبّهه بِمَا هُوَ خلقَة فِي الإنسان نَحْو حَذِر وَفرق وَهُوَ بعيد لِأَنّ اللّبْث لَيْسَ مِمَّا يكـون خلقَة فِي الإنسان وَبَاب فعل إنّما هُوَ لما يكون خلقَة فِـي الـشَّيْء ولَـيْسَ اللّبْـث

---

[1] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص82. والبيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. سيبويه، الكتاب، ج1، ص113. الجوهري، الصحاح، ج2، ص626. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص176.

[2] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص82. سيبويه، الكتاب، ج1،ص113.

[3] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص82.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1، ص112. السيرافيّ، شرح أبيات سيبويه، ج1، ص19. البغدادي، خزانة الأدب، ج8، ص169.

[5] السيرافيّ، شرح أبيات سيبويه، ج1، ص20.

بخلقة".[1] وهذا القول من القيسيّ لا يخلو من مبالغة، يقول السّمين الحلبي: " وأمَّا قولُ مكيّ: اللُّبْثُ ليس خِلْقَةً فمُسَلَّمٌ؛ لكنّه بُوْلِغَ في ذلك فجُعِلَ بمنزلةِ الأشياءِ الخِلْقيَّة ".[2]

(سَالِماً)، (سَلَماً):[3]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (سَالِماً) من قوله تعالى: " وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ"[4] (سَالِماً) بإقحام ألف بعد السّين وكسر اللّام على وزن (فاعِل) اسم فاعل،[5]، أي: " خَالِصاً " فسّره ابن عبّاس،[6] فـ " سَالِماً لرجل: خَالِصاً لرجل لَايشركهُ فِيه غَيره "،[7] قاله مقاتل،[8] يقال: " سلم الشَّيْء لفُلَان إِذا خلص لَهُ "،[9] فهو: " المؤمن يَعْمَلُ لله وحده "،[10] " خَالِصاً لا شركة فيه ".[11]

وقرأ الباقون (سَلَمَاً) بحذف الألف وفتح اللاّم على وزن (فَعَلْ) مصدراً ثلاثيّاً،[12] من: " سَلِم لَهُ سَلَمَاً"،[13] و" سَلِم فلان لله سَلَمَاً بمعنى: خَلَص له

---

[1] مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص795.

[2] السّمين الحلبيّ، الدر المصون، ج10، ص655.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص94. شرح طيبة النشر، ص304. تحبير التيسير، ص535. النشر في القراءات، ج2، ص362. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص537، 538. محيسن، الهادي، ج3، ص191، 192.

[4] سورة الزمر،الآية 29.

[5] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص419.

[6] النّحاس، إعراب القرآن، ج4، ص9.

[7] السجستانيّ، غريب القرآن، ص268.

[8] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج3، ص677.،

[9] السجستانيّ، غريب القرآن، ص268.

[10] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص383.

[11] ابن خالويه، الحجّة، ص309.

[12] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص419.

[13] المصدر نفسه.

خُلُوصَاً"،[1] والعرب تقول: " قد سلم الشّيء لفلان: إذا خلص له "،[2] وتقول أيــضاً: "رَبِحَ رِبْحَاً ورَبَحَاً "،[3] وأنشد الزّجاج على ذلك قول الشّاعر:[4]

إذا الحَسْناءُ لم تَرْحَضْ يَدَيْها ولم يُقْصَرْ لها بَصَرٌ بِسِتْرِ

قَرَوْا أَضْيافَهُمْ رَبَحاً بِبُحّ يَعِيشُ بفَضْلِهِنَّ الحَيُّ سُمْرِ

وقيل: هو" الَّذِي لَا يُنَازَعُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: هُوَ لَكَ سَلَمٌ، أَيْ مُسَلَّمٌ، لَا مُنَــازِعَ لَــكَ فِيهِ"،[5] وهو صفة وصف بها على سبيل المبالغة،[6] فــ " وصف به مبالغــة فــي الخلوص من الشّركة "،[7] وهو نظير قول العرب: " رَجُل صَــوْم، ورَجُــل إقْبَــالٍ وإدْبَار".[8] ويجوز أن يكون من باب حذف المضاف أي: " ورَجُلاً ذا سَلَم،[9] أو هو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل،[10] نحو: " رَجُلٌ صَــوْمٌ وَزَوْرٌ وَفِطْــر " أي: صَــائِمٌ وزَائِرٌ وَمُفْطِر".[11]

ويزيد الفارسيّ المسألة وضوحاً فيقول: " ومن قرأ سَلَماً لِرَجُلٍ احتمل أمرين: أحدهما: أن يكون فعل بمنزلة فاعل مثل: بَطَل وحَسَن، ونظير ذلك: يَابِس وَيَبِس، ووَاسِط ووَسِط. ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر؛ لأنّ السّلم مصدر، ألا ترى أنّ أبا عبيدة قال: السِّلْمَ والسَّلْم والسَّلَمَ واحد، فيكون ذلك كقولهم: الخَلْق، إذا أردت به

---

1 الطبري، جامع البيان، ج21، ص284. ابن فورك، تفسير القرآن العظيم،ج2، ص318.

2 الأنباريّ، الزاهر، ج1، ص106.

3 الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص419.

4 نسب ابن منظور هذه الأبيات لخُفافُ بنُ نُدْبَةَ السُّلَمِيُّ. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص406.

5 البغويّ، معالم التنزيل، ج4، ص87.

6 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج9، ص425.

7 الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص481.

8 محيسن، القراءات، ج1، ص566.

9 الزّجاج، معاني القرآن، ج4، ص352. الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج3، ص580.

10 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج9، ص425.

11 السّهيليّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد الــسهيلي (ت: 581هـــ)،(1992م)، **نتائج الفكر**، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، ص58.

المَخْلُوق، والصَّيْد، إذا أردت به المَصِيدُ".[1] وقد كانت القراءة بصيغة المصدر من اختيار أبي حاتم، قال: "هو الذي لا تَنَازع فيه ".[2] وأمّا القراءة بصيغة اسم الفاعل فكانت من اختيار أبي عبيدة، قال معلّل ذلك: " إنّما اخترنا سَالِمَاً لصحّة التّفسير فيه، وذلك أنّ السّالم الخالص وهو ضدّ المشترك، وأمّا السّلم فهو ضد المحارب، ولا موضع للحرب ههنا ".[3]

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا عبيدة يفسّر (سَلَم) بـــ " الصّلح "، قال: " سَالِمَاً خَالِصَاً، وسَلَماً لِرَجُلٍ أي: صُلْحَاً".[4] وقد فنّد التّفسير هذا القول من أبي عبيدة، قال: " وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سَلَماً من أنّ معناه صلحاً، فــلا وجــه للصّلح في هذا الموضع، لأنّ الذي تقدم من صفة الآخر، إنّما تقــدم بــالخبر عــن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجــب أن يكــون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبــر عــن الحــرب والصُّلح في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل".[5]

(أَسِنْ)، (آسِنْ):[6]

قرأ ابن كثير وحده (آسِنْ) من قوله تعالى: " فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِــنٍ"،[7] حيث قرأها (أَسِنْ) على وزن (فَعِلْ) صفة مشبّهة،[8] من: " أَسِنَ المَاءَ يَأْسَنُ أَسَنَاً فَهُوَ آسِن"،[9] وهو: " متغيّر الرّيح والطّعم "،[1] قال أبو زيد: " يقال: أَسَنَ المـــاءُ يأسِــن

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص297.

[2] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج8، ص234.

[3] المصدر نفسه، ج8، ص233.

[4] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص189.

[5] الطبري، جامع البيان، ج21، ص284.

[6] ابن الجزريّ، متن طيبة النّشر، ص96. شرح طيبـــة النـــشر، ص311. تحبيـــر التيـــسير، ص558. النشر في القراءات، ج2، ص374. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص561. محيسن، الهادي، ج3، ص231.

[7] سورة محمد، الآية 15.

[8] الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص506.

[9] ابن خالويه، الحجّة، ص328.

أَسْنَاً، إِذا تَغَيَّر. وأَسِنَ الرّجلُ يَأسَن أَسَناً، إِذا غُشي عَلَيْهِ من ريح خبيثة، وَرُبمَا مَاتَ مِنْهَا"،[2] وقال أبو منصور الأزهريّ: " الذي ينزل في البئر التي طال عهد المستقين بها فَدِيرَ برأسه. فلا يقال فيه إلا: أسِنَ يَأسَنُ فهو أسِن. لا غير، بقصر الألــف "،[3] قال زهير:[4]

يُغَادِرُ القِرْنَ، مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ   يَمِيلُ، فِي الرُّمْحِ، مَيْلَ المَائِحِ الأَسِنِ

وقرأ الباقون (آسِنْ) اسم فاعل[5] من " أَسن المَاء يأســن فهــو آسِــن"،[6] أي: " لايتغير"، قاله مقاتل،[7] وحكى أبو عبيدة: " الآسن المتغيّر الرّيح يقال: قد أَسن ماء ركيّتك..."،[8] وهو قول الزّجاج أيضاً،[9] وعن ابن قتيبــة: هــو" المتغيّــر الــرِّيح والطَّعم، والآجِن نحوه ".[10] وقال الفرّاء: غير آسِن معناها: " غَيْر متغيِّرٍ، غير آجِنٍ ".[11]

ومنه حديث العباس – رضي الله عنه – في وفاة الرّسول – صلَّى اللَّــه عليــه وسلّم قال لعمر رضي الله عنه: " خلِّ بيْنَنا وَبَيْنَ صَاحِبِنَا فإنَّهُ يَأْسُنُ كَمَا يأسُنُ النَّاسُ

---

1 السجستانيّ، غريب القرآن، ص79. الباوَرْدي، ياقوتة الصراط،، ص469.

2 الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص191.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص386.

4 زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، (1988م)، **ديوان زهير بن أبي سلْمَى**، شرحه وقدم له، علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص130.

5 الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص506.

6 ابن خالويه، الحجّة، ص328.

7 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج4، ص46.

8 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص215.

9 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص9. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص118.

10 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص410. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص118.

11 الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص60. الزبيديّ، تاج العروس، (أسن)، ج34، ص176.

أَيْ يَتَغَيَّرُ. وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ قَدْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمُت، وَلَكِنَّهُ صَعِق كَمَا صَعِقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَنَعَهُم عَنْ دفْنِهِ ".[1]

(مُعجِّزِينَ)، (مُعاجِزِينَ):[2]

اختلف القرّاء العشرة في قراءة (مُعجِّزِينَ) حيثما وردت في الذِّكر الحكيم، وهي في المواضع الآتية:

1- قوله تعالى: " وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ".[3]

2- وقوله جلّ ثناؤه: " وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ".[4]

3- وقوله جلّ في علاه: " وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ".[5]

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم من غير ألف على وزن (مُفَعِّلين) اسم فاعل مضعّف العين، يراد به التكثير،[6] وهو من قولهم: معناه " مُبَطِّئِينَ يُبَطِّئُونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فسّره مجاهد،[7] وهو قول ابن الزّبير أيضاً،[8]وقيل: " مثبِّطينَ "،[9] " يثبطون النّاس عن الإيمان بالقرآن".[10]

---

[1] ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، ج1، ص49، 50.

[2] ابن الجزريّ، متن طيبة النّشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص282. تحبير التيسير، ص472. النشر في القراءات، ج2، ص327. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص465. محيسن، الهادي، ج3، ص70.

[3] سورة الحج، الآية 51.

[4] سورة سبأ، الآية 5.

[5] سورة سبأ، الآية 38.

[6] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج8، ص291.

[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص441. الطّبريّ، جامع البيان، ج18، ص662. مجاهد، تفسير مجاهد، ص483.

[8] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص441.

[9] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص229.

[10] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص79.

وقرأ الباقون (مُعْجِزِين) بإثبات الألف وتخفيف الجيم على وزن (مُفاعِلين) اسم فاعل من عَاجَز يُعَاجِز فهو مُعَاجِز، يقال: " عاجز فلانٌ: حين ذهب فلم يُقْدَرْ عليه"،[1] معناه: " معاندين"،[2] "مغالبين مشاقّين"،[3] "متأنفين"،[4] " يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَنَا فَيَسْبِقُونَنَا حَتَّى لَا نَقْدِرَ عَلَيْهِمْ فَنُعَذِّبَهُمْ "، فسّره الحسن؛[5] لأنّهم " ظَنّوا أنهم لا يُبْعَثُونَ، وأنَّهُ لاَ جنَّةَ ولا نار "، قاله قتادة،[6] وأبو إسحاق الزّجاج،[7] وقال أبو عبيدة: " معاجزين أي مسابقين"،[8] " جادّين في الصّرف عن آياتنا "، حكاه أبو هلال العسكريّ،[9] " ليسبق كل واحد منهم بالتّكذيب ".[10]

والأصل الاشتقاقي لـ (مُعْجِزِين ومُعَاجِزِين) هو (عَجَز)، المادّة من (عاجزه) إذا سابقه فسبقه، وأصله يستعمل في سَابق الخيل، لأنّ كل واحد من المتسابقين يحاول سبق غيره، وإظهار عجزه عن اللّحاق به، ثم استعمل في المتخاصمين لأنّ كل واحد يحاول إعجاز الآخر وإبطال حجته.[11] وربّما كان المقام يتّجه نحو معنى الفَوْتُ والسَّبْقُ، يقال: " الإِعْجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعْجَزَني فُلَانٌ أَي فَاتَني؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الأَعشى:[12]

فَذاكَ ولَمْ يُعْجِزْ مِنَ الموتِ رَبَّه   وَلَكِنْ أَتاه الموتُ لَا يَتَأَبَّقُ

---

1 الفراهيديّ، كتاب العين، (عجز)، ج1، ص215.

2 الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص229.

3 هذا قول ابن عباس، الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7، ص29.

4 هذا قول الأخفش، الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج7، ص29.

5 ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ج3، ص185.

6 الواحديّ، التفسير الوسيط، ج3، ص276.

7 الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص433.

8 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص142.

9 أبو هلال العسكريّ، الوجوه والنظائر، ص249.

10 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص79.

11 البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص75. الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص400.

12 الأعشى، الدّيوان، ص217.

وَقَالَ اللَّيْثُ: أَعْجَزَنـي فُلَانٌ إذا عَجَزْتَ عَنْ طَلَبِهِ وإدراكه".[1] وفي ذلــك يقــول الواحدي: " مَعْنَى الْإِعْجَازِ الْمَنْعُ مِنْ تَحْصِيلِ الْمُرَادِ. يُقَالُ أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَيْ مَنَعَنــي عَنْ مُرَادِي، وَمَعْنَى مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ أَيْ لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَهْرُبُوا مِنْ عَــذَابِنَا فَــإِنَّ هَرَبَ الْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللَّه مُحَالٌ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ، وَلَا تَتَفَاوَتُ قُدْرَتُهُ بِالْبُعْدِ وَالْقُرْبِ وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ".[2]

ويبسط لنا الماوردي آراء العلماء في تفسير هاتين القراءتين، فيذكر أنّ القــراءة بالتّخفيف " (معجزين) فيها أربعة أوجه: " أحدها: مثبطين لمن أراد اتّباع النّبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول السدي. والثاني: مثبطين في اتّباع النبي صــلى الله عليــه وسلم، وهو قول مجاهد. والثالث: مكذبين، حكاه ابن شجرة. والرّابع: مَعَجزِينَ لمــن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه. ومن قرأ {مُعَاجِزِينَ} ففي تأويله أربعة أوجه: أحدها: مشاققين، قاله ابن عباس. والثاني: متسارعين، حكاه ابن شجرة. والثّالث: معانــدين، قاله قطرب. والرّابع: مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً، قاله السدي".[3]

(مُؤْمِناً)، (مُؤْمَناً):[4]

قرأ أبو جعفر بخلف عنه (مؤمناً) من قوله تعالى: " وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً"،[5] (مُؤْمَناً) بفتح الميم الثانية، اسم مفعول،[6] "من آمنه، أي: لا نؤمّنَك"،[7] " في نفسك "،[8] وقيل: هي من " آمَنْتَهُ إِذَا أَجَرْتَهُ فَهُوَ مُؤْمَنٌ ".[1]

---

[1] الأزهري، تهذيب اللّغة، ج1، ص219. ابن منظور، لسان العرب، (عجز)، ج5، ص370.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص333.

[3] الماورديّ، النكت والعيون، ج4، ص33، 34.

[4] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص71. شرح طيبة النشر، ص216. النشر في القراءات، ج2، ص251. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص275. محيسن، الهادي، ج2، ص157.

[5] سورة النساء، الآية 94.

[6] العكبريّ، إملاء ما من به الرحمن، ج1، ص191. الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص245.

[7] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص552.

[8] السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص75.

وقرأ الباقون (مُؤمِناً) بكسر الميم الثّانية (وهو الوجه الثّاني لأبي جعفر) على أنّها اسم فاعل،(2) من الإيمان، والمعنى: " لَيْسَ لِإِيمَانِكَ حَقِيقَةٌ أَنَّكَ أَسْلَمْتَ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ".(3)

(مُبَيَّنَةٍ، مُبَيَّنَاتٍ)، (مُبَيِّنَةٍ، مُبَيِّنَاتٍ): (4)

وقد كانت هاتان القراءتان مضماراً للتعدّد والاختلاف بين القرّاء العشرة، فقد اتّفق شعبة وابن كثير أن يقرأا (مبينة) حيثما وقعت في القرآن الكريم بفتح الياء المشدّدة، اسم مفعول(5) معناه "الْمُظْهَرَةُ "،(6) " يبيّن فحشها، فهي مبيّنة، ومبيّنة: فاحشة: بيّنت فحشها فهي مبيّنة ".(7) وقد وقعت في ثلاثة مواضع وهي:

1- في قوله تعالى: " إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ".(8)

2- في قوله عز من قائل: " مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ".(9)

3- وفي قوله جلّ ثنائه: " وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ".(10)

وقرأ الباقون (مبيّنة) حيثما وقعت بكسر الياء المشدّدة، اسم فاعل(1) من" أبانت بمعنى تبينت أو بينت"،(2) أي: هي الظَّاهِرَةُ،(3) "مُتَبَيِّنة"،(4) "بينة في نفسها

---

1 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص338.

2 الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص245.

3 أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص32.

4 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص70. شرح طيبة النشر،، ص214. تحبير التيسير، ص337. النشر في القراءات، ج2، ص248. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص266، 267. محيسن، الهادي، ج2، ص147.

5 الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص239.

6 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: 710هـ)، (1311ه)، **طلبة الطلبة**، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ص55.

7 الفارسيّ، الحجّة، ج3،ص146.

8 سورةالنساء، الآية 19.

9 سورةالأحزاب، الآية 30.

10 سورة الطلاق، الآية 1.

ظاهرة"،[5] فهي " مكشوفة مُظهِرة "،[6] "تُبيِّنُ حَالَ مُرْتَكِبِهَا "،[7] قال ذو الرّمّة:[8]

تُبَيِّنُ نِسْبَةَ المَرَئِيّ لُؤْماً   كَمَا بَيَّنْتَ فِي الأَدَمِ العُوَارَا

ومن جهة ثانية اتّفق نافع وأبو جعفر وابن كثير وشعبة وأبو عمرو ويعقوب على قراءة (مُبَيَّناتٍ) بفتح (الياء) حيثما وقعت في القرآن الكريم، على أنّها اسم مفعول وقد وقعت في ثلاثة مواضع وهي:

1- في قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ".[9]

2- وفي قوله جلّ في علاه: " لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ".[10]

3- وقوله تعالى: "رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ ".[11]

وهي على معنى: " أن الله قد بيّنها، والعرب تقول: " بَيتتُ الشّيءَ فبيَن، أي: تَبَين. لازم ومتعدٍّ، ومثله: قدمتُهُ فقدَّم، أي: تقدم. ونوَّرْتُه فنَوَّر ".[12]

وقرأ الباقون (مبيّنات) حيثما وردت في التّنزيل بكسر الياء المشدّدة اسم فاعل معناه: " مُفَصِّلات "،[13] " مُتَبينات "؛[1] فـــ " يبينها من يدعيها ويوضحها "،[2] قال

---

1 الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص239.

2 الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص493.

3 النسفيّ، طلبة الطلبة، ص55.

4 ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص67. الزبيديّ، تاج العروس، (بين)، ج34، ص298.

5 ابن سيده، إعراب القرآن، ج3، ص242.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص298.

7 العكبريّ، التبيان، ج1، ص341.

8 ذو الرُّمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدويّ، أبو الحارث، ذو الرُّمة، ت: (117ه)، (2006م)، **ديوان ذي الرُّمة**، اعتنى به وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، ص99.

9 سورة النور، الآية 34.

10 سورة النور، الآية 46.

11 سورة الطلاق، الآية 11.

12 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص298.

13 ابن خالويه، الحجّة، ص121.

سيبويه: " أبان الشّيء نفسه وأبنته، واستبان واستبنته، والمعنى واحدٌ، وذا ههنا بمنزلة حزن وحزنته في فعلت، وكذلك بين وبينته "،[3] قال الفراء: " فمن قَالَ (مُبَيِّناتٍ) جعل الفعل واقعاً عليهنّ، وقد بيّنهن الله وأوضحهنّ (ومبيّنات): هاديات واضحات "،[4] يقال: " آية مُبَيَّنَة اعتباراً بمن بيّنها، وآية مُبَيِّنَة اعتباراً بنفسها ".[5]

---

[1] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص298.

[2] ابن سيده، إعراب القرآن، ج3، ص242.

[3] سيبويه، الكتاب، ج4، ص63. الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص145.

[4] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص251.

[5] الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص157.

الفصل الرابع

في البنية الدّلاليّة للأفعال (معاني الزّيادة)

1.4 مدخل

ميّزت العربيّة في نظامها الصّرفيّ بين زمرتين من الأفعال: فهناك فصيلة الأفعال المجرّدة، وفصيلة الأفعال المزيدة،[1] وكان سبيلها للفصل بين هاتين المجموعتين هو ناموس الأصالة والزّيادة، فالفعل المجرّد: هو ما كانت حروفه أصليّةً تدور في تصاريفه كلّها أو جلّها بثبات، والمزيد: هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروف الأصل.[2]

الفعل المجرّد:

والفعل المجرّد في العربيّة إمّا ثلاثيّ أو رباعيّ. ويأتي الثّلاثيّ باعتبار ماضيه على ثلاثة أبنية:[3] هي: (فَعَل) و(فَعِل) و(فَعُل)، ويأتي باعتبار مضارعه على ستّة أوزان، " تسمى الأبواب، وكلّها سماعيّ"،[4] وأمّا الفعل الرّباعيّ المجرّد فله بناءٌ واحد هو: (فَعْلَلَ)،[5] و" لَا تدْرك مصَادر الْفِعْل الثلاثي إِلَّا بِالسَّمَاعِ".[6]

ولم تزد العربيّة على الرّباعيّ أفعالاً؛ وذلك " أنّ الأفعال لم تكن على خمسة أحرف كلّها أصول؛ لأنّ الزّوائد تلزمها للمعاني، نحو حروف المضارعة، وتاء المطاوعة في تَدَحْرَجَ، وألف الوصل والنون في: نحو احْرَنْجَمَ، فكرهوا أن يلزمها

---

(1) المراديّ، توضيح المقاصد والمسالك، ج3، ص1516.

(2) الحملاويّ، شذا العرف، ص21.

(3) ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: 672هـ)، (2002م)، **إيجاز التّعريف في علم التّصريف**، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، ص67.

(4) الشمريّ، أبنية الصرف، ص11.

(5) المرادي، توضيح المقاصد والمسالك، ج3، ص1518.

(6) السيوطيّ، همع الهوامع، ج3، ص323.

ذلك على طولها"،[1] وقد لاحظ الصّرفيّون أنّ الفعل الثّلاثي المجرّد ذو دلالات متعدّدة؛ لذلك لم يشغلوا أنفسهم بجمعها واستقصائها، بل نظروا إليها نظرة عامّة تشمل معانيها المختلفة،[2] قال صاحب شرح الشّافية: " اعلم أنّ باب فَعَل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لأنّ اللّفظ إذا خف كثر استعماله واتّسع التّصرف فيه ".[3]

وممّا يلاحظ على هذه المعاني أنّها تتعلّق بدلالات الألفاظ المعجميّة، وليس بالمعنى الصّرفيّ للبنية أو الصّيغة، ومن ذلك قولهم: إنّ (فَعَلَ) تحمل معنى الجمع نحو جَمَعَ وحَشَرَ وحَشَدَ، أو معنى التّفريق، نحو: بَذَرَ وقَسَمَ، أو معنى الإعطاء، نحو مَنَحَ ونَحَلَ، ويأتي بناء (فَعِلَ) للدّلالة على الصّفات الملازمة، نحو: " ذَرِبَ لسانه وبَلِجَ جبينه، أو للدّلالة على عرض، نحو جَرِبَ وعَرِجَ أو على غير ذلك ممّا يصعب حصره".[4]

الفعل المزيد:

ويتّخذ الفعل المزيد في العربيّة أبنية مخصوصة تتشكّل بزياداتٍ معلومة تزاد على بنيته المجرّدة، وتتنوّع أبنية الفعل بهذه الزّيادة، وينجم عن هذا التّنوّع تنوّع في الدلالة المستفاد بها. ومعروف أنّ هذه الأفعال: عَرَفَ، عَرَّفَ، تَعَارفَ، وإن كانت تلتقي على مادّةٍ أصليّة واحدة، فإنّها سرعان ما تفترق في دلالتها على أنحاءٍ مخصوصة، كثيراً ما يلاحظها أبناء الكفاية في استحضارهم لهذه الأفعال في مواقفهم التّداوليّة بما يتّأتّى لهم من الكفاية اللّغويّة.

وقد استخلص الصّرفيّون المعاني المستفادة من هذه الزّيادات باستقصاء أبنية الأفعال المزيدة، وملاحظة اختلاف المعاني المستفادة بين الأصل المجرّد وكلّ صيغة مزيدة، واصطفوا ذلك في معانٍ وجدوها تستفاد بكلّ صيغة.

---

[1] ابن جنّي، المنصف، ص29. الشّمّريّ، أبنية الصرف، ص10، 11.

[2] الشمريّ، أبنية الصرف، ص11.

[3] رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص70.

[4] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج4، ص262.

وسيكون موضوع هذا الفصل من الدّراسة المعاني الصّرفيّة التي يترشّحها الفعل الثّلاثي في العربيّة جرّاء إلحاقه بإحدى حروف الزّيادة، وسيركّز الدّرس على الزّيادات التي وردت بها القراءات العشرة على التّعيين.

أوّلاً: في زيادة الهمزة (أَفْعَلَ):

والهمزة هي أكثر حروف الزّيادة استعمالاً في العربيّة وأوسعها دوراناً على صدر الكلم،[1] وقد زيدت الهمزة على الفعل الثلاثيّ ليدلّ بها على معانٍ خاصّة يسترفدها ابن الكفاية في تواصله التّداوليّ، وهي لاحقة تصريفيّة تلتصق بالفعل الثلاثيّ الصّحيح فتسكن فاؤه، ليصاغ على وزن (أَفْعَلَ)، وهذا الوزن الأخير يطلبه غير باب صرفيّ؛[2] فهو أحد صيغ جمع التّكسير، وبه يصاغ الفعل المضارع المسند لضمير المتكلّم؛ ولذلك بنته العربيّة على الفتح لتفرقه عن الفعل المضارع[3] من جهة، وجعلت همزته همزة قطع ليمّاز عن فعل الأمر (افْعَلْ) من جهة أخرى؛[4] ولعلّ هذا الوجه الأخير هو السّر – كما يزعم الرّمانيّ – وراء تسميتها بهمزة القطع، قال: " وَإِنَّمَا سميت قطعا لِأَنَّهَا تقطع فِي الْأَمر وَفِي الاسْتِئْنَاف وَفِي الْوَصْل وَلَيْسَ شَيْء من الألفات تقطع غَيرهَا لِأَنَّك تثبتها فِي درج الْكَلَام نَحْو يَا زيد أكْرم عمرا، وَأما غَيرهَا فَتسقط فِي درج الْكَلَام إِذا أمرت ".[5]

وقد لجأت العربيّة إلى زيادة الهمزة على الفعل الماضي المجرّد طلباً لدلالات صرفيّة مخصوصة يؤدّيها بناؤه الثّلاثي عند إطالة بنيته. وستتكفّل السّطور الآتية بذكر الدّلالات الصّرفيّة التي وردت بها القراءات العشرة بزيادة الهمزة على التّعيين.

---

(1) ابن جنيّ، المنصف، ص100.

(2) الشمريّ، أبنية الصرف، ص21.

(3) ابن الورّاق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، (ت:381هـ)، (1999م)، **علل النّحو**، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعوديّة، ص148.

(4) ابن الورّاق، علل النّحو، ص559، 560.

(5) الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: 384هـ) **رسالة منازل الحروف**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ص24.

1- التّعدية: ولعلّ من النّافل المعروف أنّ الأفعال في العربيّة تنقسم من حيث التّعدي واللّزوم إلى ضربين: الأوّل فعل متعدٍّ بنفسه: وهو الذي يطلب المفعول به فينصبه دون واسطة، نحو: ضَرَبْتُ زيداً وكَلَّمْتُ عمراً.[1]

وأمّا الضّرب الثّاني من الأفعال فهو الفعل اللّازم[2] أو القاصر،[3] وهو ما لزم فاعله فلم يتعدّى تأثيره فيعمل في المفعول به، " بل يبقى في نفسِ فاعله "؛[4] وهذا هو سرّ تسميته قاصراً؛ "لقصوره على الفاعل"؛[5] ولذلك ابتدعت اللّغة عناصر مخصوصة هيّأت للفعل اللاّزم أن يتعدّى إلى المفعول به، وهي سبعة أشياء أجملها ابن مالك في ألفيّته،[6] وبسطها ابن هشام في (مغني اللّبيب).[7]

وتعدّ الزّيادة بالهمزة لمعنى التّعدية هي من أكثر معاني هذا الباب اتّساعاً،[8] ويقصد الصّرفيّون بالتّعدية: أن تتحوّل جهة تسلّط الحدث إلى المفعول به بعد أن كانت تختص بالفاعل؛ فـــ " يصير ما كان فاعلاً للفعل الثلاثي مفعولاً لأَفْعَلَ، موصوفاً بأصل الفعل "؛[9] ولذلك سميّت بهمزة النّقل؛[10] لأنّها تنقل معنى الفعل إلى

---

(1) ابن جنيّ، اللّمع في العربيّة، ص51.

(2) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص150.

(3) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (ت:761هـ)، (1985)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق، ص66.

(4) الغلاييني، جامع الدروس العربيّة، ج1، ص46.

(5) الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، (ت: 1206هــ)، (1997م)، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج2، ص127.

(6) ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص27.

(7) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص678- 692.

(8) ابن جنيّ، المنصف، ص100.

(9) ركن الدين الإستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص249.

(10) ابن جنيّ، الخصائص، ج1، ص342.

المفعول به،[1] " فصار الفاعل مفعولاً بعد إسناد الفعل إلى غيره "،[2] فما كان فاعلاً للفعل اللاّزم يغدو مفعولاً به في معنى الجعل وهو في الوقت نفسه فاعل لأصل الحدث على ما كان عليه فهو وإن كان مفعولا للجعل فاعل من ناحية المعنى،[3] قال سيبويه: " باب افتراق فَعَلْتَ وَأَفْعَلْتَ في الفعل للمعنى: تقول: دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ. فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أَخْرَجَهُ وَأَدْخَلَهُ وَأَجْلَسَهُ. وتقول: فَزِعَ وأَفْزَعْتَه، وخَافَ وأَخَفْتَه، وجَالَ وأَجَلْتَه، وجاء وأَجَأْتَه؛ فأكثر ما يكون على فعل إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على أفْعَلْت ".[4]

وبناءً على ذلك يمكن القول إنّ إلحاق الهمزة بالفعل الثّلاثيّ يتمخّض عنه دلالتين: صرفيّة وتركيبيّة؛ فهو من جهة المبنى قد أصبح رباعيّاً، وصار ببنيته الحادثة يطلب مفعولاً به، وهذه الأخيرة أكسبت التّركيب الجمليّ معنىً نحويّاً، فغيّرت في بنية التّركيب الإسناديّة الجوّانية (العميقة) دون أن تمسّ البنية السّطحيّة البرّانية للجملة؛ أي على مستوى المعنى، " فمعنى (أذهبت زيداً) جعل زيداً ذاهباً، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة فاعل للذّهاب كما كان في ذَهَبَ زيد، فإن كان الفعل الثّلاثي غير متعدٍّ صار بالهمزة متعدّياً إلى واحد هو مفعول لمعنى الهمزة - أي: الجعل والتصيير- كأذهبته، ومنه أعظمت: أي جعلته عظيماً باعتقادي، بمعنى استعظمته، وإن كان متعدّياً إلى واحد صار بالهمزة متعدّياً إلى اثنين أوّلهما مفعول الجعل والثّاني لأصل الفعل، نحو: أحفرت زيداً النهر: أي جعلته حافراً له، فالأول مجعول، والثاني محفور، ومرتبة المجعول مقدّمة على مرتبة مفعول أصل الفعل، لأنّ فيه معنى الفاعليّة".[5]

وإذا كان جمهور الصّرفيين قد ساووا بين مصطلحي النّقل والتعدية، فإنّ من العلماء من فرّق بينهما؛ فرأى النّقل يختصّ بالجانب الشّكليّ لبنية الكلمة في حين

---

[1] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج2، ص574.

[2] ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة، ج1، ص511.

[3] النّماس، بحث في صيغة أَفْعَلَ، ص226.

[4] سيبويه، الكتاب، ج4، ص55. النماس، بحث في صيغة أفعل، ص227.

[5] رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص86.

تتعلّق التّعدية بالدّلالة الصّرفية لها؛ فإلحاق الهمزة بالكلمة يغيّر من شكلها البنائيّ؛ فبعد أن كانت ثلاثيّة الصّيغة صارت بإلصاق الهمزة رباعيّة المبنى.

وهذا التحوّل الحادث في البنية التصريفيّة للكلمة لا يتبعه بالضّرورة تغيّر في الدّلالة الصّرفية لها، قال المالقيّ في تعريفه للنّقل: " ومعنى ذلك أنّها تنقل الفعل من الثلاثي إلى الرباعي فإن كان متعدّياً في أصله بقي كذلك بعد النّقل، فالهمزة لا تفيد فيه شيئاً سوى النّقل خاصّة، وقد ينطق بثلاثيه وقد لا ينطق، نحو: أشكل الأمر، فهذا لا ينطق بثلاثيه، وإن كان الأصل من حيث إنّ حروفه أصول ووزن أَشْكَلَ (أَفْعَل) فالهمزة زائدة لمجرّد النقل، وتقول: لاحَ البَرقُ وألاَحَ، فهذا ينطق بثلاثيه قبل الهمزة وهو غير متعد، وتدخل الهمزة عليه فيبقى كذلك فيعلم أن الهمزة لا معنى لها فيه إلا مجرد النقل خاصة ".[1]

2- الصّيرورة: ويقصد بها أن " يصير الفاعل منسوباً إلى ما اشتق منه ذلك الفعل"[2] نحو: " أَطْفَلَت الْمَرْأَة إِذا صَار لَهَا طِفْل "،[3] و" أَغَدَّ البعيرُ؛ أي: صار ذا غُدَّة "،[4] و" أَحْصَدَ الزرعُ؛ أي: صار ذا حصاد ".[5]

ويجوز أن تكون الصّيرورة لمعنى تصيير الفاعل منسوباً إلى شيء ليس بمشتق منه ، نحو: " أَجْرَبَ الرجل: أي صار ذا إبل ذات جرب، وأقطف: أي صار صاحب خيل تقطف"،[2] و" أخبث: أي صار ذا أصحاب خبثاء، وألام: أي صار صاحب قوم يلومونه".[6]

---

(1) المالقي، أحمد بن عبد النور المالقي (702ه)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص49.

(2) ركن الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص250.

(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص178. النّماس، بحث في صيغة أفعل، ص231.

(4) الزمخشريّ، المفصل في صنعة الإعراب، ص373. الأشموني، شرح الأشموني، ج2، ص264.

(5) الأزهريّ، شرح التصريح على التوضيح، ج2، ص60.

(6) رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص88.

3- الجَعْل: ومثاله قول بعض العرب: " أَفْتَنْتُ الرّجل وأَحْزَنْتُه وأَرْجَعته وَأَعْوَرْت عَيْنه، أرادوا جعلته حزيناً وفاتناً"،[1] قال رضي الدّين الاستراباذيّ موضحاً ذلك: " فأصل معنى أحزنته جعلته حزيناً، كأذهبته وأخرجته، وأصل معنى حَزَنْتُه: جعلت فيه الحزن وأدخلته فيه، ككَحَلْتُهُ وَدَهَنْتُهُ: أي جعلت فيه كحلاً ودهناً، والمغزى من أحزنته وَحَزَنْتُهُ شيء واحد، لأن مَنْ أدخلت فيه الحزن فقد جعلته حزيناً، إلا أن الأوّل يفيد هذا المعنى على سبيل النّقل والتصيير لمعنى فعل آخر - وهو حَزِن - دون الثّاني ".[2]

4- فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد: وتمثّل هاتان الصّيغتان ظاهرة لغويّة كثيرة الدّوران في العربيّة حتى إنّنا نجد من علماء اللّغة والتّصريف قد أفردوا لها أبواباً خاصّة في تصانيفهم،[3] بل إنّ بعضهم قد جعلوها عنواناً لمؤلفاتهم مؤذنين بعظم هذه الظّاهرة واتّساعها في العربيّة، وقد تعدّدت آراء العلماء في توجيه هذه الظاهرة بين من يثبت ترادف (أَفْعَلَ وَفَعَلَ) وبين من يذهب إلى أنّهما صيغتان متغايرتان لكلّ واحدة منهما معنىً برأسه.[4]

2.4 في زيادة الهمزة:

(مَا نَنْسَخْ)، (مَا نُنْسِخْ): [5]

قرأ ابن عامر (مَا نُنْسِخْ) من قوله تعالى: " ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها "[6] بضمّ النّون الأولى وكسر السّين، من أَنْسَخَ، قال مكي: " جعله رباعيّاً من "أنسخت الكتاب" على معنى: وجدته منسوخاً، مثل: أحمدت الرّجل،

---

(1) سيبويه، الكتاب، ج4، ص57.

(2) رضي الدين الاستراباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص87.

(3) من هؤلاء ابن قتيبة في أدب الكاتب، وابن السكيت في إصلاح المنطق، وابن سيده في المخصص، وابن القطاع في الأفعال. والنماس، بحث في صيغة أفعل، ص237، 265.

(4) راجع في تفصيل هذه المسألة بحث في صيغة أَفْعَلَ لمصطفى أحمد النماس.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص64. شرح طيبة النشر، ص182. النشر في القراءات، ج2، ص219. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص176. محيسن، الهادي، ج2، ص44.

6 سورة البقرة، الآية 106.

وجدته محموداً، وأبخلت الرجل، وجدته بخيلاً، ولا يجوز أن يكون (أنسخت) بمعنى نسخت إذ لم يسمع ذلك، ولا يحسن أن تكون الهمزة للتعدّي، لأنّ المعنى يتغيّر ويصير المعنى: ما نسختك يا محمد من آية، وإنساخه إياها إنزالها عليه، فيصير المعنى: ما ننزل عليك من آية أو ننسخها نأت بخير منها، يؤوّل المعنى إلى أنّ كل آية أنزلت أتي بخير منها، فيصير القرآن كلّه منسوخاً، وهذا لا يمكن، لأنّه لم ينسخ إلاّ اليسير من القرآن،... وامتنع أن تكون الهمزة للتعدّي، لفساد المعنى، لم يبق إلّا أن يكون من باب " أحمدته وأبخلته" وجدته محموداً وبخيلاً "[1].

وقرأ الباقون ومعهم هشام من طريق الدَّاجُونِيّ (مَا نَنْسَخ) بفتح النّون والسّين، على أنّه مضارع نَسَخَ الثّلاثي، " على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها نأت بخير منها لكم أو مثلها. ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها، أو ننسكها يا محمد فلا تحفظ تلاوتها نأت بخير منها أو مثلها."[2]

(يُذْهِبُ)، (يَذْهَبُ): [3]

قرأ أبو جعفر وحده (يَذْهَبُ) من قوله تعالى: " يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ"[4] بضمّ الياء وكسر الهاء على وزن (يُفْعِلُ)، من أَذْهَبَ يُذْهِب، أي: أزال،[5] والهمزة هنا للتّعدية؛ إذ الفعل في الأصل لازم،[6] وقرأ الباقون (يَذْهَبُ) بفتح الياء والهاء، على وزن (يَفْعَلُ)، من ذَهَبَ يَذْهَبُ، والباء للتّعدية.[7]

وقد كانت قراءة أبي جعفر هذه من المسائل الخلافيّة التي تعدّدت آراء العلماء في توجيهها، وهي تدور في مجملها حول القول في تفسير اجتماع الهمزة والباء في

---

1 مكي، الكشف، ج1، ص257.

2 المصدر السابق.

3 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص88. شرح طيبة النشر، ص286. تحبير التيسير، ص482. النشر في القراءات، ج2، ص332. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص477. محيسن، الهادي، ج3، ص89.

4 سورة النور، الآية 43.

5 ابن منظور، لسان العرب، (ذهب)، ج1، ص393.

6 الفارسيّ، الحجّة، ج1، ص238. الفيوميّ، المصباح المنير، (ذهب)، ج1، ص210.

7 الفيوميّ، المصباح المنير، (ذهب)، ج1، ص210.

سياق واحد، قال الفرّاء: "ومن شأن العرب أن تقول: أذهبت بصره بالألف إذا أسقطوا الباء. فإذا أظهروا الباء أسقطوا الألف من أذهبت"،[1] وذكر أبو إسحاق الزّجاج أنّ هذه القراءة ضعيفة؛ لأنّها تخالف ما ألّف في لسان العرب، ولكنّه لم يرفضها، قال: " وقرأ أبو جعفر المدني: يُذْهِبُ بالأبْصَارَ، ولم يقرأ بها غيرُه، ووجهها في العربيَّةِ ضعيف، لأن كلام العَرَبِ: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُه. وتلك جائزة أيضاً - أعني الضم - في الياءِ في يُذْهِبُ ".[2]

ولم يقف الأمر عند حدّ تضعيف القراءة أو تجويزها على قلّة، إنّما وصل الحال ببعض العلماء أن تجرّؤوا على هذه القراءة المتواترة ونعتوها بالخطأ واللّحن، وعلى رأس هؤلاء أبو الحسن الأخفش وتلميذه أبو حاتم السّجستانيّ فقد روى عنه النّحاس أنّه يجوّز " دخل بالمدخل ولا يجيز ههنا أدخل، ويزعم أن الباء تعاقب الألف ".[3]

وفي مقابل هؤلاء نجد فريقاً من النّحاة قد أجازوا مثل هذا الاستعمال؛ فيذهب أبو العبّاس المبرّد إلى أنّ الباء في نحو هذا السّياق هي " مُتَعَلّقَة بِالْمَصْدَرِ لِأَن الْفِعْل يدل على اذ مِنْهُ أَخذ تَقْدِيره يذهب ذَهَابه بالأبصار، وعَلى هَذَا أَجَازُوا أدخل بزيد السجْن كَأَنَّهُ قَالَ أَدخل السجْن دُخُولا بزيد ".[4]

(تُهْجِرُونَ)، (تَهْجُرُونَ): [5]

قرأ نافع وحده (تُهْجِرُونَ) من قوله تعالى: " مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ "[6] بضمّ التّاء وكسر الجيم على وزن (تُفْعِلون) من أَهْجَرَ يُهْجِرُ إهْجاراً، والاسم (الهُجْرُ)،[7] يقال: " هَجَرَ الرّجل: إذا قال هُجْراً "،[1] وهو: " الإفْحاشُ في المنطق،

---

1 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص19.

2 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص50.

3 النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص99.

4 مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص514.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص78. شرح طيبة النشر، ص283. تحبير التيسير، ص476. النشر في القراءات، ج2، ص329. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج،2 ص468. محيسن، الهادي، ج3، ص77.

6 سورة المؤمنون، الآية 67.

7 الفراهيديّ، العين، (هجر)، ج3، ص387.

والخَنا "،[2] حكاه أبو عبيد عن الكسائيّ والأصمعيّ،[3] وبه فسّر قول الرّسول - صلى الله عليه وسلّم - " نَهَيْنَاكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، ولَا تَقُولُوا: هُجْراً "،[4] ولذلك يقال: " أَهجر فِي مَنْطِقه اذا جَاءَ بالخنا والقبيح من القَوْل "،[5] قال الأزهريّ: " الهُجْرُ في كلام العرب ما يستفحش من الكلام "،[6] قال الشّمّاخ: [7]

ممجدَةِ الأَعْراقِ قَالَ ابنُ ضَرَّةٍ   عَلَيْهَا كَلَاماً جارَ فيهِ وأَهْجَرا

وقال الكميت:[8]

ولَا أَشْهدُ الهُجْرَ والقائليهِ   إذا هُمْ بِهَيْنَمَةٍ هَتْمَلُوا

وقرأ الباقون (تَهْجُرُونَ) بفتح التّاء وضمّ الجيم على وزن (تَفْعُلونَ)، من هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرَاً، أي: صَرَمَ[9] وقَطَعَ،[10] والهَجْر: ضدّ الوصل،[11] يقال: "هَجَرَ الشّيءَ يَهْجُره هَجْرَاً: تَرَكَه وأَغْفَله واَعْرَض عَنهُ"،[12] قال الشّاعر:[13]

---

1 أبو عبيد، ، الغريب المصنّف، ج1، ص346.

2 الجوهريّ، الصحاح، (هجر)، ج2، ص851.

3 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (هجر)، ج6، ص29.

4 أبو عبيد، غريب الحديث، ج2، ص63. والحديث في مسند أبي حنيفة برواية أبي نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت: 430هـ)، (1995م)، **مسند الإمام أبي حنيفة رواية أبي نعيم**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط1، مكتبة الكوثر، الرياض، ص145. ولهذا الحديث عدة طرق وروايات.

5 ابن قتيبة، غريب الحديث، ج2، ص273.

6 الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370هـ)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعيّ**، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، ص94.

7 الشماخ، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن ذبيان الغطفاني، **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعرف، مصر، ص135.

8 الكُميت، الديوان، ص320. أبو عبيد البكري، سمط اللآلي، ج1، ص263.

9 ابن سيده، المحكم، (هجر)، ج4، ص155.

10 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (هجر)، ص495.

11 ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج1، ص468. ابن فارس، مجمل اللّغة، ج1، ص899، (هجر).

12 الزبيديّ، تاج العروس، (هجر)، ج14، ص396. السجستانيّ، غريب القرآن، ص150.

13 لم أقف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في العين، ج3، ص387.

وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ حتّى كأنّني مَلِلْتُ وما بي من مَلَالٍ ولا هَجْرِ

ومنه حديث أبي الدّرداء - رضي الله عنه -: " ولَا يَسْمَعون القرآنَ إلاّ هَجْرَاً"،[1] يريد أنّ هؤلاء المنكرين للقرآن قد تركوه وأعرضوا عنه،[2] فـــ " وضعُوا الهجر مَوضِع السّماع فسماعهم لَهُ تَركه"،[3] والاسم: " الهِجّيرَى، تقولُ: رأيُته يَهْجُر هَجْراً وهِجْيرَى وإجِّيَرى لغةٌ وإهْجيرَى لغةٌ فيه"،[4] وهو: اللّغو،[5] والهذيان،[6] حكاه الفرّاء،[7] والكسائيّ،[8] يقال: " هَجَرَ الْمَرِيضُ فِي كَلَامِهِ هَجْراً... خَلَطَ وَهَذَى "،[9] ويقال أيضاً: " قد هَجَرَ الرّجل فِي منامه إِذَا هذى"،[10] ومنه ما روي عن أبي سعيد الخدريّ – رضي الله عنه - أنّه كان يقول لبنيه: " إذا طفتم بِالْبَيْتِ فَلَا تَلغُوا ولَا تهجروا ولَا تقاصّوا أحدا ولَا تُكَلِّمُوهُ "،[11] يريد نهييهم عن "

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، باب في: التَّوَكُّلِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْء، حديث رقم: 1151، ج2، ص414.

[2] الخطابيّ، غريب الحديث، ج2، ص342. وقد أنكر الخطابيّ على ابن قتيبة تفسيره (هجرا) في هذا الحديث بمعنى " الْخَنَا فِي القَوْل وَالْفُحْش "، ابن قتيبة، غريب الحديث، ج2، ص273. ابن الأثير، النهاية، ج5، ص245. الزبيدي تاج العروس، (هجر)، ج14، ص396.

[3] الزمخشريّ، الفائق في غريب الحديث، ج1، ص409.

[4] الفراهيديّ، العين، (هجر)، ج3، ص387.

[5] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص299.

[6] السجستانيّ، غريب القرآن، ص150. ابن فارس مجمل اللّغة، (هجر)، ج1، ص899. الرازيّ، مختار الصحاح، ص324.

[7] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص239. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (هجر)، ج6، ص28.

[8] النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص83.

[9] الفيوميّ، المصباح المنير، (هجر)، ج2، ص634. الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (ت: 282هـــ)، (2005م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عامر حسن صبري، ط1، دار ابن حزم، بيروت، ص144.

[10] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص239. ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج5، ص253.

[11] ألو عبيد، ، غريب الحديث، ج2، ص64.

الهَذيان مثل كَلَام المحموم والمبرسم"،[1] قال سيبويه: " الهِجِّيرَى كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ السَّيِّءِ ".[2]

إنّ هذه الآية الكريمة قد صوّرت لنا مشهداً فريداً من مشاهد يوم القيامة، وهو موقف أولئك المشركين الذين أنعم الله عليهم بالرّسالة، فخصّهم من دون الأمم بخاتم النّبيين محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – ليخلّصهم من عبوديّة الأوثان ويحرّرهم من سيادة العصبيّة والعداء، فما كان منهم إلّا أن قابلوا هداية السّماء بضلالة العادة والميراث.

فإذا كان اليوم الموعود ووفّيت كل نفس حسابها، وردّوا بظلمهم وعنادهم نار الجحيم، ونزل بهم ما لم يقع في وعيهم من العذاب الشّديد، فهاهم من عظيم ما حلّ بهم يتصايحون مستنجدين الغوث من هذا الكرب الوخيم، " وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّبْكِيتِ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ فَلَا يُدْفَعُ عَنْكُمْ مَا يُرِيدُ إِنْزَالَهُ بِكُمْ ".[3]

وتأتي ذروة هذا المشهد المهيب حين يعود بنا سياق الآية إلى حال هؤلاء المبتلين وقد كانت نفوسهم بما جبلت عليه من الغرور والكبرياء تغفل عمّا كان يتلى عليهم من كلام الحيّ القيّوم على لسان الصّادق الأمين، فينفرون منه ليرجعون القهقرى[4] كمن ينكص على عقبيه،[5] ولا عجب في ذلك فهم سادة العرب يكبّرون النّاس بالحسب والنّسب وعمارة البيت العتيق، ولا يقف الأمر بهم عند حدّ الهَجْرِ والهِجران[6] لما يسمعوا من الرّسول الكريم من الذّكر الحكيم، بل تراهم يقعدون من

---

[1] أبو عبيد، غريب القرآن، ج2، ص64.

[2] سيبويه، الكتاب، ج4، ص41. ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج5، ص253.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص258.

[4] السعديّ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، (2000م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، ص554.

[5] الطّبري، جامع البيان، ج19، ص52.

[6] الهِجران بكسر الهاء هو القطيعة، ضد الوصل، قطع. انظر الصحاح للجوهريّ،(هجر)، ج2، ص851. وأمّا الهَجر بفتح الهاء فمعناها الترك والإعراض فضلاً عمّا بسطناه من معانيها في هذه المباحثة.

البيت المعمور مقاعد السّمّار،[1] فيَهْجرون بهما إهجاراً، ويرمونهما بالمُهْجِرات والهاجِرات،[2] فيقولون فيهما من (الهَجر) ما لا يضرهما ولا يعيبهما،[3] فهو كالهذيان[4] لا ينفع صاحبه شيء ولا يصيبه بنفع.

(نُسْقيكُمْ)، (نَسْقيكمْ): [5]

قرأ نافع وابن عامر وشعبة ويعقوب (نَسْقِيكُمْ) من قوله تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ".[6] ومن قوله تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا "[7] بفتح النّون، من سَقَى يَسْقِي سَقْياً الثّلاثي،[8] وقرأ الباقون (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النّون، من أَسْقَى يُسْقِي المزيد بالهمزة.

وقد كان للعرب في هاتين الصّيغتين استعمالان: الأوّل: سَقَى وَأَسْقَى لغتان بمعنى واحد وهو الدّعاء بالسُّقْيا، قال سيبويه: " وقالوا: أَسْقَيْتُهُ في معنى سَقَيْتُهُ، فدخلت على فَعَلَت كما تدخل فَعَلَت عليها، يعني في فَرَحَت ونحوها "،[9] قال

---

[1] السمّار جمع سامر وهم المتحدثون ليلاً، مشتق من السّمر وهو الحديث بالليل، ابن منظور، لسان العرب، (سمر)، ج4، ص377.

[2] جاء في (أساس البلاغة): "... ورماه بالهاجرات والمهجرات: بالفواحش، والهاجرات: الكلمات التي فيها فحش فهي من باب لابنٍ وتامرٍ "، الزمخشريّ، أساس البلاغة، (هجر)، ج2، ص363.

[3] الأنباريّ، الزاهر، ص363.

[4] ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج5، ص253.

[5] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص82. شرح طيبة النشر، ص261. تحبير التيسير، ص432. النشر في القراءات، ج2، ص304. النويريّ، شرح طيبة النش، ج2، ص414. محيسن، الهادي، ج2، ص360.

[6] سورة النحل، الآية 66.

[7] سورة المؤمنون، الآية 21.

[8] ابن دريد، جمهرة اللّغة، (سقي)، ج2، ص853.

[9] سيبويه، الكتاب، ج4، ص58.

السّيرافيّ شارحاً ذلك: " يريد أنّه استعمل (أَفْعَلت) في موضع (فَعَلت) إذا أردت أن تقول للإنسان: سقاك اللهَ ورعاك. قال ذو الرّمة: [1]

وقفتُ على رَبعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي   فَمَا زِلْتُ أَبْكِي حَولَهُ وَأُخَاطِبُهْ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ   تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُهْ

وأمّا الاستعمال الثّاني لهاتين الصّيغتين فكان مضماراً للبحث والنّظر بين علماء اللّغة والتّصريف، فنرى صاحب الكتاب وشيخه الخليل يقرّان بالفرق المعجميّ بينهما بناءً على تباينهما في البنية الصّرفيّة، قال سيبويه: " وتقول: سَقَيْتُهُ فشرب، وَأَسْقَيْتُهُ: جعلت له ماءً وسُقْيَاً. ألا ترى أنك تقول: أسقيته نهراً. وقال الخليل: سَقَيْتُه وأَسْقَيْتُه، أي جعلت له ماءً وسُقْيَاً. فَسَقَيتُه مثل كَسَوتُه، وأَسْقَيْتُه مثل أَلْبَسْتُه. ومثله: شَفَيْتُه وأَشْفَيْتُه، فَشَفِيتُه: أَبْرَأْتُه، وأَشْفَيْتُه: وهبت له شِفَاءً ".[2]

وقد تبع الخليل وتلميذه سيبويه جماعة من الصّرفيين وأصحاب المعاجم، فيذهب أبو جعفر النّحاس إلى أنّ قولنا: " سَقَيْتُه يكون بمعنى عرّضته لأن يشرب، وأسقيته دعوت له بالسّقيا، وأسقيته جعلت له سقياً "،[3] فالفعل (سَقَى) هو كما يقول أبو هلال العسكريّ هو لإشراب الماء أو ما سواه باليد، فقولنا: " سَقَيت الرّجل يُفِيد أَنَّك أَعْطيته مَا يشربه أَو صببت ذَلِك فِي حلقه "،[4] وقيل: هو لمن يُسقى " بالشفة "،[5] أو كما قال الكسائيّ: على معنى شربة واحدة،[6] " في مرة واحدة "،[7] والفعل (أَسْقَى) هو أن يوضع له الماء أو ما سواه أو " دلّه على مَوضِع المَاء "،[8] " حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السّقي، لأنّ الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه

---

1 ذو الرّمة، الدّيوان، ص26.
2 سيبويه، الكتاب، ج4، ص59.
3 النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص254.
4 العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص24.
5 ابن سيده، المحكم، (سقي)، ج6، ص488.
6 الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص237.
7 ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج3، ص404.
8 ابن سيده، المحكم، (سقي)، ج6، ص488.

ويشرب "،[1] قال الكسائيّ: " الْعَرَبُ تَقُولُ: أَسْقَيْنَاهُمْ نَهْراً وَأَسْقَيْنَاهُمْ لَبَناً: إِذَا جَعَلْتَهُ شَرْباً دَائِماً".[2]

وهناك من اعتمد الاقتران المعجمي عياراً فرّق به بين هاتين الصّيغتين؛ فالفعل (سَقَيَ) هو للشّرب من الفم فهو مقترن بالآدميين، في حين يكون الفعل (أَسْقَى) للأرض والماشية،[3] قال الفرّاء: " العرب تَقُولُ لكلّ ما كَانَ من بطون الأنعام ومن السّماء أو نَهر يَجري لقوم: أَسْقَيت. فإذا سَقَاكَ الرَّجُلُ ماء لِشَفَتِكَ قالوا: سَقَاه. ولم يقولوا: أسْقَاهُ ... وربّما قالوا لِمَا فِي بطون الأنعام ولماء السّماء سَقى وأسقى ".[4]

وفي مقابل هؤلاء العلماء ذهب جماعة من اللّغويين إلى أنّ هاتين الصّيغتين مترادفتان،[5] فأبو عبيدة يجعلهما لغتين بمعنى واحد،[6] وإلى ذلك ذهب ابن خالويه في توجيه هاتين القراءتين،[7] قال الأزهريّ: " هما لغتان: سَقَيْتُهُ، وَأَسْقَيْتُهُ بمعنى واحد، وقد جمع لبيد بين اللّغتين، [8] في قوله: [9]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْراً وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ

وقد احتجّ الطّبري ببيت لبيد هذا لاختياره قراءة الجمهور، قال: " الْعَــرَبُ قَــدْ تُدْخِلُ الْأَلِفَ فِيمَا كَانَ مِنَ السَّقْيِ غَيْرَ دَائِمٍ وَتَنْزِعُهَا فِيمَا كَانَ دَائِمًا، يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَــا مِنْ ذَلِكَ، قَوْلُ لَبِيدٍ فِي صِفَةِ سَحَابٍ ... غَيْرَ أَنَّ أَعْجَبَ الْقِرَاءَتَيْنِ إِلَيَّ قِــرَاءَةَ ضَــمِّ النُّونِ لِمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ أَكْثَرَ الْكَلَامَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِيمَا كَانَ دَائِماً مِنَ الــسَّقْيِ أَسْــقَى

---

[1] الرّاغب الأصفهاني، المفردات، ج1، ص415.

[2] الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص237.

[3] الجوهريّ، الصحاح، (سقي)، ج6، ص2379.

[4] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص108.

[5] الجواليقيّ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت: 540هــ)، **ما جاء على فعلْتُ وأفعلتُ بمعنى واحد**، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر، دمشق، ص46.

[6] النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص254.

[7] ابن خالويه، الحجّة، ص212.

[8] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص81.

[9] لبيد بن ربيعة، الديوان، ص71.

بِالْأَلِفِ فَهُوَ يَسْقِي، وَمَا أَسْقَى اللَّهُ عِبَادَهُ مِنْ بُطُونِ الْأَنْعَامِ فَدَائِمٌ لَهُمْ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَنْهُمْ ".[1]

ويرى الباحث أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا يجوز المفاضلة بينهما؛ فليس إحداهما تَفْضل على الأخرى بشيء، وأمّا بيت لبيد فإنّه يحتمل المعنيين معاً، قال الزّجاج: " وهذا البيت وضعه النّحويونَ على أنَّه سَقَى وأسْقَى بمعنى واحد، وهو يحتمل التّفسير الثّاني "،[2] قال المرزوقي معلّقاً على هذا البيت: "... وقد فصل بعضهم بين سَقَيْتُ وَأَسْقَيْتُ... وبعضهم يجعلهما سواءً، ويحتجّ ببيت لبيد... وإذا فصل بينهما في البيت لم يختل به لفظاً ولا معنىً، كما أنّه إذا سوي بينهما لم يختل معنىً ولا لفظاً، فكأنّه لا حجّة فيه لواحدٍ من القولين".[3]

وبناءً على ما تقدّم يذهب الباحث إلى أنّ هاتين القراءتين تحتملان وجهين؛ فهما إمّا أن تكونا لغتين بمعنى واحد، وهو قول له ما يؤيّده في كلام العرب. وإمّا أن تكونا بمعنيين مختلفين؛ فالقراءة بالفعل الثّلاثي (سَقَى) تخبر أنّ الله قد جعل ما استودعه في بطون الأنعام سقياً لكلّ وارد يطلب الشّرب، والقراءة الثّانية تصوّر مدى النّعم التي سخّرها لبني آدم، فإنّه سبحانه وتعالى قد هيّأ بطون الأنعام أن تكون معيناً دائماً يسقي الماء واللّبن، فهي تَسقي الظمأى والعطشَى، وهي في الوقت نفسه مورد لا ينضب يلبّي مطلب من يقصد الشّراب والسّقيا؛ ولعلّ أبا العبّاس المبرّد قد ألمح إلى قريب من هذا المعنى، حين قال: " نَسْقِيكم بالفتح ههنا أشبه بالمعنى ".[4]

---

[1] الطبريّ، جامع البيان، ج17، ص237.

[2] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص209.

[3] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: 421هـ)، (2003م)، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص76.

[4] النّحاس، إعراب القرآن، ج2، ص254.

(لَيُضِلُّونَ، لِيُضِلُّوا، لِيُضِلَّ)، (لَيَضِلُّونَ، لِيَضِلُّوا، لِيَضِلَّ): [1]

ورد الفعل (ضَلّ) بصيغة الفعل المضارع في مواضع مخصوصة من التنزيل، واختلف القرّاء فيها فضمّ بعضهم ياء المضارعة وفتحها البعض الآخر، وهذه المواضع هي:

1- في قوله تعالى: " وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ".[2]

2- ومن قوله عز من قائل: " رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ".[3]

قرأ عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (لَيُضِلُّونَ) و(لِيُضِلُّوا) في هذين الموضعين بضمّ ياء المضارعة فيهما، على وزن (يُفْعِلُ)، من أَضَلّ يُضِلُّ الرّباعي،[4] أي: "جَعَلَهُ ضَالّاً"،[5] والمعنى: "أَنَّهُمْ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ".[6] وقرأ الباقون الفعلين بفتح الياء على وزن (يَفْعَلَ)، من: ضَلَّ يَضِلُّ الثّلاثي،[7] بمعنى: " أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ فَيَجُورُونَ عَنْهُ".[8]

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلُّوا) و(لِيَضِلَّ) في المواضع الآتية بفتح الياء على وزن (يَفْعَلَ)، من: ضَلَّ يَضِلُّ الثّلاثي، وهي:

1- في قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ".[9]

---

1 ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص74، 81. شرح طيبة النشر، ص822، 258. تحبير التيسير، ص363، 469، 507، 534. النشر في القراءات، ج2، ص262، 299. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص314، 404. محيسن، الهادي، ج2، ص213، 343-344.

2 سورة الأنعام، الآية 119.

3 سورة يونس، الآية 88.

4 ابن خالويه، الحجّة، ص148.

5 ابن منظور، لسان العرب، (ضلل)، ص11، ص391.

6 الطبريّ، جامع البيان، ج12، ص71.

7 ابن خالويه، الحجّة، ص148.

8 الطبريّ، جامع البيان، ج12، ص71.

9 سورة إبراهيم، الآية 30.

2- وفي قوله جلّ جلاله: " ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ".[1]

3- ومن قوله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ".[2]

4- وقوله سبحانه: " وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ".[3]

وقرأ رويس بخلاف عنه (لِيَضِلُّوا) و(لِيَضِلَّ) بفتح الياء في سور (إبراهيم والحجّ والزمر. وأمّا موضع (لقمان) فإنّه قرأه بوجهين: بالفتح تارّة وبالضمّ تارّة أخرى. وروي عنه وجه ثانٍ قرأ فيه مواضع (إبراهيم والحجّ والزمر) بضمّ الياء.

وقرأ الباقون (لِيُضِلُّوا) و(لِيُضِلَّ) في المواضع كلّها بضمّ ياء المضارعة على وزن (يُفْعِلُ) من أَضَلّ يُضِلُّ الرّباعي.

إنّ المتأمّل لهذه القراءات ليلحظ أنّها تختلف في جهة تعلّق الفعل؛ فإنّ من قرأ بفتح الياء جعل الحدث يطلب الفاعل حسب، فصفة الضّلالة كائنة في نفسه، ومن اختار القراءة بضمّ الياء صيّر الفعل متعدّياً؛ ليتعلّق الحدث بالمفعول به، فألمح إلى أنّه مُضّلاً لغيره،[4] وهذا البون في تقدير جهة تعلّق الحدث لا يعني بالضّرورة أنّ هاتين القراءتين مختلفتان أو متضادتان في المعنى؛ لأنَّ الإنسان الضّال قد يكون " مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُضِلَّ غَيْرَهُ، وَلِأَنَّ الْمُضِلَّ لَا يَكُونُ فِي الْغَالِبِ إِلَّا ضَالّاً، إِلَّا إِذَا قَصَدَ التَّغْرِيرَ بِغَيْرِهِ. وَالْمَقْصُودُ التَّحْذِيرُ مِنْهُمْ وَذَلِكَ حَاصِلٌ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ.[5] قال أبو زيد: "أَبْرَمْتُ الرَّجَلَ إِبْراماً، وَأَضْلَلْتُهُ إِضلالاً حتى بَرِمَ بَرْمَاً وَضَلَّ ضلالة. قال: وتقول: ضَلَلْتُ الطّريقَ، والدّار أَضِلّها ضلالاً، وَأَضلَلْتُ الفرس والنّاقة والصّبيّ إضلالاً، وكذلك كلّ ما ضلّ عنك فذهب "،[6] ويقال: " ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ أَضِلّهُ،

---

[1] سورة الحج، الآية 9.

[2] سورة لقمان، الآية 6.

[3] سورة الزمر، الآية 8.

[4] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص130.

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص36.

[6] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص392.

وَضَلَلْتُه أَضلّهُ، وَضلَّ فُلانٌ الشَيْءَ يَضِلُّهُ إِذا جَعَلَهُ فِيْ مَكانٍ ثُمَّ لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، وَأَضلَّ الشَيْءَ إِذا ضَيَّعَهُ، ضلَّ فلانٌ، وَأَضلَّ غَيْرَهُ ".[1]

3.4 في زيادة الألف:

(وَمَا يَخْدَعُونَ)، (وَمَا يُخَادِعُونَ): [2]

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر (وَمَا يَخْدَعُونَ) من قوله الله تعالى: " وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ "[3] بفتح الياء وإسكان الخاء وحذف الألف وفتح الدّال، من خَدَعَ يَخْدَعُ خَدْعاً، " بالفَتْحِ، ويُكْسَرُ "،[4] " يقال: "خَدَعْتُ الرّجلَ أخدَعه خَدْعاً إِذا أظهرتُ لَهُ خِلاف مَا تخفي. وكل شَيْء كتمته فقد خدعته والاسم الخديعة والخدع"،[5] ويقال: " خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعاً وخِداعاً أي: ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم "،[6] والاسم: الخديعة ".[7]

---

1 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص383.

2 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص61. شرح طيبة النشر، ص168. تحبير التيسير، ص282. النشر في القراءات، ج2، ص207. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص142، 143. محيسن، الهادي، ج2، ص19، 20.

3 سورة البقرة، الآية 9.

4 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص712. الزبيديّ، تاج العروس، ج20، ص482، (خدع).

5 ابن دريد، جمهرة اللّغة، (خدع)، ج1، ص579.

6 الجوهريّ، الصحاح، (خدع)، ج3، ص1201.

7 المصدر نفسه.

وفي الحديث عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – إنّه قال: "الْحَرْبُ خُدَعَةٌ"،[1] حيث رُويت (الخدعة) بثلاثة أوجه: " بِفَتْحِ الْخَاءِ وَضَمِّهَا مَعَ سُكُونِ الدَّالِ، وَبِضَمِّهَا مَعَ فَتْحِ الدَّالِ"،[2] والأولى هي لغة الرّسول - صلى الله عليه وسلم - [3] حكاها ثعلب،[4] وقيل هي: " اللغةُ العاليةُ "،[5] قال أبو الفضل السّبكيّ: بِفَتْح الْخَاء وَسُكُون الدَّال كَذَا الْهَرَوِيّ وَأَكْثَر الرّواة لِلصَّحِيحَيْنِ وضبطها الْأصيلِيّ بِضَم الْخَاء وهما صَحِيحَانِ قَالَ أَبُو ذَر الْهَرَوِيّ وبِفَتْحِهَا لُغَة النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) وبالفتح وَحده قَالَهَا الْأَصْمَعِي وَغَيره وَحكى يُونُس فِيهَا الْوَجْهَيْنِ ووجهاً ثَالِثاً خُدْعَة بِالضَّمِّ وَفتح الدَّال ورابعاً خَدَعَة بفتحهما ".[6]

ويبيّن ابن الأثير معنى كل واحد من هذه الوجوه: " فَالْأَوَّلُ مَعْنَاهُ أَنَّ الحربَ يَنْقضي أمرُها بِخَدْعَةٍ واحدَة، مِنَ الْخِدَاعِ: أَيْ أَنّ المُقَاتلَ إِذَا خُدِعَ مرَّة وَاحِدَةً لَمْ تَكُنْ لَهَا إِقَالَة، وَهِيَ أَفْصَحُ الرِّوَايَاتِ وَأَصَحُّهَا. وَمَعْنَى الثَّانِي: هُوَ الاسْمُ مِنَ الْخِدَاعِ. وَمَعْنَى الثَّالِثِ أَنَّ الْحَرْبَ تَخْدَعُ الرِّجَالَ وتُمنّيهم ولَا تَفِي لَهُمْ، كَمَا يُقَالُ: فلانٌ رَجُلٌ لُعَبة وضُحَكَة: أَيُّ كَثِيرُ اللَّعِبِ والضَّحك ".[7]

---

1 أبو داود، سنن أبي داود، (باب المكر في الحرب، حديث رقم: 2636)، ج3، ص43. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت:1420هـ)، (2002م)، **صحيح أبي داود – الأم**، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، باب: المكر في الحرب، حديث رقم: 2369، ج7، ص387.

2 ابن الأثير، النهاية، ج2، ص14.

3 ابن دريد، جمهرة اللّغة، (خدع)، ج1، ص579.

4 ابن منظور، لسان العرب، (خدع)، ج8، ص64. الزبيديّ، تاج العروس، (خدع)، ج20، ص483.

5 الخطّابيّ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، (1985م)، **إصلاح غلط المحدثين**، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، ص68.

6 السبكيّ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (ت: 544هـ)، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث، ج1، ص231.

7 ابن الأثير، النهاية، ج2، ص14.

وروى الأزهريّ عن أبي عبيد قوله: " سمعتُ الكسائيّ يَقُول الحربُ خُدَعة. قَالَ: وَقَالَ أَبُو زيد مثلَه خُدَعة. قَالَ: ورجلٌ خُدْعة، إِذا كَانَ يُخدَع... وَقيل (الحربُ خُدْعة)، ثَلَاث لُغَات، وأجودها مَا قَالَ الكسائيّ وَأَبُو زيد (خُدَعة) "،[1] وقال ثعلب: " فيه ثَلَاثُ لُغَات خُدْعَةٌ بِضَمِّ الْخَاءِ وَتَسْكِينِ الدَّالِ وَخَدْعَةٌ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَتَسْكِينِ الدَّالِ وَخُدَعَةٌ بِضَمِّ الْخَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ ".[2]

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وَمَا يُخَادِعونَ) بياء مضمومة وخاء مفتوحة، وإقحام (ألف) بعدها مع كسر (الدّال)، من: خَادَعَ يُخَادِعُ خِدَاعًا ومُخادَعةً، فهو مخادِع،[3] وهو من باب (فاعل يُفاعل) الذي يحمل بصيغته معنى المشاركة والمفاعلة، إلّا أنّه في هذا السّياق قد غاير هذه الدّلالة، ليشير إلى طرف واحد يؤدّي ذاك الحدث، " ومثله قولهم: (عاقَبْتُ اللّص) و(عافاه الله) و(طارقتُ النعل) و(قاتَلَهُ اللهُ)، في حروف كثيرة جاءت للواحد "،[4] وفي ذلك يقول الأخفش: " وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة تقول: "باعَدْتُه مُباعَدَةً " و "جاوزتُه مجاوزَةً " في أشياء كثيرة. وقد قال {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} فذا على الجواب. يقول الرّجل لمن كان يخدعه اذا ظفر به "أَنَا الذي خدعتُكَ" ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه".[5]

وهناك من ذهب إلى أنّ (يخادع) في هذا السّياق هي بمعنى (يخدع)، أي: " يكون فاعَلَ بمعنى فَعَل"،[6] قاله أبو عبيدة،[7] إذ (المفاعلة) هي في الأصل للمغالبة، " والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مُغَالبة

---

[1] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (خدع)، ج1، ص111.

[2] النسفيّ، طلبة الطّلبة، ص87.

[3] ابن منظور، لسان العرب، (خدع)، ج8، ص63.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص133.

[5] الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص40. سورة النساء، الآية 142.

[6] السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج1، ص127.

[7] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص33.

ولا مبارة لزيادة قوّة الدّاعي إليه"،[1] يقول أبو حيّان: " الْمَعْنَى فِي الْخِدَاعِ إِنَّمَا هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْمَخْدُوعِ، بِأَنْ يَنْفَعِلَ لَهُ فِيمَا يُخْتَارُ، وَيُنَالُ مِنْهُ مَا يُطْلَبُ عَلَى غِرَّةٍ مِنَ الْمَخْدُوعِ وَتَمَكُّنٍ مِنْهُ وَتَفَعُّلٍ لَهُ، وَوَبَالُ ذَلِكَ لَيْسَ رَاجِعًا لِلْمَخْدُوعِ، إِنَّمَا وَبَالُهُ رَاجِعٌ إِلَى الْمُخَادِعِ، فَكَأَنَّهُ مَا خَادَعَ وَلَا كَادَ إِلَّا نَفْسَهُ بِإِيرَادِهَا مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ جَهْلاً مِنْهُ بِقَبِيحِ انْتِحَالِهِ وَسُوءِ مَآلِهِ. وَعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِالْمُخَادَعَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ، وَتَسْمِيَةِ الْفِعْلِ الثَّانِي بِاسْمِ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ الْمُسَبِّبِ لَهُ".[2]

ويجوز أن يكون الفعل قد صيغ على هذه الهيئة طلباً للمشاكلة اللّفظيّة للفعل الواقع في صدر الآية الكريمة، "وأن يسمّى الفعل الثّاني باسم الفعل الأوّل المسبّب له"،[3] وهو قوله سبحانه وتعالى: " يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا"،[4] ومنه قوله تعالى: " فمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُم فاعْتَدوا عَلَيْهِ بمثلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُم"[5].

ويحتمل أن تكون المفاعلة في هذا السّياق الكريم على بابها، فيشترك في صنع الحدث اثنان يتصارعان لنيل الغلبة، ولكنّ هذه المنافسة هي من نوع آخر، إنّها مغالبة النّفس للنّفس! فهؤلاء القوم قد ظنّوا أنّ لهم الظّفر والنّصر، فراحوا يمنّون أنفسهم ويُغرّرون بها، فيزينون لها من الأباطيل ما يخدعونها بها، وهي في المقابل تخدعهم به أيضاً، " فَكَأَنَّهَا مُجَاوَرَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ ".[6] وفي كلام العرب شعره ونثره ما يعضّدُ هذا التّوجيه الأخير، ومنه قول الكميت:[7]

---

[1] الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص58. ابن عادل، اللّباب، ج1، ص338.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص93.

[3] ابن عطيّة، التحرير والتنوير، ج1، ص90.

[4] سورة البقرة، الآية 9.

[5] سورة البقرة، الآية 194.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص93.

[7] الكُميت بن زيد بن الأخنس (226ه)، (2000م)، **ديوان الكُميت بن زيد الأسدي**، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر، بيروت، ص256. الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي (ت: 377هـ)، (1988م)، **كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب**، تحقيق وشرح: محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط1،

تَذَكَّرَ مِنْ أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ شُرْبُه، يُؤامِرُ نَفْسَيْه كَذِي الهَجْمَةِ الأَبِلِ

وأَنشد الطَّوْسِيُّ: (1)

لمْ تَدْرِ مَا لَا؛ ولَسْتَ قائِلَها، عُمْرَك مَا عِشْتَ آخِرَ الأَبَدِ

ولَمْ تُؤامِرْ نَفْسَيْكَ مُمْتَرِياً فِيهَا وَفِي أُخْتِها، ولَمْ تَكَدِ

وقال آخر:(2)

يؤامِرُ نَفْسَيْهِ، وَفِي العَيْشِ فُسْحَةٌ، أَيَسْتَرْجِعُ الذُّؤْبَانَ أَمْ لَا يَطُورُهَا؟

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابيّ:(3)

وَكُنْتُ كَذَاتِ الضَّيِّ لَمْ تَدْرِ إِذْ بَغَتْ تُؤَامِرُ نَفْسَيْهَا أَتَسْرِقُ أَمْ تَزْنِي

ويعلّق أبو حيان على هذه الشّواهد بقوله: " فَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قَدْ جُعِلَ لِلشَّخْصِ نَفْسَيْنِ عَلَى مَعْنَى الْخَاطِرَيْنِ ".(4)

وهكذا كانت هاتان القراءتان تعضّد كلّ واحدة منهما الأخرى، فهؤلاء المنافقون قد وهموا أنّ الغلبة لهم بالمكر والخداع، فإذا الدّائرة تدور عليهم، " فهم يخدعون أنفسهم ويغشونها. يخدعونها حين يظنّون أنّهم أربحوها وأكسبوها بهذا النّفاق، ووقوها مغبّة المصارحة بالكفر بين المؤمنين. وهم في الوقت ذاته يوردونها موارد التّهلكة بالكفر الذي يضمرونه، والنّفاق الذي يظهرونه. وينتهون بها إلى شر مصير! "(5)

القاهرة، مصر، ص320. ابن منظور، لسان العرب، (أبل)، ج11، ص4. أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص93.

1 البيت بلا نسبة. ابن منظور، لسان العرب، (نفس)، ج6، ص234. أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص93.

2 البيت بلا نسبة. ابن منظور، لسان العرب، (نفس). أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص93.

3 البيت بلا نسبة. الفارسي، الحجة، ج1، ص319. أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص94.

4 أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص94.

5 قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت:1385هـ)، (1992م)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط17، بيروت، القاهرة، ج1، ص43.

وعلى صعيد آخر اتّفق القرّاء العشرة على قراءة (يُخَادِعون) من قوله تعالى: " يُخادِعُونَ اللَّهَ "[1]، ومن قوله تعالى: " إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ "[2] بضمّ الياء وفتح الخاء وإقحام ألف بعدها وكسر الدّال.[3] كما اتّفقوا على قراءة (يَخْدَعوك) من قوله تعالى: " وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ "[4] بفتح الياء وإسكان الخاء وحذف الألف وفتح الدّال.

(وَوَاعَدْنَا)، (وَعَدْنَا):[5]

وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر (وَعَدْنَا) من قوله تعالى: " وَإِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً"،[6] وقوله تعالى: " وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً "،[7] وقوله تعالى: "وَواعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ"،[8] وذلك بحذف الألف التي بعد الواو، على وزن (فَعَلْ) من وَعَدَ يَعِدُ[9] وَعْداً،[10] وهي اختيار أبي عبيد " وأنكر واعدنا قال: لأنّ المواعدة إنّما تكون من البشر، فأمّا الله جلّ وعزّ فإنّما هو المنفرد بالوعد

---

1 سورة البقرة، الآية 9.

2 سورة النساء، الآية 142.

3 ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص207.

4 سورة الأنفال، الآية 62.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص62. شرح طيبة النشر، ص173. تحبير التيسير، ص286. النشر في القراءات، ج2، ص212. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص155. محيسن، الهادي، ج2، ص27.

6 سورة البقرة، الآية 51.

7 سورة الأعراف، الآية 142.

8 سورة طه، الآية 80.

9 سيبويه، الكتاب، ج4، ص330.

10 ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج2، ص668. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص30.

والوعيد"،[1] وقد وافقه على هذا المعنى أبو حاتم ومكيّ،[2] يقول أبو حاتم: " أَكْثَرُ مَا تَكُونُ الْمُوَاعَدَةُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُتَكَافِئِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعِدُ صَاحِبَهُ "[3].

وقد غلّط أبو جعفر النّحاس أبا عبيد في قوله هذا، قال: " هذا غلط بيّن لأنه أدخل بابا في باب وأنكر ما هو أحسن وأجود و(واعدنا) أحسن وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي، وليس قوله سبحانه: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا " من هذا في شيء، لأنّ واعدنا موسى إنّما هو من باب الموافاة وليس هو من الوعد والوعيد في شيء وإنّما هو من قول: موعدك يوم الجمعة، وموعدك موضع كذا، والفصيح في هذا أن يقال: واعدته ".[4]

وقرأ الباقون (وَوَاعَدْنَا) بألف بعد الواو على وزن (فَاعَلَ) من: وَاعَدَ يُوَاعِدُ مُوَاعَدَةً، وهذه الصّيغة تعني وجود اثنين يحصل بينهما أمر المواعدة وهو ما كان؛ إذ " المواعدة كَانَت من الله وَمن مُوسَى فَكَانَت من الله عزّ وجلّ أنّه وعد موسى – عليه السّلام – باللّقاء على الطّور ليكلّمه إعلاءً لشأنه وتكريماً وتثبيتاً له فكان من موسى إلّا أن ينصاع للأمر الإلهي " وواعد موسى ربّه المصير إِلَى الطّور لما أمره بِهِ[5] وقيل: وهي إنّما وردت بصيغة المفاعلة؛ " لأنّ الطّاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله وعْدٌ، ومن موسى قبول واتباع، فجرى مجرى المواعدة "، حكاه أبو إسحاق الزجّاج،[6] وهو بهذا التّأويل الأخير نظير قوله تعالى: " لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً"،[7] قال الكسائيّ: "وليس قولُ الله: " وَعَدَ الله الذين آمَنُواْ " من هذا البابِ في شيء؛ لأنّ واعَدْنا موسى إنّما هو من بابِ الموافاة وليس من الوَعْد في شيء، وإنّما هو من قولك: مَوْعِدُكَ يومُ كذا وموضعُ كذا، والفصيحُ في هذا واعَدْنا.

---

[1] النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص52.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص321.

[3] المصدر نفسه.

[4] سورة المائدة، الآية 9. النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص53.

[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص96.

[6] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص133. الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص150.

[7] سورة البقرة، الآية 235. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص64.

وقال مكي أيضاً: " والاختيارُ واعَدْنا بالألفِ، لأنّه بمعنى وَعَدْنَا في أحدِ مَعْنَيَيْه، ولأنّه لا بُدَّ لموسى من وَعْدٍ أو قبول يقُومُ مقامَ الوعدِ فتَصحّ المفاعلة ".[1]

ويجوز أن تكون هذه القراءة من باب (فاعلت) بمعنى (فعلت) نحو: عاقبت اللّص، وطارقت نَعْلي، وسافرت أمس،[2] يقول أبو البقاء: " وَيُقْرَأُ وَاعَدْنَا بِأَلِفٍ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْمُفَاعَلَةِ الْوَاقِعَةِ مِنَ اثْنَيْنِ، بَلْ مِثْلُ قَوْلِكَ: عَافَاهُ اللَّهُ، وَعَاقَبْتُ اللِّصَّ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ مِنَ اللَّهِ، وَالْقَبُولَ مِنْ مُوسَى، فَصَارَ كَالْوَعْدِ مِنْهُ، وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَعِدَ بِالْوَفَاءِ فَفَعَلَ ".[3]

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا الحسن الأخفش يذهب في تفسير قوله تعالى: " وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " أنّ الوعد كان من ربّ البريّة لموسى – عليه السّلام – على التّعيين، قال معناها: " واعدناه انقضاءَ أربعين ليلة، أي: رأسَ الأربعين، كما قال: " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ "، وهذا مثل قولهم " اليومَ أربعونَ يوماً منذُ خرجَ " و" اليومَ يومانِ" أي: " اليومَ تمامُ الأربعين" و" تمامُ يَوْمَيْن ".[4]

(تُفَادُوهُمْ)، (تَفْدُوهم): [5]

وقرأ الكسائيّ ويعقوب وعاصم ونافع وأبو جعفر (تُفَادُوهُمْ) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ "[6] بضمّ التّاء وفتح الفاء وألف بعدها، من " فَادَاهُ يُفَادِيه مُفَادَاةً إذا أعطى فِداءه وأنقذه "،[7] قال الشّاعر:[1]

---

1 مكي، الكشف، ج1، ص240. السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج1، ص353.

2 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص52. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص96.

3 العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص62.

4 سورة يوسف، الآية 82. الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص99، 100.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص63. شرح طيبة النشر، ص179. تحبير التيسير، ص291. النشر في القراءات، ج2، ص218. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص169. محيسن، الهادي، ج2، ص42.

6 سورة البقرة، الآية 85.

7 ابن منظور، لسان العرب، (فدي)، ج15، ص150.

فَلَوْ كانَ مَيْتٌ يُفْتَدَى، لَفَدَيْتُه،   بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ

وتقول العرب: " فاديتُ الأسير، وكان أخي أسيراً ففادَيتُه بأسير "،[2] قال نصيب:[3]

ولَكِنَّنِي فَادَيْتُ أُمِّي، بَعْدَ ما   عَلا الرأْسَ مِنْهَا كَبْرَةٌ ومَشِيبُ

بِعَبْدَيْن مَرْضِيَّيْنِ لم يَكُ فيهما   لَئِنْ عُرِضا للناظِرين مَعِيبُ

والمُفاداة هي: " أَن تَدْفَعَ رَجُلًا وتأْخذ رَجُلًا "، قاله أبو العبّاس المبرّد،[4] وقيل: " المُفَادَاة: أَنْ تَفْتَكَّ الأسِيرَ بأَسِيرٍ مِثْلِه "،[5] " وتفادوا أي فدى بعضه بعضاً "،[6] ويكون معنى هذه القراءة: " تُماكِسُون مَن هُمْ فِي أَيديهم فِي الثَّمَنِ ويُماكِسُونكم "، حكاه أبو معاذ،[7] وهذه القراءة هي اختيار أبي حاتم.[8]

وقرأ الباقون (تَفْدُوهم) بفتح التّاء وإسكان الفاء وحذف الألف التي بعدها، من فَدَى[9] يَفْدي فِدْيَةً، وهو " مِنَ الْفِدَاءِ وَهُوَ الْعِوَضُ مِنَ الشَّيْءِ صِيَانَةً لَهُ "،[10] وحكى أبو العبّاس المبرّد: " المُفَاداةُ أَنْ تَدْفعَ رجُلاً وتأخذَ رَجُلاً، والفِداءِ أَن تَشْتَرِيه، فديتُه

---

[1] البيت لغريقة بن مُسافع الْعَبْسِي، الأصمعيّ، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: 216هـ)، (1993م)، **الأصمعيات اختيار الأصمعي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط7، دار المعارف، مصر، ص99.

[2] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص163.

[3] نُصَيْب بن رباح، (108ه)، (1967م)، **شعر نصيب بن رباح**، جمع وتقديم: داوود سلّوم، مكتبة مروان العطيّة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ص65. الأزهريّ، تهذيب اللغة، فدي. ابن منظور، لسان العرب، فدي.

[4] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، ج14، ص140. الفيوميّ، المصباح المنير، ج2، ص465. الزبيديّ، تاج العروس، ج39، ص221، (فدي).

[5] ابن الأثير، النهاية، ج3، ص421.

[6] الجوهريّ، الصحاح، (فدي)، ج6، ص2453.

[7] ابن منظور، لسان العرب، (فدي)، ج15، ص150.

[8] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص230.

[9] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص469.

[10] الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص592.

بِمَالِي فِداء وفديتُه بنفسي"[1] وقال أبو معاذ: "معناه تَشْتَرُوهم من العَدُوِّ وتُنْقِذُوهم".[2]

وروى صاحب (التّهذيب) عن نُصَيْر الرّازي قوله: " فادَيْتُ الأسِيرَ والأُسارَى، هَكَذَا تقولُه العَرَبُ: ويقُولونُ: { فَدَيْتُه بأَبي وأُمِّي } وفَدَيْتُه بمالٍ كأَنَّك اشْتَرَيْته وخَلَّصْتُه بِهِ إِذا لم يَكُنْ أَسِيراً، وَإِذا كانَ أَسِيراً مَمْلوكاً قُلْت {فادَيْته؛ كَذَا تقولُه العَرَبُ... قَالَ وَإِذا قلت: فديْتُ الأسيرَ فَهُوَ أَيْضاً جَائِز بِمَعْنى فَدَيْتُه مِمَّا كَانَ فِيهِ أَي خلَّصتُه مِنْهُ، وفَاديْتُ أحسنُ فِي هَذَا الْمَعْنى"،[3] وهذه القراءة هي اختيار أبي عبيدة.[4]

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان بمعنى واحد؛ إذ المفاعلة يمكن أن تغيّر معنى المشاركة فتكون مسندة للواحد أي: تغدو " فَفَاعَلَ بِمَعْنَى: فَعَلَ الْمُجَرَّد "،[5] نحو: عاقبت اللّص، وسافرتُ إلى بلاد كذا. يقول ابن عاشور: " فَاسْتِعْمَالُ فَادَى هُنَا مَسْلُوبُ الْمُفَاضَلَةِ مَثْلَ عَافَاهُ اللَّهُ "،[6] ومنه قول امرئ القيس:[7]

فَعَادَى عَدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ   دِرَاكًا ولَمْ يَنْضَح بماءٍ فيُغسَلِ

وممّا تقدّم نلحظ عبر هذا البيان لدلالات (الفديّة والمفاداة) مدى التآلف والتّكامل بين هاتين القراءتين؛ حيث يأخذ كل واحدة منهما بركاب الأخرى؛ فــ (فدى) في أصل استعماله اللّغوي يعني " أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ شَيْءٍ حِمًى لَهُ "،[8] فإذا صادف أن قال أحدهم: إنّي أفديك بكذا، كان مراده أنّه يحميه بنفسه " أَوْ بِشَيْءٍ يُعَوِّضُ عَنْهُ"،[9] وهذا العوض قد يكون من طرف واحد بالمال أو بالنّفس، وقد يكون تبادليّاً مشتركاً، هذا عوض هذا وذاك مكان هذا فتلك (المُفاداة). يقول صاحب (الدرّ

---

[1] الازهريّ، تهذيب اللّغة، (فدي)، ج14، ص140.

[2] الزبيديّ، تاج العروس، (فدي)، ج39، ص222.

[3] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (فدي)، ج14، ص141.

[4] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج1، ص230.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص469. ابن عادل، اللّباب، ج2، ص251.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص591.

[7] امرؤ القيس، الديوان، ص62. أبو علي القالي، الأمالي، ج2، ص229.

[8] ابن فارس، مقاييس اللّغة، (فدي)، ج4، ص483.

[9] المصدر نفسه.

المصون): " والظّاهرُ أن (تُفادهم) على أصله من اثنين، وذلك أن الأسيرَ يعطي المالَ والآسرَ يعطي الإطلاقَ، وتَفْدُوهم على بابِه من غيرِ مشاركةٍ، وذلك أنَّ أَحدَ الفريقين يَفْدي صاحبه من الآخر بمالٍ أو غيره، فالفعلُ على الحقيقة من واحدٍ، والفداءُ ما يُفْتَدَى به".[1]

(تُقَاتِلُوهُمْ، تَقْتُلُوهُم)، (يُقَاتِلُوهُم، يَقْتُلُوهُمْ)، (قَاتَلُوكُمْ، قَتَلُوكُمْ): [2]

قرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر (ولا تَقْتُلُوهُمْ، حَتّى يَقْتُلُوكُمْ، فَإِنْ قَتَلُوكُمْ) من قوله تعالى: " وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ "[3] بفتح تاء الفعل الأوّل وياء الثّاني، وإسكان القاف فيهما وضمّ التاء بعدها، وحذف الألف التي بعد القاف في المواضع الثلاثة، من قَتَلَ يُقْتَل قَتْلاً، فهو " من القَتل على معنى لا تقتلوا بعضهم. تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنّما قتلوا بعضهم، لفظه عام ومعناه خاص"،[4] ويقول الأزهريّ في تأويل هذه القراءة: " من قرأ: (لا تَقتُلوهم) فالمعنى: لا تَبدَأُوهم بقَتل حتى يَبدَأوكم به، وجاز ولا تَقتُلوهم وإن وَقع القَتْل ببَعضٍ دون بعض، لأنّ العرب تقول: قَتَلنا القوم، وإنما قَتَلوا بعضَهُم ".[5]

ويُروى " أَنَّ الْأَعْمَشَ قَالَ لِحَمْزَةَ: أَرَأَيْتَ قِرَاءَتَكَ إِذَا صَارَ الرَّجُلُ مَقْتُولًا فَبَعْدَ ذَلِكَ كَيْفَ يَصِيرُ قَاتِلاً لِغَيْرِه؟ فَقَالَ حَمْزَةُ: إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَالُوا قُتِلْنَا، وَإِذَا ضُرِبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَالُوا ضُرِبْنَا ".[6] ويرى أبو حيّان أنّ هذه القراءة يمكن حملها على المجاز، فيجوز أن يكون المعنى: " وَلَا تَأْخُذُوا فِي قَتْلِهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي

---

[1] السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج1، ص483.

[2] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص65. شرح طيبة النشر، ص193. تحبير التيسير، ص302. النشر في القراءات، ج2، ص227. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص201. محيسن، الهادي، ج2، ص73.

[3] سورة البقرة، الآية 191.

[4] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص88.

[5] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص195، 196.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص290.

قَتْلِكُمْ "،[1] ويجوز أيضاً أن يكون المراد: " وَلَا تَقْتُلُوا بَعْضَهُمْ حَتَّى يَقْتُلُوا بَعْضَكُمْ "،[2] ومنه قول امرئ القيس:[3]

فإنْ تَقْتُلُونا نُقَتِّلْكُمُ؛ وَإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ

وقرأ الباقون بصيغة (فاعَلَ) بإقحام ألف بعد القاف في المواضع كلّها، مع ضمّ تاء الفعل الأوّل وياء الثّاني وفتح القاف فيهما مع كسر تائهما، من قاتَلَ يُقاتِل قِتالاً ومُقاتَلة، والمعنى: "ولا تبتدئوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام، حتى يبدأوكم به، فإن بدأوكم به هناك عند المسجد الحرَام في الحرم فاقتلوهم، فإنّ الله جعل ثَواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيّئة، القتلُ في الدّنيا والخزي الطّويل في الآخرة ".[4]

(تُمَاسُّوْهُنَّ، تَمَسُّوهُنَّ):[5]

اختلف القرّاء العشرة في قراءة (تمسّوهن) حيثما وردت في القرآن المجيد، وقد جاءت في ثلاثة مواضع، وهي:

1- قوله تعالى: " لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ".[6]
2- في قوله تعالى: " وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ".[7]
3- في قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ".[8]

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص244.
[2] المصدر نفسه.
[3] امرؤ القيس، الديوان، ص88.
[4] الطّبري، جامع البيان، ج3، ص566. 567.
[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص197. تحبير التيسير، ص305. النشر في القراءات، ج2، ص228. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص208. محيسن، الهادي، ج2، ص82.
[6] سورة البقرة، الآية 236.
[7] سورة البقرة، الآية 237.
[8] سورة الأحزاب، الآية 49.

حيث قرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر (تَمَسُّوهن) (تُماسّوهنّ) بضمّ التّاء وإقحام ألف بعد الميم، على وزن (تُفَاعِلُوهُنّ)، على إرادة المشاركة والمفاعلة؛ حيث إنّ " بدن كل واحد منهما يمسّ بدن صاحبه فيتماسّان جميعاً "،[1] " والمُماسَّةُ: كنايةٌ عن المُباضَعة؛ وكذلك التماسُّ "، حكاه الجوهريّ،[2] قال السّمين: معنى المفاعلة في هذه القراءة هو: " المشاركة، ... فإنَّ الفعلَ مِن الرّجلِ والتّمكينَ من المرأة، ولذلك قيلَ لها زانيةٌ "،[3] ونظيره قول متنزّه التّنزيل: " فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ".[4]

وقرأ الباقون (تَمسّوهنّ) بفتح التّاء وتقصير الألف على وزن (فَعَلَ)، من: " مَسستُ أَمَسَّهُ "[5] ذي الدّلالة الإفراديّة؛ إذ إنّ " الغشيان إنّما هو من فعل الرّجل "،[6] وهو الجماع، قاله ابن عباس- رضي الله عنهما –[7] قَالَ أبو العباس ثعلب: " اخْتَار بَعضهم (مَا لم تَمَسُّوهن) وَقَالَ: لأنّا وجَدْنَا هَذَا الحرفَ فِي غير مَوضِع من الْكتاب بِغَيْر ألف "وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" فكلُّ شَيْء من هَذَا الْبَاب فَهُوَ فِعل الرّجل فِي بَاب الغِشْيان".[8]

وقد احتجّ أنصار قراءة القصر على صحّة قراءتهم، أنّ أكثر ما ورد من ألفاظ في معنى النّكاح والجماع قد صيغت من باب (فَعَلَ)،[9] نحو: " نَكَحَ وَسَفَدَ وَفَزِعَ وَدَقَطَ وَضَرَبَ"،[10] وفي التّنزيل قرائن تشهد بذلك، منها قوله تعالى: " قَاصِرَاتُ

---

[1] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص188.

[2] الجوهريّ، الصحاح، (مسس)، ج3، ص978.

[3] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص486.

[4] سورة المجادلة، الآية 3.

[5] الجوهريّ، الصحاح، (مسس)، ج3، ص978. هذه هي اللّغة الفصيحة (مَسِسْتُ) بكسر العين، وروي عن أبي عبيد (مَسُسْتُ) بالضم.

[6] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص188.

[7] النّحاس، معاني القرآن، ج1، ص230.

[8] سورة آل عمران، الآية 47. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (مسس).

[9] الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص474.

[10] أبو حيّان، البحر المحيط، ج2، ص528.

الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ "،[1] وقوله سبحانه: " بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"،[2] قال سيبويه: "ونكحها نكاحاً، وسفدها سفاداً"،[3] وقال أيضاً: " وقالوا: ضربها الفحل ضراباً كالنّكاح، والقياس ضَرْباً، ولا يقولونه كما لا يقولون نَكْحَاً وهو القياس. وقالوا: دَفَعَهَا دَفْعَاً كالقرقع، وذقطها ذقطاً، وهو النّكاح ونحوه من باب المباضعة ".[4]

قال الفارسيّ معلّقاً على قراءة حمزة وأصحابه: " ألا ترى أنّه جاء على: فعَل دون فَاعَل، ... فكما أنّ هذه الأفعال على فَعَل دون فاعَل، فكذلك ينبغي أن يكون في الموضع المختلف فيه ".[5] ويقول الرّازي في ذلك أيضاً: " الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْمَسِّ: الْغِشْيَانُ، وَذَلِكَ فِعْلُ الرَّجُلِ، وَيَدُلُّ في الآية الثّانية على الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْمَسِّ الْغِشْيَانُ، وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الظِّهَارِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا "، فَالْمُرَادُ بِهِ الْمُمَاسَّةُ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الْجِمَاعِ وَهِيَ حَرَامٌ فِي الظِّهَارِ "،[6] قال أبو العباس ثعلب: " فكلُّ شَيْء من هَذَا الْبَاب فَهُوَ فِعل الرجل فِي بَاب الغِشْيان ".[7] ويجوز أن تكون (فاعل) في القراءة الثّانية هي من باب (فاعل) بمعنى (فَعَلَ)،[8] نحو: " طَارَقْتُ النَّعْلَ، وَعَاقَبْتُ اللِّصَّ ".[9]

وأحسب أنّ هاتين القراءتين تفضي كلّ واحدة منهما للأخرى؛ فالجماع هو فعل إنجازيّ لا يتحصّل إلا باشتراك طرفين اثنين في تحقيقه، إلاّ أنّ هذا الفعل قد ينجز على مرحلتين، فإنّ المبادرة في النّكاح لا يكون في الأغلب إلا من الرّجل ثم ينعقد بقبول المرأة، فإذا كانت لحظة المس المباح شرع الزّوج بإزالة غشاوة الحياء التي

---

[1] سورة الرحمن، الآية 56.

[2] سورة النساء، الآية 25.

[3] سيبويه، الكتاب، ج4، ص9. الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص337.

[4] المصدران السابقان.

[5] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص337.

[6] سورة المجادلة، الآية 3. الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص474.

[7] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (مسس)، ج12، ص226.

[8] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص338.

[9] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص199.

تتمنّع بها المرأة بالفطرة، فإذا كان له ذلك بالمودّة التي أوجدها لهما فالق الحبّ والنّوى جرت المماسة منهما معاً فكلّ منهما يطلب صاحبه بما قسمه الله بينهما من الرّحمة ورابط الشّرع المتين، ولذلك قيل: المسّ هو كناية عن النّكاح، فقيل: " مسّها وماسّها ".[1]

ولعلّ هذا ما يفسّر – في ظنّي – إجماع القرّاء على قراءة (يَمْسَسْنِيْ) في سورة مريم – عليها السّلام – بهذه الصّيغة؛ إذ هو بمعنى ما تزوّجني أحد أي ما أبحت لأحد بالمسّ فأحمل كبقيّة النّساء، وهذا أيضاً يفسّر لنا سبب إسناد ضمير الاثنين للفعل (يتماسّا) من قوله تعالى: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا "؛[2] ذلك أنّهما أعني الزّوجين قد كان منهما المسّ من قبل، ثم كان التّحريم بفعل الإظهار، فلمّا زال ما كان مانعة بالحرمة، صار المسّ منهما مباحاً كما كان، " وبذلك تحل الزّوجة مرة أخرى، وتعود الحياة الزّوجية لسابق عهدها ".[3]

(فَآذِنُوا، فَأْذَنُوا):[4]

قرأ حمزة وشعبة (فأذنوا) من قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"[5] بألف بعد الهمزة وكسر الذّال، على وزن (فَاعَلوا)، وهو فعل أمر من: "آذَنَ الرُّبَاعِيِّ بِمَعْنَى: أَعْلَمُ، مِثْلَ قَوْلِهِ: فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ"،[6] حكاه سيبويه،[7] ويقال: " قد آذَنْتُه بِكَذَا وكَذَا، أُوذِنه إِيذَاناً، إِذا أَعْلَمْته؛ وقد أَذِنَ بِهِ يَأْذَن، إِذا عَلِم "،[8]

---

[1] الأصفهاني، المفردات، ص767.

[2] سورة المجادلة، الآية 3.

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2824.

[4] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص67. شرح طيبة النشر، ص203. تحبير التيسير، ص315. النشر في القراءات، ج2، ص236. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص224. محيسن، الهادي، ج2، ص97.

[5] سورة البقرة، الآية 279.

[6] سورة الأنبياء، الآية 109. أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص714.

[7] سيبويه، الكتاب، ج4، ص62. الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص413.

[8] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (أذن)، ج15، ص15.

والمعنى: " فاعلموا مَن وراءكم أن كل مَنْ لم يترك الربا فهو حَرب"،[1] وروى أبو عبيد عن الأصمعيّ قوله: " فأذنوا، فكونوا على أذن من ذلك أي على علم ".[2]

وقرأ الباقون (فَأْذَنُوا) بتقصير الألف وفتح الذّال على وزن (فَعَلوا)، وهو فعل أمر من: "أَذِنَ، الثُّلَاثِيِّ، مِثْلَ قَوْلِه: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ"،[3] ومعناه: "فاعلموا أنتم به"،[4] أو "كُونُوا عَلَى عِلْمٍ"،[5] يقال: "أذن الشّيء يأذَن أَذْنًا وأَذانَة إذا سمعه وعلمه. قال الله: وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ"،[6] أي: "اعلموا ذَلِك واسمعوه، وكُونُوا على أذن مِنْهُ"،[7] وقيل: معناه: "فَأَنْصِتُوا"،[8] وحكى الجوهريّ: "وأَذِنَ له أَذَناً: استمع"،[9] قال قَعْنَب بن أمّ صَاحِب:[10]

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طارُوا بِهَا فَرَحاً مِنِّي، وَمَا سَمِعوا مِنْ صالِحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إِذَا سمِعوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ، وإِنْ ذُكِرْتُ بشَرٍّ عِنْدَهم أَذِنوا

قال الزجاج: معناه: "أيقِنُوا "،[11] وحكى أبو بكر بن الأنباريّ عن العرب قولهم: " إيذنوا بحَرب "، قال أبو بكر: "معناه: اعلموا ذلك وتيقنوه واسمعوه. يقال قد أذن الرّجل يأذن إِذْناً: إذا سمع وعلم، وقد آذنته للصّلاة: إذا أعلمته حضورَها ".[12]

وهكذا كانت هذه الآية تهديداً ووعيداً لأولئك الذين غرّتهم الحياة الدّنيا فطمعوا بأموال النّاس فأخذوهم بالرّبا، غاضّين الطّرف عن أمر المولى بالكفّ عن ذلكم

---

1 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص231، 232.

2 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص134. ابن منظور، لسان العرب، (أذن).

3 سورة النبأ، الآية 8. أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص714.

4 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص189.

5 ابن سيده، المحكم، (أذن).

6 سورة الانشراح، الآية 2. الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج2، ص285.

7 السجستانيّ، غريب القرآن، ص101.

8 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (أذن)، ج15، ص15.

9 الجوهري، الصحاح، (أذن)، ج5، ص2068.

10 ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص10. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص1013.

11 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص359.

12 الأنباري، الزاهر، ج2، ص4.

الفعل، فإن لم ينصاعوا لما نهوا عنه (فأذنوا) ولينتظروا حرباً ذات بأس شديد، فإن أقرّوا وامتثلوا لإرادة ربّ البريّة، كان عليهم أن (يؤذنوا) فيُعرِّفوا أقرانهم بما علموه من وخيم المصير لفعلهم إن لم ينتهوا كما انتهوا، فهو إذن علم وإعلام.

(وَيُقَاتِلون)، (وَيَقْتُلُون):[1]

قرأ حمزة وحده (وَيُقَاتِلون) من قوله تعالى: " وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ "[2] بياء مضمومة وألف بعد القاف وياء مكسورة، على وزن (يُفاعِلونَ)، من قاتل يُقاتِلُ، والمعنى: " أنّه يقاتلون الذين يخالفونهم في كفرهم، والمقاتلة من اثنين، والقتل من واحد ".[3] وقرأ الباقون (وَيَقْتلون) بياء مفتوحة وقاف ساكنة، وحذف الألف التي بعدها، على وزن (يَفعَلون) من قَتَلَ يَقْتلُ، والمعنى: " أنّهم يَقتُلون الذين لا يقاتلونهم".[4] واتّفق القرّاء العشرة على قراءة (وَيَقْتلون) الّتي في صدر الآية الكريمة وهي قوله تعالى: " وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ "[5] بياء مفتوحة وقاف ساكنة.

لقد دلّت هذه الآية الكريمة على صفات الكافرين ومن شايعهم من اليهود الذين كان من أسلافهم قتلة الأنبياء، ولو أنّهم أمكنوا من ذلك لاستنّوا بهذه السّنة فقتلوا الرّسول والذين معه من الصّالحين الأبرار، وهم في الوقت نفسه من عادتهم العداوة والغدر؛ فإنّهم لا ينتظرون قتالاً من أحد فيقاتلوه لمقاتلته إيّاهم، واعتدائه عليهم، إنّما القتل صفة لازمة فيهم، فَيَقْتلون ويقاتلون، " ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت ".[6]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص205. تحبير التيسير، ص320. النشر في القراءات، ج2، ص246. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص234. محيسن، الهادي، ج2، ص105.

2 سورة آل عمران، الآية 21.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص246.

4 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص246.

5 سورة آل عمران، الآية 21.

6 الألوسيّ، روح المعاني، ج2، ص105.

(أَتَيْتُمْ، آتَيْتُمْ):[1]

انفرد ابن كثير من بين القرّاء العشرة بقراءة (آتيتم) من قوله تعالى:

1- " فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ".[2]

2- " وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ".[3]

حيث قرأهما (أتيتم) بتقصير الألف، على وزن (فَعَلَ)، من: أتى يأتي، أي: جاء وفعل،[4] ومعناهما: " ما جئتم وفعلتم "،[5] يقال: " أتيت جميلا. أي: فعلته "،[6] " وَأَتَى إِلَيْهِ، إِحْسَانًا فَعَلَهُ، وَقَالَ: " إِنَّ وَعْدَهُ كَانَ مَأْتِيًّا "، أَيْ: مَفْعُولًا "،[7] قال زهير:[8]

فَمَا يَكُ مِنْ خَيرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّما   تَوارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

قال الواحديّ: " يعني: فعلوه وقصدوه. ويكون التسليم على هذه القراءة بمعنى الطّاعة والانقياد، لا بمعنى تسليم الأجرة "،[9] والمعنى: " إذا سَلَّمتم ما جِئْتُمُ وفَعَلْتُم ".[10]

وقرأ الباقون (آتيتم) بتطويل الألف على وزن (أَفعَلَ)، من آتى يأتي، أي: أعطى،[11] بآية من قوله تعالى: " إِذا سَلَّمْتُمْ "، " والتّسليم لا يكون إلّا بالإعطاء"،[1]

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص169. تحبير التيسير، ص305. النشر في القراءات، ج2، ص228. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص207. محيسن، الهادي، ج2، ص81.

[2] سورة البقرة، الآية 233.

[3] سورة الرّوم، الآية 39.

[4] الفيومي، المصباح المنير، (أتي)

[5] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص154.

[6] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص335.

[7] سورة مريم، الآية، 61. أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص509.

[8] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص68. زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص87.

[9] الواحديّ، التّفسير الوسيط، ج1، ص343.

[10] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص475.

[11] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص207.

واتّفق القرّاء العشرة على قراءة (أتيتم) من الرّوم وهو قوله تعالى: " وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ",[2] بإطالة الألف، " لأنّ المراد به: أعطيتم ",[3] يقول ابن خالويه: " وكل ما في كتاب الله من (آتى) بالمد فمعناه: الإعطاء، وما كان فيه من (أتى) بالقصر فهو من المجيء إلاّ قوله: " فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا "، أي: أخذهم. وقوله في قراءة لـــ (مجاهد): " أَتَيْنا بِها ": جازينا بها. وقوله: " كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ " أي: أريناهم ".[4]

(لَمَسْتُمْ)، (لَامَسْتُمْ): [5]

اختلف القرّاء العشرة في قراءة (لَامَسْتُمْ) في موضعين من التّنزيل، وهما:

1- في قوله تعالى: " أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ".[6]

2- وفي قوله تعالى: " أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ".[7]

فقد قرأ حمزة والكسائيّ وخلف العاشر (لَمَسْتُمْ) بفتح اللّام والميم، على وزن (فَعَلْتُمْ)، من لَمَسَ يَلْمِسُ لَمْسا، وهو: جسّ الجارحة بالشّيء طلباً للملاصقة، ويكون " بِالْيَدِ خَاصَّة "؛[8] " لِأَنَّهَا آلَتُهُ الْغَالِبَةُ "،[9] ومنه قول الأعشى:[10]

وَلَا تَلْمِسِ الْأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا   وَدَعْهَا إِذَا مَا غَيَّبَتَهَا سَفَاتُهَا

---

1 ابن خالويه، الحجّة، ص97.

2 سورة الروم، الآية 39.

3 محيسن، القراءات، ج1، ص530.

4 سورة الحشر، الآية 6. سورة الأنبياء، الآية 47. سورة البقرة، الآية 211. ابن خالويه، الحجّة، ص97.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص70. شرح طيبة النشر، ص215. تحبير التيسير، ص346. النشر في القراءات، ج2، ص250. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص271. محيسن، الهادي، ج2، ص153.

6 سورة النساء، الآية 43.

7 سورة المائدة، الآية 6.

8 أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص303.

9 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص564.

10 الأعشى، الديوان، ص85.

وقال لبيد:[1]

يَلْمَسُ الأحْلاسَ في مَنْزِلِهِ   بِيَدَيْهِ كَاليَهُودِيِّ المُصَلّ

وقال الأعشى:[2]

وَرَادِعَة بالمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا   لِجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ

وقال الشاعر:[3]

وَلَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى   أَفَدْتُ وَأَعداني فَأَتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وفي التّنزيل ما يناظر هذا المعنى، ومنه: قوله تعالى: " فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ "،[4] وقوله: " إِنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ "،[5] وروي عن النبيّ – صلى الله عليه وسلّم – أنّه نهى عن بيع الملامسة،[6] وهو: " أن يقول الرّجل لصاحبه إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع بكذا وكذا "،[7] وقِيلَ: هُوَ " أَنْ يَلْمِس المَتَاع مِنْ وَرَاءِ ثَوب، وَلَا يَنْظُر إِلَيْهِ ثُمَّ يُوقع البَيْع عَلَيْهِ ".[8]

---

[1] لَبيد بن ربيعة، الديوان، ص92.

[2] الأعشى، الديوان، ص219. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، (ت 206هـ)، (2001م)، **شرح المعلقات التسع**، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص61.

[3] لم أقف على قائله وهو في (سمط اللآلي) بلا نسبة. أبو عبيد البكري، سمط اللآلي، ج1، ص310.

[4] سورة الأنعام، الاية 7.

[5] سورة الجن، الآية 8.

[6] ابن الأثير الجزري، (1969م)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني، ط1، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ج1، ص523.

[7] الجواليقي، **شرح أدب الكاتب**، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص67.

[8] ابن الأثير، النهاية، ج4، ص269، 270.

ثم اتّسعت الدّلالة فأوقعوا اللّمس على ما لا يدرك باليد،[1] فروي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنّه كان يقول: " قُبْلَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَجَسُّهُ بِيَدِهِ مِنَ الْمُلَامَسَةِ "،[2] وحكي عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: " اللَّمْسُ، مَا دُونَ الْجِمَاعِ "،[3] قال المبرّد: " الملامسة أن يلمسها الرّجل بيد أو بإدناء جسدٍ من جسدٍ "،[4] وقال أيضاً: " ولمستم بمعنى غشيتم ومسستم وليس للمرأة في هذا فعل"،[5] فكان الفعل وفقاً لهذا المعنى يجري من طرف واحد،[6] بآية أنّه أسند إلى ضمير المذكرين ليجعل الحدث منوطاً بهم خاصّة،[7] وهي اختيار أبي عبيدة.[8]

وقرأ الباقون (لَامَسْتُمْ) بألف بعد اللام على وزن (فَاعَلْتُمْ) الذي يفيد بصيغته معنى المشاركة والمفاعلة من قبل اثنين يصنعان الحدث، إذ الملامسة حاصلة من الزّوجين كليهما، قال المبرّد: " وَلَامَسْتُمْ: قَبَّلْتُمْ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ، وَالَّذِي يَكُونُ بِقَصْدٍ وَفِعْلٍ مِنْ الْمَرْأَةِ هُوَ التَّقْبِيلُ"،[9] وقيل هي: المباشرة،[10] فسّره الطبريّ،[11] وقيل: الجماع، حكاه مقاتل،[12] والحسن[13] ومجاهد،[14] قال ابن عباس

---

1 الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص163.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص277.

3 الطّبري، جامع البيان، ج8، ص393.

4 المبرد، الكامل، ج2، ص98.

5 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص217.

6 مكي، الكشف، ج1، ص391.

7 المصدر نفسه.

8 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج3، ص314.

9 ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص564.

10 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص217.

11 الطّبري، جامع البيان، ج8، ص389.

12 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج1، ص375.

13 ابن أبي الزمنين، التفسير، ج1، ص375.

14 الطّبري، جامع البيان، ج8، ص392.

– رضي الله عنهما-: "هُوَ الْجِمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعِفُّ وَيُكَنِّي"،[1] وهي اختيار أبي حاتم السجستانيّ.[2]

ويجوز أن تكون المفاعلة في هذه القراءة ليست على بابها؛ إذ قد تكون بمعنى (فَعَلَ)،[3] نحو: "جَاوَزْتُ الشَّيْءَ وَجُزْتُهُ"،[4] فتكون القراءتان وفق هذا التّوجيه الأخير بمعنى واحد.[5]

وقد باتت هاتان القراءتان مضماراً تساجل فيه علماء الفقه والتّفسير؛ إذ كان استشراف باطن مدلولهما هو غاية اجتهد أرباب الفقه والتّشريع في إزالة السّتار عنه، فكان لكلّ فريق منهم فهمه الخاص لهما وفقاً لمنهج نظره وطريقة تفكيره، فـــ " فيهَا خِلَافٌ كَثِيرٌ، وَأَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِلْعُلَمَاءِ، وَمُتَعَلِّقَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ، وَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ الطَّوِيلَةِ ".[6]

وتدور هذه المسألة في جوهرها حول الدّلالة الإشاريّة للفعل (لَمَسَ) أو (لامَسَ)؛ فأصحاب المدرسة الحنفيّة كانوا يرون أنّ اللّمس في هذه الآية الكريمة هو الجماع،[7] ودليلهم على ذلك ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنّه قال: " اللّمس والمس والمباشرة، الجماع، ولكنّ الله يكنّي بما شاءَ "،[8] فالقراءة الأولى لا تعني اللّمس باليد إنّما هي كناية عن الجماع، والقراءة الثّانية هي تفسير لها بل دليل عليها إذ (الملامسة) لا تقع إلّا بين اثنين، فذاك الجماع،[9] ثمّ إنّ الله جلّ ثناؤه ذكر

---

1 عبد الرّزاق، التّفسير، ج2، ص9. الطّبري، جامع البيان، ج8، ص390.

2 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج3، ص314.

3 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج3، ص692.

4 أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص654.

5 السخاويّ، فتح القصيد، ج2، ص162.

6 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص563.

7 السرخسيّ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هــ)، (1993م)، **المبسوط**، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، ج1، ص67.

8 الطّبري، جامع البيان، ج8، ص391.

9 ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: 620هــ)، (1968م)، **المغني**، مكتبة القاهرة، ج1، ص142.

المسّ وأراد به الجماع، واللّمس والمس سيّان،[1] فدلّ ذلك على صحّة ما ذهبوا إليه.

وقد ترتّب على هذا الاستدلال من قبل الحنفيّة أن أبطلوا وجوب الوضوء للمتلامسين باليد؛ إذ الآية الكريمة لا تشير إليهما من قريب ولا من بعيد، ثمّ إنّ في السّنة الشّريفة ما ينصّ على فعل اللّمس وما سواه من تقبيل من لدن الرّسول الكريم – صلى الله عليه وسلّم -.[2]

وأمّا مذهب الشّافعيّة فإنّهم قد حملوا القراءتين على الحقيقة؛ فرأوا اللّمس في الآية الكريمة هي لصريح اللّمس باليد أو ما قارب اليد من البشرة ممّا هو دون الجماع؛[3] إذ الاستعمال اللّغويّ للّمس هو لليد، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من أخذه بالكناية والمجاز،[4] ثمّ إنّ قراءة الجمهور بالمفاعلة لا تعني أنّ اللّمس لا يكون من اثنين، " فَإِنْ حُمِلَتْ قِرَاءَةُ مَنْ قرأ أو لامستم عَلَى الْجِمَاعِ كَانَتْ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ أَوْ لَمَسْتُمْ مَحْمُولَةً عَلَى الْمَسِيسِ بِالْيَدِ، فَيَكُونُ اخْتِلَافُ الْقِرَاءَتَيْنِ مَحْمُولاً عَلَى اخْتِلَافِ حُكْمَيْنِ ".[5]

وبناءً على هذه المباحثة وجدنا أصحاب المذهب الشّافعيّ قد أوجبوا الوضوء على كلّ من وقع منه اللّمس،[6] محتجّين على صحّة ذلك بأقوال نفر من الصّحابة

---

1 ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص209، 217.

2 السرخسي، المبسوط، ج1، ص67.

3 الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: 204هـ)، (1990م)، **الأم**، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص30.

4 الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص89.

5 الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، (1999م)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص185.

6 الماورديّ، الحاوي الكبير، ج1، ص183.

الأجّلاء، نحو ابن عمر وابن مسعود وغيرهما.[1] وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها بما يلي:

1- إنّ القول بأنّ اللّمس في حقيقة الاستعمال اللّغويّ هو لليد خاصّة هو قول صحيح يشهد عليه كلام العرب شعراً ونثراً.

2- والقول بأنّ اللّمس بمعنى الجماع هو من باب الكناية والمجاز قول صحيح أيضاً.

3- وأمّا من ذهب إلى أنّ المس واللّمس هما سيّان في المعنى فهو على صواب أيضاً.

4- وإذا كان ذلك كذلك فكيف يقبل رأي القائلين بأنّ الملامسة في هذه الآية هو الجماع، والترادف هو ممّا تنزّه عنه كلام الله بإجماع العلماء؟ فكيف إذا كان ذلك أن ننفي صفة التّرادف عن كلام الله عز وجلّ.

لقد تبصّرت في أمّهات كتب اللّغة والمعاجم أفتش عن الدّلالات التي تحتملها لفظة (اللّمس)، فوجدت العرب قد تعارفت في كلامها الفصيح على استعمالين اثنين:

الأوّل: اللّمس هو جس اليد لشيء ما، يقال: " قد لَمَست الشّيء فأنا أَلْمُسُهُ لَمْساً"،[2] قال ابن دريد في الجمهرة: " واللّمْس أَصله بِالْيَدِ ليُعرف مَسُّ الشَّيْء، ثمَّ كثر ذَلِك فِي كَلَامهم حَتَّى صَار كل طَالب ملتمساً ".[3]

الثّاني: هو الوطء والجماع، وهذا المعنى الأخير لا يحصل إلّا بالاقتران المعجميّ؛ أي: باصطحاب هذه اللّفظة مع لفظة النّساء في سياق واحد، حكاه ابن السكّيت في إصلاح المنطق،[4] قال: " اللَّمْسُ إِذَا قُرِنَ بِالْمَرْأَةِ يُرَادُ بِهِ الْجِمَاعُ، تَقُولُ الْعَرَبُ

---

[1] الشافعيّ، الأم، ج1، ص329، 30. الطّبري، جامع البيان، ج8، ص393، 394.

[2] ابن السكّيت، إصلاح المنطق، ص193.

[3] ابن دريد، الجمهرة، ج2، ص859.

[4] الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، (1986م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط2، دار الكتب العلمية، ج1، ص30.

لَمَسْت الْمَرْأَةَ أَيْ جَامَعْتهَا "،[1] وقيل: " ولَمَسْت المرأة فأنا أَلْمُسُهَا لَمْسًا، إذا غَشِيتُهَا ".[2]

ومن جهة ثانية فإنّ المتأمّل للسّياقات القرآنيّة التي ورد فيها ذكر (المس) مقروناً بالنّساء يقف على حقيقة مؤدّاها أنّ البديع الحكيم قد جعل المسّ لأوّل وطء الرّجل بعروسه، فالآيات التي ورد فيها لفظ (المس) تتعلّق بمقدار الصّداق الذي يُفرض على الرّجل دفعه لخطيبته الّتي لمّا يمسّها بعدُ.

وأمّا المسّ الذي جاء على لسان مريم – عليها السّلام – فهو يصبّ في المعنى نفسه؛ فهذه مريم تتعجّب من حملها بعيسى – عليه السّلام -وهي العذراء التي لمّا يجامعها رجل أبداً.

وأمّا آية المجادلة فإنّ ذكر الفعل (يَتَمَاسّا) يسير إلى أنّ الحياة الزوجيّة قد توقّفت وكأنّها لم تكن، ثمّ سرعان ما عادت بالكفّارة الموجبة، وهذه الأخيرة بمنزلة العقد أو الصّداق الذي هو أحد أركان شرعيّة النّكاح، وبذلك يباح للزّوجين الجماع من جديد، فيتماسّا تماس العروسين.

وإذا ما جئنا إلى (لمس) لنتفحّص مواضع استعمالها في التّنزيل، وجدنا السّياقات القرآنيّة التي وردت فيها مصحوبة بالنّساء لا تتعدّى الموضعين اللّذين اختلف القرّاء العشرة في قراءتهما في صدر هذه المباحثة، وإذا اتّفق لنا فرضاً أنّ المراد باللّمس هو الوطء، فمن أُولاء النّسوة اللّواتي ينقضن طهارة الرّجال بمجرد لمسهن؟ إنّهن بلا شك الزّوجات؛ إذ اللّمس للأجنبيّة حرام، ومحال أن تقيم الآية الكريمة حكماً شرعيّاً أساسه معصية، أمّا اللّمس عينه فإنّنا نرجّح معنى الجماع فيه؛ لأنّ لمس الرّجل يد زوجه هو من الأمور اليوميّة الّتي تحدث بين الزّوجين، ومحال أن يبطل وضوءهما كلّما مسك أو لمس يد أحدهما الآخر، وهذا لا يعني أنّ المس واللّمس مترادفان، إنّما

---

[1] الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت: 743 هـ)، **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق، القاهرة، ج1، ص12.

[2] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ج1، ص193.

اللّمس هو الجماع المعتاد بين أيّ زوجين، أمّا المسّ فهو أوّل الوطء كما بيّنّاه قبلاً، قَالُوا: " وَكُلُّ مَاسٍّ لَامِسٌ ".[1]

(يَدْفَعُ)، (يُدافِعُ): [2]

قرأ أبو عمرو ويعقوب وابن كثير (يَدْفَعُ) من قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا "[3] بفتح الياء وإسكان الدّال وفتح الفاء على وزن (يَفْعَل)، من دَفَعَ يَدْفَعُ دَفْعا؛ إذ الله عز وجلّ لا ينفعه شيء، إنّما الدّفع حاصل منه سبحانه لعباده.[4]

وقرأ الباقون (يُدافِعُ) بضمّ الياء وألف بعد الدّال وكسر الفاء على وزن (يُفاعِلُ)، من دافَعَ يُدافِعُ دِفاعاً،[5] على إرادة تكرير فعل الدّفع،[6] والمبالغة " فِي الدَّفْعِ"،[7] قال الخليل: " ودافع الله عنك المكروه دفاعاً، وهو أحسن من دَفَع"[8] ويقال: " دافعت عَن زيد يجوز أَن يُرَاد بِهِ دفعت عَنهُ مرّة بعد مرّة ".[9] وليس الفعل ههنا للمفاعلة؛ إنّما المراد انفراد الفاعل، نحو: سافر وعاقب، " وقد جاءت حروفٌ على (فاعل) للواحد، منها: قاتله اللَّه، وعافاه اللَّه، وعاهدت الله ".[10]

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان متقاربتين في المعنى، حكاه الفارسيّ، قال: " كأنّ معنى دفع ودافع سواء، ألا ترى أنّ قوله:

---

[1] ابن فارس، مجمل اللّغة، ج1، ص794. مقاييس اللّغة، ج5، ص210. الفيوميّ، المصباح المنير، ج2، ص558، (لمس).

[2] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص281. تحبير التيسير، ص471. النشر في القراءات، ج2، ص326. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص464. محيسن، الهادي، ج3، ص68.

[3] سورة الحج، الآية 38.

[4] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص478.

[5] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص352.

[6] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص478.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص228.

[8] الفراهيديّ، كتاب العين، (دفع)، ج2، ص45. الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص228.

[9] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص478.

[10] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص182.

ولقد حَرَصْتُ بأَنْ أُدافِعُ عنهمُ   فإذا المَنيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَع

فوضع أدافع موضع أدفع، كأنّ المعنى: حرصت بأن أدفع عنهم المنيّة، فإذا المنيّة لا تدفع... وإذا كان كذا فقوله: إنّ الله يدفع، ويدافع يتقاربان، وليس يدافع كيضارب. وممّا يقوّي ذلك قوله: " قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"، وليس للمفاعلة التي تكون من اثنين هنا وجه ".[1]

وأحسب أنّ هاتين القراءتين يمكن توجيههما من جهة أنّ الله تعالى قد تكفّل المؤمنين بالرّعاية والعناية؛ فهو يدفع عن عباده الصّالحين ما قد يوقعه المشركون بهم من الأذى، فيكشف ما يمكرون ويدرأ ما يكيدون. ولمّا كانت العداوة والبغضاء من المشركين باقية لا تنتهي كانت العناية الإلهيّة بالدّفاع عن أوليائه دائمة مستمرّة في كل زمان ومكان، " كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ "،[2] فــهَذِهِ الْآيَةُ بِشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِإِعْلَائِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ وَكَفِّ بَوَائِقِهِمْ عَنْهُمْ وَهِيَ كَقَوْلِهِ: " لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً "، وقَوْلِهِ: " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا "، وقَالَ: " إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ "، " وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ "،[3] يقول الرّازي: " ذَكَرَ إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفحم وَأَعْظَمَ وَأَعَمَّ، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ يُدَافِعُ بَأْسَ الْمُشْرِكِينَ. فَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ فَنَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَيْدَ مَنْ هَذَا صِفَتُهُ ".[4]

---

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص353. والبيت لأبي ذؤيب الهذليّ، السكري، ديوان الهذليين، ق1، ص2. المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت: نحو 168هـ)، **المفضليات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة. سورة التوبة، الآية 30.

[2] سورة المائدة، الآية 64.

[3] سورة آل عمران، الآية 111. سورة غافر، الآية 51. سورة الصّافّات، الآية 172. سورة الصَّفِّ، الآية 13. الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص228.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص228.

(تَحَاضُّونَ)، (تَحَضُّونَ): [1]

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وأبو جعفر (تَحَاضُّونَ) من قوله تعالى: " وَلا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ"[2] بفتح الحاء وإقحام ألف بعدها، على وزن (تَفاعَلونَ)، أي: لا تحافظون،[3] أو هي على معنى لا " يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،.. وتَفَاعَلَ وفَاعَلَ يَأْتِي بمعنى فعل "،[4] وهو في الأصل من تتحاضّون " حذفت إحدى التائين كما قال " وَلا تَفَرَّقُوا ".[5]

وقرأ الباقون (تَحُضُّونَ) بحذف الألف وبضمّ الحاء، على وزن (تَفْعُلُونَ)، من: " حَضَّه يَحُضُّه حَضّاً وحَضَّضَه وَهُمْ يَتَحاضّون، وَالِاسْمُ الحُضّ "،[6] والمعنى: " لا يحث بعضهم بعضاً "،[7] وقيل معناها: " ولا تأمرون بإطعام المسكين ".[8]

4.4 في الزّيادة بتضعيف العين:

(يُكَذِّبُون، يَكْذِبُونَ):[9]

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يُكَذِّبُون) من قوله تعالى: " ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ "،[10] بضمّ الياء وفتح الكاف وكسر

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص101. شرح طيبة النشر، ص329. تحبير التيسير، ص612. النشر في القراءات، ج2، ص400. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج1، ص617. محيسن، الهادي، ج3، ص352.

[2] سورة الفجر، الآية 18.

[3] أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص440.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص474.

[5] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص138. سورة آل عمران، الآية 103.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (حضض)، ج7، ص136.

[7] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص580.

[8] الطّبري، جامع البيان، ج24، ص414.

[9] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص61. شرح طيبة النشر، ص168. تحبير التيسير، ص282. النشر في القراءات، ج2، ص207، 208. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص142. محيسن، الهادي، ج2، ص20.

[10] سورة البقرة، الآية 10.

الذّال مع تشديدها، من كذّب مضعّف العين الذي يدلّ على الكثرة والمبالغة،(1) ومعناه: " بتكذيبهم الرّسل وردّهم على الله وتكذيبهم بآياته "، قاله أبو حاتم،(2) وقيل هو: " تردّد منهم إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم مرّة بعد أخرى فيما جاء به ".(3)

وقرأ الباقون (يَكْذِبون) بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذّال مخفّفة، من: " كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْبَاً وكِذَّاباً "،(4) أي: "يكذبهم"، قاله أبو حاتم،(5) " فَإن كَذِبَهُم قولُهم أنّهُمْ مُؤْمنون "،(6) " وهم على الكفر مُصِرُّون ".(7)

(فَأُمَتِّعُهُ، فَأُمْتِعُهُ):(8)

وقرأ ابن عامر وحده (فأُمْتِعُهُ) من قوله تعالى: " قالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً "(9) بإسكان الميم وتخفيف التّاء، من أَمْتَعَ يمتِعُ، وقرأ الباقون (فأمَتِّعه) بفتح الميم وتشديد التّاء، من مَتَّعَ يُمَتِّعُ مضعّف العين، على إرادة " تكرير الفعل ومداومته "،(10) قال الفارسيّ: " التّشديد أولى لأنّ التّنزيل عليه، قال تعالى : " فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ " فَتُمَتِّعُ مطاوع مَتَّعَ، وعامّة ما في التّنزيل على التّثقيل. قال جلّ اسمه: " يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً

---

1 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج2، ص306.

2 النّحاس، معاني القرآن، ج1، ص91، 92.

3 ابن خالويه، الحجّة، ص68.

4 الفارسيّ، الحجّة، ج1، ص329.

5 النّحاس، معاني القرآن، ج1، ص92.

6 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص87.

7 الطّبري، جامع البيان، ج1، ص274.

8 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص64. شرح طيبة النشر، ص185. تحبير التيسير، ص294. النشر في القراءات، ج2، ص222. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص183. محيسن، الهادي، ج2، ص55.

9 سورة البقرة، الآية 126.

10 ابن خالويه، الحجّة، ص88.

حَسَناً، " كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا "، " وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ"، فكما أنّ هذه الألفاظ على مَتَّعَ دون أَمْتَعَ، فكذلك الأولى بالمختلف فيه أن يكون على مَتَّعَ دون أَمْتَعَ ".[1]

وهناك من ساوى بين القراءتين فذهب إلى أنّهما لغتان بمعنى واحد، يُقَال: "مَتَّعَ الله بِهِ وَأَمْتَعَ به"[2] ويقال أيضاً: " مَتَعَ اللهُ بك وأَمْتَعَ "،[3] قال الأزهريّ: "وهما لغتان جيدتان: أَمْتَعْتُ، ومَتَّعْتُ بمعنى واحد".[4]

(وَلِتُكَمِّلُوْا، وَلِتُكْمِلُوْا): [5]

قرأ يعقوب وشعبة (وَلِتُكَمِّلُوْا) من قوله تعالى: " وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ "[6] بفتح الكاف وتشديد الميم، من كَمَّلَ يُكَمِّلُ،[7] " والتّضعيفُ للتّعدية "،[8] وتكرير حدوث الفعل؛ أي: " تكرير فعل الصّيام في الشّهر إلى إتمام عدّته ".[9] وقال الزجّاج: " المعنى فعل اللَّه ذلك ليسهّل عليكم ولتكمّلوا العدّة ".[10]

---

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص221. سورة هود، الآية 65، 3. سورة القصص، الآية 61. سورة يونس، الآية 98.

[2] الفارابي، ديوان الأدب، ج2، ص365.

[3] ابن سيده، المخصص، ج4، ص353. الجواليقي، ما جاء على فعلْتُ وأفعلتُ بمعنى واحد، ص68.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص177.

[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص65. شرح طيبة النشر، ص192. تحبير التيسير، ص302. النشر في القراءات، ج2، ص226. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص198. محيسن، الهادي، ج2، ص70.

[6] سورة البقرة، الآية 185.

[7] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص254.

[8] السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج2، ص287.

[9] ابن خالويه، الحجّة، ص93.

[10] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص254.

وقرأ الباقون (وَلِتُكْمِلُوا) بإسكان الكاف وتخفيف الميم، من أَكْمَلَ يُكْمِلُ،[1] " والهمزةُ فيه للتّعدية "،[2] والمراد: جعل " عقد شهر رمضان عقداً واحداً ".[3]

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد؛[4] إذ كثيراً ما تتعاقب (أَفْعَلَ وفَعَّلَ) في لسان العرب،[5] " ويجيء أَفْعَلَ بمعنى فَعَّلَ كثيراً في اللّغة والأصل اختلاف معنييهما "،[6] يقال: " كمّلت الشّيء وَأَكْمَلته "،[7] وتقول العرب: " كَمَّلت الشّيء وأَكْمَلته بمعنى واحد، مثل: وصَّيت وَأوصيت، ونجَّيتُ وأنجَيت ".[8]

(يَطَّهَّرْنَ، يَطْهُرْنَ): [9]

قرأ حمزة والكسائيّ وشعبة وخلف العاشر (يطَّهَّرْنَ) على وزن يَتَفَعَّلْنَ، من قوله تعالى: " فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْن"[10] بطاءٍ وهاءٍ مفتوحتين مشدّدتين، من تطهّر أي يغتسلن بالماء،[11] قال أبو الحسن الأخفش: " طَهَرَتْ المرأةُ فَـــهِيَ تَطْهُرُ. وقال بعضهم طَهُرَت. وقالوا: طَلَقَتْ تَطْلُق وطَلُقَت

---

1 المصدر نفسه.

2 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص287.

3 ابن خالويه، الحجّة، ص93.

4 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص97. الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص258.

5 الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص274، 275.

6 النماس، بحث في صيغة أفعل، ص237.

7 السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص123.

8 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص193.

9 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص195. تحبير التيسير، ص304. النشر في القراءات، ج2، ص227. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص204. محيسن، الهادي، ج2، ص79.

10 سورة البقرة، الآية 222.

11 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص143.

تَطْلُقُ أيضاً. ويقال للنّفساء إذا أصابها النّفاس: نُفِسَت فإذا أصابها الطَّلْقُ قيل: طُلِقَتْ"،[1] وهي اختيار أبي عبيد.[2]

وقرأ الباقون (يَطْهُرْن) بطاء ساكنة وهاء مضمومة مخفّفة، من " طَهُرَ طُهْرَاً وطَهَارَةً وطَاهِرٌ "،[3] حكاه سيبويه،[4] يقال: " طَهُرت وطَهَرت؛ إذا رأت الطُّهْر، وإن لم تغتسل بالماء"،[5] والمعنى: " ولا تقربوا النّساء في حال حيضهنّ حتى ينقطع عنهن دمُ الحيض ويَطْهُرن "،[6] قاله مجاهد،[7] وعن مقاتل بن سليمان: حتى يَطْهُرْنَ معناه: " يَغْتَسِلْنَ "،[8] وقال ابن عبّاس: " حَتَّى يَطْهُرْنَ " أَيْ: مِنَ الدَّمِ ".[9]

وقد تمخّض عن هذا الخلاف في توجيه هاتين القراءتين مسألة فقهيّة كان لها حضورها البارز في حلقات الفقه والتّشريع، وهي تدور في مجملها حول قضيّة " حكم وطء الحائض بعد انقطاع الحيض وقبل الاغتسال"، حيث تساجل حولها أقطاب المدارس الفقهيّة كلاً حسب منهجه وطريقة نظره.[10]

---

1 الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص186.

2 نشوان الحميريّ، شمس العلوم، ج7، ص4173.

3 سيبويه، الكتاب، ج4، ص29.

4 ابن منظور، لسان العرب، (طهر)، ج4، ص504.

5 ابن قتيبة، غريب القرآن، ج1، ص84. ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص190.

6 الطّبري، جامع البيان، ج4، ص383.

7 الطّبري، جامع البيان، ج4، ص383. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص141.

8 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج1، ص192.

9 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص441.

10 شندي، إسماعيل شندي/عبد الباسط، تقي الدين عبد الباسط، (2004)، **القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الفقهاء**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الخليل، ص12-15.

فقد ذهب نفر من العلماء إلى إباحة وطء الرّجل لامرأته بعد انقطاع دم الحيض، دون أن يشترطوا الغسل لذلك،[1] وقد نسب ابن العربيّ هذا الرّأي لأبي حنيفة النّعمان،[2] وقد احتجّ أصحاب هذا المذهب على صحّة مذهبهم بحجج كثيرة، منها: أنّ قراءة " يَطْهُرْنَ" بالتّخفيف والتّشديد سيّين في المعنى، وهو انقطاع الدّم؛ " إذْ جَائِزٌ أَنْ يُقَالَ: طَهُرَتْ الْمَرْأَةُ وَتَطَهَّرَتْ، إذَا انْقَطَعَ دَمُهَا، كَمَا يُقَالُ: تَقَطَّعَ الْحَبْلُ وَتَكَسَّرَ الْكُوزُ، وَالْمَعْنَى: انْقَطَعَ وَانْكَسَرَ، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ فِعْلاً مِنْ الْمَوْصُوفِ بِذَلِكَ".[3]

وقد أنكر ابن العربيّ على أصحاب هذا المذهب حجّتهم هذه، قال: " لَا يُقَالُ اطَّهَرَتْ الْمَرْأَةُ بِمَعْنَى انْقَطَعَ دَمُهَا، وَلَا يُقَالُ قَطَّعَ مُشَدَّداً بِمَعْنَى قَطَعَ مُخَفَّفاً، وَإِنَّمَا التَّشْدِيدُ بِمَعْنَى تَكْثِيرُ التَّخْفِيفِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا بَعْدَ الْغَايَةِ فِي الشَّرْطِ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْغَايَةِ قَبْلَهَا، فَيَكُونُ قَوْله تَعَالَى: "حَتَّى يَطْهُرْنَ" مُخَفَّفاً، وَهُوَ مَعْنَى قَوْله "يَطَّهَّرْنَ" مُشَدَّداً بِعَيْنِهِ، وَلَكِنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ فِي الْآيَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ".[4]

وذهب الشّافعيّ إلى حرمة الوطء دون الغسل، وتبعه في ذلك " جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ: الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ "،[5] قال الشّافعيّ: " وكَانَ مُبَيَّنًا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

---

1 الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، (ت: 504هـ)، (1405ه)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص137.

2 ابن العربيّ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543هـ)، (2003م)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص228.

3 الجصّاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (ت: 370هـ)، (1994م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص422.

4 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص228، 229. سورة التوبة، الآية 108.

5 **الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة**، (1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، دار السلاسل الكويت، ج18، ص325.

"حَتَّى يَطْهُرْنَ ": أَنَّهُنَّ حُيَّضٌ فِي غَيْرِ حَالِ الطَّهَارَةِ، ... ولَا مُدَّةَ لِطَهَارَةِ الْحَائِضِ إلَّا ذَهَابَ الْحَيْضِ، ثُمَّ الْغُسْلَ: لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " حَتَّى يَطْهُرْنَ "، وَذَلِكَ: انْقِضَاءُ الْحَيْضِ: " فَإِذا تَطَهَّرْنَ "، يَعْنِي: بِالْغُسْلِ لِأَنَّ السُّنَّةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ طَهَارَةَ الْحَائِضِ: الْغُسْلُ وَدَلَّتْ عَلَى بَيَانِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ مِنْ أَنْ لَا تُصَلِّيَ الْحَائِضُ ".[1]

وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها أنّ القراءة بصيغة التّخفيف هي مشتقّة من (الطُّهُرْ) ومعناه انقطاع الدّم من الحائض بإجماع أهل العربيّة، حيث إنّ (الطُّهْر) في أصل الاستعمال ذو دلالتين لغويّتين: الأولى: نَقيضُ الحَيْض، والثانية: " نَقِيضُ النّجاسة "،[2] قال الخليل: " يقال: طَهَرَتِ المرأةُ وطَهُرَت لغتان، فهي طاهر. إذا انقطع، وهي ذات طُهْر ".[3]

وأمّا القراءة الثّانية ذات الصّيغة المشدّدة، فإنّ معناها – كما هو ظاهر من بنيتها الصّرفيّة - هو التّطهّر بالغسل، يقال: " طَهَرت المرأةُ، وطَهُرتْ فَهِيَ طاهِرٌ: إِذا انْقَطع عَنْهَا الدَّم، ورأتِ الطُّهر... فإِذا اغْتَسَلت قيل: تطهَّرت، واطَّهَرَت. قَالَ الله جلّ وعزّ: " وَإِن كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ ".[4] وليس في هذا التّوجيه تناقض أو اختلاف كما ظنّ أبو العبّاس ثعلب،[5] وأبو جعفر الطّبريّ،[6] ذلك أنّ قراءة التّخفيف تعني فيما تعنيه انقضاء حالة خاصّة كانت تعيشها المرأة المحيض، فتفارقها لتحلّ في

---

[1] الشّافعيّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: 204هـ)، (2006م)، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، ط1، المملكة العربية السعودية، ج1، ص333. البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، (1994م)، **أحكام القرآن جمع البيهقي**، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص53.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (طهر)، ج4، ص504.

[3] الفراهيديّ، كتاب العين، (طهر)، ج4، ص18. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (طهر)، ج6، ص99.

[4] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (طهر)، ج6، ص99. سورة المَائدة، الآية 6.

[5] المصدر نفسه.

[6] الطّبري، جامع البيان، ج4، ص384.

صفة حادثة مغايرة لتلكم الأولى وهي الطّهر، وهذه المغايرة هي في حقيقتها انتقال من حالة خاصّة إلى حالة عامّة، إذ الأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يكن هناك عارض يمنع ذلك.

وأحترس ههنا لأبيّن أنّ ما زعمناه من تغيّر حال المحيض هو ليس في حقيقته تحوّل إلى حالة الطّهارة؛ بحيث نحكم على من انقطع دم حيضها أنّها طهور، فيباح لها ما يجوز لغيرها من النّساء غير ذات الحيض، إنّما المقصد ينعقد من جهة أنّ هذه المنقضية عادتها قد صارت طهوراً بعينها، فحكمها حكم من تجب عليها الغسل من دون ذوات الحيض كالجنب، فهي طهور من دم الحيض الّذي هو ضدّ الطّهارة، وليس هذا الأخير هو آية على تطهرّها، إنّما هو بيان لمن تأذّت به بإباحة التّطهر بالاغتسال، والدّليل على ذلك أنّ من كانت بها الحيض لو أنّها اغتسلت لم يزدها غسلها مزيّة فيبيح لها بعض ما حظر عليها، ثمّ إنّها حتى لو " خَرَجَتْ بِهِ مِنَ الْحَيْضِ فَإِنَّهَا غَيْرُ مُبَاحٍ لِزَوْجِهَا جِمَاعُهَا، وَغَيْرُ مُبَاحٍ لَهَا الصَّلَاةُ وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَغْتَسِلَ".[1]

وممّا تقدّم يلمح المرء مدى التّلاؤم والانسجام بين هاتين القراءتين، فقراءة التّخفيف تعني الطّهر، ونظيرتها المثقّلة تعني إباحة التّطهر، وليس بين الدّلالتين أي تنافر أو تخالف بل إنّ كلّاً منهما تفضي إلى الأخرى.

(فَيُضاعِفَهُ)، (فَيُضَعِّفَهُ):[2]

وقد اختلف القرّاء العشرة في قراءة (فَيُضاعِفَهُ) حيثما وردت في التّنزيل، بصيغة الفعل المضارع، سواء أكان الفعل مبنيّاً للمعلوم أم كان مبنيّاً للمجهول،

---

[1] الطحاويّ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، (ت: 321هـ)، (1995م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط1، اسطنبول، ج1، ص228.

[2] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص197. تحبير التيسير، ص486. النشر في القراءات، ج2، ص232، 334. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص209. محيسن، الهادي، ج2، ص84.

مسنداً إلى ضمير أم مجرداً منه، " بأي إعراب كان، واسم المفعول"،[1] وقد وردت في المواضع الآتية:

1- في قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً".[2]

2- في قوله جلّ ثناؤه: " وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها".[3]

3- في قوله تعالى: " إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ ".[4]

4- وقوله تبارك اسمه: " يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ".[5]

5- وفي قوله تعالى: " فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ".[6]

6- وقوله تعالى: " يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانَاً ".[7]

7- في قوله تعالى: " فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً ".[8]

فقد قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يضعّفه) حيثما وردت في التّنزيل بتشديد العين وحذف الألف مع فتح الفاء على وزن (يُفَعِّل)، من ضعّف يضعِّف على إرادة التّكثير والتّصيير، و" التكرير ومداومة الفعل"،[9] وقيل: التّشديد والتّخفيف في هاتين القراءتين لغتان بمعنى واحد؛ إذ "... معنى التّضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزّيادة على أصل الشّيء حتى يصير مثلين أو أكثر ".[10] وقرأ الباقون (يضاعِف) بتخفيف العين وإثبات الألف بعد الضّاد، من

---

[1] النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص210.

[2] سورة آل عمران، الآية 130.

[3] سورة النساء، الآية 40.

[4] سورة التغابن، الآية 17.

[5] سورة هود، الآية 20.

[6] سورة الحديد، الآية 11.

[7] سورة الفرقان، الآية 69.

[8] سورة البقرة، الآية 245.

[9] ابن خالويه، الحجّة، ص98.

[10] أبو العلاء الحنفيّ، مفاتيح الأغاني، ج1، ص118.

ضاعَف يضاعِف على إرادة المبالغة؛ إذ (المفاعلة) ههنا "ليست على بابها؛ إذ لا مشاركة ".[1]

وهكذا كانت هاتان القراءتان تلبّيان المراد من الخطاب القرآنيّ، فالله جلّ في علاه هو المنّان بفضله على عباده الواسع بعطائه ومنّه على المؤمنين، وهو من رحمته بعبيده أنّه يجزي المنفق في سبيله أضعاف ما جادت به نفسه، وهذا العطاء من المولى هو في زيادة لا تنتهي علمها عند بارئها، فالحسنة تصبح سبعاً ثمّ السّبع تصير سبعمئة ثمّ تزداد أضعافاً بمشيئة الرزّاق المنّان.

وفي مقابل هذه الرّحمة والكرم والمنّ من الله سبحانه وتعالى، فإنّه جلّ ثناؤه شديد العقاب لمن عصاه وعاند في كفره وتجبّر، فإنّه يردّه لشديد العذاب جزاءً لكفره وإصراره على شركه وعصيانه، فالنّار بِحرّها وزقّومها هي دار الخلود، وألوان العذاب هي المأكل والزّاد، وعدالة السّماء هي الحكم في مقدار ذلك الجزاء بالعقاب، " فَتُضَاعَفُ الْعُقُوبَةُ لِمُضَاعَفَةِ الْمُعَاقَبِ عَلَيْهِ، ... أنَّ الْمُضَاعَفَةَ وَالزِّيَادَةَ يَكُونُ حَالُهُمَا فِي الدَّوَامِ كَحَالِ الْأَصْلِ، فَقَوْلُهُ: وَيَخْلُدْ فيهِ أَيْ وَيَخْلُدْ فِي ذَلِكَ التَّضْعِيفِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ التَّضْعِيفَ إِنَّمَا حَصَلَ بِسَبَبِ الْعِقَابِ عَلَى الْمَعَاصِي، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُ هَذِهِ الْمَعَاصِي فِي حَقِّ الْكَافِرِ دَائِماً ".[2]

(وَكَفَّلَها، وكَفَلَها):[3]

قرأ عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (وَكَفَّلَها) من قوله تعالى: " فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا "[4] بكاف مشدّدة على وزن (فَعَّلَ)، من كَفَّل يُكَفِّلُ، بالتّضعيف على إرادة التّعدية، نحو: " غرم زيد مالاً،

---

[1] الألوسيّ، روح المعاني، ج1، ص554.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص484.

[3] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص206. تحبير التيسير، ص321. النشر في القراءات، ج2، ص239. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص234. محيسن، الهادي، ج2، ص107.

[4] سورة آل عمران، الآية 37.

وغرّمت زيداً مالاً"،[1] ويقال: " تَكَفَّلَتْ بكذا، وكَفَّلْتُهُ فُلانَاً "،[2] أي: كَفَّلَ اللَّهُ زَكَرِيَّا أمر مريم - عليها السّلام - [3] أي: " ضمهَا إِلَيْهِ ".[4]

وقرأ الباقون (وَكَفَلَها) بتخفيف الكاف على وزن (فَعَلَ) من كَفَل يكْفَلُ، يقال: " كَفَلَ يَكْفُلُ كَفَالَةً وَكَفْلًا فَهُوَ كَافِلٌ، وَهُوَ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَى إِنْسَانٍ وَيَهْتَمُّ بِإِصْلَاحِ مَصَالِحِهِ"،[5] والمعنى: أنّ زكريا قد أوكل له أمر مريم - عليها السّلام - فـــ " ضمِنَ القيامَ بأمرها وتَربيتها ".[6]

(تُعَلِّمونَ، تَعْلَمونَ): [7]

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (تُعَلِّمون) من قوله تعالى: " وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ "[8] بتاء مضمومة وعين مفتوحة ولام مفتوحة مشدّدة، على وزن (تُفَعِّلونْ) مضعّف العين من عَلَّمَ يُعَلِّمُ تعليماً، على إرادة التّعدية،[9] والمبالغة،[10] والمعنى: كونوا أرباب علم وفقه بتعليمكم النّاس ما علمتموه؛ " ليكن هديكم ونيتكم في التّعليم هدى العلماء والحكماء، لأنّ العالم إنّما ينبغي أن يقال له عالم إذا عمل بعلمه، وإلا فليس بعالم "،[11] وهي اختيار أبي عبيْد،

---

1 الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص34.

2 الأصفهانيّ، المفردات، ج1، ص717.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص252.

4 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص161.

5 الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص206.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص252.

7 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص68. شرح طيبة النشر، ص208. تحبير التيسير، ص325. النشر في القراءات، ج2، ص240. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص240. محيسن، الهادي، ج2، ص113.

8 سورة آل عمران، الآية 79.

9 ابن زنجلة، حجة القراءات، ص167.

10 ابن خالويه، الحجة، ص112.

11 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص436.

قال: " لِأَنَّهَا تَجْمَعُ المعنيين " تعلمون، وتدرسون".[1] قال صاحب الكشف عن وجوه القراءات: " التَّشْدِيدُ أَبْلَغ، لِأَنَّ كُلَّ مُعَلِّمٍ عَالِمٌ بِمَعْنَى يَعْلَمُ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ عَلِمَ شَيْئاً مُعَلِّماً، فَالتَّشْدِيدُ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالتَّخْفِيفُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ فَقَطْ، فَالتَّعْلِيمُ أَبْلَغُ وَأَمْدَحُ وَغَيْرُهُ أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ "،[2] وثمّة علّة ثانية احتجّ بها أصحاب هذا المذهب، وهي أنّ هذه اللّفظة تصحبها في سياقها المقاليّ لفظة (الربّانيين)، " والرَّبَّانيُّ يقتضي أَنْ يَعْلَمَ ويُعَلِّمَ غيره، لا أن يَقْتَصِرَ بالعلم على نفسه ".[3]

وقرأ الباقون (تَعْلَمون) بفتح التّاء وإسكان العين وفتح اللاّم مع تخفيفها، على وزن (تَفْعَلونْ)، من عَلِمَ يَعلَمُ عِلماً، أي: بما كنتم تعلمون وتعرفون الكتاب في أنفسكم،[4] أي: عالمين به،[5] واختارها أبو حاتم،[6] قال أبو عمرو: " وَتَصْدِيقُهَا " تَدْرُسُونَ" وَلَمْ يَقُلْ" تُدَرِّسُونَ" بِالتَّشْدِيدِ مِنَ التَّدْرِيسِ.[7]

ونخلص ممّا تقدّم إلى أنّ هذه الآية هي بيان وحكم في الوقت نفسه؛ فهي إعلان صريح لأولئك النّصارى الّذين تجنّوا على نبيّ الله وكلمته عيسى - عليه السّلام - فزيّفوا على لسانه ادّعاءه الربوبيّة، وأنّه أمرهم باتّباعه عبوديّة له، فجاءت هذه الآية تبريئاً وتنزيهاً له عن ذلك، متوجّهاً لمن صدّقه وآمن بنبوّته بما يجب أن يكونوا عليه، فيأمرهم أن يخلصوا لله وحده، فيكونوا ربّانيّين منسبين إليه[8] بشديد إقبالهم عليه وبعظيم طاعتهم له، ومداومتهم على عبادته، فيصبحون والحال هذه أرباب علم يفقّهون النّاس بتعليمهم دينهم وإصلاح أمرهم، فهم علماء مُعلّمون.

---

[1] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص123.

[2] مكي، الكشف، ج1، ص351. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص123.

[3] السمين الحلبي، الدر المصون، ج3، ص277.

[4] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص264.

[5] الألوسيّ، روح المعاني، ج2، ص200.

[6] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج3، ص103.

[7] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص123.

[8] سيبويه، الكتاب، ج3، ص359. الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص271.

(قُتِلْوا)، (قُتِّلْوا): [1]

وهذه اللّفظة كانت مضماراً للخلاف بين القرّاء العشرة، وذلك في خمسة مواضع من التّنزيل، وهي:

1- في قوله تعالى: " الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا ".[2]

2- في قوله عزّ من قائل: " وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً ".[3]

3- وفي قوله جلّ ثناؤه: " وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا ".[4]

4- وفي قوله سبحانه وتعالى: " وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ".[5]

5- وفي قوله تعالى: " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ".[6]

فقد قرأ هشام (بخلاف عنه) (ما قُتِّلوا) في الموضع الأوّل بضمّ القاف وتشديد التّاء، على وزن (فُعِّلوا)، من قَتَّلَ يُقَتِّلُ، مضعّف العين، على إرادة التّكثير في القتل،[7] وقرأ الباقون (ما قُتِلوا) بتخفيف التّاء، (وهو الوجه الثّاني لهشام)، على وزن (فُعِلوا) من قَتَلَ يَقْتُلُ، وقرأ ابن عامر وحده المواضع الأربعة الباقية بتشديد التّاء من قتّل، مضعّف العين على إرادة التّكثير في القتل.[8]

وأمّا ابن كثير فإنّنا نجد قراءته تتأرجح بين التّخفيف والتّثقيل بحسب موضع القراءة، فقد اختار القراءة بالتّخفيف في الموضعين: الثّاني والثّالث، وهما: الآية 169 من سورة آل عمران، والآية 58 من سورة الحجّ، ثمّ غاير ذلك ليقرأ بالتّشديد، في الموضعين الرّابع والخامس، وهما: الآية 195 من سورة آل عمران، والآية

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص69. شرح طيبة النشر، ص210. تحبير التيسير، ص329. النشر في القراءات، ج2، ص243. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص249. محيسن، الهادي، ج2، ص125.

2 سورة آل عمران، الآية 168.

3 سورة آل عمران، الآية 169.

4 سورة الحج، الآية 58.

5 سورة آل عمران، الآية 195.

6 سورة الأنعام، الآية 140.

7 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص280، 391.

8 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص280، 391.

140 من سورة الأنعام. وقرأ الباقون المواضع الأربعة بتخفيف التاء، " والتّخفيف يدلّ على القلّة والكثرة ".[1]

وقد اتّفق القرّاء العشرة على قراءة (وَما قُتِلُوا) من قوله تعالى: " وَقَالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزّىً لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا "[2] بضمّ القاف وبتخفيف التّاء،[3] وذلك إمّا للمشاكلة اللّفظيّة مع الفعل (ماتوا) الوارد في الآية، وإمّا لأنّ دلالة القتل في هذا السّياق الكريم لا تتعلّق بمعنى الجهاد في سبيل الله، بآية قوله تعالى: " إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ"،[4] إذ المراد به " السَّفَرُ فِي التِّجَارَةِ، وَالسَّيْرُ فِي الْأَرْضِ لِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ "،[5] وقد روي عن ابن عامر أنّه قال: " مَا كَانَ مِنَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ بِالتَّشْدِيدِ ".[6]

كما اتّفق القرّاء العشرة أيضاً على قراءة (قتلوا) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه "[7] بتخفيف التّاء،[8] واتّفقوا على قراءة (وقتلوا) من قوله تعالى: " أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ".[9] بتشديد التّاء.[10]

(عَقَّدْتُمُ)، (عَقَدْتُمُ)، (عاقدتم): [11]

---

[1] الطّبرسيّ، تفسير مجمع البيان، ج9، ص294.

[2] سورة آل عمران، الآية 156.

[3] ابن الجزريّ، النشر في القراءات العشر، ج2، ص243.

[4] المصدر نفسه.

[5] الطّبريّ، جامع البيان، ج7، ص332.

[6] الدّاني، جامع البيان، ج1، ص332. ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص243.

[7] سورة محمد، الآية 4.

[8] ابن الجزري، النشر في القراءات، ج2، ص243.

[9] سورة الأحزاب، الآية 61.

[10] ابن الجزري، النشر في القراءات، ج2، ص243.

[11] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص72. شرح طيبة النشر، ص220. تحبير التيسير، ص349. النشر في القراءات، ج2، ص255. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص290. محيسن، الهادي، ج2، ص177.

قرأ ابن ذكوان وحده (عَاقَدْتُمُ) من قوله تعالى: " لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ ولَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ "،[1] بألف بعد العين وتخفيف القاف، على وزن (فاعَلْتُمْ)؛ إذ المعاقدة في اليمين تحصل بين اثنين، وهي أن يحلف المرء لصاحبه يميناً بأمر ما،[2] " وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي مِنْ حَلَفَ لِأَجْلِهِ فِي كَلَامٍ وَقَعَ مَعَهُ، وَقَدْ يَعُودُ ذَلِكَ إِلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ رَبَطَ بِهِ الْيَمِينَ ".[3] ويجوز أن تكون المفاعلة في هذا السّياق مغايرة لأصل بابها؛ إذ قد يكون المراد بها معنى (فَعَلَ) نحو قولنا: عاقَبْتُ اللّص وعافاك الله.

وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (عَقَدْتُمْ) بحذف الألف الّتي بعد العين وتخفيف القاف، على وزن (فَعَلْتُمْ)، من عَقَدَ يَعْقُدُ عَقْداً، قَالَ الْحُطَيْئَةُ:[4]

أُولئك قَوْمٌ، إن بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَا، وإِن عَاهَدُوا أَوفَوْا، وإِن عاقَدوا شَدُّوا

والمراد بها القليل والكثير، يقال: " عَقَدَ زَيْدٌ يَمِينَهُ، وَعَقَدُوا أَيْمَانَهُمْ "،[5] وحكي عن أبي عبيد أنّه فسّرها على معنى: " وجدتم "،[6] وقال ابن جرير: " معناها: أوجبتموها على أنفسكم "،[7] وهي اختيار أبي عبيدة،[8] وقيل: هي اختيار أبي عبيد.[9]

وقرأ الباقون (عقّدتم) بحذف الألف وتشديد القاف على وزن (فَعّلْتُمْ)، على إرادة التّكثير؛ إذ هو متعلّق بالجماعة،[10] ويعني أيضاً التكرير مرّة بعد مرّة،[1] حكاه ابن

---

[1] سورة المائدة، الآية 89.

[2] السمرقنديّ، بحر العلوم، ج1، ص415.

[3] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص150.

[4] الحطيئة، ديوان الحطيئة، ص72. ثعلب، (1995م)، **قواعد الشعر**، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص31. السيوطي، المزهر، ج2، ص324.

[5] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج12، ص419.

[6] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص338.

[7] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص478.

[8] الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص102.

[9] ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص478.

[10] القِنَّوجي، فتح البيان، ج4، ص41.

عمر - رضي الله عنهما - قال: " التَّشْدِيدُ يَقْتَضِي التَّكْرَارَ، فَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إلَّا إذَا كَرَّرَ الْيَمِينَ "،[2] وهذا القول من ابن عمر قد ضعّفه ابن العربيّ لأنّ في الأثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - ما يظهر فساد مقولة ابن عمر هذه، فقد روي عنه - عليه أفضل الصّلاة والتّسليم - أنّه قال: " وَإِنِّي وَاَللَّهِ إنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْت الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَوْ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي "،[3] قال ابن العربيّ: " فَذَكَرَ وُجُوبَ الْكَفَّارَةِ فِي الْيَمِينِ الَّتِي لَمْ تَتَكَرَّرْ ".[4]

وروي عن مجاهد تأويل آخر لمعنى قراءة التثقيل وهو التأكيد، قال: " التَّشْدِيدُ لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاَللَّهِ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ "،[5] وحكى الأزهري عن أبي عبيد قوله: " مَنْ قَرَأَ (عَقَّدْتُمُ) بالتّشديد فمعناه: وكَدتم"،[6] ونسب ابن النّحاس[7] وابن الجوزيّ[8] هذا القول لأبي عمرو بن العلاء، قال: " قال أبو عمرو: عقّدتم وكّدتم أي فكما تقول: وكّدتم فكذا تقول: عقّدتم ومعنى عقدت اليمين ووكّدتها أن يحلف الحالف على الشّيء غير غالط ولا ناسٍ"،[9] وحكي عن نافع هو: " أن يحلف على الشّيء مراراً".[10]

وقد أنكر أبو عبيدة قراءة التّشديد؛ لأنّها - كما يزعم - تدلّ على تكرير حدوث فعل اليمين، الأمر الّذي يترتّب عليه " سُقُوطَ الْكَفَّارَةِ عَنِ الْيَمِينِ الواحدة لأنّها لم

---

1 الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص102.

2 ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص150.

3 البخاريّ، صحيح البخاريّ، حديث رقم (6623)، ج8، ص128.

4 ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص151.

5 ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص151.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص338.

7 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص280.

8 ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج1، ص578.

9 النّحاس، إعراب القرآن، ج1، ص280.

10 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص338.

تكرّر"،[1] وهذا وهم من أبي عبيد؛ إذ ليس بالضّرورة بمكان أن تدلّ الصّيغة ذات العين المضعّفة على التّكرير والمرار، قال السّمين: " وقد تَجَرَّأ أبو عبيد على هذه القراءةِ وزيَّفَها فقال: التشديد للتكرير مرّةً من بعد مرّة، ولست آمنُ أن توجِبَ هذه القراءةُ سقوطَ الكفّارةِ في اليمين الواحدة لأنّها لم تكرَّرْ وقد وَهَّمه النّاسُ في ذلك، وذكروا تلك المعاني المتقدّمة، فَسَلِمَتِ القراءةُ تلاوةً ومعنى ولله الحمدُ ".[2]

ولو سلّمنا جدلاً بأنّ القراءة تعني بصيغتها المشدّدة معنى التّكرير، فإنّ هذا المعنى لا يعني بالضّرورة تكرّر الفعل نفسه عدّة مرّات، إنّما التّكرير يحصل من تأكيد القصد والإصرار على الفعل، إنّه فعل إنجازيّ: يلفظه اللّسان وينجزه القصد في الفؤاد، يقول ابن العربيّ: " أَنَّ التَّشْدِيدَ عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَعْقِدُ عَلَى الْمَعْنَى بِالْقَصْدِ إلَيْهِ، ثُمَّ يُؤَكِّدُ الْحَلِفَ بِقَصْدٍ آخَرَ، فَهَذَا هُوَ الْعَقْدُ الثَّانِي الَّذِي حَصَلَ بِهِ التَّكْرَارُ أَوْ التَّأْكِيدُ، بِخِلَافِ اللَّغْوِ فَإِنَّهُ قَصَدَ الْيَمِينَ وَفَاتَهُ التَّأْكِيدُ بِالْقَصْدِ الصَّحِيحِ إلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ ".[3]

وقد وقفت على جواب لطيف للواحديّ ردّ فيه على أبي عبيدة في إنكاره لهذه القراءة، فذكر الواحديّ أنّ من العلماء من ذهب إلى أنّ التّشديد والتّخفيف سيّين في المعنى، ثمَّ " هَبْ أَنَّهَا تُفِيدُ التَّكْرِيرَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: "وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ" إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّكْرِيرَ يَحْصُلُ بِأَنْ يَعْقِدَهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَمَتَى جَمَعَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَقَدْ حَصَلَ التَّكْرِيرُ أَمَّا لَوْ عَقَدَ الْيَمِينَ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ لَمْ يَكُنْ مُعَقِّداً ".[4] وقد اختار هذه القراءة أبو حاتم.[5]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص419.

[2] السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج1، ص621.

[3] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص151.

[4] سورة يوسف، الآية 23. الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص419.

[5] الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص102.

(يُغْشِي، يغشّي): [1]

قرأ يعقوب وشعبة وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (يُغَشِّي) من قوله تعالى:

1- " يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ".[2]

2- " يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ".[3]

بفتح الغين وتشديد الشّين على وزن (يُفَعِّل)، من غشّى يُغَشِّي مضعّف العين، على إرادة التّكرير والمداومة.[4]

وقرأ الباقون (يُغْشِي) بإسكان الغين وتخفيف الشّين، على وزن (يَفْعَل)، من أغشى يغشي، المزيد بالهمزة، "وَهُمَا لُغَتَانِ أَغْشَى وَغَشَّى"،[5] بمعنى واحد، هو التّعدية،[6] إلاّ أنّ التشديد أبلغ.[7] قال الواحديّ: " الْإِغْشَاءُ وَالتَّغْشِيَةُ إِلْبَاسُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَقَدْ جَاءَ التَّنْزِيل بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فَمِنَ التَّشْدِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " فَغَشَّاها مَا غَشَّى"، وَمِنَ اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ: " فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ عَلَى مَعْنَى فَأَغْشَيْنَاهُمُ الْعَمَى وَفَقْدَ الرُّؤْيَةِ ".[8]

(سَنُقَتِّلُ)، (يُقَتِّلُونَ): [9]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص75. شرح طيبة النشر، ص233. تحبير التيسير، ص372. النشر في القراءات، ج2، ص269. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص330. محيسن، الهادي، ج2، ص236.

2 سورة الأعراف، الآية 54.

3 سورة الرعد، الآية 3.

4 ابن خالويه، الحجّة، ص156.

5 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص221.

6 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص341.

7 ابن خالويه، الحجّة، ص156.

8 سورة النَّجْمِ، الآية 54. سورة يس، الآية 9. الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص271.

9 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص75. شرح طيبة النشر، ص235. تحبير التيسير، ص377. النشر في القراءات، ج2، ص271. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص335. محيسن، الهادي، ج2، ص245.

اختلف القرّاء في (سَنُقَتِّلُ) من قوله تعالى: " قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ "[1] و(يُقَتِّلون) من قوله تعالى: " يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ "[2]. قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (سَنَقْتُلُ) بفتح النّون وإسكان القاف وضمّ التّاء مع تخفيفها، على وزن (سَنَفْعُلُ)، من قَتَلَ يَقْتُلُ قَتْلاً، على معنى حدوث القَتْل مرّة واحدة.[3] وقرأ الباقون (سَنُقَتِّلُ) بضمّ النّون وفتح القاف وكسر التّاء مع تشديدها، على وزن (سَنُفَعِّل)، من قَتَّل، يُقَتِّلُ مضعّف العين، على إرادة التّكثير[4] والتكرير؛ أي: " تكرير القتل بأبناء بعد أبناء ".[5]

وقرأ نافع (يَقْتُلون) بفتح الياء وسكون القاف وضمّ التّاء، على وزن (يَفْعُلون)، من قَتَلَ يَقْتل. وقرأ الباقون (يُقَتِّلون) بضمّ الياء وفتح القاف وكسر التّاء مع تشديدها، من قَتَّلَ يُقَتِّلُ مضعّف العين.

(فَتَحْنا)، (فَتَّحْنا):[6]

وهذه من الألفاظ الّتي تعدّدت قراءات التّنزيل فيها بين التّشديد والتّخفيف، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:

1- من قوله تعالى: " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ".[7]

2- ومن قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ".[8]

3- ومن قوله تعالى: " فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ ".[9]

---

1 سورة الأعراف، الآية 127.

2 سورة الأعراف، الآية 141.

3 المصدر نفسه.

4 الفارسيّ، الحجّة، ج4، ص72.

5 ابن خالويه، الحجّة، ص162.

6 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص72. شرح طيبة النشر، ص223. تحبير التيسير، ص355. النشر في القراءات، ج2، ص258. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص298. محيسن، الهادي، ج2، ص189.

7 سورة الأنعام، الآية 44.

8 سورة الأعراف، الآية 96.

9 سورة القمر، الآية 11.

فقد قرأ ابن عامر وابن وردان (فَتَّحْنا) بتشديد التّاء على وزن (فَعَّلْنا)، على إرادة التّكثير،[1] " والتّثقيلُ مُؤْذِنٌ بالتّكثير؛ لأنَّ بعده (أبواب) فناسب التّكثير "،[2] ونظيرها قوله تعالى: " مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ "،[3] يقول الفارسيّ: " فقياس مُفتّحة: تَفتّح "،[4] وقيل: هي على معنى التكرير، ؛ أي: الفتح " مرّة بعد مرّة "[5].

وقرأ ابن جمّاز وروح (فَتَّحنا) مشدّدة في القمر، واختلف عن ابن جمّاز في الأنعام والأعراف، فقرأ هذين الموضعين بالتشديد والتخفيف. وقرأ رويس بالتّشديد والتّخفيف في القمر والأنعام والأعراف.

وقرأ الباقون (فَتَحْنا) بالتّخفيف على وزن (فَعَلْنا) لدلالتها على القليل والكثير،[6] يقول الفارسيّ: " و(فَتحَنا) قد يقع على التّكثير كما يقع (فتَّحنا) "،[7] ونظيرها في التّنزيل قول الله تعالى: " فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ "،[8] وقوله جلّ ثناؤه: " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ".[9] وقيل: هما لغتان بمعنى واحد؛ إذ " ... التّخفيف والتّشديد لغتان، إلّا أنّ التّشديد فيه دلالة على التّكثير ".[10]

وقد اتّفق القرّاء العشرة على القراءة بصيغة التّخفيف، حيثما وردت في القــرآن الكريم ما خلا المواضع المتقدّمة،[11] ومنها:

1- في قوله تعالى: " وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ".[12]

---

[1] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص355.
[2] السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص634.
[3] سورة ص، الآية 50.
[4] الفارسيّ، الحجّة، ج4، ص18.
[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص250.
[6] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص250.
[7] الفارسي، الحجّة، ج4، ص18.
[8] سورة القمر، الآية 11.
[9] سورة الأنعام، الآية 44.
[10] محيسن، القراءات، ج1، ص425.
[11] ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج2، ص582.
[12] سورة الحجر، الآية 14.

2- ومن قوله تعالى: " حَتَّى إِذا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَاً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ".[1]
3- ومن قوله تعالى: " إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ".[2]

(يُنَسِّيَنَّكَ)، (يُنْسِيَنَّكَ): [3]

قرأ ابن عامر وحده (يُنَسِّيَنَّكَ) من قوله تعالى: " وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[4] بفتح النّون الأولى وتشديد السّين، على وزن (يُفَعِّلَ)، من: نَسَّى يُنَسِّي مضعّف العين، يقال: " نَسِيتُ الشَّيْءَ وَأَنْسانِي غَيْرِي وَنَسّانِي أَيْضاً "،[5] وفي الحديث عن النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أنّه قال: " لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ "،[6] قال الفارسيّ في توجيه هذه القراءة: " ووجه قول ابن عامر أنّك تقول: نَسِيْتُ الشّيء، فإذا أَرَدْتَ أَنَّ غَيْرَكَ أَنْساكَهُ جاز أَنْ تنقل الفعل بتضعيف العين كما تنقله بالهمزة، وعلى هذا قالوا: غَرَّمْته وأَغْرَمته، فَفَعَّلَ وأَفْعَلَ يجري كل واحد منهما مجرى الآخر، وفي التّنزيل: " فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً".[7]

وقرأ الباقون (يُنْسِيَنَّكَ) بإسكان النّون الأولى وتخفيف السّين، على وزن (يُفْعِل)، من أَنْسَى يُنْسِي الرّباعي، ونظيره في التّنزيل قوله جلّ ثناؤه: " وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ "،[8] وقوله سبحانه: " فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ "،[1] " ولم يقل فنساه ".[2]

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 77.

[2] سورة الفتح، الآية 1.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص73. شرح طيبة النشر، ص225. تحبير التيسير، ص357. النشر في القراءات، ج2، ص259. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص304. محيسن، الهادي، ج2، ص197.

[4] سورة الأنعام، الآية 68.

[5] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص256.

[6] مسلم، المسند الصحيح، باب الأمر بتعهّد القرآن، وكراهة قول نَسِيتُ آية كذا، وجواز قول أُنْسِيتُهَا. حديث رقم: 790، ج1، ص544.

[7] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص324. سورة الطارق، الآية 17.

[8] سورة الكهف، الآية، 63.

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى؛ يقال: " أَنْسَى ونَسَّى بمعنى واحد، مثل: أَنْجَى ونَجَّى "،[3] إلّا أنّ قراءة التّشديد قد تدلّ على التّكثير،[4] وهي كما يذهب ابن عطيّة أكثر مبالغة من قراءة التّخفيف،[5] وهو ما أنكره أبو حيّان، قال: " لَا فَرْقَ بَيْنَ تَضْعِيفِ التَّعْدِيَةِ وَالْهَمْزَةِ ".[6]

ومهما يكن الأمر من توجيه هاتين القراءتين فإنّ المعنى الذي تؤدّيانه في هذا السّياق الشّريف هو النّهي عن مجالسة أولئك النّفر من أهل السّفه والضّلالة ممّن لا يتورّعون عن الخوض في كلام الله جلّ في علاه سخريّة واستهزاءً،[7] إنّها خطاب من الله سبحانه وتعالى لنبيّه محمد - صلّى الله عليه وسلّم - أن يُعرض عن مجالسة هؤلاء؛ أي: "... يَا مُحَمَّدُ ... صُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ، وَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ،... حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ حَدِيثِهِمْ بَيْنَهُمْ ... وَإِنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهْيَنَا إِيَّاكَ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِنَا ثُمَّ ذَكَرْتَ ذَلِكَ، فَقُمْ عَنْهُمْ وَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ذِكْرِكَ ذَلِكَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ".[8]

(يَصْعَدُ)، (يَصَّاعَدُ)، (يَصَّعَّدُ):[9]

قرأ ابن كثير (يَصْعَدُ) من قوله تعالى: " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ "[1] بإسكان الصّاد وتخفيف العين من غير ألف، من صَعِدَ يَصْعَدُ صُعوداً أي: علا وارتفع.[2]

---

[1] سورة يوسف، الآية 42.

[2] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص256.

[3] الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص363.

[4] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص13.

[5] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ج2، ص304.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص546.

[7] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص22.

[8] الطبريّ، جامع البيان، ج11، ص436.

[9] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص74. شرح طيبة النشر، ص228. تحبير التيسير، ص364. النشر في القراءات، ج2، ص262. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص314. محيسن، الهادي، ج2، ص215.

وقرأ شعبة (يَصّاعَدُ) بتشديد الصّاد وبإقحام ألف بعدها، مع تخفيف العين، وأصله يتصاعد،[3] ثمّ " أدغمت التّاء في الصّاد تخفيفاً ".[4] فصارت يَصَّاعَدُ، أي: " يتعاطى الصُّعود ويتكلَّفه ".[5] وقرأ الباقون (يَصَّعَّد) بفتح الصّاد المشدّدة، مع حذف الألف وتشديد العين، على وزن (يَتَفَعَّلُ)، وأصله يتصعّد،[6] ثّم أدغمت التّاء في الصّاد تخفيفاً، يقال: "... تَصَعَّدَهُ الشَّيءُ، أي: شَقَّ عَلَيّه".[7] ومعنى (يَتَصَعَّد): " يتكلّف ما لا يطيق شيئاً بعد شيء، مثل قولك: يَتَجَرَّع"،[8] وقولهم: " يتعفّف ويتحرّج، ونحو ذلك ممّا يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء "،[9] قال الجوهريّ: " وتَعَفَّفَ أي: تَكَلَّفَ العِفَّة "؛[10] إذ إنّ "... تَفَعَّلَ يكون لِتَكلُّفِ الشّيء وليس به، نحو: تَشَجَّع وتَعَقَّل"،[11] ومنه قول جرير:[12]

وَقَائِلَةٍ مَا للفَرَزْدَقِ لَا يُرَى   عَلَى السِّنِّ يَسْتَغْنِي، ولَا يَتَعَفَّفُ

ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - أنّه قال: " مَا تَصَعَّدَنِي شيءٌ مَا تَصَعَّدَتْنِي خِطْبَةُ النِّكَاحِ "؛[13] أي: " مَا شَقَّ "[1] قال أبو عبيد:

---

[1] سورة الأنعام، الآية 125.

(2) الفيومي، المصباح المنير، (صعد)، ج1، ص339.

(3) الفراء، معاني القرآن، ج1، ص354.

(4) السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص146.

(5) المصدر نفسه.

(6) الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص385.

[7] الفارابيّ، ديوان الأدب، ج2، ص443.

[8] مكي، الكشف، ج1، ص451. محيسن، القراءات، ج1، ص489.

[9] الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان، ج9، ص265.

[10] الجوهريّ، الصحاح، (عفف)، ج4، ص1406.

[11] ابن فارس، فقه اللّغة، ص169.

[12] جرير، الدّيوان، ص299. الزبيديّ، تاج العروس، (عفف)، ج24، ص173.

[13] الزيلعيّ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: 762هـ)، (1994م)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، السعوديّة، ج4، ص100.

يريد " مَا تكاءَدتْني وَمَا بَلَغَتْ مِنِّي وَمَا جَهَدَتْني، وأَصله مِنَ الصَّعُود، وَهِيَ الْعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ"،[2] يقال: " تَصَعَّدَهُ الأَمْرُ إذا شَقَّ عَلَيْهِ وصَعُبَ "،[3] قال الجاحظ: " سُئِلَ ابْن المقفع عَن قَول عمر فَقَالَ: مَا أعرفهُ إِلَّا أَن يكون لقرب الْوُجُوه من الْوُجُوه وَنظر الحداق فِي أَجْوَاف الحداق وَلِأَنَّهُ إذا كَانَ جَالِساً مَعَهم كَانُوا نظراء وأكفاء وَإِذا علا المنبر كَانُوا سُوقةً ورعيَّة. كَانَ رَضِي الله عَنهُ يَصِيح الصَّيْحَة فيكاد من يسْمعهَا يصعق كَالْجملِ المحجوم ".[4]

ويرى الباحث أنّ بين هذه القراءات قاسماً دلالياً مشتركاً؛ فإنّ من يمعن النّظر فيها ليبصرها تلتقي على معنىً لغويّ جامعاً هو الشدّة والمشقّة، ثمّ سرعان ما تفترق في بنيتها الصّرفيّة على نحو يزيد المعنى بلاغة ويوسّع الدّلالة المستفادة من تطويل المبنى، وتفصيل ذلك: أنّ القراءة بصيغة التّخفيف تخبر عن حال من ضاق صدره عن الإيمان، فكان حاله كمن يحاول الصّعود إلى السّماء، فكأنّ هذه القراءة تنبئ عن عظم الضّيق الذي يحتبس في قلب ذلك المعاند لدين الله، إنّها كناية عن الشّيء المستحيل غير الممكن مناله؛ " لأنّ صعود السّماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة، وتضيق عنه المقدرة "،[5] قال عمر - رضي الله عنه -: " كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ يعني يشقّ عليه الإيمان، ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السّماء ".[6]

---

[1] أبو عبيد، غريب الحديث، ج3، ص387. الزمخشريّ، الفائق في غريب الحديث، ج2، ص299.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج3، ص252.

[3] ابن الأثير، النهاية، ج3، ص30. ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج3، ص252.

[4] الزمخشريّ، الفائق في غريب الحديث، ج2، ص299.

(5) الزمخشريّ، الكشاف، ج2، ص64.

(6) الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص188. ابن الزكي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعيّ الكلبي المزي (ت: 742هـ)، (1980م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج15، ص325.

ومن قرأ (يَصّاعَدُ) فإنّه أراد المعنى نفسه؛ " فهو مثل ضَاعَفَ وضَعَفَ، ونَاعَم ونَعَم، وهما من المشقّة وصعوبة الشّيء "،[1] ومنه قوله عز من قائل: " وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً "؛[2] أي: عذاباً شاقّاً[3] " لَا رَاحَةَ فِيهِ "؛[4] " أَي ذَا صَعَد ومَشَقَّة ".[5] وأمّا من قرأ (يَصَّعَّدُ) بتشديد البنية فإنّه قد أتى بالمعنى نفسه؛ وهو الصّعود بمشقّة، " كأنّه يتكلّف شيئاً بعد شيء، وكُلُّهُ لا يطيقه "،[6] يقال: " تَصَعَّدَني الشّيءُ، وتَصاعَدَني: شَقَّ عليَّ ".[7]

ويقول الرّازيّ: " فِي كَيْفِيَّةِ هَذَا التَّشْبِيهِ وَجْهَانِ الْأَوَّلُ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كُلِّفَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ثَقُلَ ذَلِكَ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِ وَعَظُمَ وَصَعُبَ عَلَيْهِ وَقَوِيَتْ نَفْرَتُهُ عَنْهُ فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ وَتَعْظُمُ نَفْرَتُهُ عَنْهُ. وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ أَنَّ قَلْبَهُ يَنْبُو عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَتَبَاعَدُ عَنْ قَبُولِ الْإِيمَانِ فَشَبَّهَ ذَلِكَ الْبُعْدَ بِبُعْدِ مَنْ يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ".[8]

(فَرَّقُوا)، (فارَقُوا):[9]

قرأ حمزة والكسائيّ (فَرَّقُوا) من قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ "،[10] ومن قوله تعالى: " مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً"،[1]

---

1 الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان، ج9، ص265.

2 سورة الجن، الآية 17.

3 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص246.

4 عبد الرزّاق، تفسير عبد الرزّاق، ج3، ص353.

5 ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج3، ص252.

(6) مكي، الهداية، ج3، ص2180.

(7) الفيوميّ، المصباح المنير، (صعد)، ج1، ص339.

8 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج13، ص142.

(9) ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص75. شرح طيبة النشر، ص230. تحبير التيسير، ص367. النشر في القراءات، ج2، ص266. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص324. محيسن، الهادي، ج2، ص225-226.

(10) سورة الأنعام، الآية 159.

شِيَعاً"،[(1)] بإقحام ألف بعد الفاء، وتخفيف الرّاء، مــن فــارَقَ يُفــارِقُ فِرَاقــاً،[(2)] أو مُفارَقَة؛[(3)] بمعنى: زَايَلُوهُ أي فارقوه،[(4)] فـــ " تركوه وانصرفوا عنه "،[(5)] فكأنّهم قد " مازُوه عن غيره من سائر الأديان"،[(6)] قال ابن عبّاس – رضي الله عنهمـــا – هـــم " الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى تَرَكُوا الْإِسْلَامَ وَالدِّيْنَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ وكَانُوا شِــيَعَاً فِرَقَــاً أَحْزَابَــاً مُخْتَلِفَةً "،[(7)] وهو قول مجاهد[(8)] ومقاتل أيضاً.[(9)] وقد روي أنّ رجلاً قرأ عند عليّ - كرّم الله وجهه - قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ "،[(10)] فقال علي: " وَاللَّــهِ مَــا فَرَّقُوهُ وَلَكِنْ فَارَقُوهُ "،[(11)] يريد اليهود والنّصارى؛[(12)] أي: إنّهم قد " تركُــوا ديــنهم الْحق الَّذِي أَمرهم الله باتباعه ودعاهم إِلَيْهِ".[(13)]

وقرأ الباقون (فرّقوا) في الموضعين بحذف الألف وتشديد الرّاء، من: فَرَّقَ يُفَرِّقُ تَفْرِيقاً بتضعيف العين، على معنى: زَيَّلُوهُ[(14)] فـــ " فرَّقوه، وعضَّوْه أعضاء، فخالفوا بين بعضه وبعض"،[(15)] فـــ "جعلوه فِرَقاً"،[(1)] بآية قوله: " وَكَانُوا شِيَعاً "؛[(2)] أي:

---

(1) سورة الروم، الآية 32.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص149.

(3) الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص317.

4 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص278. الفيوميّ، المصباح المنير، (زيل)، ج1، ص261. الخفاجيّ، القراءات المتواترة، ص229.

(5) ابن خالويه، الحجّة، ص152.

(6) ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص238.

7 النّحاس، (1988م)، **النّاسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، ص442.

8 الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص34.

9 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج1، ص599.

(10) سورة الأنعام، الآية 159.

(11) ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص278. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص149.

12 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص366.

13 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص278.

14 الفيوميّ، المصباح المنير، (زيل)، ج1، ص261.

(15) ابن جنيّ، المحتسب، ج1، ص238.

صاروا " فِرَقَاً. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَحْزَابَاً، يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ ".[3] وروي عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال لعائشة - رضي الله عنها - " يَا عَائِشَةُ، " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً "، هُمْ أَصْحَابُ الْبِدَعِ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَلَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بِرَاءٌ ".[4]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين سيّين في المعنى،[5] أو هما على حدّ كلام صاحب (البحر المحيط) متقاربتين؛[6] ذلك أنّ العربيّة قد بادلت بين صيغتي (فاعل) و(فَعَّلَ) فأقامت كل منهما محل الأخرى، فيقال: " ضَعَّفَ وضاعَفَ، وَعَالَى وَعَلَّى، وَصَاعَرَ وَصَعَّرَ "،[7] يقول عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان:[8] " وتصديقها قَوْله: " كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ "، يَدُلُّكَ على أَنَّهُمْ صَارُوا أَحْزاباً وَفِرَقَاً، والمعنيان متقاربان؛ لأَنَّهُمْ إِذا فَرَّقُوا الدّين فَقَدْ فارَقُوهُ "،[9] قال الرّازيّ: " وَمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدَ

---

(1) ابن خالويه، الحجّة، ص152.

(2) سورة الأنعام، الآية 159.

(3) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، ج2، ص659.

(4) الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني (ت: 360هـ)، (1985م)، **المعجم الصغير**، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار، عمّان، حديث رقم: 560، ج1، ص338. سورة الأنعام، الآية 159.

(5) العكبريّ، التبيان، ج1، ص552.

(6) أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص701.

(7) الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص396.

(8) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان أبو عبيدة التنوري العنبري، وكان إماماً حافظاً مقرئاً ثقة، وعرض القرآن على أبي عمرو ورافقه في العرض على حميد بن قيس المكي، روى القراءة عنه ابنه عبد الصمد وبشر بن هلال وغيرهما، وكان ثقة حجة موصوفاً بالعبادة والدّين والفصاحة والبلاغة، وكانت وفاته بالبصرة سنة 180 للهجرة. ابن الجزريّ، غاية النّهاية، ج1، ص478.

(9) سورة المؤمنون، الآية 53. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص278.

التَّحْقِيقِ وَاحِدٌ لِأَنَّ الَّذِي فَرَّقَ دِينَهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَقَرَّ بِبَعْضٍ وَأَنْكَرَ بَعْضَاً فَقَدْ فَارَقَهُ فِي الْحَقِيقَةِ ".[1]

(يُمَسِّكُونَ)، (يُمْسِكُونَ): [2]

قرأ شعبة وحده (يُمَسِّكُونَ) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ "،[3] بإسكان الميم، وتخفيف السين، من أَمْسَكَ يُمْسِكُ إِمْسَاكاً بزيادة الهمزة،[4] بمعنى: " يؤْمنون بِهِ وَيَحْكُمُونَ بِمَا فِيهِ"؛[5] أي: التوراة.[6]

وقرأ الباقون (يُمَسِّكُونَ) بفتح الميم وتشديد السّين، من مَسَّكَ يُمَسِّكُ مضعّف العين، " إذا عاود فعل التَمَسُّك "،[7] وقيل هي بمعنى تَمَسَّكَ،[8] " حكاه أهل التّصريف"،[9] على إرادة " التَّكْرِيرِ وَالتَّكْثِيرِ "،[10] قال مجاهد: " هم الذّين آمنوا من أهلِ الكتابِ كعبدِ اللَّه بنُ سَلاَم وأصحابِه تمسّكوا بالكتاب الذي جاءَ به موسَى عليه السّلام فلم يحرّفوه ولم يكتُموه ولم يتّخذوه مأكلةً وقال عطاء هم أمّة محمّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلّم ".[11]

---

[1] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج14، ص188.

[2] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص76. شرح طيبة النشر، ص239. تحبير التيسير، ص380. النشر في القراءات، ج2، ص273. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص343. محيسن، الهادي، ج2، ص255-256.

[3] سورة الأعراف، الآية 170.

[4] الفيوميّ، المصباح المنير، (مسك)، ج2، ص573.

[5] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، ج10، ص53. ابن منظور، لسان العرب، (مسك)، ج10، ص487.

[6] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج2، ص72.

[7] ابن خالويه، الحجّة، ص166.

[8] الألوسيّ، روح المعاني، ج5، ص92.

[9] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص508.

[10] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص313.

[11] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص288.

وهناك من اعتمد العلاقات التّركيبيّة بين الكلم أساساً في المفاضلة بين هاتين القراءتين؛ فالفعل (أَمْسَكَ) هو من زمرة الأفعال المتعدّية التي تنصب مفعولاً به، في حين ينتمي الفعل (مَسَّكَ) إلى فصيلة الأفعال اللاّزمة؛ ولذلك اختار أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة التّشديد؛ " لأنّه يقال تمسّكت بالشّيء ولا يقال أمسكت بالشّيء: إنّما يقال أمسكته ".[1]

وأحسب أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ في العربيّة شواهد فصيحة ورد فيها الفعل (مَسَّكَ) متعدّياً، ولعلّ قراءة شعبة هذه خير شاهد على رسوخ هذا الاستعمال في العربيّة، وربّما كان الصّواب أن يقال: إنّ الأكثر في الاستعمال مجيء الفعل أَمْسَكَ متعدّياً والفعل مَسَّكَ لازماً، ولعلّ الواحديّ كان مصيباً حين قال معلّقاً على هاتين القراءاتين: ولعلّ الواحديّ كان مصيباً حين قال معلّقاً على هاتين القراءاتين: " وَالتَّشْدِيدُ أقوى، لأنّ التّشديد للكثرة وههنا أُرِيدَ بِهِ الْكَثْرَةُ، وَلِأَنَّهُ يُقَالُ: أَمْسَكْتُهُ، وَقَلَّمَا يُقَالُ أَمْسَكْتُ بِهِ ".[2]

وبناءً على ما تقدّم يعتقد الباحث أنّ هاتين القراءتين هما مترادفتان في المعنى؛ حيث إنّ العربيّة كثيراً ما تعاقب بين الهمزة والتّضعيف فتستبدل بالبنية المشدّدة بنية أخرى مزيدة بالهمزة.

(تُرْهِّبُونَ)، (تُرَهِبُونَ): [3]

قرأ رويس وحده (تُرْهِّبُونَ) من قوله تعالى: " تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ "[4] بإسكان الرّاء وتشديد الهاء على وزن (تُفَعِّلونَ)، من رَهَّبَ يُرَهِّبُ مضعّف العين، يقال: " رَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً وَرَهْبَةً، أي: خِفْتُهُ ".[1]

---

[1] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص301.

[2] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج15، ص396.

[3] ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص77. شرح طيبة النشر، ص243. تحبير التيسير، ص386. النشر في القراءات، ج2، ص277. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص353. محيسن، الهادي، ج2، ص269.

[4] سورة الأنفال، الآية 60.

وقرأ الباقون (تُرْهِبُونَ) بفتح الرّاء وتخفيف الهاء، على وزن (تُفْعِلون)، من أَرْهَبَ يُرْهِبُ المزيد بالهمزة، بمعنى: " تُخِيفون وتُرْعِبون ".[2]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين سيّين في المعنى؛[3] إذ كثيراً ما تجنح العربيّة إلى المبادلة بين الهمزة والتّضعيف عند إرادة تعدية الفعل، فكانت القراءة ذات الصّيغة المشدّدة تعادل القراءة الثّانية في المعنى الصرفيّ لزيادة الهمزة؛[4] يقال: " أَرْهَبْتُهُ ورَهَّبْتُهُ سواء "؛[5] ولذلك وجدنا من العلماء من حمل هاتين القراءاتين على التّباين اللّهجيّ، فقال: هما لغتان بمعنى واحد،[6] يقال: " أَرْهَبْتُه ورَهَّبْتُه "،[7] ويقال أيضاً: "أَرْهَبْتُ الْعَدُوَّ وَرَهَّبْتُهُ، فَأَنَا أُرْهِبُهُ وَأُرَهِّبُهُ إِرْهَاباً وَتَرْهِيباً، وَهُوَ الرَّهَبُ وَالرُّهْبُ"،[8] ومنه قول طفيل الغنويّ: [9]

وَيْلُ امِّ حَيٍّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهُمُ   بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرَّعْبِ وَالرَّهَبِ

(وَيُثْبِتُ)، (وَيُثَبِّتُ):[10]

قرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (وَيُثْبِتُ) من قوله تعالى: " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ "[11] بإسكان الثّاء وتخفيف الباء، على وزن (يُفْعِلُ)،

---

1 الفراهيديّ، العين، (رهب)، ج4، ص47.

2 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص249.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص443.

4 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص628.

5 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص249.

6 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج4، ص369. ج

7 أبو العلاء الحنفيّ، مفاتيح الأغاني، ص192.

8 الطبريّ، جامع البيان، ج14، ص35.

9 طفيل الغنوي، الديوان، ص128.

10 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص81. شرح طيبة النشر، ص257. تحبير التيسير، ص423. النشر في القراءات، ج2، ص298. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص400. محيسن، الهادي، ج2، ص337.

11 سورة الرعد، الآية 39.

من أَثْبَتَ يُثْبِتُ المزيد بهمزة،[1] أي: "ويقر"،[2] " ويُبْقِي مِن أمْره ما يشاء ".[3] وقرأ الباقون (وَيُثَبِّتُ) بفتح الثّاء وتشديد الباء على وزن (يُفَعِّلُ)، من ثَبَّتَ يُثَبِّتُ مضعّف العين، وهي القراءة المختارة عند أبي حاتم[4] وأبي عبيد؛ وذلك " لكثرة مَن قرأها، ولقوله تعالى: " يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ".[5]

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين هما كغيرهما من قراءات التّنزيل ممّن كان الاختلاف فيها منصبّاً نحو القراءة بتشديد العين والقراءة بتخفيفها مع إلحاق الفعل المخفّف همزة قطع؛ " فاستغني بتعدية الأوّل من الفعلين عن تعدية الثّاني "؛[6] ولذلك يمكن القول إنّ هاتين القراءتين هما متساويتان في المعنى، إذ ورد في العربيّة الفعل (ثَبَتَ) متعدّياً بالهمزة والتّضعيف، فيقال: أَثْبَتَهُ وَثَبَّتَهُ بمعنى واحد،[7] وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، نحو: " وَفَيَّت وَأَوْفَيَّت، وَعَظَّمْتَهُ وأَعْظَمْتَهُ ".[8]

(فُتِحَتْ)، (فُتِّحَتْ): [9]

وقريب من ذلك (فُتِّحَتْ) من قوله تعالى: " حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ "[10] حيث قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (فُتِّحَتْ) بتشديد التّاء، على وزن (فُعِّلَتْ)

---

[1] ابن خالويه، الحجّة، ص202.

[2] مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج2، ص383.

[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص150.

[4] القرطبيّ، جامع البيان، ج9، ص329.

[5] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج5، ص296. سورة إبراهيم، الآية 27.

[6] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص20.

[7] الفيوميّ، المصباح المنير، ج1، ص80. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص19. (ثبت).

[8] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص374.

[9] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص73. شرح طيبة النشر، ص223. تحبير التيسير، ص355. النشر في القراءات، ج2، ص258. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص299. محيسن، الهادي، ج2، ص190.

[10] سورة الأنبياء، الآية 96.

على معنى التّكرير والتّكثير؛[1] إذ المعنى يحيل إلى كثرة ما يقوم به هؤلاء القوم حتى ينجزوا هدم السدّ، وهم في دأبهم لتحقيق ذلك يكرّرون محاولة الهدم حتى يظفروا بمنالهم.[2]

وقرأ الباقون (فُتِحَتْ) بتخفيف التّاء على وزن (فُعِلَتْ)، على معنى " فتح واحد للسدِّ الّذي سدّه ذو القرنين، وكان التّخفيف أجود لوجهين؛ لأّنه سَدٌّ لا يُفتح إلا مرّة واحدة ثّم لا يُسَدُّ "،[3] وفي ذلك يقول الفارسيّ: " فإنّما خفّف؛ لأنّ المعنى: فتح سدّ يأجوج ومأجوج؛ فأجرى التّأنيث على لفظ يأجوج، وإن كان المعنى على السدّ، أو يكون: فتحت أرض يأجوج، لأنّ فتح سدّها فتح أرضهم؛ فهو فتح واحد لا تكرير فيه، فيحسن التشديد ".[4]

(وَفَرَّضْناها)، (وَفَرَضْناها): [5]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وَفَرَّضْناها) من قوله تعالى: "سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها"[6] بتشديد الرّاء على وزن (فَعَّلْناها) أي: بينّاها،[7] نحو: قوله في متنزّه التنزيل: " قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ "؛[8] أي: " بيّن لكم كيف تكَفِّرون عن أيمانكم إذا حلفتم "،[9] وقيل معناها: فصّلناها، حكاه أبو عمرو،[10] فهي فرائض متعدّدة واجبة على النّاس كافّة في جميع الأزمان، ولعلّ صيغة التّضعيف تلبّي هذا

---

1 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص172.

2 الفارسي، الحجة، ج5، ص262. مكي، الكشف، ج2، ص114.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص172.

4 الفارسيّ، الحجّة، ج4، ص19.

5 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص88. شرح طيبة النشر، ص284. تحبير التيسير، ص479. النشر في القراءات، ج2، ص330. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص472. محيسن، الهادي، ج3، ص83.

6 سورة النور، الآية 1.

7 يحيى بن سلام، التّصاريف لتفسير القرآن، ص188.

8 سورة التحريم، الآية 2.

9 أبو هلال العسكريّ، الوجوه والنظائر، ص368.

10 النّحاس، إعراب القرآن، ج3، ص88.

المقصد، قاله الفرّاء،[1] وقال الزّجاج: " ... من قرأ بالتّشْدِيد فَعَلَى وجهين: أحدهما على معنى التّكثير، على معنى أنّا فَرَضْنَا فيها فُرُوضاً كثيرةً وعلى معنى بيَّنَّا وفضّلنَا ما فيها من الحلال والحرام"،[2] وقيل: المراد بالتّضعيف ههنا المبالغة؛ حيث " إِنَّهَا حُدُودٌ وَأَحْكَامٌ فَلَا بُدَّ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي إِيجَابِهَا لِيَحْصُلَ الِانْقِيَادُ لِقَبُولِهَا"، قاله الفرّاء.[3]

وقرأ الباقون (وَفَرَضْناها) بتخفيف الرّاء على وزن (فَعَلْناها)، من فَرَضَ يَفْرِضُ، بمعنى: " ألزمناكُمْ العمل بما بُيِّن فيها من الواجبات والحقوق"؛[4] لذلك كانت هذه القراءة المخفّفة تشمل ببنيتها الصّرفية القليل والكثير،[5] كما كان ذلك في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ "،[6] قال الفارسي: " والمعنى: أحكام القرآن وفرائض القرآن، كما أنّ التي في سورة النّور كذلك ".[7]

وهكذا كانت هذه الآية الكريمة بمثابة إعلام وتنبيه لكلّ من يقرأ هذه السّورة أن يتدبّر ما فيها من أحكام وشرائع تنظّم حياة المسلم في مجتمعه، وهي بالجملة قوانين وحدود وفرائض عديدة كثيرة، وكأنّها قد شرعها الله فرضاً فرضاً، فلمّا اجتمعت صارت فروضاً متعدّدة فكان التّضعيف بيان على تلك الأحكام الّتي جاء تفصيلها فيما تلاها من آيات ففرضها الله على جميع خلقه وألزمهم بتمثلها والإقرار بالعمل بها.

(وَيُلَقَّوْنَ)، (وَيَلْقَوْنَ): [8]

---

[1] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص244. ابن خالويه، الحجّة، ص259.

[2] الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص27.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص301. ولم أجد ذلك في معاني الفراء.

[4] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص201.

[5] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص309.

[6] سورة القصص، الآية 85.

[7] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص309.

[8] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص89. شرح طيبة النشر، ص288. تحبير التيسير، ص486. النشر في القراءات، ج2، ص335. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص481. محيسن، الهادي، ج3، ص101.

قرأ ابن عامر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وحفص (وَيُلَقَّوْنَ) من قوله تعالى: " وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً "[1] بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف على وزن (يُفَعَّلونَ)، من لقّى يُلَقَّى، بتضعيف العين، نحو: قوله تعالى: " ولَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً "،[2] فعدّي الفعل بالتّضعيف بعد أن كان لازماً.

وقرأ الباقون (وَيَلْقَوْنَ) بفتح الياء وإسكان اللّام وتخفيف القاف على وزن (يَفْعَلون)، من لَقِيَ يَلْقَى، نحو: قوله تعالى: " فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ".[3]

وقد آثر أبو زكريا الفرّاء قراءة التّخفيف؛ لأنّ الاستعمال الفصيح - كما يزعم - ورد فيه (يتلقّى) لازماً فكانت القراءة بالتّخفيف تتماشى مع الفعل لقّى، قال: " و(يَلْقَوْنَ) أَعْجَبُ إِليّ؛ لأنّ القراءة لو كانت عَلَى (يُلَقَّون) كانت بالباء فِي العربيّة لأنّك تَقُولُ: فلان يُتَلَقّى بالسّلام وبالخير. وهو صواب يُلَقَّوْنه ويلقون بِهِ كما تَقُولُ: أخذت بالخطام وأخذته "،[4] وهذا القول من لدن الفرّاء يُغلّطه الاستعمال اللّغويّ الفصيح أيضاً؛ فقد ورد في التّنزيل الفعل (لقّى) مضعّفاً ومتعدّياً، وهو قوله تعالى: " وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً "،[5] ثمّ إنّ الفرّاء قد قاس (يُلَقّونَ) على (يَتَلّون) وشتّان بين هذين الفعلين، قال الأزهريّ: " وقال غيره: فلان يَلْقَى الخير، ويَلْقَى به. كما تقول: أخذت الزّمام، وأخذت بالزّمام ".[6]

والمعنى أنّ من عظيم جزاء الله لعباده أنّه يدخلهم الجنّة ثواباً لإيمانهم وجزاءً لتقواهم، فتستقبلهم الملائكة ببشرى خلود الإقامة وعظيم النّعيم، وتتلقّاهم بالسّلام، " فيقبل كل واحد منهم على الآخر فيلقاه بالتحيّة والبشرى لما سيلقى من الكريم في جنان الخلد، " ثُمَّ هَذِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّه تَعَالَى لِقَوْلِهِ: " سَلَامٌ قَوْلًا

---

[1] سورة الفرقان، الآية 75.

[2] سورة الإنسان، الآية 11.

[3] سورة مريم، الآية 59.

[4] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص275.

[5] سورة الإنسان، الآية 11.

[6] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص221.

مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ "، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ: " وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ "، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ".[1]

(وَاتَّبَعَكَ)، (وَأَتْبَاعُكَ): [2]

قرأ العشرة إلّا يعقوب (وَاتَّبَعَكَ) من قوله تعالى: " قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ"،[3] بألف وصل، وتشديد التّاء مع فتحها، وفتح الباء والعين، على وزن (افْتَعَلَ)، بصيغة الفعل الماضي[4] أي: " وتَبِعَكَ الأرذلون ".[5]

وقرأ يعقوب وحده (وَأَتْبَاعُكَ) باستبدال همزة قطع بألف الوصل، مع إسكان التّاء وتخفيفها وإقحام ألف بعد الباء وضمّ العين، على وزن (أَفْعَال) جمع تكسير واحده " تَابِع كَشَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ، أَوْ جَمْعُ تَبَعٍ كَبَطَلٍ وَأَبْطَالٍ "،[6] وقيل: هي " جَمْعُ تَبِيعٍ، كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ "،[7] ومعناه: " وأشياعك الأرذلون ".[8]

وقد استحسن الفرّاء قراءة الجمهور،[9] وذهب أبو إسحاق الزّجاج إلى أنّها قراءة جيّدة قويّة في العربيّة؛[10] لأنّ واو الحال " تصحبُ الأسماءَ أكثر في العربيّة؛ لأنّك تقول: جئتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزيدُونَ، ويجوز: وَصَحِبَك الزيْدُونَ، والأكثر جئتك وَقَدْ صَحِبَكَ الزيدون "،[11] وإلى ذلك ذهب أبو جعفر النحّاس، قال: " وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ،

---

1 الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص488. سورة يس، الآية 58. سورة الرَّعْدِ، الآية 23، 24.

2 ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص89. شرح طيبة النش، ص288. تحبير التيسير، ص488. النشر في القراءات، ج2، ص335. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص483. محيسن، الهادي، ج3، ص104.

3 سورة الشعراء، الآية 111.

4 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج2، ص561.

5 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص227.

6 الزمخشريّ، الكشّاف، ج3، ص324. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج24، ص521.

7 أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص176.

8 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص227.

9 الفراء، معاني القرآن، ج2، ص281.

10 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص95.

11 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص95.

وَهَذِهِ الواو أكثرها تتبعها الأسماء والأفعال بقد. وَأَتْبَاعٌ جَمْعُ تَبَعٍ وَتَبعٍ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ".[1]

وأحسب أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا مزيّة لإحداهما على الأخرى، ولا مكان للمفاضلة بينهما. وأمّا القول بأنّ واو الحال لا يأتي بعدها الفعل الماضي إلاّ مقترناً بقد فمسألة خلافيّة بين النّحاة تحتاج إلى بحث مستقل،[2] والذي يمكن قوله إنّ واقع الاستعمال في العربيّة ليكشف عن شواهد فصيحة ورد فيها الفعل الماضي في جملة الحال دون أن يقترن بقد، ولعلّ في قراءة يعقوب هذه لخير دليل على أصالة هذا الاستعمال وفصاحته،[3] وكان الأجدر بالنّحاة القول بأنَّ الغالب أو الأكثر في الاستعمال هو اقتران جملة الحال بالفعل الماضي بقد.

وأمّا هاتان القراءتان فهما في ظنّي متقاربتان في المعنى؛ فقراءة الجمهور تخبر عن حال قوم نوح - عليه السّلام - وتكبّرهم عن اتّباع دين الله فيتساووا مع غيرهم من الضّعفاء أو الفقراء أو غير ذلك ممّا فسّر به (الأرذلون)؛[4] أي كيف يكـــون أن نؤمن بما تدعوننا إليه يا نوح " وَقَدِ اتَّبَعَكَ أَرَاذِلُنَا، فَنَتَسَاوَى مَعَهُمْ فِي اتِّبَاعِكَ؟ ".[5]

وأمّا قراءة يعقوب فإنّها تخبر عن قريب من هذا المعنى؛ إذ الأَتْباع لا يكونون إلّا بالاتّباع، وكأنّ هذه القراءة هي بمثابة نتيجة متحصّلة من القراءة الأولى والمعنى - والله أعلم -: كيف نكون يا نوح أتباعاً لك فنكون مع الأرذلين في منزلة واحدة، " أنؤمن لك وإنّما أتباعك الأرذلون فنساويهم في أن نكون مرذولين مثلهم؟ ".[6]

---

1 النحّاس، معاني القرآن، ج5، ص90. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص120.

2 الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص205. مسألة 32.

3 ابن هشام، مغني اللبيب، ص229.

4 الماورديّ، النكت والعيون، ج4، ص179.

5 أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص176.

6 ابن جنيّ، المحتسب، ج2، ص131.

(لَهُدِمَتْ)، (لَهُدِّمَتْ): [1]

قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (لَهُدِمَتْ) من قوله تعالى: " لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ"[2] بتخفيف الدّال على وزن (فُعُلَتْ)، من هَدَمَ يَهْدِمُ، وهو يدلّ على القليل والكثير،[3] " وهدّمت يختصّ به الكثير، كما أنّ الرّكبة والجلسة تختصّ بالحال الّتي هو عليها "، حكاه الفارسيّ،[4] وفي التّنزيل: " وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ "،[5] قال الفرزدق:[6]

ما زِلْتُ أَفْتَحُ أبْواباً وأُغْلِقُها   حتى أتيتُ أبا عمرو بنَ عَمّارِ

قال سيبويه معلّقاً على بيت الفرزدق: " وفتحت في هذا أحسن، كما أنّ قعدة في ذلك أحسن ".[7]

وقرأ الباقون (لَهُدِّمَتْ) بتشديد الدّال على وزن (فُعِّلَتْ)، من هَدَّمَ يُهَدِّمُ بتضعيف العين على إرادة تكرير حدوث الفعل،[8] وتكثيره.[9] وهذا يعني أنّ هذه القراءة الأخيرة قد أضافت معنىً بليغاً نبّهت على عظم خطر أعداء الدّين وما يمكن أن يلحقوه بالبشريّة لو تركوا؛ فإنّ الانتقام والتّخريب وقتل الأنفس وتخريب دور العبادة

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص281. تحبير التيسير، ص471. النشر في القراءات، ج2، ص327. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص465. محيسن، الهادي، ج3، ص69.

[2] سورة الحج، الآية 40.

[3] مكي، الكشف، ج2، ص121.

[4] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص279.

[5] سورة يوسف، الآية 23.

[6] لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق. سيبويه الكتاب، ج4، ص65. الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص280. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص461.

[7] سيبويه، الكتاب، ج4، ص65.

[8] ابن خالويه، الحجّة، ص254.

[9] الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص183.

هو من دأبهم وسنّتهم، وفي هذا دحض لمن ادّعى الإقليميّة على دين الإسلام وإنّه جاء لبدو الصّحراء، إنّما الإسلام رسالة السّماء للبشريّة جمعاء.

(وَلْيُوَفُّوا)، (وَلْيُوْفُوا): [1]

قرأ شعبة وحده (وَلْيُوفُوا) من قوله تعالى: " ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ "[2] بفتح الواو وتشديد الفاء على وزن (يُفَعِّلوا)، من: وَفَّى يوفِّي بتضعيف العين، للدّلالة على تكرير حدوث الفعل،[3] أو هو لتأكيد الحدث لاسيّما إذا كان المراد بالوفاء ههنا " مَا أَوْجَبُوهُ بِالنَّذْرِ الَّذِي هو القول "،[4] ويمكن أن يكون القصد من التّضعيف الدّلالة على الكثرة؛[5] أي كثرة المناسك والعبادات الّتي توجبها فريضة الحجّ.[6]

وقرأ الباقون (وَلْيُوْفُوا) بإسكان الواو وتخفيف الفاء، على وزن (يُفْعِلوا)، من أَوْفَى يُوْفِي إيفاءً، على إرادة القليل والكثير،[7] قال أبو زيد: " أَوْفَى نَذْرَهُ أَحْسَنَ الْإِيفَاءَ فَجَعَلَ الرُّبَاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ "،[8] وحكى صاحب (ديوان الأدب) أنّ وفّى وأوفى سيّين في المعنى، قال: " أَوْفَيْتُه حَقَّهُ، أي: وَفَّيْتُهُ إيّاهُ. وأَوْفَى له بما قالَ، أي: وفَى، وأَوْفَى على الشَّيْءِ، أي: أَشْرَفَ "،[9] وروى أبو عبيد عن الكسائيّ وأبي

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص87. شرح طيبة النشر، ص280. تحبير التيسير، ص470. النشر في القراءات، ج2، ص326. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص462. محيسن، الهادي، ج3، ص64.

2 سورة الحج، الآية 29.

3 مكي، الكشف، ج2، ص117.

4 الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص222.

5 مكي، الكشف، ج2، ص117.

6 الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص222.

7 مكي، الكشف، ج2، ص117.

8 الفيوميّ، المصباح المنير، (وفي)، ج2، ص667.

9 الفارابي، ديوان الأدب، ج3، ص271.

عبيدة: " وَفَيت بالعهد، وَأَوْفيت بِهِ، سَوَاء"،[1] وقيل: هما لغتان،[2] قال الفارسيّ: " وَأَوْفوا وَوَفّي وَأَوفي ووفي لغات مستعملة "،[3] قال الشّاعر: [4]

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ   كَمَا وَفَى بِقلاصِ النَّجْمِ حادِيها

(وَلا تُمْسِكُوا)، (وَلا تُمَسِّكُوا): [5]

وقريب من ذلك (تُمْسِكُوا) من قوله تعالى: " وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ "،[6] حيث قرأها أبو عمرو ويعقوب (وَلَا تُمَسِّكُوا) بفتح الميم وتشديد السّين، من مَسَّكَ يُمَسِّكُ مضعّف العين، على إرادة المبالغة.[7] وقرأ الباقون (وَلَا تُمْسِكُوا) بإسكان الميم، وكسر السّين مع تخفيفها، من أَمْسَكَ يُمْسِكُ.[8] وأحسب أنّ هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد،[9] أو كما قال أبو زكريا الفرّاء هما متقاربتان في المعنى، قال: " والعرب تقول: أَمْسَكْتُ بِك، ومَسَّكْتُ بِك، وتَمَسَّكْتُ بَك "،[10] وقد جمع كعب بن زُهير بين هاتين اللّغتين[11] في قوله:[12]

---

1 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (وفي)، ج15، ص420.

2 مكي، الكشف، ج2، ص117.

3 الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص276.

4 البيت لطفيل الغنوي، طفيل بن عوف الغنوي، (1997م)، **ديوان طفيل الغنوي**، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط1، دار صادر، بيروت، ص141.

(5) ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص318. تحبير التيسير، ص580. النشر في القراءات، ج2، ص387. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص585. محيسن، الهادي، ج3، ص282.

(6) سورة الممتحنة، الآية 10.

(7) النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص585.

(8) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص159.

(9) ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج2، ص473.

(10) الفراء، معاني القرآن، ج3، ص151.

(11) السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج5، ص508.

(12) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، (26ه)، (1997م)، **ديوان كعب بن زهير**، حققه وشرحه وقدم له: علي الفاعوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص61.

وَمَا تَمَسَّكَ بِالوَصلِ الَّذِي زَعَمَتْ،   إلاّ كما تُمْسِكُ المَاءَ الغَرَابِيلُ

(قَدَرْ)، (قَدَّرْ):[1]

تعدّد القرّاء العشرة في قراءة هذه اللّفظة بين القراءة بالتّخفيف تارّة وبالتّثقيل تارّة أخرى، وذلك في مواضع مخصوصة من التّنزيل، وتفصيل ذلك:

قرأ الكسائيّ وحده (قَدَرَ) من قوله تعالى: " وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى "[2] بتخفيف الدّال، على وزن (فَعَلَ) على معنى: " القدرة على جميع الأشياء والملك لها والمعنى فيـــه: فهدى وأضل، ثمّ حذف لفظ الضّلال لدلالة لفظ الهداية عليه "،[3] ويجوز أن يكـــون من "قَدَّرَ"،[4] بمعنى التقدير.[5]

وقرأ الباقون (قَدَّرَ) بتشديد الدّال، على وزن (فَعَّلَ) على معنى: " قدّر خلقه فهدى كل مخلوق إلى مصلحته "،[6] يقول الفارسيّ: " وكأنّ المشدّدة في هذا المعنى أكثـــر في الاستعمال، وفي التّنزيل، كقوله: " وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا "، " وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَـــدَّرَهُ تَقْدِيراً ".[7]

وعلى صعيد آخر قرأ أبو جعفر وابن عامر (فَقَدَّرَ) من قوله تعالى: " فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ "[8] بتشديد الدّال على إرادة التّكثير،[9] " وَقَدَرَ اللَّهُ الـــرِّزْقَ يَقْـــدِرُهُ وَيَقْـــدُرُهُ ضَيَّقَهُ".[10] وقرأ الباقون (فَقَدَرَ) بتخفيف الدّال بمعنى التّضيّق،[1] أي: " ضَيَّقَ عَلَيْـــهِ

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص101. شرح طيبة النشر، ص328. تحبير التيسير، ص610. النشر في القراءات، ج2، ص399. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص616. محيسن، الهادي، ج3، ص347.

[2] سورة الأعلى، الآية 3.

[3] مكي، الكشف، ج2، ص370.

[4] الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص50.

[5] مكي، الكشف، ج2، ص370.

[6] المصدر نفسه.

[7] سورة فصّلت، الآية 10. سورة الفرقان، الآية 2. الفارسيّ، الحجّة، ج5، ص50، 51.

[8] سورة الفجر، الآية 16.

[9] مكي، الكشف، ج2، ص372.

[10] الفيوميّ، المصباح المنير، (قدر)، ج2، ص492.

بِأَنْ جَعَلَهُ عَلَى مِقْدَارِ الْبُلْغَةِ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ أي هذا الهوان منه لي حــين أذلَّنــي بالفقر".[2]

ويجوز أن تكون (قَدَرَ وقَدَّرَ) لغتين بمعنى واحد، وهما " من التّقدير لا من القُدْرة "، حكاه الأزهريّ،[3] قال الفرّاء: " الْعَرَبُ تَقُولُ: قَدَرَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ، وَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَدَّرَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَقَدْ يجمع العرب بين اللغتين، قَــالَ اللَّـــه تبارك وتعالى: " فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً "،[4] قال الأعشى: [5]

وأَنْكرتْني، وما كَانَ الَّذِي نَكِرتْ   من الحوادثِ إلَّا الشيبَ والصَّلَعا

ويقال: " قدرت الشَّيْء بِمَعْنى قدرته "،[6] ومنه قول أبي ذؤيب الهذليّ: [7]

ومُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِساقِها،   فَخَرَّت كَمَا تَتابَعَ الرِّيحُ بالقَفْلِ

وقول الرّاجز: [8]

---

1 ابن منظور، لسان العرب، (قدر)، ج5، ص77.

2 ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج4، ص443. الرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص156.

3 الأزهريّ، معاني القراءات، ج2، ص72.

4 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص224. الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص772. سورة الطارق، الآية17. وقد وقفت على هذه الرواية نفسها في اللّسان ولكن بضمّ القاف في (قدر)، قال الفراء: " وَلَا يَبْعُدُ أَن يَكُونَ الْمَعْنَى فِي التَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَاحِدًا لأَن الْعَرَبَ تَقُولُ: قُدِّرَ عَلَيْهِ الموتُ وقُدِرَ عليه الموتُ، وقُدِّر عليه وقُدِرَ، وَقَدْ تَجْمَعُ العربُ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ". وقَدَرَ عَلَى عِيَالِه قَدْراً: مِثْلَ قَتَرَ. وقُدِرَ عَلَى الإِنسان رِزْقُه قَدْراً: مِثْلَ قُتِرَ؛ وقَدَّرْتُ الشَّيْءَ تَقْدِيراً وقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدُرُه وأَقْدِرُه قَدْراً مِنَ التَّقْدِيرِ "، انظر مادة (قدر) في اللّسان.

5 الأعشى، الديوان، ص101. أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (1999م)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ص83.

6 ابن قتيبة، غريب الحديث، ج1، ص255.

7 ورد هذا البيت في ديوان الهذليين برواية أخرى حيث وضع (رجلها) مكان قوله (لساقها)، السكري، ديوان الهذليين، ق1، ص38.

8 لم أقف على قائله. الفارسي، الحجة، ج5، ص49.

يا ربّ قد أولع بي وقد عبث   فاقدر له أصيلة مثل الحفث

(سُجِّرَتْ)، (سُجِرَتْ): [1]

قرأ روح وابن كثير وأبو عمرو ورويس بخلف عنه (سُجِرَتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ "[2] بتخفيف الجيم، على وزن **(فُعِلَ)** من: سَجَرَ يَسْجُرُ سَجْراً وسُجوراً، ومعناه: مُلِئَتْ، قاله ثعلب،[3] وقيل: غيضَت، حكاه الخليل،[4] ومنه قوله تعالى: " وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ"[5] قال الخليل: "والسُّجُورُ: امتلاءُ البحر والعين، وكثرة مائه. والبحرُ المسجُورُ: المفعم الملآن.[6]

والقراءة بصيغة التّخفي يراد بها القليل والكثير،[7] وهو نظير قوله تعالى: " قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ"،[8] وقوله عزّ من قائل: " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ"،[9] وقيل معنى سُجِرَت: " جُعِلَتْ مياهها نيراناً بها يعذَب أهل النَّارِ ".[10]

وقرأ الباقون (سُجِّرَتْ) بتشديد الجيم، وهو الوجه الثّاني لرويس على وزن **(فُعِّلَتْ)**، أي: مَلَأَ،[11] يقال: " سجرت الشّيء ملأته "،[12] ومنه قول لبيد: [13]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص327. تحبير التيسير، ص606. النشر في القراءات، ج2، ص398. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص612. محيسن، الهادي، ج3، ص335.

2 سورة التكوير، الآية 6.

3 ابن منظور، لسان العرب، (سجر)، ج4، ص346.

4 الفراهيدي، العين، (سجر)، ج6، ص51.

5 سورة الطور، الآية 6.

6 الفراهيدي، العين، (سجر)، ج6، ص50.

7 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص750.

8 سورة الذّاريات، الآية 10.

9 سورة البروج، الآية 4.

10 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص290.

11 ابن منظور، لسان العرب، (سجر)، ج4، ص345.

12 النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص99. معاني القرآن، ج6، ص234.

13 لبيد، الديوان، ص111.

فتوسَّطا عُرْضَ السَّرِيَّ وَصَدَّعَا   مَسْجُورةً مُتَجَاوراً قُلاَّمُهَا

وقال النّمر بن تولب: [1]

إذا شاء طالعَ مَسجُورَةً   ترى تحتَها النّبعَ والسّماسَما

والقراءة بصيغة التّشديد يراد بها المبالغة،[2] والتكثير،[3] والتّكرير؛[4] " لأنّ ذلك إذا كسر جاء على هذا المثال يقال قُطِّعُوا وقُبِّلوا ولا يقال للواحد قُطِّعَ يعني يده ولا قُتِّلَ"،[5] ويزيد ابن زنجلة المسألة وضوحاً فيبيّن ذلك بقوله: " وَلَو كَانَ وَاحِدًا لَكَانَ تَخْفِيفًا كَمَا قَالَ " وَالْبَحْر الْمَسْجُور " وَالْعرب تَقول سجرت التَّنور لَا تقول غَيره وسجرت التنانير بِالتَّشْدِيدِ وَمعنى سجرت أَي أفْضى بَعْضهَا إِلَى بعض فَصَارَت بحراً وَاحِداً "،[6] قال الفرّاء معناه: " أفضَى بعْضُها إِلَى بَعض فَصَارَ بَحْراً وَاحداً "،[7] وقيل معناها: فُجِرَت حكاه أبو إسحاق الزّجاج،[8] قال مقاتل بن سليمان معناها: " فجرت بعضها في جوف بعض العذب والمالح ملئت في البحر المسجور يعني الممتلئ فصارت البحور كلها بحراً واحد ".[9]

ويتبيّن لنا ممّا تقدّم مدى التغيّر والتبدّل الّذي سيصيب نواميس الكون لحظة الفزع الأكبر، فهذه البحار والمحيطات أجاجها وفراتها تجتمع على قدر واحد في

---

[1] النّمِر بن تولب، الديوان، ص118. القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص26. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: 542هـ)، (1925م)، **مختارات شعراء العرب لابن الشجري**، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، ج1، ص17.

[2] السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج10، ص701.

[3] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص99.

[4] الأزهريّ، معاني القرآن، ج1، ص363.

[5] الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص568.

[6] ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص750، 751.

[7] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص239.

[8] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص290.

[9] مقاتل بن ىسليمان، التفسير، ج4، ص601.

قرار واسع، فتسجر " فصارت بحراً واحداً "،[1] فيلتقي الماء على الماء، " عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها "،[2] ثمّ سرعان ما يغيظ ماؤها فتيبس،[3] أو تُسْجَر سَجْراً، فتملأ لتوقد ناراً تضطرم،[4] وتحمى،[5] أو يحمى ماؤها حتى تحمرّ كالدّم، فتكُ عيناً " سجراء"،[6] يشرب منها أهل النّار تعذيباً لهم على كفرهم وعنادهم.[7]

ولعلّ القراءة بالتّخفيف تارّة وبالتّثقيل تارّة أخرى قد رسمت لنا هذا المعنى بجلاء؛ ففي القراءة الأولى ذات الهيئة المخفّفة إخبار عن ذلك المعنى في صورته الثّابتة الواقعة باليقين الإلهيّ، وفي القراءة الثّانية تأكيد عليه وإشعار لذلك الحدث وإبلاغ عنه في حالته المتكرّرة ذات الأفق الواسع الّذي لا يعرف حدّه إلّا صانعه ومدبّره جلّ في علاه.

(نُشِرَتْ)، (نُشِّرَتْ): [8]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (نُشِّرَتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ "[9] بتشديد الشّين، على وزن **(فُعِّلَتْ)** لإرادة التّكثير

---

[1] هذا هو قول الضّحاك، انظر: النكت والعيون للماورديّ، ج6، ص213.

[2] قاله أبو الحجاج، انظر: النكت والعيون للماوردي، ج6، ص213.

[3] هو قول الحسن، انظر النكت والعيون للماورديّ، ج6، ص213.

[4] هذا هو قول علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– انظر النكت والعيون للماورديّ، ج6، ص213.

[5] القيشيريّ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـــ)، **لطائف الإشارات، تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3، ص693.

[6] الفراهيدي، العين، (سجر)، ج6، ص51.

[7] قاله ابن عيسى، انظر النكت والعيون للماورديّ، ج6، ص213. والعين السجراء هي الحمراء.

[8] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص327. تحبير التيسير، ص606. النشر في القراءات، ج2، ص398. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص612. محيسن، الهادي، ج3، ص355.

[9] سورة التكوير، الآية 10.

والتّكرير،[1] و" للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع "،[2] ونظيره قوله تعالى: " بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً "،[3] قال الطّبريّ: " وإنّما حسن التّشديد فيه لأنّه خبر عن جماعة، كما يقال: هذه كباش مُذبَّحَةٌ، ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخفّفة، فقيل مذبوحةٌ ".[4] وقرأ الباقون (نُشِرَتْ) بتخفيف الشّين، على وزن (فُعِلَتْ)، لإرادة حدوث النّشر مرّة واحدة،[5] ونظيره قوله تعالى: " فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ".[6]

وهذه الآية الكريمة هي إحدى أمارات يوم البعث، فبعد أن بيّن الحقّ سبحانه ما يكون من شأن الشّمس والقمر، والجبال والبحار، وسائر الخلق، يأتي التّنزيل ليكمّل بعض تفاصيل هذا المشهد المهيب، إنّها لحظة كشف المخبأ المستور، ومعرفة المصير المحتوم، فهاهي صحائف أعمال العباد تُنشر بعد أن كانت طيّاً، فتنتشر وتفرّق على أصحابها،[7] فيتلقونها نَشَراً؛ أي: متفرقين.[8]

وربّما يكون للمغايرة الصّرفيّة والمبادلة بين الصّيغ سهم في إبراز هذا المعنى؛ فالقراءة بصيغة التّخفيف تنبّئ عن ذاك السّجل الذي رصد كلّ ما كان من صاحبه في دار الدّنيا، فينشر معلناً عن بدء ساعة الحساب، وتأتي القراءة ذات الصّيغة المشدّدة لتبيّن أنّ هذا النّشر ليس منوطاً بواحد من الخلق؛ إنّما العباد كلّهم سيلقون صحائفهم، فيهنأ من كانت الطّاعة والإيمان هو عنوان صحيفته، ويخسأ ويخذل من كانت يمينه تمتنع عن تسلّم صحيفته.

---

[1] الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص123.

[2] الماورديّ، النكت والعيون، ج6، ص215.

[3] سورة المدثر، الآية 52.

[4] الطّبري، جامع البيان، ج24، ص249.

[5] الماورديّ، النكت والعيون، ج6، ص215.

[6] سورة الطور، الآية 3.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص66.

[8] الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (نشر)، ج11، ص232.

(سُعِّرَتْ)، (سُعِرَتْ):[1]

قرأ ابن ذكوان وحفص ونافع وأبو جعفر ورويس وشعبة بخلف عنه (سُعِّرَتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ "[2] بتشديد العين، على وزن (فُعِّلَت)؛ أي: أوقدت،[3] قاله: معمّر عن قتادة،[4] وقيل: أُحْمِيت، حكاه السديّ،[5] والتّشديد على إرادة التّكثير والتكرير؛[6] أي: " أوقدت مرّة بعد مرّة "،[7] ودليله قوله عزّ من قائل: " كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً "،[8] يقول ابن زنجلة في ذلك: " هَذَا يدل على كَثْرَة وَشَيْء بعد شَيْء فحقه التَّشْدِيد ".[9]

وقرأ الباقون (سُعِرَت) بتخفيف العين وهو الوجه الثّاني لشعبة، على وزن (فُعِلَتْ) بمعنى: " أُوقِدَتْ إِيقَاداً شَدِيداً "،[10] يقال: " سَعَرت النَّار أسْعَرها سَعْراً إذا أوقدتها، وَهِي مسعورة "،[11] قال المبرّد: " سُعِرَتِ النَّارُ فَهِيَ مَسْعُورَةٌ وَسَعِيرٌ كَقَوْلِكَ: مَقْبُولَةٌ وَقَبِيلٌ ".[12]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص327. تحبير التيسير، ص606. النشر في القراءات، ج2، ص398. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص612. محيسن، الهادي، ج3، ص336.

2 سورة التكوير، الآية 12.

3 السجستانيّ، غريب القرآن، ص278.

4 الماورديّ، النكت والعيون، ج6، ص215.

5 المصدر نفسه.

6 الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص123.

7 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص291.

8 سورة الإسراء، الآية 97.

9 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص751.

10 الرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص67.

11 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (سعر)، ج2، ص53.

12 الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص586.

(فَعَدَلَكَ)، (فَعَدَّلَكَ): [1]

قرأ عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر (فَعَدَلَكَ) من قوله تعالى: " الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ "[2] بتخفيف الدّال، على وزن (فَعَلَكَ) بمعنى: " فسوّاك وقوّمك، من قَوْلك: عَدلتُ الشَّيْء فاعتدل أَي سوّيتهُ فَاسْتَوَى "،[3] ومنه قول الشّاعر: [4]

وقبلنا الضَّعف منْ ساداتِهم وعَدَلْنَا مَيْل بَدْرٍ فاعْتَدَل

أي: " قَوَّمْناه فَاسْتَقَامَ، وكلُّ مُثَقَّفٍ مُعْتَدِلٌ. وعَدَلْت الشيءَ بِالشَّيْءِ أَعْدِلُه عُدولاً إِذا سَاوَيْتُهُ بِهِ "،[5] قال أبو العبّاس المبرّد: " فعدلك أَي قصد بك إِلَى الصُّورَة المستوية وَمِنْه الْعدْل الَّذِي هُوَ الْإِنْصَاف أَي هُوَ قصد إِلَى الاسْتوَاء فقولك عدل الله فلَاناً أَي سوى خلقه فَإِن قيل فَأَيْنَ الْبَاء الَّتِي تصْحَب الْقَصْد حَتَّى يَصح مَا تَقول قلت إِنّ الْعَرَب قد تحذف حُرُوف الْجَرّ قَالَ الله جلّ وَعز: " وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ " فَحذف اللامين فَكَذَلِك (فعدلك) بِمَعْنى فَعدل بك ".[6]

ويجوز أن تكون من العُدول؛ أي: " أَمَالَكَ "،[7] و" صرَفَك إلى ما شاء من الهيئاتِ والأشكالِ والأشباهِ "،[8] يقال: عدله عن الطّريق يعني: فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات "، حكاه الزّمخشريّ.[9]

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص327. تحبير التيسير، ص607. النشر في القراءات، ج2، ص399. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص613. محيسن، الهادي، ج3، ص339.

2 سورة الانفطار، الآية 7.

3 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (عدل)، ج2، ص125.

4 الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (255ه)، (1966م)، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الجيل، لبنان، بيروت، ج5، ص564.

5 ابن منظور، لسان العرب، (عدل)، ج11، ص433.

6 سورة المطففين، الآية 3. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص753.

7 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص246.

8 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج10، ص710.

9 الزمخشريّ، الكشاف، ج4، ص716.

وقرأ الباقون (فعدّلك) بتشديد الدّال، على وزن (فَعَّلَكَ)، من التَّعْديل،[1] أي: " قَوَّم خَلْقك "،[2] وقيل: " قوّمك وساوى بين ما ازدوج من أعضائك "،[3] قال الفارسيّ: " معنى عدّلك: عدّل خلقك، فأخرجك في أحسن تقويم، وهيّأ فيك بلطف الخلقة وتعديلها، ما قدرت به على ما لم يقدر عليه غيرك "،[4] وورد عن المصطفى - صلّى الله عليه وسلم - أنّه كان إذا نظر إلى الهلال، قال: " آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك "،[5] قال ابن عطيّة: " لم يختلف الرّواة في شدّ الدّال ".[6]

وقد اختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة التشديد،[7] قال الفرّاء: " وَأَبُو عُبَيْدٍ: يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ".[8] وإلى ذلك ذهب أبو زكريا الفرّاء، قال: لأنّها أقرب القراءتين للعربيّة، وقال أيضاً: " ومن قَرَأَ: (فَعَدَلَكَ) مشدّدة، فإنّه أراد والله أعلم: جعلك معتدلاً معدّل الخلق، وهو أعجب الوجهين إليَّ، وأَجودُهما فِي العربيّة لأنّك تَقُولُ: فِي أي صورة ما شاء ركّبك، فتجعل فِي للتركيب أقوى فِي العربيّة من أن يكون في للعدل لأنّك تَقُولُ: عَدَلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أن تَقُولُ: عدلتك فِيه، وصَرفتك فِيهِ ".[9]

---

1 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج10، ص710.

2 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص518.

3 ابن خالويه، الحجّة، ص364.

4 الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص382.

5 الحديث في مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: 235هـ)، (1997م)، **مسند ابن أبي شيبة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، ط1، دار الوطن، الرياض، ج2، ص342.

6 ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ج5، ص447.

7 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج10، ص147.

8 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص246.

9 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص244. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج4، ص436.

وهذا القول من عِند الفرّاء لا يخلو من غلط؛ ذلك أنّ (في) هي متعلّقة بـــ (ركبك) لا بـــ (عدلك)،[1] ثمّ إنّ المعنى يتحصّل دون هذا التّقدير المضمر، ويضاف إلى ذلك أنّ المفاضلة بين قراءتين صح تواترهما ليس بجائز، وهو ما نراه عند أبي جعفر الطّبريّ صراحة، قال: " دخول" في" للتّعديل أحسن في العربيّة من دخولها للعدل، ألا ترى أنّك تقول: عدّلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التّشديد ".[2]

وهناك من عدّ هاتين القراءتين سِيّين من جهة الدّلالة،[3] فقد روى القفَّال أنّ نفراً من علماء العربيّة كانوا يذهبون إلى أنّهما لغتان بمعنى واحد،[4] هو: عدول الهيئة، واعتدال الخلقة، فـــــ " عَدَلَ بَعْضَ أَعْضَائِكَ بِبَعْضٍ حَتَّى اعْتَدَلَتْ ".[5] ولا يبعد أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد، أو ربّما يكون القول: إنّهما متقاربتان في المعنى أكثر دقّة؛ ذلك أنّ زيادة المبنى كثيراً ما يتبعه زيادة في المعنى؛ فالقراءة بالتّشديد تعني زيادة في الكمال والإتقان، وهي في الوقت نفسه تحمل في مكنوناتها معنى التأكيد على ذلك الإبداع في حسن الخلق والإنشاء الربّانيّ.

وتأتي صيغة التّخفيف في القراءة الثّانية لتدلّ على أنّ ذاك العدول هو من نعماء الله على عباده، فهو أي الإنسان يعلو على سائر المخلوقات بكمال الجسم، وجمال الخلقة، حتى أنّك لا تجد زيادة في إحدى أعضائك أو نقصان في بعضها الآخر، فـــــ " جَعَلَكَ قَائِمًا مُعْتَدِلًا حَسَنَ الصُّورَةِ لَا كَالْبَهِيمَةِ الْمُنْحَنِيَةِ "،[6] حتى إذا كان ذلك " عَدَلَ خَلْقَكَ فَأَخْرَجَكَ فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ الِاعْتِدَالِ جَعَلَكَ مُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ الْعَقْلِ وَالْقُدْرَةِ وَالْفِكْرِ، وَصَيَّرَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُسْتَوْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ،

---

[1] النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص105.

[2] الطّبري، جامع البيان، ج24، ص269، 270.

[3] الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص570. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص295.

[4] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص76.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص422.

[6] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص76.

وَوَاصِلًا بِالْكَمَالِ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَجْسَامِ هَذَا الْعَالَمِ "؛[1] إنّها قدرة الصّانع وإبداع الخالق وكمال المدبّر العارف بأحوال العباد المتصرّف بخلقه كيفما يشاء.

(قُتِّلَتْ)، (قُتِلَتْ): [2]

قرأ أبو جعفر وحده (قُتِّلَتْ) من قوله تعالى " بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ "[3] بتشديد التّاء على وزن (فُعِّلَتْ) لإرادة التّكثير؛ " لأنَّ المرادَ اسمُ الجنسِ، فناسبَه التكثيرُ "،[4] قال الزّمخشريّ: " وفيه دليل بين على أنّ أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أنّ التّعذيب لا يستحق إلا بالذّنب ".[5]

وقرأ الباقون (قُتِلَتْ) بتخفيف التّاء على وزن (فُعِلَتْ) على معنى الإخبار عن النّفس على طريقة الحكاية؛[6] فإنّ المرء " قَدْ يُسْأَلُ عَنْ حَالِ نَفْسه عِنْدَ الْمُعَايَنَة بِلَفْظِ الْمُغَايَبَة، كَمَا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ زَيْداً عَنْ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَتَقُولُ: مَاذَا فَعَلَ زَيْدٌ في ذلك المعنى؟ ويكون زيد هو المسؤول، وهو المسؤول عنه "،[7] ومنه قول عنترة: [8]

---

1 المصدر نفسه.

2 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص100. شرح طيبة النشر، ص327. تحبير التيسير، ص606. النشر في القراءات، ج2، ص398. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص612. محيسن، الهادي، ج3، ص336.

3 سورة التكوير، الآية 9.

4 السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج10، ص704.

5 الزمخشريّ، الكشاف، ج4، ص708. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص234.

6 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص240. الطّبري، جامع البيان، ج24، ص247.

7 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج31، ص66.

8 التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا(ت: 502هـ)، (1992م)، **شرح ديوان عنترة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص186. الزوزنيّ، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: 486هـ)، (2002م)، **شرح المعلقات السبع**، دار إحياء التراث العربي، ط1، ص265.

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا   والنَّاذِرَينِ إِذَا لَمَ الْقَهُمَا دَمِي

وقال آخر: [1]

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانا   أَنَّا رأَيْنا رَجُلا عُرْيانا

(عَرَفَ)، (عَرَّفَ): [2]

قرأ الكسائيّ وحده (عَرَفَ) من قوله تعالى: " فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ "[3] بتخفيف الرّاء على وزن (فَعَلَ) بمعنى غضب وجازى، وعرف فلاناً: أي جزاه،[4] وجاء في القاموس: " عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرْفاناً وعِرفَةً وعِرِفَّاناً، بكَسْرَتَيْنِ مُشَدَّدَةَ الفاءِ: عَلِمَه، فهو عارِفٌ وعَرِيفٌ وعَروفَة "،[5] وقال الفرّاء: " الَّذِينَ يقولون: عرَف خفيفة يريدون: غضب من ذَلِكَ وَجازى عَلَيْهِ، كما تَقُولُ للرّجل يسيء إليك: أما والله لأعرفن لَكَ ذَلِكَ"[6] ومنه حَدِيث عَوْف بْنِ مَالِك – رضي الله عنه – قوله: " لتَرُدَّنه أوْ لأُعَرِّفَنَّكَها عِنْدَ رَسُولِ اللَّه - صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "،[7] قال ابن الأثير معناه: " لأجَازِينَّك بِهَا حَتَّى تَعْرِفَ سُوءَ صَنِيعك ".[8]

---

1 البيت بلا نسبة، ولم أجده في المصادر التي اطلعت عليها. ابن جني، الخصائص، ج2، ص340. الزمخشري، ج1، ص191. البغداديّ، خزانة الأدب، ج9، ص183.

2 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص319. تحبير التيسير، ص585. النشر في القراءات، ج2، ص388. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص590. محيسن، الهادي، ج3، ص291.

3 سورة التحريم، الآية 3.

4 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (عرف).

5 المصدر نفسه.

6 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص166. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص187. الألوسيّ، روح المعاني، ج14، ص345.

7 المخلّص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص، (ت:393هـ)، (2008م)، **المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص**، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ج2، ص107.

8 ابن الأثير، النهاية، ج3، ص218. الزبيديّ، تاج العروس، (عرف).

وقرأ الباقون (عَرَّفَ) بتشديد الرّاء على وزن (فَعَّلَ)، من: عَرَّفَ يُعَرِّفُ تَعْرِيفاً، أي: خَبَّرَ وأعلَمَ،[1] والمعنى: أنّ رسول الله - عليه الصّلاة والسّلام – قد خبّر زوجه حفصة بنت عمر – رضي الله عنهما – من إفشائها لما أسرّ لها به، وأعلمها أنّ الله قد عرّفه ما كان ذلك منها،[2] فكان أن " عرّف بعضه وأعرض عن بعض، فلم يعرّفه إياها على وجه التكرّم والإغضاء ".[3] وقد كانت قراءة التّشديد من اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، قال أبو حاتم: " وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ أَيْ: لَمْ يُعَرِّفْهَا إِيَّاهُ، وَلَوْ كَانَ مُخَفَّفًا لَقَالَ فِي ضِدِّهِ: وَأَنْكَرَ بَعْضًا وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ أَيْ وَأَعْرَضَ عَنْ تَعْرِيفِ بَعْضِ ذَلِكَ كَرَاهَةَ أَنْ يَنْتَشِرَ فِي النَّاسِ، وَقِيلَ: الَّذِي أَعْرَضَ عَنْهُ هُوَ حديث مارية ".[4]

ومهما يكن من سبب نزول هذه الآية الكريمة، فإنّنا نلاحظ أنّ التعدّد في قراءتها لم يكن نتيجة التعدّد في البنية؛ إنّما كان هذا الاختلاف في القراءة متمخّض عن التّباين في الدّلالة المعجميّة للقراءتين، وهذا لا يعني بمكان أنّ إحدى القراءتين تناقض أختها أو تعاكسها، فإنّ كل منهما يفضي للأخرى نحو استشراف المعنى والإبانة عن القصد والمراد. فقراءة التّشديد هي آية من آيات المعجزة المحمديّة في الوحي الذي يتنزّل بالمشيئة الربّانية على قلب رسوله الأمين؛ تسرية له وتأييداً من عالم الغيب والشّهادة. وقراءة التّخفيف هي نتيجة القراءة الأولى؛ فلولا أن اطلع الله سبحانه وتعالى نبيّه بما جرى من زوجه، لما كان منه الغضب والمجازاة لها.

(جَمَّعَ)، (جَمَعَ): [5]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (عرف).

[2] الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، (1994م)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ج7، ص126.

[3] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص302.

[4] الشوكانيّ، فتح القدير، ج5، ص298.

[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص101. شرح طيبة النشر، ص330. تحبير التيسير، ص618. النشر في القراءات، ج2، ص403. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص624. محيسن، الهادي، ج3، ص361.

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائيّ وخلف العاشر وروح (جَمَّعَ) من قوله تعالى: " الَّذي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ "[1] بتشديد الميم، على وزن (فَعَّلَ)؛ لإرادة المبالغة[2] والتّكثير،[3] و" تكرار الفعل ومداومة الجمع "؛[4] إذ المعنى: " أنّه جمعه من ههنا وههنا، وَأَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَلَا فِي يَوْمَيْنِ، وَلَا فِي شَهْرٍ وَلَا فِي شَهْرَيْنِ، يُقَالُ: فُلَانٌ يُجَمِّعُ الْأَمْوَالَ أَيْ يَجْمَعُهَا من ههنا وههنا ".[5] وقد اختارها أبو عبيد.[6]

وقرأ الباقون (جَمَعَ) بتخفيف الميم، على وزن (فَعَلَ)، على إرادة القليل والكثير،[7] يقال: " جمعتُ الشّيءَ، إذا كان متفرّقاً فَجمَعْته. وجَمعْتُه، كثرته وجعلته مجموعاً "،[8] قَال الفرّاء: " فَإِذا أردْت جمع المتفرّق قلت: جمعت القومَ فهم مجموعون، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: " ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ "، وقَالَ: وَإِذا أردْت كسبَ المَال قلت جمَّعت المَال، كَقَوْل الله تَعَالَى: " الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ "، وَقد يجوز "الَّذى جَمَعَ" بِالتَّخْفِيفِ".[9]

---

1 سورة الهمزة، الآية 2.

2 السّمين الحلبي، الدّر المصون، ج11، ص106.

3 النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص180.

4 ابن خالويه، الحجّة، ص375.

5 الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج32، ص284.

6 الطّبري، جامع البيان، ج20، ص183.

7 النّحاس، إعراب القرآن، ج5، ص180.

8 الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص162.

9 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص473. قَالَ الْفراء: فَإِذا أردْت جمع المتفرّق قلت: جمعت القومَ فهم مجموعون، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: "ذالِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ"، قَالَ: وَإِذا أردْت كسبَ المَال قلت جمَّعت المَال، كَقَوْل الله تَعَالَى: {الَّذِي جَمَّعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ. وَقد يجوز " الَّذى جَمَعَ " بِالتَّخْفِيفِ.

الفصل الخامس

في البنية الاشتقاقيّة

وهذا الموطن من القراءة تشتغل فيه البنية الاشتقاقيّة الجوانيّة للفعل في تعيين وجه القراءة؛ إذ السّطح البرّانيّ للفعل لا يسعفنا في تعيين جهة المراد، إلاّ في حركة فائه وهي في حقيقتها بقيّة أثر من ذاك المخفيّ المضمر في البنية العميقة، وفي السّطور الآتية مزيد تفصيل:

(فَأَزَالَهُمَا، فَأَزَلَّهُمَا): [1]

وقرأ حمزة وحده (فَأَزَالَهُمَا) من قوله تعالى: " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْها "[2] بألف بعد الزّاي ولام مخفّفة، من: "... زَالَ يَزُولُ زَوَالاً وهو زَائلٌ "،[3] بمعنى ابتعد وتنحّى،[4] يقال: " زَالَ زيد عَن الْمَكَان يَزُول عَنهُ "،[5] ويُقَال: " أزلتُه عَن الْمَكَان وزِلْتُه عَنهُ، لُغَتَانِ فصيحتان "،[6] قال ذو الرُّمّة:[7]

وَبَيْضَاءَ لَا تَنْحَاشُ مِنَّا وَأُمُّهَا ... إِذَا مَا رَأَتْنَا زِيلَ مِنَّا زَوِيلُهَا

وقال امرؤ القيس:[8]

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ... كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزَّلِ

---

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص62. شرح طيبة النشر، ص171. تحبير التيسير، ص285. النشر في القراءات، ج2، ص211. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص152. محيسن، الهادي، ج2، ص24.

2 سورة البقرة، الآية 36.

3 سيبويه، الكتاب، ج4، ص52.

4 نشوان الحميريّ، شمس العلوم، ج5، ص2740.

5 ابن الورّاق، علل النحو، ص250.

6 ابن دريد، جمهرة اللّغة، (زلو)، ج2، ص827.

7 ذو الرُّمة، الديوان، ص241. البغدادي، خزانة الأدب، ج4، ص261.

8 امرؤ القيس، الديوان، ص55.

وقال أيضاً:[1]

يُزِلُّ الغلامَ الخِفُّ على صَهَوَاتِهِ   ويُلْوِي بأثوابِ العنيفُ المُثَقَّلِ

والمعنى: أنّ الشّيطان قد " نَحّاهُما عن مَواضِعِهما "، أي آدم وحواء - عليهما السّلام - عن رغد العيش الّذي كانا ينعمان به في جنّة الخلد، قاله ثعلب.[2]

وقرأ الباقون (فَأَزَلَّهُمَا) بحذف الألف وتشديد اللام، من: "الزّلَل"،[3] وهو الخطيئة،[4] وهو من: " أَزْلَلْتُه فَزَلّ "،[5] ويقال: أيضاً: " زَلِلْتَ بالكسر تَزَلُّ زَلَلاً، والاسم الزَلَّةُ والزِلِّيلة "، قاله الفراء،[6] والمعنى: أنّ إبليس قد أزلّ آدم وحواء – عليهما السّلام – فأوقعهما بالخطيئة،[7] أي: " استَزَلَّهُمَا "، قاله أبو عبيدة.[8]

ويجوز أن يكون من (أَزَلَّ) المتعدّي بالهمزة، فيكون المعنى: " جَعَلَهُمَا زَلَّا بِإِغْوَائِهِ وَحَمَلَهَمَا عَلَى أَنْ زَلَّا وَحَصَلَا فِي الزَّلَّةِ "،[9] ويحتمل أيضاً أن يكون من أَزَلَّهُمَا أي: " أَبْعَدَهُمَا "،[10] ويقال: " وأَزَلَّ فلانٌ فلَانا عَن مكَانَهُ إزلالاً؛ وأَزالَةً "،[11] يقول أبو حيّان: " تقول: زَلَّ عَنْ مَرْتَبَتِهِ، وَزَلَّ عَنِّي ذَاكَ، وَزَلَّ مِنَ الشَّهْرِ كَذَا: أَيْ ذَهَبَ وَسَقَطَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الزَّلَّةَ هِيَ سُقُوطٌ فِي الْمَعْنَى، إِذْ فِيهَا

---

1 امرؤ القيس، الديوان، ص57. وهو في كتاب (شرح القصائد العشر) برواية أخرى. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا(ت: 502هـ)، (1352هــ)، **شرح القصائِد العشر**، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية. ص41.

2 ابن سيده، المحكم، (زلل).

3 ابن خالويه، الحجّة، ص74.

4 ابن منظور، لسان العرب، (زلل).

5 النّحاس ، إعراب القرآن، ج1، ص46.

6 الجوهريّ، الصّحاح، (زلل).

7 القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص311.

8 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص38.

9 أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص260.

10 المصدر نفسه.

11 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (زلل)، ج13، ص114.

خُرُوجُ فَاعِلِهَا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ، وَبُعْدُهُ عَنْهَا. فَهَذَا جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ تَعْدِيَةِ الْهَمْزَةِ ".[1]

ويرى الزّمخشريّ أنّ قراءة " فأزلّهما" تحتمل دلالتين اثنتين، وذلك بحسب جهة عود الضّمير في (عنها)؛ فـ" إن كَانَ الضَّمِير للشّجرة فَالْمَعْنى حملهما على الزّلَة بِسَبَبِهَا وَحَقِيقَته أصدر الزلة عَنْهَا ... وَإِن كَانَ للجنّة فَالْمَعْنى نحاهما عَنْهَا ".[2]

وهكذا وجدنا هاتين القراءتين الكريمتين يعضّد كل واحدة منهما الأخرى، فتزيدان المعنى وضوحاً والنّظم بياناً وبلاغة، فهذا نبيّ الله أبو البشريّة آدم – عليه الصّلاة والسّلام – يوسوس له الشّيطان هو وزوجه حواء بكل ما أوتي من مكر ودهاء ليخرجهما من رغد العيش ونعيم المأوى، فيصرفهما عن طاعة المولى وحظره لذاك المأكول الممنوع؛ " لأنَّ إغواءَه وإيقاعَه لهُما في الزَّلَّةِ سببُ للزوالِ من جنّة الخلد."[3]

(نُنْسِهَا، نَنْسَأْهَا): [4]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسَأْهَا) من قوله تعالى: " أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها "[5] بفتح النّون الأولى والسّين، وهمزة ساكنة بين السّين والهاء، من (النّسأ) وهو التّأخير.[6]

---

1 أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص260.

2 الزمخشريّ، الكشاف، ج1، ص126. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ)، (1985م)، **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق، ص259.

3 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج1، ص288.

4 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص64. شرح طيبة النشر، ص182. تحبير التيسير، ص293. النشر في القراءات، ج2، ص220. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص177. محيسن، الهادي، ج2، ص48.

5 سورة البقرة، الآية 106.

6 مكي، الكشف، ج1، ص258.

وقرأ الباقون (أو نُنْسِها) بضمّ النّون وكسر السّين من غير همز، من النّسيان الذي بمعنى التّرك، أي نتركها فلا نبدّلها ولا ننسخها.

(فَصِرْهُنَّ)، (فَصُرْهُنَّ):[1]

قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف العاشر ورويس (فصِرهنّ) من قوله تعالى: " قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ "[2] بكسر الصّاد، من: "صار يصير "إذا جمع"،[3] أي: " قطِّعْهنَّ، ... من قَوْلهم: صارَه يَصيره، إِذا قطعه "، حكاه ابن دريد،[4] وهو قول بعض اللّغويين على حدّ قول الزّجاج،[5] وأنشد عليه صاحب (ديوان الأدب) قول العجّاج: [6] صُرْنا به الحُكْمَ وأعْيا الحُكَما

أي: " فصلنا به الحُكْمَ ".[7]

وقرأ الباقون (فَصُرْهُنَّ) بضمّ الصّاد، من: " صار يصور إذا مال وعطف "،[8] وهو مذهب أغلب أهل اللّغة على حدّ كلام الزجّاج،[9] ومنه قول لبيد:[10]

مِن فَقدِ مولىً تَصُورُ الحيَّ جَفنَتُهُ   أوْ رُزْء مالٍ، ورُزْءُ المالِ يُجْتَبَر

---

[1] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص66. شرح طيبة النشر، ص199. تحبير التيسير، ص309. النشر في القراءات، ج2، ص232. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص217. محيسن، الهادي، ج2، ص90.

[2] سورة البقرة، الآية 260.

[3] الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص199. ابن خالويه، الحجّة، ص101.

[4] ابن دريد، جمهرة اللّغة، (رصو)، ج2، ص745.

[5] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص345.

[6] العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، **ديوان العجاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ج2، ص335.

[7] الفارابي، ديوان الأدب، ج3، ص393. الفارسي، الحجة، ج2، ص391.

[8] الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص199. ابن خالويه، الحجّة، ص101.

[9] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص345.

[10] ديوان لبيد، الديوان، ص38.

ويقال: "صُرْتُ الشّيء فانْصار؛ أي: أمَلْتُه فمال"،[1] ومنه قولهم: " الصَّوَرُ: المَيَلُ، يقال: فلانٌ يصُورُ عُنُقَه الى كذا أي مالَ بعُنُقه ووَجْهِهِ نحوَه، والنعت أصْوَرُ"، حكاه الخليل،[2] وأنشد عليه قول الشاعر:[3]

فَقُلْتُ لَهَا غُضِّي فإنّي إلى التي   تُريدينَ أَنْ أَصْبُو لَها، غَيرُ أصْوَرِ

قال الخليل: معنى "فصُرْهُنَّ إليّك: " فشقِّقْهُنَّ اليك، ويقال: فَصُرْهُنَ أي ضمُمَّهُنَّ، ويقال: قطِّعْهُنّ "،[4] وأنشد عليه قول أميّة:[5]

فشَتَّى فصُرْهُنَّ ثُمَّ ادْعهن   يأتِينَ زَهْرَاً بِدَارَ القَطَا

ويقال: " صُرْتُ إليَّ الشيءَ وأَصَرْته: إِذا أَمَلْتَه إِلَيْك "، رواه أبو عبيد عَن الْأَحْمَر، وأنشد:[6]

أُجشّمها مفاوزَهُنَّ حتّى   أصارَ سَديسَها مَسَدٌ مَريجُ

وقيل: معنى (صُرْهُنَ) بالضمّ: " اضممهن إليك ووجههن إليك، يقال: صُرْ وجهك إِلَيَّ أي أقبل به إلي، ووجّهه إلي "، قاله الكسائيّ،[7] وقيل: معناه: " قَطِّعْهُنَّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، يُقَالُ: صَارَ الشَّيْءَ يَصُورُهُ أَيْ قَطَعَهُ، وَقَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ. وَعَنْ أَبِي الأسود الدّؤلي: هو بالسريانيّة التقطيع، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَعِكْرِمَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي بَعْضِ مَا رُوِيَ عَنْهُ: إِنَّهَا لَفْظَةٌ بِالنِّبْطِيَّةِ مَعْنَاهُ قَطِّعْهُنَّ "،[8] قال السّمين: " والجمهورُ على أنّها عربيةٌ لا معرَّبَةٌ ".[9]

---

[1] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص96. تأويل مشكل القرآن، ج1، ص86.

[2] الفراهيديّ، كتاب العين، (صور).

[3] المصدر نفسه، ج7، ص149. ولم أقف على قائله.

[4] الفراهيديّ، كتاب العين، (صور).

[5] الفراهيديّ، العين، ج7، ص150. لم أجده في ديوان أمية بن أبي الصلت، ولعله لشاعر آخر يدعى (أمية) لم أهتدِ إليه.

[6] ابن سيده، المخصص، ج4، ص349.

[7] القيسيّ، الهداية، ج1، ص878.

[8] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص301. أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص646.

[9] السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج2، ص576.

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد، قاله جماعة من العلماء،(1) ولكنّهم اختلفوا في أيّ القراءتين هي الأصل فذهب نحاة البصرة إلى أنّهما سواء، قالوا: "وهما لغتان: إحداهما: "صار يصور"، والأخرى: "صَار يصير"،(2) "معناهما في هذا الموضع: فقطعهن"،(3) واحتجّوا على صحّة مذهبهم بأشعار الفحول من الشّعراء، فممّن استشهدوا به قول توبَة بن الحُمَيّر:(4)

فَمَدَّتْ لِيَ الأَسْبَابَ حتَّى بَلَغْتُهَا   بِرِفْقِي، وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا

فَلَمَّا دَخَلْتُ الخِدْرَ أَطَتْ نُسُوعُهُ   وَأَطْرَافُ عِيْدَانٍ شَدِيدٍ أُسُورُهَا

وقال المعلَّى بن جَمَّال العبدي:(5)

وَجَاءَت خُلْعَةٌ دُهْسٌ صَفَايَا   يَصُورُ عُنُوقَهَا أَحْوَى زَنِيمُ

وقالت الخنساء:(6)

فَلَوْ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَيْتُهُ حِضْنٌ   لَظَلَّتِ الشُّمُّ مِنْهُ وَهِيَ تَنْصَارُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي:(7)

---

1 الأزهريّ، معاني القرآن، ج1، ص225.

2 الطّبري، جامع البيان، ج5، ص499.

3 الطّبري، جامع البيان، ج5، ص500.

4 توبة بن الحميّر بن ربيعة بن كعب بن عُقيل، (55ه)، (1998م)، **ديوان توبة بن الحمير**، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطيّة، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص35. الطّبري، جامع البيان، ج5، ص497.

5 النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني، (ت: 390هــ)، (2005م)، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ص104. ابن منظور، لسان العرب، (صور).

6 لم أقف على هذا البيت في ديوان الخنساء، وهو في: تهذيب اللغة ولسان العرب وتاج العروس، (صور).

7 هذا البيت قد أورده بهذه الرواية أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج1، ص81. والطّبري، جامع البيان، ج5، ص500. والقرشي، جمهرة أشعار العرب، ص545. وأما في ديوان الهذليين

فَانْصَرَنْ مِنْ فَزَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرٌ ضَوَارٍ: وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ

وقد تبع الفارسيّ نحاة البصرة في مذهبهم، ولكنّه أضاف إلى معنى (قطعهن) معنى (أمالهن)، قال: " فقول حمزة: فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ، يكون من القطع، ويكون من الميل، كما أنّ قول من ضمّ يحتمل الأمرين ".[1]

وأمّا نحاة الكوفة فإنّهم أنكروا مجيء (فصرهن) في كلام العرب بمعنى (القطع)، سواء أكانت بالكسر أم بالضمّ، إنّما القراءتان عندهم هما لغتان بمعنى واحد هو (الميل)،[2] قَالَ الفرَّاء: " ضَمت العامّة الصَّاد، وكَانَ أصحابُ عبد الله يَكسِرونها، وهما لُغتان، فَأَما الضمّ فكثير، وَأما الكَسْر فَفِي هُذَيْل وسُلَيم، وأنشدني الكسائي عن بعض بني سليم: [3]

وفَرْعٌ يَصير الجِيدَ وَحْفٌ كأنه على اللِّيْث قِنْوانُ الكروم الدَّوَالح

ويفسّر معناه: قطعهن، ويقال: وجههن. ولم نجد قطعهن معروفة من هذين الوجهين، ولكني أرى - والله أعلم- أنّها إن كانت من ذلك أنّها من صريت تصري، قدّمت ياؤها كما قَالُوا: عثت وعثيت، وقال الشّاعر: [4]

صَرَتْ نظرةً لو صادَفَتْ جَوْزَ دارعٍ غَدا والعواصي من دَمِ الجَوفِ تَنْعَرُ

فإنه برواية أخرى وهو قوله: فَاهْتَاجَ مِنْ فَزَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرٌ ضَوَارٍ: وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ

أبو سعيد السكري، ديوان الهذليين، ق1، ص12.

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج2، ص392.

[2] الطّبري، جامع البيان، ج5، ص498.

[3] لم أقف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص174. الفارابي، ديوان الأدب، ج3، ص405. الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، ص159. الجوهري، الصحاح، ج2، ص718. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص478.

[4] لم أقف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص174. الفارابي، ديوان الأدب، ج2، ص204. الزبيدي، تاج العروس، ج14، ص257. الجوهري، الصحاح، ج2، ص832. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص221.

والعرب تقول: بات يصرى فِي حوضه إذا استقى ثُمَّ قطع واستقى فلعله من ذلك ".[1]

وقال الشّاعر: [2]

يقولون إنّ الشَّأمَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِذَا لَمْ آتِهِ بِخُلُودِ

تَعَرَّبَ آبَائِي، فَهَلا صَرَاهُمُ مِنَ المَوْتِ أَنْ لَمْ يَذْهَبُوا وَجُدُودِي!

وقد أنكر أبو العبّاس المبرّد على أبي زكريّا هذا القول، أعني: مقولته بالأصالة والفرعيّة، قال: " وَهَذَا لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ أَصْلٌ فِي نَفْسِهِ مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ جَعْلُ أَحَدِهِمَا فَرْعًا عَنِ الْآخَرِ ".[3]

وقال ابن قتيبة في تفسير حديث ابن مجاهد " أنّه كره أن تصور شَجَرَة مثمرة "، قال: " فِيهِ قَولَانِ: أحدهما: تميل. يُقَال: صرت عنق أصورها صوراً. وَفِيه لُغَة أُخْرَى: صرتها أصيرها صيرا. مِنْهُ قَول عمر بن الْخطاب. وَذكر الْعلمَاء فَقَالَ: تنعطف عَلَيْهِم بِالْعلمِ قُلُوب لَا تصورها الْأَرْحَام. وقرئت: {فَصرهن إِلَيْك} بضَم الصَّاد وَكسرهَا. أَي: ضمهن إليك ثمَّ اقطعهن وَاجعَل على كل جبل مِنْهُنَّ جُزْءاً وَقَالَ العجّاج وَذكر الْمَرْأَة: من الرجز: وكَفَلٍ ينصار لانصيارها على الْيَمِينِ وعَلى يسارِها

أَي: يمِيل كفلها كَيفَ مَالَتْ لعظمه، ويَقُول رؤبة: من الرجز

صرُنَا بِهِ الحُكْمَ وأَعْيَا الحُكَما

قَالَ: يُرِيد فصلنا بِهِ الحكم. وعَلى هَذَا التَّأْوِيل يجوز أَن يكون مُجَاهِد نهى أَن تقطع شَجَرَة مثمرة. وَالْمذهب الأوّل أشهر فِي اللُّغَة وأعلى ".[1]

---

[1] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص174. الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (صري).

[2] لم أقف على قائل هذين البيتين وهما بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص174. الطّبري، جامع البيان، ج5، ص498. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص316. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ)، (1987م)، **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص327.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص37.

ويلخّصّ لنا الماوردي في النّكت والعيون آراء العلماء في توجيه هذه المسألة، فيذكر أنّ في قراءة الضّم والكسر قولين: " أحدهما: أن معناهما متّفق ولفظهما مختلف، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أقاويل: أحدها: معناه انْتُفْهُنَّ بريشهن ولحومهن، قاله مجاهد. والثاني: قَطِّعْهُن، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن. قال الضّحاك: هي بالنّبطيّة صرتا، وهي التّشقق. والثّالث: اضْمُمْهُن إليك، قاله عطاء، وابن زيد. والرّابع: أَمِلْهُن إليك، والصّور: الميل، ومنه قول الشّاعر في وصف إبل:[2]

تظَلُّ مُعَقّلاتِ السُّوق خَوصاً   تُنَازِعُ أَنْفَهَا رِيْحُ الجَنُوبِ

والقول الثّاني: أنّ معنى الضّم والكسر مختلف، وفي اختلافهما قولان: أحدهما: قاله أبو عبيدة أنّ معناه بالضّم: اجْمَعْهن، وبالكسر: قَطِّعْهُنّ. والثّاني: قاله الكسائيّ ومعناه بالضّم أَمِلْهُنّ، وبالكسر: أَقْبِلْ بهن ".[3]

ومهما يكن من أمر اختلاف العلماء في توجيه هاتين القراءتين دلالة وتصريفاً، فإنّ المتأمّل لهما يبصر بوحدة دلاليّة تنسج أوصالهما، فإنّ بينهما من الالتقاء والتّلاؤم ما يزيد المعنى عمقاً والأسلوب بلاغة، فهذا خليل الرّحمن إبراهيم – عليه السّلام – يوقن بقدرة الله على الخلق والإحياء، فهو الذي يحي ويميت، وهو الحي الذي لا يموت، يشتاق لتأمّل أسرار بديع صنع المصوّر الخلاق، فيقبل على مولاه الأحد في طمأنينة وإيمان، يسأله أن يخصّه برؤية قدرته على الخلق والإحياء، فينعم الحيّ الكريم على عبده وخليله بالإجابة، فيأمره أن يأخذ أربعة من الطّير (فَيَصُرْهُن) فيميلهن ويضمّهن إليه كي يألف أجزاءهن ويتحسّس أعضاءهن، فإذا تحصّل ذلك

---

1 ابن قتيبة، غريب الحديث، ج2، ص594، 595. ولم أقف على البيت الأول في ديوان العجاج، وأما البيت الثاني فهو في ديوان العجاج، ج2، ص335.

2 البيت بلا نسبة ولم أقف عل قائله في: ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت:291هـ) (1956م)، **مجالس ثعلب**، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص39.

3 الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص334، 335.

شرع في تمزيق أوصالهن، فـــــ (يَصِرْهُنّ) فيقطعهُنّ أربعة ويجعل على كل جبل منهنّ جزءاً.

(تَلُوا)، (تَلْوُوا): [1]

قرأ ابن عامر وحمزة (تَلُوا) من قوله تعالى: " وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً"[2] بضمّ اللام وإسكان الواو، من: ولِيَ يَلِي،[3] حكاه الكسائيّ،[4] قال الرازيّ: " أَنَّ وِلَايَةَ الشَّيْءِ إِقْبَالٌ عَلَيْهِ وَاشْتِغَالٌ بِهِ، وَالْمَعْنَى أَنْ تُقْبِلُوا عَلَيْهِ فَتُتِمُّوهُ أَوْ تُعْرِضُوا عَنْهُ فَإِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً فَيُجَازَى الْمُحْسِنُ الْمُقْبِلُ بِإِحْسَانِه وَالْمُسِيءُ الْمُعْرِضُ بِإِسَاءَتِهِ "،[5] والحاصل: إن "اسْتَقْلَلْتُمْ بِالْأَمْرِ أَوْ ضَعُفْتُمْ عَنْهُ فَاَللَّهُ خَبِيرٌ بِذَلِكَ ".[6]

وقد اختلف العلماء في الأصل الاشتقاقي لهذه القراءة،[7] فذهب الفرّاء[8] والزّجاج[9] والفارسيّ في أحد قوليه[10] إلى أنّها مشتقّة من: لَوَى يَلْوِي لَيّاً، فأصل (تَلُوا) هو: (تَلْوُوا)،[11] قلبت عين الفعل (الواو) همزة، فصارت (تَلْؤوا) كما في

1 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص71. شرح طيبة النشر، ص217. تحبير التيسير، ص343. النشر في القراءات، ج2، ص252. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص279. محيسن، الهادي، ج2، ص161.

2 سورة النساء، الآية 135.

3 مكي، مشكل إعراب القرآن، ج1، ص210.

4 النّحاس، معاني القرآن، ج2، ص215.

5 الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص242.

6 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص640.

7 السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج4، ص118.

8 الفراء، معاني القرآن، ج1، ص291.

9 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص118.

10 الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص185.

11 مكي، الكشف، ج1، ص399.

(أُقِّتتْ) و(أُجوه)، ثمّ حذفت الهمزة، فنقلت حركتها (الضّمة) إلى فاء الفعل (اللام)، فصارت (تَلُوا)،[1] " وَالْعَرَبُ تَفْعَل ذَلِكَ ".[2]

وذهب فريق آخر إلى أنّ هذه القراءة مشتقّة من: لَوَى يَلْوي أيضاً، إلّا أنّه لا إبدال فيها؛ إنّما " استثقلت الضّمة على الواو وبعدها واو أخرى، وألقيت الحركة على اللام، وحذفت إحدى الواوين لالتقاء السّاكنين "،[3] ونسب هذا الرّأي للنّحاس.[4]

وبحسب هذين التّوجيهين يكون وزن هذه الكلمة (تَفُوا)؛[5] إذ هي في الأصل مشتقّة من (تَلْوِيُوا)،[6] ثم تحوّلت إلى (تَلْوُو)، ثم انتهت إلى صورتها الأخيرة في القراءة الكريمة (تَلُوا)، وهذا التّقدير– كما يرى السّمين الحلبيّ - فيه " إجْحاف بالكلمة"،[7] ذلك أنّه يختزل بنيتها الثّلاثيّة فيجعلها أحاديّة قال: " وفي هذين التخريجين نظرٌ، وهو أنَّ لامَ الكلمة قد حُذِفَت أولاً، كما قرّرته فصار وَزْنُه: تَفْعُوا، بحذف اللام، ثم حُذِفت العينُ ثانياً فصار وزنُه: تَفُوا ".[8]

وهذا القول ليس بصحيح؛ ذلك أنّ العربيّة كثيراً ما تجنح إلى اختزال بنيتها الصّرفيّة لعارض صوتيّ يطرأ عليها، فتلجأ إلى حذف بعض أصوات الكلمة، كما في يكُ التي على وزن (يَفُ)، فهي من كان يكون، وفي التّنزيل قوله سبحانه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ".[9]

---

1 أبو حيّان، البحر المحيط، ج4، ص97.السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص118.

2 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص640.

3 مكي، الكشف، ج1، ص399.

4 السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص118.

5 المصدر نفسه.

6 الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، (2002م)، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، عمادة البحث العلمي، ط1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج1، ص372.

7 السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص118، 119.

8 المصدر نفسه، ج4، ص118.

9 سورة التحريم، الآية 6.

وثمّة مذهب ثالث وجد القراءة مشتقّة من: وَلِيَ يَلِي ولاية، بمعنى: " مباشرة الشّهادة"،[1] وأصل الكلمة هو: (تَوْلِيُوا)[2] حذفت الواو التي هي فاء الكلمة؛ لاعتلالها وتوسطها بين ياء المضارعة وكسرة، فصارت (تَلِيُوا)، نحو: وَزَنَ تزن ووَعَدَ تَعِد،[3] ثمّ نقلت ضمّة الياء إلى اللام لاستثقالها، فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فطرحت الياء التي هي لام الكلمة تخلّصاً من ذاك الالتقاء، " ثمّ ضمّ ما قبل الواو"،[4] فصارت (تَلُوا) بحذف الفاء واللام على زنة (عُوا).

وأمّا التّفكير الصّوتي الحديث فيذهب إلى أنّ (تَلُوا) إن كانت من لَوَى يَلْوِي، فإنّها عند إسنادها لضمير الجماعة تصبح (تَلْوِيُوا)، فيتشكّل مزدوج حركي صاعد، ممّا يحدث ثقلاً في النّطق، فتلجأ العربيّة إلى إسقاط الياء فراراً منه، ويترتّب على هذا الإبعاد للمزدوج الحركي أن تتغيّر البنية المقطعيّة للكلمة.

وأمّا إن كانت القراءة مشتقة من: وَلِيَ يَلِي ولاية، فإنّ هذا الفعل الماضي عند تحوّله إلى المضارع يتشكّل مزدوج حركي في صدره (تولوا)، ممّا يحدث ثقلاً في النّطق، فيحذف لذلك فتصبح (تَلو). ثمّ إنّ هذا الفعل عند إسناده لواو الجماعة يتشكّل مزدوج حركي صاعد يحدث ثقلاً في النّطق، فيلجأ إلى إسقاطه لتسهيل النّطق؛ فالأصل: (تَلْيوا) مثل رمى ترمي ترميوا، ثمّ تصبح (تَلُوا). [5]

وقرأ الباقون (تَلْوُوا) بلام ساكنة وبواوين الأولى مضمومة والثّانية ساكنة، على وزن (تَفْعُونَ)، من: لَوَى يَلْوِي لَيًّا[6] ولَيَانَاً،[7] أي: دَفَعَ وأَعَرَضَ[8] ومَطَلَ، حكاه أبو عبيد،[1] وأنشد للأعشى:[2]

---

[1] الألوسيّ، روح المعاني، ج3، ص162.

[2] مكي، الكشف، ج1، ص399.

[3] الصاعديّ، تداخل الأصول، ج1، ص371.

[4] المصدر نفسه.

[5] الخليل، عبد القادر مرعي الخليل، المحاسنة، فايز المحاسنة، (2009م)، **التشكيل الصوتي للمشتقات**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع1، ص94.

[6] سيبويه، الكتاب، ج3، ص538.

[7] الفيوميّ، المصباح المنير، (لوي).

[8] الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص242.

يَلْوينَني دَيْني النهارَ وأَجْتَزي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعاسُ الرُّقَّدَا

والْمَعْنَى: " إنْ مَطَلْتُمْ حقًّا فلَمْ تُنَفِّذُوهُ إلَّا بَعْدَ بُطْءٍ، أَوْ عَرَضْتُمْ عَنْهُ جُمْلَةً فَاَللَّهُ خَبِيرٌ بِعَمَلِكُمْ "،[3] يقال: " لوى الْحَاكِمِ بقضيّته، إذا دَافع بهَا "،[4] ويقال: " لويت فلانًا حقه ليًّا، إذا دافَعتَه ومَطلتَه "،[5] ومنه: " لَوَيْتُ الدَّين لَيّاً وليّانا، أي: مَطَلْتُه "،[6] قال ذو الرّمة:[7]

تُطِيلِينَ لَيَّاني وأَنْتِ مَلِيَّةٌ وأُحْسِنُ يا ذَاتَ الوِشَاحِ التَّقاضِيَا

قال أبو عبيدة " يُقَال رجل ليان وَامْرَأَة ليانة أَي مماطلة فَمَعْنَى {تلووا} تدافعوا وتمطلوا".[8]

ويجوز أن يكون المراد بهذه القراءة "التَّحْرِيف وَالتَّبْدِيل"،[9] من قولهم: " لَوَيْتُ الحبل: فتلته "،[10] يقال: " الْتَوَى هَذَا الْأَمْرُ إذَا تَعَقَّدَ وَتَعَسَّرَ تَشْبِيهًا بِالشَّيْءِ الْمُنْفَتِلِ"،[11] وقال مجاهد معناها: " تَلْوُوا، أَيْ تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ وَتُغَيِّرُوهَا، وَاللَّيُّ هو التحريف وتعمد الكذب، قال تَعَالَى: " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ "، والإعراض هو كتمان الشّهادة وتركها "،[12] قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: " هو أن

---

1 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (لوي). الزاهر، ص154.

2 الأعشى، الديوان، ص227.

3 ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص639.

4 الأزهريّ، تهذيب اللّغة، (لوي).

5 الأزهريّ، معاني القراءات، ج1، ص319.

6 الفراهيديّ، العين، (لوي).

7 ذو الرُّمة، الدّيوان، ص277.

8 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص215.

9 الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص242.

10 الجوهريّ، الصحاح، (لوي).

11 الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص242.

12 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص384. مجاهد، تفسير مجاهد، ص295. سورة آل عمران، الآية 78.

يلوي الإنسان لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل ديْن الرجل إذا مطله "،[1] ومنه قول الرّسول - صلى الله عليه وسلم -: " لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ ".[2]

وأمّا الأصل الاشتقاقيّ لـــ (تَلْوُوا) فهو من: لَوَى يَلْوِي لَيّاً، فأصله (تَلْوِيُوا) وهو ثقيل في النّطق، فكانت اللّغة أن لجأت إلى تخفيف البنية بطرح الياء التي هي لام الكلمة، فألقيت الضمّة على الواو التي قبلها فصارت الياء ساكنة فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء التي هي لام الكلمة منعاً لذلك الالتقاء فأصبحت تلووا[3] على وزن تفعوا بحذف اللام.

لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الحقوق الإنسانيّة التي جاء الإسلام ليقيمها بعد أن كانت شريعة الغاب هي الحكم في المجتمع الجاهلي، فـــ " لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ النِّسَاءِ وَالنُّشُوزِ وَالْمُصَالَحَةِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ عَقَّبَهُ بِالْأَمْرِ بِالْقِيَامِ بِأَدَاءِ حُقُوقِ اللَّه تَعَالَى وَبِالشَّهَادَةِ لِإِحْيَاءِ حُقُوقِ اللَّه ".[4]

وقد جاء الأمر الربّاني للمكلفين بتلك الواجبات أن ينصاعوا لإقامة العدل والاحتراز عن الوقوع في الجور والميل، وتبلغ عدالة السّماء ذروتها حين نلفي الإرادة الإلهيّة تدفع المؤمنين أن يكونوا مبالغين في تحرّي أعلى درجات القسط، وأنزه حالات الشّهادة، فلا يأخذهم في غنيّ طمع في حظوة، ولا في فقير عاطفة شفقة أو رحمة فيميلوا معه؛ " إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِما "،[5] فـــ " لَا تَمِيلُوا بِالْهَوَى مَعَ الْفَقِيرِ لِضَعْفِهِ، وَلَا عَلَى الْغَنِيِّ لِاسْتِغْنَائِهِ، وَكُونُوا مَعَ الْحَقِّ؛ فَاللَّهُ الَّذِي أَغْنَى هَذَا وَأَفْقَرَ هَذَا أَوْلَى بِالْفَقِيرِ أَنْ يُغْنِيَهُ بِفَضْلِهِ بِالْحَقِّ لَا بِالْهَوَى وَالْبَاطِلِ، وَاللَّهُ أَوْلَى بِالْغَنِيِّ أَنْ يَأْخُذَ مَا فِي يَدِهِ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، لَا بِالتَّحَامُلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا جَعَلَ

---

[1] الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص535.

[2] ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، ج2، ص390.

[3] مكي، الكشف، ج1، ص399. الصّاعدي، تداخل الأصول، ج1، ص372.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص242.

[5] سورة النساء، الآية 135.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ عِيَارًا لِمَا يَظْهَرُ مِنْ الْخُبْثِ وَمِيزَانًا لِمَا يَتَبَيَّنُ مِنْ الْمَيْلِ ".[1]

وبعد أن بيّن لنا المولى عزّ جلاله شروط وصفات عدالة الحكم والقضاء، أوعد بسوء المنقلب لكلّ من يشطط عن هذه السّبيل فَيَلْوي في قضائه بين الخصوم فيعدل عن الحقّ، أو يَلْوي في أداء شهادته فيعدل عن الصّدق، أو يجنح نحو " التَّثَاقُلِ فِي تَمْكِينِ الْمُحِقِّ مِنْ حَقِّهِ وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ لِطَالِبِهَا، أَوِ الْمَيلِ فِي أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ فِي الْقَضَاءِ وَالشَّهَادَةِ ".[2]

وهنا يتبادر للذّهن سؤال وهو: ألا يتعارض هذا التّأويل للقراءة مع من قدّر قراءة حمزة وابن عامر أنّها من الولاية ؟ بمعنى آخر كيف يمكن أن تكون الشّهادة ضرباً من الولاية ؟

إنّ قراءة (تَلْوُوا) بواو واحدة (تَلُوا) قد أُوّلت على معنى مباشرة الأمر، والمراد: " وَإِنْ تَلُوا الْقَضَاءَ بَيْنَ الْخُصُومِ"،[3] وهذا يعني أنّ الفعل (تَلوا) يتعلّق بالعدل في الحكم حسبُ؛ إذ لا يتصوّر أن تكون الشّهادة أمراً بتكليف؛ إنّما هي طلب بالتماس.

وبناءً على ما تقدّم يذهب الباحث إلى أنّ هاتين القراءتين بمعنى واحد، وكأنّ قراءة حمزة وابن عامر الوجه المخفّف من قراءة الجمهور، يقول الطّاهر بن عاشور: "... لَيْسَ أَدَاءُ الشَّهَادَةِ بِوِلَايَةٍ. وَالْوَجْهُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ تَخْفِيفُ تَلْوُوا نُقِلَتْ حَرَكَةُ الْوَاوِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا فَالْتَقَى وَاوَانِ سَاكِنَانِ فَحُذِفَ أَحَدُهُمَا، وَيَكُونُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِداً".[4]

(لا تَعَدُّوا)، (لا تَعْدُّوا)، (لا تَعْدُوا): [5]

---

[1] ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج1، ص639.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص228.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص228.

[4] المصدر نفسه.

[5] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص71. شرح طيبة النشر، ص218. تحبير التيسير، ص344. النشر في القراءات، ج2، ص253. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص280. محيسن، الهادي، ج2، ص164.

قرأ ورش (لا تَعَدُّوا) من قوله تعالى: " وَقُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ "[1] بفتح العين وتشديد الدّال، من: اعْتَدَى يعتدي اعتداءً، أي: " لا تتجاوزوا في يوم السّبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم "،[2] وهو مشتق من: (تَعْتَدوا)؛ ولمّا كانت التّاء مفتوحة، والحرف الذي يسبقها ساكناً، والدّال تقاربها من جهة المخرج " فنقل حركة التّاء إلى العين، وأدغم التّاء في الدّال "،[3] على سبيل التّخفيف؛ " وَلِذَلِكَ جَازَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِظْهَارُهَا فَقَالُوا: تَعْتَدُوا وَتَعَدُّوا، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ، فَكَانَتْ غَيْرَ مَجْذُوبَةٍ إِلَى مَخْرَجِهِ، وَلَوْ وَقَعَتْ بَعْدَ الدَّالِ لَوَجَبَ إِدْغَامُهَا فِي نَحْوِ أَدَّانَ ".[4] " والاعْتداءُ والتَّعَدِّي والعُدْوان: الظُّلْم ".[5]

وقرأ قالون بخلف عنه[6] وأبو جعفر (لا تَعْدُّوا) بإسكان العين وتشديد الدّال من: اعْتَدَى يعتدي اعتداءً، فأصله الاشتقاقيّ من: (تَعْتَدُوا) ثمّ " أدغم التّاء في الدّال لتقاربها"،[7] وهو وجه ضعيف عند أكثر الصّرفيين؛ لأنّه يجمع بين حرفين ساكنين " ولم يكن الأوّل حرف لين، نحو: دابّة، وشابّة "،[8] قال النّحّاسُ وَلَا يَجُوزُ إِسْكَانُ الْعَيْنِ وَلَا يُوصَلُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ فِي هَذَا، وَالَّذِي يَقْرَأُ بِهِ إِنَّمَا يَرُومُ الْخَطَأَ "،[9] ولكنّ أبا علي الفارسيّ رأى جواز ذلك أعني الجمع بين ساكنين، قال: " وكثير من النّحويّين ينكرون الجمع بين السّاكنين إذا كان الثّاني منهما مدغماً، ولم يكن الأوّل حرف لين، نحو: دابّة وشابّة... ويقولون: إنّ المدّ يصير عوضاً من الحركة. وقد قالوا: ثوب بكر، وجيب بكر فأدغموا، والمدّ الذي فيهما أقلّ من المدّ الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منهما. وساغ فيه وفي نحو: أصيمّ ومديقّ ودويبّة، فإذا

---

[1] سورة النساء، الآية 154.

[2] الطّبري، جامع البيان، ج9، ص361.

[3] ابن خالويه، الحجّة، ص128.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص16.

[5] الأزهري، تهذيب اللغة. ابن منظور، لسان العرب. (عدا)

[6] والوجه الثاني لقالون: "هو اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال".

[7] أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص150.

[8] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص190.

[9] النّحّاس، إعراب القرآن، ج1، ص248. القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص7.

جاز ما ذكرنا مع نقصان المدّ الذي فيه، لم يمتنع أن يجمع بين السّاكنين في نحو تعدّوا، وتخطف، وقد جاء في القراءة، وجاز ذلك لأنّ السّاكن الثّاني لمّا كان يرتفع اللّسان عنه وعن المدغم فيه ارتفاعة واحدة؛ صار بمنزلة حرف متحرّك، يقوّي ذلك: أنّ من العلماء بالعربيّة من جعل المدغم مع المدغم فيه بمنزلة حرف واحد، وذلك قول يونس في النّسب إلى مثّنى: مثنويّ، جعله بمنزلة ملهويّ، ويقوّي ذلك جواز نحو أصيمّ وأنّه قول العرب جميعاً مع نقصان المدّ فيه ... فإذا كانوا قد جعلوا مواضع حرف اللّين غيره في هذه الأشياء التي ذكرنا؛ جاز أن يجعل موضع حرف اللّين غيره في هذه المواضع التي قرأت بها القرّاء، ولم يكن ذلك لحناً وإن كان الوجه الآخر أكثر في الاستعمال".[1]

وقرأ قالون في وجهه الثاني باختلاس حركة العين وتشديد الدّال، وقرأ الباقون (تَعْدُوا) بإسكان العين وضمّ الدّال مع تخفيفها، من: عَدا يعدو، أي: " لا تعتدوا باقتناص السّمك فيه "،[2] تقول العرب: " عدوت في الأمر"، إذا تجاوزت الحقّ فيه"[3] يُقَالُ فِي الظُّلْم: " قَدْ عَدَا فُلَانٌ عَدْواً وعُدُوّاً وعُدْوَاناً وعَدَاءً أَي ظَلَمَ ظُلْماً جَاوَزَ فِيهِ القَدْر".[4] ويجوز أن تكون هذه القراءة من (الْعَدْو) الذي هو الحظر والمنع، فيكون المعنى: "النَّهْيُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ يَوْمَ السَّبْتِ "،[5] ونظيرها في التّنزيل قوله تعالى: " إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ".[6]

وأمّا الأصل الاشتقاقيّ لهذه القراءة فهو من: (تَعْدُوُوا)، استثقلت الضمّة على الواو الأولى التي هي لام الكلمة فَحُذِفَتْ، فكان أن التقى ساكنان، هما: واو الفعل (لامه) وواو الضّمير، فأسقطت الأولى، وبقيت واو الضّمير، فوزنه: (تَفْعَوا).[7]

---

[1] الفارسيّ، الحجّة، ج3، ص191، 192، 193. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص16.

[2] أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص150.

[3] الطّبري، جامع البيان، ج9، ص362.

[4] ابن منظور، لسان العرب، (عدو)، ج15، ص32.

[5] الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج11، ص257.

[6] سورة الأعراف، الآية 163.

[7] السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج4، ص141.

ولا يبعد هذا التّوجيه الأخير لبنية الكلمة عمّا قرّره التّفكير الصّوتي الحديث إلّا في تفسير سقوط لام الفعل؛ فقد ذهب علم الصّوتيات الحديث إلى أنّ الفعل إذا كان معتل العجز بياء أو واو، واتصل به واو الجماعة؛ فإنّه ينتج مزدوجاً حركيّاً صاعداً فيحدث ثقلاً في النّطق، فيحذف لذلك.[1]

(تدَّعُونَ)، (تَدْعُونَ): [2]

قرأ يعقوب وحده (تَدْعُونَ) من قوله تعالى: "وَقِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ"[3] بدال ساكنة مخفّفة، على وزن (تَفْعَلون)، من: دَعَا يَدْعُو دَعْوة ودُعَاء،[4] أي: " تستعجلون، وتدعون إليه في قولكم: فأمطر علينا حجارة من السماء".[5]

وقرأ الباقون (تَدَّعُونَ) بدال مفتوحة مشدّدة، على وزن (تَفَّعَلون)، من: ادّعى يدَّعي ادّعاء،[6] والاسم الدّعْوَى،[7] ومعناه التّكذيب، فسره الحسن، من قولهم: " تَدَّعِي الْبَاطِلَ وتَدَّعِي مَا لَا يَكُونُ "،[8] قال أبو حاتم: " تَدَّعُونَ: تكذبون "،[9] وقيل: " تَدَّعُونَ: يدعو بعضكم بعضاً إلى التّكذيب ".[10]

وينقل لنا الثّعلبيّ في (الكشف والبيان) أنّ مذهب أغلب العلماء هو أنّ الفعل ههنا مشتقّ من الدّعاء، ومعناه: " يتمنّون ويتسلّون "،[11] قال أبو عبيد: " تدّعون مشتقّ

---

1 عبد القادر مرعي، فايز المحاسنة، التشكيل الصوتي، ص94.

2 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص319. تحبير التيسير، ص586. النشر في القراءات، ج2، ص389. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص591. محيسن، الهادي، ج2، ص293.

3 سورة الملك، الآية 27.

4 ابن منظور، لسان العرب، (دعو)، ج14، ص258.

5 السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص479.

6 الأزهريّ، تهذيب اللّغة. ابن منظور، لسان العرب، (دعو).

7 سيبويه، الكتاب، ج4، ص40. الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج2، ص1233.

8 ابن منظور، لسان العرب، (دعو)، ج14، ص261.

9 مكي، الهداية، ج12، ص7607.

10 المصدر نفسه.

11 الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج9، ص361. السمرقنديّ، بحر العلوم، ج3، ص479.

من يدعون"،[1] وحكى مكيّ: " تدعون هُوَ تفتعلون من الدُّعَاء وَأَصله تدتعيون ثمَّ أدغمت التَّاء فِي الدَّال على إدغام الثَّانِي فِي الأول ".[2]

وهناك من رأى أنّ القراءتين سيّين في الدّلالة، يقال: " دعوت وادَّعيت، كما يقال: خبَرت واختبَرت، ودخَرت وادَّخرت"،[3] قال الفرّاء: " يريد: تَدْعُونَ، وهو مثل قوله: تَذْكُرون، وتَذَّكّرون، وتخبرون وتختبرون، والمعنى واحد "،[4] قال مكيّ: " وهما بمعنى، كما يقال: قدر واقتدر، وعدا واعتدى، إلا أن في " أفتعل ": معنى التكرير، و"فعل" يقع للتكرير ولغير التكرير ".[5]

وهذه الآية كغيرها من آيات العذاب تصوّر لنا مشهد من مشاهد عذاب الكافرين، فهؤلاء المعاندين الجاحدين لربوبيّة الله ووحدانيّته يدّعون على نبيّه الكذب والتّدليس، وأنّ ما جاء به هو كلام المجانين أو ضرب من الأساطير والتخريف، بل ويصل بهم أمر التّحدي لرسوله المبشّر النّذير أن يطلبوا منه أن يستعجل لهم هذا الوعيد، فيدعو ربّه أن يأتي بذاك العذاب الموعود.

وإذا ما جاء الوعد الحق اعتلى وجوه أولئك المجرمين ما كان بعيداً عن الحسبان إنّها النّار التي كانت بمنأى عن خيالهم، وهو العذاب الذي أبطلته عقولهم المظلمة، فإذا كان ما كان استقبلتهم زبانيّة النّار الملائكة الغلاظ الشّداد بالزّجر والتّوبيخ، فتسألهم في نبرة مفعمة بالتّأنيب والإنكار " أَهَذَا الَّذِي تَدَّعُونَ، لَا بَلْ كُنْتُمْ تَدَّعُونَ عَدَمَهُ "،[6] إنّه ادّعاء ودعاء.

(لَيَزْلِقُونَكَ)، (لَيُزْلِقُونَكَ): [7]

---

[1] النّحاس، إعراب القرآن، ج4، ص311.

[2] مكي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص747.

[3] ابن قتيبة، غريب القرآن، ص475.

[4] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص171. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج4، ص331.

[5] مكي، الهداية، ج12، ص7607.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص597.

[7] ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص98. شرح طيبة النشر، ص320. تحبير التيسير، ص588. النشر في القراءات، ج2، ص389. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص592. محيسن، الهادي، ج3، ص295.

قرأ نافع وأبو جعفر (لَيَزْلِقُونَكَ) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ "[1] بفتح الياء من: زَلَقَ يَزْلِقُ زَلَقاً،[2] يقال: " زَلَقَه وأَزْلَقَه إذا نَحَّاهُ عَنْ مَكَانِهِ "،[3] قال الفارسيّ: " ... من قال: ليزلقونك جعله من زلق هو، وزلقته أنا مثل: شترت عينه، وشترتها أنا، وحزن وحزنته أنا"،[4] قال سيبويه: " وزعم الخليل أنّك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً وجعلته فاتناً، كما أنّك حين قلت: أدخلته أردت جعلته داخلاً ولكنّك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً، فقلت فتنته كما قلت كحلته، أي جعلت فيه كحلاً، ودهنته جعلت فيه دهناً، فجئت بفعلته على حدةٍ، ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قوله حزن وفتن. ولو أردت ذلك لقلت أحزنته وأفتنته. وفتن من فتنته كحزن من حزنته ".[5]

وقرأ الباقون (لَيُزْلِقُونَكَ) بضمّ الياء من: أَزْلَقَ يُزْلِقُ، أَيْ: " أَزَلَّ رِجْلَهُ، يُقَالُ: أَزْلَقَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ إِذَا نَحَّاهُ "،[6] تقول العرب " لِلَّذِي يَحْلِقُ الرَّأْسَ: قَدْ زَلَقَهُ وَأَزْلَقَهُ "،[7] " وأَزْلَقَه ببصره أَحدَّ النَّظَرَ إليه "،[8] وقيل زلق وأزلق لغتين بمعنى واحد، يقال: " زلّقه تزلقه زلقا، أزلقه تزلقه إزلاقا بمعنى واحد ".[9]

ويبيّن لنا أبو إسحاق الزجّاج أنّ هذه "الآية تحتاج إلى فضل إبانةٍ في اللّغة"،[10] وأنّ لكل من علماء اللّغة والتّفسير مذهبهم الخاص في تأويل هذه الآية؛ فأمّا جمهور اللّغة فإنّهم يحملونها على معنى شدّة البغيضة والعداوة، والتّقدير: أنّ هؤلاء الكفار قد كان من شديد بغضهم وعظيم عداوتهم للرّسول الكريم – صلّى الله عليه وسلم – أنّهم

[1] سورة القلم، الآية 51.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (زلق).

[3] القِنَّوجي، فتح البيان، ج14، ص278. ابن منظور لسان العرب، (زلق).

[4] الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص312.

[5] سيبويه، الكتاب، ج4، ص56. الفارسيّ، الحجّة، ج6، ص312.

[6] الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص330.

[7] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص179.

[8] ابن منظور، لسان العرب، (زلق).

[9] الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج10، ص23.

[10] الزجاج، معاني القرآن وإعربه، ج5، ص211.

إذا ما سمعوه يتلو القرآن نظروا إليه نظرة مفعمة بالضّغينة والكراهية؛ " نظر عَدُوّ شَانئ، يكاد يَصرَعُ مَشْنُوءَهُ "،[1] أو بعبارة ثانية إنّهم من شدّة تحديقهم بك " شَزْرًا بِعُيُونِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ "،[2] يكادون لو أمكنهم أن يزلقونك فيُزّلون قدمك ليسقطوك[3] فيهلكوك،[4] قال الفرّاء معناه: " لَيَرْمُونَ بِكَ عَنْ مَوْضِعِكَ، وَيُزِيلُونَكَ عَنْهُ بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا تَقُولُ: كَادَ يَصْرَعُنِي بِشِدَّةِ نَظَرِهِ، وَهُوَ بَيِّنٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، كَمَا تَقُولُ: أَزْهَقْتُ السَّهْمَ فزهق "،[5] ومنه قول الشّاعر:[6]

يَتقارَضونَ، إذا الْتَقَوْا في مَوْطِنٍ، نَظَرًا يُزِيلُ مَواطِئَ الأَقْدامِ

وأنشد ابن عباس لَمَّا مَرَّ بِأَقْوَامٍ حَدَّدُوا النَّظَرَ إِلَيْه:[7]

نَظَرُوا إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ نَظَرَ التُّيُوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَازِرِ

وأمّا مذهب المفسّرين فإنّه لا يبعد كثيراً عن تأويل أهل اللّغة، وقد أجمله صاحب (النّكت والعيون)، قال: " فيه ستة أوجه: أحدها: معناه ليصرعونك، قاله الكلبي. الثاني: ليرمقونك، قاله قتادة. الثّالث: ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك. الرّابع: لينفذونك، قاله مجاهد. الخامس: ليمسونك بأبصارهم من شدّة نظرهم إليك، قاله السدي. السّادس: ليعتانونك، أي لينظرونك بأعينهم، قاله الفرّاء. وحكي أنّهم قالوا: ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه، أي ليصيبوه بالعين، وقد

---

1 الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص85.

2 الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص618.

3 ابن قتيبة، غريب القرآن، ص482. تأويل مشكل القرآن، ص108.

4 أبو حيان، البحر المحيط، ج10، ص249.

5 الفراء، معاني القرآن، ج3، ص179.

6 البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأزهري، تهذيب اللّغة، ج8، ص268. معاني القراءات، ج3، ص85. ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص218. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص357.

7 البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص618. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، (ت:1111هـ)، (1998م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص33.

كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثاً ثم يتعرّض لنفسه أو ماله فيقول: تاللَّه ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالاً منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله، فأنزل اللَّه هذه الآية ". [1]

وهكذا وجدنا هاتين القراءتين مترادفتين في المعنى، أمّا من جهة البنية الصرفيّة فإنّ القراءة الأولى هي من فعل ثلاثي قيل: إنّه إن كان مفتوح العين فهو لازم، فإن كسرت عينه صار متعديّاً، يقال: " زَلِقَ بالكسر وزَلَقْتُه بالفتح. ونظيرُه: شَتِرَتْ عَيْنُه بالكسرِ، وشَتَرها اللَّهُ بالفتح "،[2] وأمّا القراءة الثّانية فإنّها من فعل ثلاثيّ مزيد بهمزة التّعدية.

(تَقَوّلَ)، (تَقُولَ): [3]

قرأ يعقوب (تَقَوّلَ) من قوله تعالى: " وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً "[4] بفتح القاف وتشديد الواو مع فتحها، على وزن (تَفَعَّلُ)، من: تَقَوَّلَ يَتَقَوَّلُ تَقَوِّلا، مضعّف العين، والأصل (تتقوّل) فحذفت إحدى التّاءين تخفيفاً،[5] ومعناه افتراء الكذب، يقال: " قَوَّلَهُ مَا لَمْ يَقُلْ (تَقْوِيلًا) وَ(أَقْوَلَهُ) مَا لَمْ يَقُلْ أَيِ ادَّعَاهُ عَلَيْهِ"،[6] ويقال: " تَقَوَّلَ قَوْلاً: ابتدَعه كذِباً. وتَقَوَّلَ فُلَانٌ عليَّ بَاطِلًا أَي قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَكن قلتُ وكَذِبَ عليَّ"،[7] وتقول العرب: " قَوَّلتني ما لم أقل، وأَقْوَلْتني ما لم أقل "، حكاه أبو عبيد عن الكسائيّ.[8] وقرأ الباقون (تَقُوْلَ) بضمّ القاف وإسكان الواو مع تخفيفها، على وزن (تَفْعُلُ)، من: قال يقولُ قولاً.

---

1 الماورديّ، النكت والعيون، ج6، ص74.

2 السّمين الحلبيّ، الدّر المصون، ج10، ص420.

3 ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص99. شرح طيبة النشر، ص321. تحبير التيسير، ص594. النشر في القراءات، ج2، ص392. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج2، ص598. محيسن، الهادي، ج3، ص306.

4 سورة الجنّ، الآية 5.

5 الألوسيّ، روح المعاني، ج15، ص96. محيسن، القراءات، ج1، ص442.

6 الرازي، مختار الصحاح، (قول).

7 ابن منظور، لسان العرب، (قول).

8 الأزهريّ، معاني القراءات، ج3، ص97.

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدّراسة أن تقيم تصوراً شاملاً ومفصّلاً لدور التّوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة في تعدّد المعنى، من خلال أبعاد عامّة وأطر كلّية. وقامت على فرض مؤدّاه أنّ اختلاف القرّاء العشرة في قراءة بعض ألفاظ التّنزيل يعدّ مادّة أساسيّة اعتمدها المفسّرون في تفسير آي الذّكر الحكيم، كما كانت ركيزة رئيسة بنى الأوائل عليها لبنات نظريّتهم الصّرفيّة لأبنية العربيّة.

وقد سعت هذه الدّراسة إلى رسم صورة مفصلّةٍ ومحدّدة للأسس النّظريّة التي انتظمت عليها هذه الدّراسة، وهي أسس استقرّت مبادئ وقواعد عند معظم النّحويين، بصريين وكوفيين، وهي أسس مقرّة لدى اللّسانيين المحدثين، ممّن ينهجون نهجاً بنيويّاً وظائفيّاً وتوليديّاً تحويليّاً في دراسة اللّغة، وهذه الأسس هي: مراعاة الأصل والفرع، ومراعاة قرينة السّياق، ومراعاة أمن اللّبس.

كما سعت هذه الدّراسة أيضاً إلى محاولة تحديد بعض العناصر والمفاهيم الدّاخليّة للظّاهرة المدروسة، لتنماز بصورة جليّة عن غيرها من الظّواهر المشابهة لها، وقد استقام لنا في أثناء هذه الدّراسة تحديد الآتي:

أ- القراءات العشرة هي سنّة متّبعة تلقّاها الخلف عن السّلف عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - يتعبّد بتلاوتها ويؤجر دارسها.

ب-القراءات العشرة هي قراءات صحيحة متواترة لا مزيّة لإحداها على الأخرى، ولا يجوز المفاضلة بينها أو إيثار إحداها على الأخرى.

ج- اختلاف القرّاء العشرة في القراءة لا يعني بحال وجود تنافر أو تضاد بين القراءات.

د- طريق طيّبة النّشر هي مصدر هذه الدّراسة ومادّتها المستقاة.

ه- الدّلالة الصّرفيّة للبنية هي جوهر هذه الدّراسة ومرتكزها الرئيس.

وبعد ذلك سعت هذه الدّراسة إلى استشراف مواضع الأبنية الصّرفيّة في مستوى فرش الحروف للقراءات العشرة، فتمّ رصد الكلم التي وقع فيها تعددّ في القراءة، ثم جرى تصنيف تلك البنيات على أبواب الصّرف المتعارف عليها، فكان هناك باب

لأبنية الأسماء، وآخر لأبنية الأفعال، وبين هذين البابين تتوزّع الفصول التي تضم في ثناياها الظّواهر الصّرفيّة التي تدور في فلك هذه الدّراسة.

وتمَّ في أثناء هذا الاستقصاء عرض هذه المواضع على النّظر الصّرفيّ الذي ارتضيناه في هذا البحث، فما جرى على هذا المنهج أدخل في إطار هذه الأطروحة، وما لم يوافقه أخرج من إطارها.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة على النحو الآتي:

1- تشكّل القراءات العشرة مصدراً من مصادر التّقعيد الصّرفيّ؛ فإنّ فيها من الأداءات اللّغويّة والاستعمالات الفصيحة ما يحاكي شواهد العربيّة في مضمار الشّعر والنّثر، بل يفوقها بلاغة وبياناً.

2- تمثّل القراءات العشرة أصلاً من أصول التّفسير القرآنيّ، وعمدة تبنى على أساسها كثيراً من وجوه التّأويل للكتاب الكريم.

3- تشير الدّراسة إلى أنّ العلاقة بين الدّرس الصّرفيّ والقراءات القرآنيّة تبدو متلاحمة؛ حيث نجد التّحليل الصّرفي للأبنية يسير جنباً إلى جنب وتوجيهات القراءات القرآنيّة، حتى أنّنا نلفي كثيراً من هذه الأنظار هي في حقيقتها مسائل صرفيّة كمسائل الجموع والتناوب بين المصادر والمشتقّات ... إلخ.

4- كشفت هذه الدّراسة أنّ الظّواهر الصّرفيّة تتبوّأ مكانة متميّزة بين بقيّة الظّواهر اللّغوية التي حفلت بها القراءات العشرة ولاسيّما على مستوى فرش الحروف؛ فإنّ الاختلافات بين هذه القراءات تدور في أغلبها في فلك المغايرة والاستبدال الذي يشتغل في أكثر ظواهره على مستوى البنية الصّرفية: بنية الأسماء وبنية الأفعال.

5- أوضحت هذه الدّراسة أنّ كثيراً من الظّواهر اللّغويّة هي في حقيقتها نتيجة متحصّلة من تنوّع الأداءات القرائيّة على مستوى بنيات الكلمة، فانتقال القراءة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول وما يتمخّض عنه من تغيير في البنية الإسناديّة للتّركيب هو حاصل من تغيّر البنية الصّرفيّة للفعل، كما أنّ تحوّل عود الضّمير في الجملة هو ناتج عن اختلاف البنية الإسناديّة للأفعال.

6- كشفت هذه الدّراسة أنّ مقولة الصّرفيين زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى، هو فرض يحتاج إلى مزيد نظر؛ ذلك أنّ نظرة متبصّرة في القراءات العشر ليلحظ أنّ هناك من القراءات ما تمّاز عن قرينتها ببنيتها الصّرفيّة، كأن تكون إحداهما ذات صيغة مجرّدة، والثانية مزيدة بحرف من حروف الزيادة، ومع ذلك لا نلمح أيّ بون دلالي بينهما، ولعلّ في صيغتي (فَعَلَ وَأَفْعَلَ) ما يجلّي هذه الظّاهرة.

7- ومع ذلك تظلّ مقولة الأوائل بزيادة المعنى لزيادة المبنى لها ما يشهد لها بالمثول في أبنية العربيّة، ولعلّ ما سقناه من أداءات قرائيّة في بطن هذه الدّراسة له خير دليل على أصالة هذه الظّاهرة، ورسوخ قدمها في نسيجها اللّغوي.

8- كشفت هذه الدّراسة أنّ الحكم على البنيات اللّغويّة المتعدّدة في المبنى والمتوحدة في المعنى بأنّها نتاج تباين لهجي حكم مبالغ فيه ويمكن ردّه.

9- كشفت الدراسة أنّ الظّواهر الصّرفيّة الّمتعلّقة بالأفعال هي أكثر مباحث الصّرف تداولاً بين القرّاء العشرة؛ حيث تشكّل التّنوعات الأدائيّة بالتحوّل بين صيغ الأفعال نسبة كبيرة إذا ما قورنت بغيرها من الظّواهر الصّرفيّة الأخرى.

10- أوضحت الدّراسة أنّ اختلاف القراءة بتثقيل الصّيغة وتخفيفها يمثّل ظاهرة صرفيّة لها حضورها البارز على مستوى المعنى؛ فإنّ باستحضار الدّلالة الصّرفيّة للزيادة بالتضعيف يتجلّى ذلك البعد الدّلاليّ الذي تضفيه الصّيغة المشدّدة من كثرة إنجاز الفعل وتكرير الحدث واستمراره في سياقه التّداوليّ.

11- كشفت الدّراسة أنّ القراءة بصيغة المفاعلة تعدّ شاهداً بيّناً على أثر هذه الصّيغة في إثراء المعنى، وتوجيه الخطاب القرآنيّ وجهة تتماشى والمقاصد التي يرنو إليها.

12- تشير الدّراسة إلى الأبعاد الدّلاليّة التي تنجزها الزّيادة بالهمزة جرّاء إلحاقها بالفعل الثّلاثي المجرّد، وما يتمخّض عنه من معاني صرفيّة يمكن استشرافها بتلمّس السّياقات الكريمة التي تؤدّى فيها القراءات القرآنيّة.

13- ترسم لنا هذه الدّراسة صورة لمنهج العربيّة في بناء أسماء الجمع فيها، وكيف أنّها تلجأ إلى التّغيير في أصوات البنية لتعبّر عن معاني القلّة والكثرة في سياقاتها التّداوليّة، بل إنّها أحياناً تجنح إلى جمع ما هو جمع لتدل به على كثرة ذلك الجمع، أو تصيّره اسم جنس يعم أعضاء جنسه، وقد حفلت القراءات العشرة على مُثُل دالة تحكي أثر هذه البنيات الجمعية في تأويل المعنى، واستكناه مقاصد الخطاب القرآنيّ.

14- تؤكّد الدّراسة على أنّ التباين اللّهجيّ هو مظهر من مظاهر التنوّع اللّغوي المتحصّل بالأداء النّطقيّ، وإنّ القراءات العشرة قد حملت لنا كثيراً من هذه الظّواهر اللّهجيّة.

15- تشير الدّراسة إلى أنّ الظّواهر اللّهجيّة على مستوى البنية الصّرفيّة ليس لها سهم في إبراز المعنى، وأنّ القراءات التي وجّهت على أنّها لغات لم يلتفت فيها إلى جانب المعنى.

16- تشير هذه الدّراسة إلى صيغ المصدر والمشتقّات وما يكمن فيها من دلالات قارّة ألقت بظلالها على القراءات العشرة فزادت المعنى بلاغة والمرمى بياناً.

المراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: 606هــ)، (1979م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: 606هــ)، (1969م)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني، ط1، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان.

الأخطل، غيّاث بن غوث بن طارقة (ت: 110ه)، (1994م)، **ديوان الأخطل**، شرحه وصنف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، (ت:215هــ)، (1990م)، **معانى القرآن للأخفش**، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الأزهريّ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (ت: 905هــ)، (2000م)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370ه)، (1991م)، **معاني القراءات**، ط1، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعوديّة.

الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370ه)، (2001م)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370ه)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعيّ**، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

الأشمونيّ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي، (ت:900هـ)، (1998م)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، (ت: 535ه)، (1995م)، **إعراب القرآن للأصبهاني**، قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (356هـ)، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، ط2، دار الفكر، بيروت.

الأصمعيّ، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: 216هـ)، (1993م)، **الأصمعيات اختيار الأصمعي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط7، دار المعارف، مصر.

الأعشى، ميمون بن قيس، (1974م)، **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270 ،(1995م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، (1999م)، **أسرار العربية**، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، (2003م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، ط1، المكتبة العصرية.

الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، (1985م)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، ط3، مكتبة المنار، الأردن.

الأنباريّ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)،(1992م)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، (ت:370هـ)، (1991م)، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، تحقيق: ف. كرنكو، ط1، دار الجيل، بيروت.

الإِيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ، (ت: 905هـ)، (2004م)، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

بابعير، عبدالله صالح بابعير، (1997م)، **ظاهرة النيابة في العربية دراسة وصفية تحليلية**، إشراف: هادي نهر، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

الباوَرْدي (غلام ثعلب)، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، (ت: 345هـ)، (2002م)، **ياقوتة الصّراط في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، ط1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنوّرة.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (2002م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة.

البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي، (ت: 380ه)، **التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد**، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

البعليّ، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، (ت: 709هــ)، (2003م)، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط1، مكتبة السوادي للتوزيع.

البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت:1093هــ)، (1997م)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510ه)، (1997م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغويّ**، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510ه)، (1983م)، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

بيان الحق، أبو القاسم، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، (ت: بعد 553هــ)، (1998م)، **باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685ه)، (1998م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هــ)، (2003م)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هــ)، (1994م)، **أحكام القرآن جمع البيهقي**، كتب

هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، (2003م)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، ببومباي، بالهند.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا(ت: 502هـ)، (1352ه)، **شرح القصائد العشر**، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها: إدارة الطباعة المنيرية.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا(ت: 502هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت: 231هـ) دار القلم، بيروت.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا(ت: 502هـ)، (1992م)، **شرح ديوان عنترة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

التّرمذيّ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:279هـ)، (1998م)، **الجامع الكبير، سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان.

التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، (ت: 283هـ)، (2003م)، **تفسير التستري**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

التنوخيّ، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت: 442هـ)، (1992م)، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين**

وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر.

توبة بن الحميّر بن ربيعة بن كعب بن عُقيل، (55ه)، (1998م)، **ديوان توبة بن الحمير**، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطيّة، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، (ت: 651هـ)، (1980م)، **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، ط1، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، لبنان.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (ت: 429ه)، (2002م)، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، (1418ه)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت:291هـ)، (1995م)، **قواعد الشعر**، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت:291هـ)، (1956م)، **مجالس ثعلب**، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (ت: 427ه)، (2002م)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (255ه)، (1966م)، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الجيل، لبنان، بيروت.

الجرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت: 471هـ)، (1987م)، **المفتاح في الصرف**، حققه وقدم له: علي توفيق الحَمَد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

جرير بن عطية الخطفي، (114ه)، (1986م)، **ديوان جرير**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، (1994م)، **متن طيبة النشر في القراءات العشر**، تحقيق: محمد تميم الزغبي، ط1، دار الهدى، جدة.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، **تحبير التيسير في القراءات العشر**، (2000م)، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط1.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، **شرح طيبة النشر**، (2000م)، تحقيق الشيخ أنس مهرة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجصّاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (ت: 370هـ)، (1994م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، (1999م)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، **الخصائص**، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: 392هـ)، (1954م)، **المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ط1، دار إحياء التراث القديم.

الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (ت: 282هـ)، (2005م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عامر حسن صبري، ط1، دار ابن حزم، بيروت.

الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت:540هـ)، **شرح أدب الكاتب**، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.

الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت:540هـ)، **ما جاء على فعلْتُ وأفعلتُ بمعنى واحد**، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر، دمشق.

الجَوجَري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، (ت:889هـ)، (2004م)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هـ)، (2002م)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب والعربي، بيروت.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هـ)، (2004م)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**، تحقيق: طارق فتحي السيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393ه)، (1987م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (ت: 327ه)، (1999م)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

حبش، محمد حبش، (1999م)، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعيّة**، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (852ه)، **تهذيب التهذيب**، اعتناء: إبراهيم الزّيْبَق وعادل مُرْشِد، مكتب تحقيق التراث في مكتبة الرسالة، مكتبة الرسالة.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (852ه)، (1959م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت.

الحربيّ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، (285هـ)، (1405)، **غريب الحديث**، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة.

الحريريّ، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، (ت: 516ه)، (1998م)، **درّة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق: عرفات مطرجي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

حسان بن ثابت بن المنذر، (ت: 50ه)، (1994م)، **ديوان حسان بن ثابت**، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان.

حسن، عباس حسن (ت: 1398هـ)، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط15.

الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك، (ت: 45ه)، (1993م)، **ديوان الحطيئة**، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حمد، غانم قدوري حمد، (2003م)، **محاضرات في علوم القرآن**، ط1، دار عمّار، عمّان، الأردن.

الحملاوي، أحمد بن محمد الحملاوي، (ت: 1351هـ)، **شذا العرف في فن الصرف**، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ت: 745ه) (2000م)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370هـ)، (1401ه)، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط4، جامعة الكويت، دار الشروق، بيروت.

الخطابيّ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، (1982م)، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر.

الخطابيّ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، (1985م)، **إصلاح غلط المحدثين**، تحقيق: حاتم الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة.

الخطيب الإسكافيّ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت: 420هـ)، (2001م)، **درّة التّنزيل وغرّة التّأويل**، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، ط1، معهد البحوث العلميّة، جامعة أم القرى، سلسلة الرسائل العلميّة الموصى بها (30)، وزارة التعليم العالي، مكة المكرّمة، السعوديّة.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت: 463هـ)، (2002م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، (1971م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان.

الخليل، عبد القادر مرعي الخليل، المحاسنة، فايز المحاسنة، (2009م)، **التشكيل الصوتي للمشتقات**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد:1، ص94.

الدارقطنيّ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ)، (1986م)، **المؤتَلِف والمختَلِف**، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي داوود، (ت: 316هـ)، (2002م)، **المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، ط1، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي داوود، (ت: 316هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

الدّاوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: 945هـ)، **طبقات المفسرين للداوودي**، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، (1987م)، **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.

الدليمي، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي،(2006م)، **جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الدليميّ، وجدان برهان عبد الكريم الدليمي، (2004م)، **البحث الصَّرفيّ عند الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدِ الخَالِق عُضَيْمة**، رسالة ماجستير، إشراف: لطيفة عبد الرسول، قسم اللّغة العربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء، (ت: 1117)، (2006م)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق: أنس مهرة، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان.

الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، (1997م)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ط1، دار الكتب العلميّة.

الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، (1985م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة.

الرّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (ت: 606ه)، (2000م)، **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الرّازي، بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: 666ه)، (1999م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

أبوراس، منصور سعيد أحمد أبوراس، (2005م)، **اختلاف البنية الصرفيّة في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه، وأثره على المعنى**، إشراف: مصطفى عبد الحفيظ سالم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.

الرّاغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، (1992م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت.

الربعيّ، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (ت: 379هـ)، (1990م)، **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، ط1، الرياض، السعوديّة.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 456ه)، (1981م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان.

ابن أبي الرضا الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي، (ت: 791هـ)، (1986م)، **القواعد والإشارات في أصول القراءات**، تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، ط1، دمشق، سوريا.

رضي الدين الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، (ت:686هـ)، (1975م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، حققهما وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ركن الدين الإستراباذيّ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت: 715هـ)، (2004م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط1، مكتبة الثقافة الدينية

الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: 384هـ)، **رسالة الحدود**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.

الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: 384هـ)، **رسالة منازل الحروف**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.

ذو الرُّمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدويّ، أبو الحارث، ذو الرُّمة، (ت: 117ه)، (2006م)، **ديوان ذي الرُّمة**، اعتنى به وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، ط1، دار المعرفة، بيروت.

أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، (1986م)، **شرح هاشميَّات الكميت**، تحقيق: داوود سلوم ونوري حموديّ القيسي، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، (1427ه)، **الخلاف التّصريفي وأثره في القرآن الكريم**، إشراف: عبد الجبار توامي، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية.

الزّامليّ، مجيد خير الله راهي الزّامليّ، (2002م)، **أبو البقاء العكبريّ صرفيّاً**، إشراف: هاشم طه شلاش، رسالة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القادسيّة.

الزبيديّ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: 1205ه)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزُّرقانيّ، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

الزركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت: 794ه)، (1957م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر.

الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (ت:311هـ)، (1988م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت.

ابن الزكي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعيّ الكلبي المزي (ت: 742هـ)، (1980م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، **الكشاف**، ط3، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، (1993م)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، (1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، (ت:399هـ)، (2002م)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط1، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، (ت: 403ه)، (د.ت)، **حجة القراءات**، حققه وعلق حواشيه: سعيد الأفغانيّ، دار الرسالة، بيروت، لبنان.

زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، (1988م)، **ديوان زهير بن أبي سلْمَى**، شرحه وقدم له، علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الزوزنيّ، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: 486هـ)، (2002م)، **شرح المعلقات السبع**، دار إحياء التراث العربي، ط1.

الزيلعيّ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: 762هـ)، (1994م)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، السعوديّة.

الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت: 743 هـ)، **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق، القاهرة.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت: 741ه)، (1995م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، وتصحيح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

السبكيّ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (ت: 544هـ)، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث.

السجستاني، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، (ت: 330هـ)، (1995م)، **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط1، دار قتيبة، سوريا.

السّخاويّ، علم الدين علي بن محمد أبي الحسن السّخاوي، (ت: 643هـ)، **فتح الوصيد في شرح القصيد**، دراسة وتحقيق: أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان، الكويت.

ابن السّراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت:316هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

السّرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السّرقسطي، أبو محمد (ت: 302هـ)، (2001م) **الدّلائل في غريب الحديث**، تحقيق: محمد بن عبد الله القنّاص، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت:230هـ)، (1968م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان.

السعديّ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، (2000م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982ه)، **تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو سعيد السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (1965م)، **ديوان الهذليين**، الدار القوميّة للطباعة والنشر، القاهرة.

سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت:161هـ) (1983م)، **تفسير الثوري**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ت: 244هـ)، (2002م)، **إصلاح المنطق**، تحقيق: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي.

ابن السَّلَّار، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: 782هـ)، (2003م)، **طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم**، تحقيق: أحمد محمد عزوز، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

السمعانيّ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت: 489ه)، (1997م)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض، السعودية.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (ت: 373ه)، **بحر العلوم**، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

السنديّ، أبو طاهر عبد القيّوم عبد الغفور السنديّ، (1995م)، **صفحات في علوم القراءات**، المكتبة الأمداديّة، ط1.

السّهيليّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، (1992م)، **نتائج الفكر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، (ت: 180هـ)، (1988م)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هـ)، (2000م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هـ)، (1996م)، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السيرافيّ، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، (ت: 385هـ)، (1974م)، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

السرخسيّ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هـ)، (1993م)، **المبسوط**، دار المعرفة، بيروت.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، (1998م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، **الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، (ت:911هـ)، (1988م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.

بنت الشّاطيء، عائشة محمد علي عبد الرحمن، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، ط3، دار المعارف.

الشّافعيّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: 204هـ)، (2006م)، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، ط1، المملكة العربية السعودية.

الشّافعيّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: 204هـ)، (1990م)، **الأم**، دار المعرفة، بيروت.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت: 665هـ)، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، دار الكتب العلمية.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت: 665هـ)، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، (1975م)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: 542هـ)، (1984م)، **ما لم ينشر من الأمالي الشجرية**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: 542هـ)، (1925م)، **مختارات شعراء العرب لابن الشجري**، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر.

الشربيني الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، (1285هـ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، (1995م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الشماخ، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن ذبيان الغطفاني،(ت: 22ه)، **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعرف، مصر.

الشّمّري، شيماء متعب محمود الشّمّريّ، (2005م)، **أبنية الصرف في تفسير روح المعاني لأبي الثناء الآلوسي، دراسة صرفية دلالية**، رسالة ماجستير، إشراف: خديجة زبار عنيزان الحمداني، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة بغداد.

الشمري، مبروك حمود الشّمري، (2001م)، **القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى من خلال كتاب النّشر لابن الجزري**، إشراف: سعد حمدان الغامدي، رسالة ماجستير.

شندي، إسماعيل شندي، عبد الباسط، تقي الدين عبد الباسط، (2004)، **القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الفقهاء**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الخليل، ص12-15.

شهاب الدين الشافعي، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: 893هـ)، (2007م)، **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، (2003م)، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، مكتبة السنة، ط2، القاهرة، مصر.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:1250)، (1414ه)، **فتح القدير**، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، (ت 206هـ)، (2001م)، **شرح المعلقات التسع**، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: 235هـ)، (1989م)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعوديّة.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: 235هـ)، (1997م)، **مسند ابن أبي شيبة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، ط1، دار الوطن، الرياض.

ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، (ت:720هـ)، (2004م)، **اللمحة في شرح الملحة**، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، (ت: 1206هـ)، (1997م)، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

الصابوني، محمد علي الصابوني، (1981م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.

الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، (2002م)، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، عمادة البحث العلمي، ط1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الصفاقسيّ، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (ت: 1118هـ)، (2004م)، **غيث النفع في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ)، (1987م)، **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

أبو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: نحو 290هـ)، (1960م)، **الفاخر**، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني (ت: 360هـ)، (1985م)، **المعجم الصغير**، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار، عمّان.

الطّبرسيّ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، (ت: 584هـ)، (1995م)، **تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن**، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، قدم له الإمام الأكبر السّيّد محسن الأمين العاملي، ط1، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

الطّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت:310هـ)، (2000م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.

الطحاويّ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، (ت: 321هـ)، (1995م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط1، اسطنبول.

طفيل الغنوي، طفيل بن عوف الغنوي، (1997م)، **ديوان طفيل الغنوي**، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط1، دار صادر، بيروت.

الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت: 460هـ)، (1989م)، **التبيان في تفسير القرآن** ، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط1، دار إحياء التراث العربي.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت:775هـ)، (1998م)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: 1393ه)، (1984م)، **التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس.

عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت:211هـ)، (1999م)، **تفسير عبد الرزاق**، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

العبيد، علي بن سليمان العبيد، **جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.

أبو عبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:224هـ)، (2003م)، **غريب الحديث**، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السّنة والجماعة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو عبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:224هـ)، (1980م)، **الأمثال**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط1، دار المأمون للتراث.

أبو عبيد، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:224هـ)، (1995م)، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

أبو عبيد البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، (ت:487هـ)، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: 209هـ)، (1961م)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، ط1، مكتبة الخانجى، القاهرة.

العجاج، عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، **ديوان العجاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة مروان العطيّة، مكتبة أطلس، دمشق.

عَدِيْ بن زيد بن مالك بن عدي الرِّقاع العاملي، (1987م) برواية: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، (ت:291ه)، **ديوان شعر عَدِيْ بن الرِّقاع العاملي**، تحقيق: نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن العربيّ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543هـ)، (2003م)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803ه)، (2008م)، **تفسير ابن عرفة**، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: 660هـ)، (1996م)، **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم، بيروت.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (2007م)، **الوجوه والنظائر**، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (1984م)، **المصون في الأدب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، مطبعة حكومة الكويت.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (1996م)، **التَّلخِيص في مَعرفَةِ**

أسمَاءِ الأشياء، عني بتَحقيقِه: عزة حسن، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا.
أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، **الفروق اللّغويّة**، حقّقه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر.
أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو 395هـ)، (1999م)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت.
العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، (ت:1111هـ)، (1998م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: 669هـ)، (1980م)، **ضرائر الشِّعْر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: 669هـ)، (1996م)، **الممتع الكبير في التصريف**، مكتبة لبنان، ط1.
ابن عطيّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، (1422ه)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، (ت: 769هـ)، (1980م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: 616ه) ،(د ت)، **التبيان في إعراب القرآن**، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: 616ه)، (1979م)، **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: 616ه)، (1995م)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط1، دار الفكر، دمشق.

أبو العلاء الحنبليّ، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي (ت: بعد 563هـ)، (2001م)، **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، تقديم: محسن عبد الحميد، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: 356هـ)، (1926م)، **الأمالي، شذور الأمالي، النوادر**، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط2، دار الكتب المصرية.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089هـ)، (1986م)، **الذهب في أخبار من ذهب**، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

عمر، أحمد مختار عمر، (2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1.

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، (1988م)، **الأحرف السبعة للقرآن**، تحقيق: عبد المهيمن طحان، ط1، مكتبة المنارة، السعودية.

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، (1984م)، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: اوتو تريزل، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، (2007م)، **جامع البيان في القراءات السّبع**، تحقيق: عبد المهيمن عبد السلام الطحان وطلحة محمد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد علي الغامدي، ط1، جامعة الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة).

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: 444هـ)، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

عمرو بن كلثوم، أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك، (1996م)، **ديوان عمرو بن كلثوم**، جمعه وحقّقه وشرحه: إميل حداد يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، (ت: 1364هـ)، (1993م)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، ط28، صيدا، بيروت.

الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ) ، (2003م)، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: 395ه)، (1979م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: 395ه)، (1986م)، **مجمل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: 395ه)، (1997م)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، نشره محمد علي بيضون، ط1.

الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي، (ت: 377ه)، (1993م)، **الحجّة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.

أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (ت: 207ه)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت: 170هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم، (ت: 114ه)، (1987م)، **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت: 406هـ)، (2009م)، **تفسير القرآن العظيم**، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، (2005م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرّسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، (1996م)، **بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النّجار، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، القاهرة.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، لبنان.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، (2000م)، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت.

القادوسيّ، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، (2010م)، **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً**، رسالة دكتوراه، إشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة- القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، (1978م)، **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، **الجراثيم**، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، (1992م)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، (1998م)، **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: 276هـ)، (1983م)، **الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: 620هـ)، (1968م)، **المغني**، مكتبة القاهرة.

القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت:671ه)، (1964م)، **الجامع لأحكام القرآن**، **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: 170هـ)، **جمهرة أشعار العرب**، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

القضاة، محمد أحمد مفلح القضاة، شكري، أحمد خالد شكري، منصور، محمد خالد منصور، (2001م)، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، ط1، عمّان، الأردن.

ابن القَطَّاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، (ت: 515هـ) (1983م)، **كتاب الأفعال**، ط3، عالم الكتب.

القطامي، عمير بن شُييم بن عبّاد (ت: 101ه) (1960م)، **ديوان القطامي**، تحقيق: إبراهيم السّامرائي وأحمد مطلوب، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت:1385هـ)، (1992م)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط17، بيروت، القاهرة.

القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطيّ (ت: 646هـ)، (1986م)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (ت: 1307هـ)، (1992م)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت.

القيسي، أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، (1986م)، **شرح هاشميَّات الكميت**، تحقيق: داوود سلوم ونوري حمودّي القيسي، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

القيسي، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، (ت: 567هـ)، (1987م)، **إيضاح شواهد الإيضاح**، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

القيشيريّ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات، تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، (1986م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط2، دار الكتب العلمية.

كُثَيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر (ت: 105ه)، (1971م)، **ديوان كُثَـــيِّر عزة**، شرحه وحققه: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، (1999م)، **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـــ)، (1996م)، **فضائل القرآن**، ط1، مكتبة ابن تيمية.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت: 505هـــ)، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت: 505هـــ)، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، (26ه)، (1997م)، **ديوان كعب بن زهير**، حققه وشرحه وقدم له: علي الفاعوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـــ)، **الكليّات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكُميت بن زيد بن الأخنس (226ه)، (2000م)، **ديوان الكُميت بن زيد الأسدي**، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر، بيروت.

كوليبالي سيكو، **طبيعة الاختلاف بين القرّاء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم " من خلال إعراب القرآن وتفسيره**"، رسالة ماجستير.

الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري،(ت: 504هـــ)، (1985م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، (ت:41هـــ)، (2004م)، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط1، دار المعرفة.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هـــ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

المالقي، أحمد بن عبد النور المالقي (702ه)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: 672هـ)، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط1، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: 672هـ)، (2002م)، **إيجاز التعريف في علم التصريف**، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، **تفسير الماوردي، النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، (1999م)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، (2005م)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، (ت: 285هـ)، (1997م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، (ت: 285هـ)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

المتنبي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي، (ت: 354ه)، (1983م)، **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ)، (1989م)، **تفسير مجاهد**، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثّقفي، **ديوان أبو محجن الثّقفي**، بشرح: أبو هلال العسكري، مطبعة الأزهار البارونية، مصر.

محمد، أحمد سعد محمد، (1997م) **التّوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنيّة**، مكتبة الآداب، القاهرة.

محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)،(1997م)، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ط1، دار الجيل، بيروت.

محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، (1984م)، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

المخلّص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص، (ت:393هـ)، (2008م)، **المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص**، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر.

المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: 749هـ)، (2008م)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي.

المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: 749هـ)، (1992م)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: 421هـ)، (2003م)، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله، الشيرازي الفارسي (ت:565ه)، (1988م)، **الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها**، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت: نحو 168هـ)، **المفضليات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة.

مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، (ت:150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت.

ابن مقبل، تميم بن أُبَيّ مُقْبِل بن عوف، (1995م)، **ديوان ابن مقبل**، عني بتحقيقه: عزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437ه)، (2008م)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، ط1، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437ه)، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: 437ه)، (1985م)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضّامن، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت.

ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: 319هـ)، (2002م)، **كتاب تفسير القرآن**، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، ط1، دار المآثر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت: 711ه)، (1414م)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت.

الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة، (1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، دار السلاسل الكويت، ج18، ص325.

الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، (ت: 518هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: 338ه)، (2001م)، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: 338ه)، (1989م)، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت:338ه)، النّحاس، (1988م)، **النّاسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السّلام محمد، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت.

النخجواني، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، (ت:920هـ)، (1999م)، **الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة الموضحة للكلم القرآنيّة والحكم الفرقانيّة**، ط1، دار ركابي للنشر الغورية، مصر.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، (ت:303هـ)، (2001م)، **السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: 710هـ)، (1998م)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: 710هـ)، (1311ه)، **طلبة الطلبة**، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد.

نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، (ت: 573هـ)، (1999م)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

نُصَيْب بن رباح، (108ه)، (1967م)، **شعر نصيب بن رباح**، جمع وتقديم: داوود سلّوم، مكتبة مروان العطيّة، مطبعة الإرشاد، بغداد.

النماس، مصطفى أحمد النماس، **بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربيّة**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:53، المدينة المنورة، ص237.

النّمِر بن تولب بن زهير بن أُقَيْش، (2000م)، **ديوان النمر بن تولب العُكْلِي**، جمع وشرح تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر، بيروت.

النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني، (ت: 390هـ)، (2005م)، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.

النّوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف،(ت: 676هـ)، (1988م)، **تحرير ألفاظ التنبيه**، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا.

النّوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف،(ت: 676هـ)، (1994م)، **التبيان في آداب حملة القرآن**، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط3، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

النُّوَيْري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت: 857هـ)، (2003م)، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: 850ه)، (1416م)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: 815هـ)، (1423ه)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد، (ت: 433هـ)، (2000م)، **إسفار الفصيح**، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، (ت:761هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، (ت:761هـ)، (1985)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق.

الهوريني، نصر يونس الوفائي الهوريني (ت: 1291هـ)،(2005م)، **المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ**، تحقيق وتعليق: طه عبد المقصود، ط1، مكتبة السنة، القاهرة.

الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، (1994م)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: 468ه)، (1994م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: 468ه)، (1995م)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، الدّار الشّامية، دمشق، بيروت.

ابن الورّاق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، (ت:381هـ)، (1999م)، **علل النّحو**، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعوديّة.

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، (1993م)، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت: 200هـ)، (1979م)، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع.

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، (ت:307هـ)، (1984م)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق.

المعلومات الشخصية

الاسم: وليد حسين محمد عبدالله

الكلية: الآداب

التخصص: دكتوراه اللغة العربية وآدابها

السنة: 2014

هاتف رقم: 00962795566595

البريد الإلكتروني: waleed.hossein@gmail.com